

الغمامة

في
الكتابات والسنة والأدب

تأليف

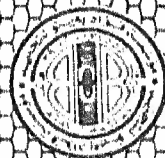
الشيخ السامية الهادي شمس الدين الشاذلي
عبد المحسن أحمد الأودي النجدي

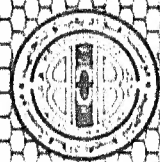
الجزء التاسع

مؤسسة الأمل للطباعة
بمكة - لبنان

مكتبة

Bibliotheca Alexandrina
0043515





الغسل

في
الكتاب والسنة والأدب

الغسلات

في

الكتاب والسنة والأدب

كتاب ديني . علمي . فني . تائيخي . أدبي . أخلاقي
مبتكر في موضوعه فريد في بابه يبحث فيه عن هدي الدرس كتاباً وسنة وأدباً
ويتضمن تراجم أئمة كبر من رجال الأئمة والعلم والدين والأدب من الذين نظموا هذه الإناء
من العلم وغيرهم

تأليف

المختبر العالم المجتهد الجليلي فاضلنا الأكبر شيخ
عبد الحسين أحمد الأميني النجفي

للجزء التاسع

منشورات

مؤسسة الأعلی للمطبوعات

بيروت - لبنان

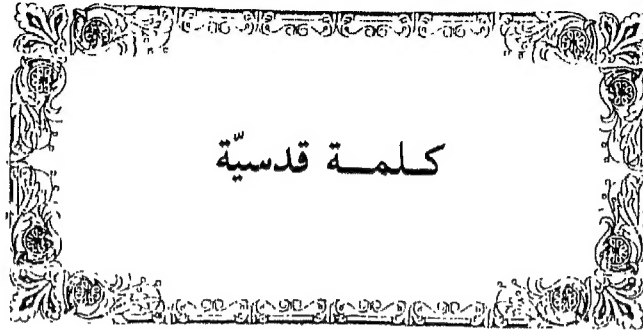
ص . ب . : ٧١٢٠

الطبعة الأولى المميّزة
كافة حقوق الكتاب محفوظة لورثة المؤلف
وكافة حقوق الصف والإخراج محفوظة ومسجلة للناسر
١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

وليس لأيّ جهة أو مؤسسة
في أي دولة كانت الحق باعادة طبع
هذا الكتاب وتلاحق قانونياً من قبل الأنترپول الدولي

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

مؤسسة الأعلامي للمطبوعات :
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة .
ملك الاعلمي . ص.ب. ٧١٢٠١
الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣



تفضّل بها سيّدنا الحجّة آية الله السيّد
حسين الموسوي الحمّامي النجفي دام ظلّه
الوارف ، وقد شقّعها بخطاب بيدي فيه
إعجابه بكتاب «الغدير» ويعرب عن نواياه
الحسنة في تقدير آثار الأئمة ومآثرها ، وإليك
نصّ الخطاب مشفوعاً بالشكر المتواصل
لسماحة السيّد .

بسم الله الرحمن الرحيم

العلامة الحجّة الأميني دام عزّه وتأييده .

بعد السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته : أرسل كتابي إليكم مشفوعاً بكلمتي
عن موسوعتكم «الغدير» وكنت قبل هذا من زمن ليس بالقريب أحاول القيام بغير
هذا فقط تجاه مقامك السامي ومنزلتك الرفيعة ، تقديرًا لخدمتك المشكورة ولكن :
المرء رهين المقدور . فما استطعت أن أمدّ باعي بما حاولت ، وها أنا أبعث
رسالتي إليك وملؤها الاعتذار لتقع منك موقع حسن القبول ، والله من وراء القصد
وهو يهدي السبيل ونرجو من الله عزّ وجلّ أن يمدّ عنايته بكم ويرعاكم بألفافه لا
زلتم مؤيدين .

الأحقّر حسين الموسوي الحمّامي

ودونك الكلمة نفسها :



وبه ثقتي

الحمد لله كما هو أهل للحمد ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه وسيّد رسله محمّد ، وعلى آله أئمة الهدى ومصابيح الدجى ، واللجنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين .

لا يخفى على من أجال النظر وأمعن التفكير في عالم التأليف والتصنيف وما يلاقيه ذوو العلم من المجهود على اختلاف مواضيع ما يؤلّف ، وسعة معرفة المؤلّف ونطاق إحاطته بما أوتي من علم وفضل (يجد المنصف من نفسه) أنّ كتاب «الغدير» هو الجدير بالذكر والإطراء ، والتقريض والثناء ، وأنّه المفرد في بابهِ ، والوحيد في موضوعه ، فكم من حقائق أسدل عليها ستار الشبه ، وسترتها يد الأهواء ، وأخفتها كفّ طالما سترت الحقّ طيّ أناملها ، وزوته في بطون كتبها ، فراح الحقّ رهين أهواء وسلطة ، فجاء «الغدير» من بعد حين يميّط عنها غياهب الظلم ، ويكشف دون وجهها حجاب التدجيل ، فأسفر الحقّ عن محضه ، وأصحر النور لذي عينين كالشمس في رائعة النهار ، فلله درّ كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأقول والحقّ يُقال : إنّ من سبر هذا السفر الميمون والكتاب الجليل وأحاط بما أودع فيه من غزارة العلم ، ومتانة التعبير ، وحسن الاسلوب ، ورصانة البيان ، وسعة التنقيب ، وطول الباع ، وكثرة الإطلاع يكاد يذهب إلى ما قاله

كلمة العلامة الحماي حول الكتاب ٧

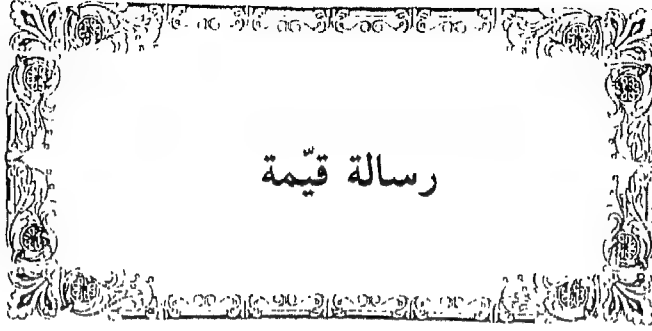
البعض في حقّ الكتاب : إنّه عملٌ ومجهودٌ لا تقوم بأعباء ثقله إلّا أمةٌ وجماعةٌ قد نهضت به عالمٌ وحده . والله يؤتي الحكمة مَنْ يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً . ولا أسهب في القول إن وصفته بهذا فحسب ، وأجديني غير موفٍ لحقّ المقام ، غير أنّ الظروف لا تسع للإعراب عن كلّ ما يُراد ، وإنّ مؤلّفنا الثقة فقيه المؤرّخين ومؤرّخ الفقهاء العلامة «الأميني» دام عزّه ومجده وتأييده وتسديده هو من أولئك الذين وقفوا حياتهم الثمينة وأرخصوا أوقاتهم الغالية لتشيد الدين وإعلاء كلمة الحقّ والجهاد في سبيل الشريعة المقدّسة والصّراط المستقيم والمنهج المهيّج ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ .

ونحن في الوقت الذي ندعو للمؤلّف الأمين بالتأييد والتسديد نطلب من الله تعالى شأنه من فضله وعنايته بهذه الامة الإسلامية المحمديّة والفرقة الناجية العلويّة أن يكثر فيها أمثاله من الأعلام وحملة العلم والأقلام ورجالات الفضيلة ، وأن يتقبّل هذا المجهود العظيم منه بعين لطفه وأن يرعاه بالقبول ، وأن يجمع به شمل الامة وشتات الفرقة .

ومن أراد الحقّ وطلب سبيل الرشاد واستضاء بنور الهداية فلديه كتاب «الغدير» كتاب ينطق بالحقّ وهم لا يُظلمون . وفّق الله الجميع لمراضيه إنّه وليّ التوفيق ، والسّلام على جميع المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

الأحقّر حسين الموسوي الحماي

١٣٧٠/٦/٦



أتتنا من العلوي الشريف العلامة السيّد
حسين الموسوي الهندي نزيل «خرنابات»
مؤلف «الإسلام مبدأ وعقيدة» أقدم له جزيل
شكري مُعجباً بتأليفه القيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة البحّانة المدقّق والثبت المتتبع حجة الإسلام الاستاذ الكبير شيخنا
الشيخ عبد الحسين الأميني دامت بركاته .

سلام الله ورحمته وبركاته عليكم .

أبعث إليكم رسالة بعجز مرسلها ناطقة ، وبعفوكم وقبولكم عارفة ، وبفيض
فضلكم مغمورة ، دتم للمؤمنين ذخراً وللمسلمين فخراً ، فأريج المسك يعبق من
نفحات همّتكم الفياضة بالعمل النافع ، وديم الفضل تغدق من سماء مجدكم
الشامخ بالعلم الوفير ، وضياء بدر عزيمتكم يسطع من غرر أعمالكم الخالدة ،
وينير في جنبات العالم بأنوار تعاليمكم ، ونجوم مؤلفاتكم المتألّقة في آفاق الدنيا
المدلهمة ، هي ممّا جاد به يراعكم وأفاض به فكركم ، كلّتم تاج العصر الحاضر
بما أتحتّموه من درر بيانكم وجواهر كلامكم لا سيّما في «الغدير» الذي أروى
الغليل وأشفى العليل ، فإنّه آيات تنزل من وحي الضمير الصادق على الصدر
الرحيب ، وبيّنات من الهدى والفرقان ، مقتبسات من أحاديث النبيّ الأمين ،
ومستقاة من نهج بلاغة أمير المؤمنين ، وإنّه آيات تصكّ المسامع بالحجج وتأخذ

رسالة العلامة السيد حسين الهندي حول الكتاب ٩

بالمسلمين إلى الصراط السويّ ، وهي بنفسها حصونٌ منيعة لسور الإيمان ،
وأسلاك شائكة على حمى الولاية تمنع عنها العدوان وتردّ الأيدي الأثيمة ، فكم
للمسلمين من ثغر سدّذتموه بمدادكم وحرستموه بعيون مؤلّفاتكم . .

فللغدير فصول من الثناء وللمحاسبات التاريخية فيه أبواب من المدح سجّلها
لكم التاريخ بمداد البقاء على ألواح الخلود ، وللدود بنودٌ من الإطراء تتّصل
بالأجيال اتصال معقب لما يكتب أو يقال ، وإنّه لعمر الحقّ موسوعة جامعة شمس
ذات إشعاع متموّج قرّت فيها عيون ، وأرملت منها أخرى ، أو هي كفواكه ذوات
طعوم متنوّعة وروائح شتّى ممّا لذّ وطاب ، وإنّها لآية الإبداع في العمل ، ومعجزة
الزمن الحاضر التي رفعت كلمة المستحيل من قاموس العاملين ، والتي لا يحلم بها
مسلمٌ عاملٌ ولا يفكر فيها مؤمن صفر الكفّ من ضرر الدنيا والمساعدين ، فأقدمتم
والعزيمة تحفز همّتكم والتصميم يوكلكم ، فكانت كأحسن ما تكون موسوعة
اشتركت في مواضيعها جمعيّة جزّأتها حسب الاختصاص والكفاءات ، وبرزت
تبعث في القلوب بهجة وروعة ، وترسل إلى الأرواح متعاً وغذاءً ، وتوصل النفوس
من كشف الغيوب إلى عالم الشهادة والسّعادة ، فحيّا الله جدّكم الذي لم يخّر أمام
مشاكل ملتوية ، ومرحاً لسعيكم المشكور الذي لم يثنه شيءٌ من مهمّات الأمور ،
فأمّد الله إلى قوّتكم قوّة ، وأعانكم منه على عملكم الدائب المستمرّ ، وأخذ
بناصركم إنّه سميعٌ مجيب ، هذه تذكرةٌ وذكري ، تذكرةٌ للعاملين وذكري لمقامكم
الرفيع وقوّة جهادكم لمناصرة الدين .

فالحقّ على المؤمنين أن يفتخروا برجلهم الفدّ ، وواحدهم الذي غالب آحاداً
ممن دُوخوا التاريخ بالصيت وملأوا الكتب بالشهرة ، والواجب عليهم أن يقرنوا الشكر
له بالدعاء في دوام البقاء ، ويأخذوا بهدى آل البيت النبويّ الطاهر من حامل
علومهم المناضل المجاهد العالم العامل ، فهو ممّن منحه الله ملكة الإحياء إلى
القلوب النقيّة وأمّكنه من إفهام الطبقات الراقية من أهل الثقافات العالية بما يزيل به
عنهم درن صدورهم ويزيح عنهم وساوس شكوكهم بالحقائق الراهنة والصراحة
المحبّية .

فيا أيّها المولى الجليل ! تحية المتفاني بالإخلاص إليكم ، وسلام المغمور

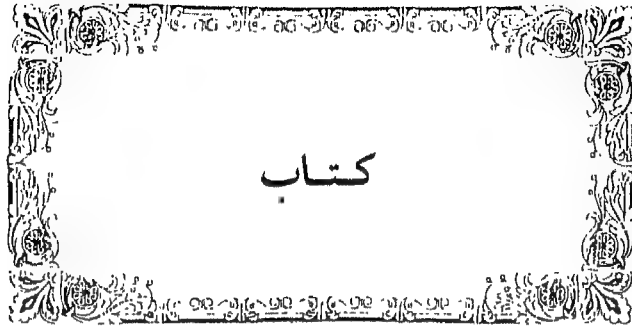
١٠ الغدير ج - ٩

بفيض فضلكم ، وثناء المتربّع على مائدة علمكم التي دعوتكم إليها القريب
والبعيد .

إنِّي أُجلُّ مقامكم السامي عن المدح والثناء ، لأنِّي عيٌّ وحصورٌ فلا أفي
ببعض الواجب ، ولكنِّي سايرت القلم الملهم من يراعكم لما رأيته يحنو لعظمتكم
ويهمس من هيبتكم ، فليكن الرضا منكم شفيعاً بالقبول ، والصدر منكم رحيماً
للتقصير أو القصور ، ولكم الفضل أولاً ويعود إليكم آخرأً كما كان بولائكم
متّصلاً .

حسين الموسوي الهندي

«خرنابات» ٢٨ محرم الحرام ١٣٧١



أتانا من شيخنا العَلَم الأُحد حُجّة الإسلام
مولانا الشيخ حيدر قلي الشهير بسردار
الكابلي قطين كرمانشاه صاحب التآليف
الضخمة الفخمة القيّمة حيّاه الله وبيّاه ذخرأ
للملأ العلمي ، وشكرأ له وألف شكر ،
وإليك نصّه :

يتشرف بتقبيل أنامل العلم العلّامة البَحّاة
الفهّامة حُجّة الإسلام والمسلمين عماد
المؤمنين مولانا المبرأ من كلّ شين الشيخ
عبد الحسين الأُميني دامت بركاته .

بسم الله الرحمن الرحيم

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

إنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو ، وأصليّ وأسلم على سيّد رسله
وأشرف أنبيائه ، وعلى وصيّيه بالصّدق وخليفته بالحقّ ، الذي نصبه يوم الغدير علماً
لعباده ومناراً في بلاده ، وعلى بنيه الأئمّة الهداة والأوصياء الولاة من بعده ، لئلاّ
يكون للنّاس على الله حُجّة بعد الرسل وأوصيائهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى
من حيّ عن بينة صلّى الله عليهم وسلّم .

أمّا بعد : فقد أتاني رسولٌ من عندك بغالية فيها حياة القلوب وشفاء النفوس ،
ألا وهي كتاب «الغدير» فرأيت به بَحراً متلاطماً تيّاره ، متراكماً زخّاره ، لولا أنّه سفينة

١٢ الغدير ج - ٩

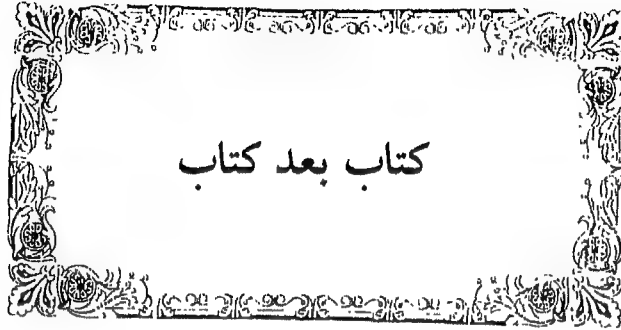
مشحونة بجواهر الحقائق العوالي ولآلي الأسرار الغوالي ، غير أنه شمسُ أشرقت من أفق الغريِّ فأضاءت الدنيا بنورها الأبهج ، وأمطت غياهب الشبهات بضائها الأبلج ، بيد أنه دائرة المعارف الإلهية وسفط من العلوم الربانية ، لولا أنه روضة من رياض القدس فيها ما تلذُّ به العين وتشتهيه النفس ، فترى طورها شادية على أفنانها ، وحمامها مغرّدة على أغصانها بأنواع الألحان المطربة ، فتجذب القلوب الصافية والنفوس الزاكية إلى مقامات الصفاء ومنازل الإنس، غرستها يد الولاية الربانية العظمى والخلافة الإلهية الكبرى، فيها زرافات من الأولياء وكبار الأئمة، وثلة من العلماء الأبرار والفقهاء الأخيار، وصنوف من العرفاء والحكماء، وصفوف من الأمراء والشعراء وعباقره الأدب واقفين على باب الحضرة العلوية على مشرفها الصلوة والسلام ، والعلامة «الأميني» يُنزلهم في منازلهم المعلومه بأمر مولاه صلوات الله وسلامه عليه على حسب درجاتهم ، يتذكرون الأحاديث النبوية على ضفة الغدير ، وينشدون الأشعار الغديرية ، فيطوف عليهم ولدانٌ مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين ، يُسقون من رحيق مختوم ختامه مسك ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، ثم يصلهم بمقامات الصلوة ويُخبرهم على حسب طبقاتهم وحسن طويّاتهم وصفاء نياتهم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، فهنيئاً لك أيها الأمين ولهم ، وأذاقنا الله تعالى بفضلِه رشفة أو رشحة من ذلك الغدير العذب إنَّه غفورٌ رحيم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين ، وصلى الله على محمّد وآله .

مخلصكم في الوداد

حيدر قلبي الكابلي عفي عنه

إنا لله وإنا إليه راجعون

فجعنا بفقد هذا العلم الشامخ ، فقيد العلم والدين ، صبيحة الثلاثاء رابع جمادى الاولى سنة ١٣٧٢ هـ . وفد إلى ربِّه الكريم بعد إقامة فريضة الصبح قدس الله سرّه ، ويوافيك تفصيل ترجمته في شعراء القرن الرابع عشر إن شاء الله تعالى .



أتينا من الخطيب المفوه الأستاذ محمد
نجيب زهر الدين العاملي مدرّس العلوم
الدينية في الكلية العلمية ببيروت ، بالغ بهما
في الثناء على كتابنا «الغدير» ومما جاء في
كتابه الأول قوله :

فإنني من أشدّ المعجبين بفضلكم ، المشيدين بأثاركم ومآثركم ،
وأبحاثكم الطريفة المفيدة ، وفوائدكم التي ظهرت واضحة جليلة ،
وبرزت ساطعة قويّة في كتابكم الجليل الخالد ، ومؤلفكم العظيم النادر :
«الغدير» السفر الذي بزّ الأسفار ، والذي كشفتم به النقاب عن وجه الحقّ المقنع ،
وجلوتكم به الحقيقة سافرة رقراق ، فحيّاكم الله وجزاكم عن صاحب يوم الغدير خير
الجزاء على هذا المجهود الجبار الذي سوف يبقى مدى الأجيال ذكراً مذكوراً ،
وعملاً مبروراً ، وسعيّاً مشكوراً . إلى أن قال :

رأيت من الواجب عليّ أن أرد منهل مولانا العلامة «الأميني» هذا المنهل
العذب ، وأروي ظمأ نفسي وعقلي من غديره الصافي ، ثم أعود من هذا الورود
وذلك الريّ بمجموعة نفيسة وتحفة غالية من دُرر عالمنا «الأميني» ولأليه فأنثرها
على صهوات المنابر ومواقف التدريس على عقول الجماهير وأفكار الناشئة حكماً
نافعة ، وحججاً قاطعة ، وشعلة وهاجة ، وقبساً منيراً .

ومن فصول كتابه الثاني المؤرّخ بـ ٨ شوال سنة ١٣٧٠ قوله :

و«الغدير» بعدُ سفر ضخم من أسفار الحقيقة والخلود ، لأنّه كتاب حقّ ، وصحيفة صدق ، وديوان للعلم والحكمة والأدب والتاريخ ، ومنهل عذب لرؤاد الحديث ودرايته وفنونه ، ومصدرٌ لتتبع الحوادث الفدّة واستقراءها ، ومنبعٌ فيّاض بالأدلة الساطعة ، والبراهين القاطعة الدالّة على إمامة صاحب البيعة يوم الغدير سلام الله عليه ، والناطقة بفضلّه وفضل الأئمة من بنيّه عليه وعليهم أطيب التحيّات وأزكى الصلوات .

وما كان «الغدير» ليخرج للنّاس بهذه الحلة القشبيّة والثوب النقيّ الفضفاض لولا بيان «الأميني» الناصع ، وعلمه الناجع ، واسلوبه الرائع ، وأدبه الممتع ، ودليله المقنع ، وبلاغته الواضحة ، وحجّته اللائحة ، وديباجته المشرقة ، وبراعته المعرّقة ، ومنطقه السديد ، وبحثه المفيد ، وتعبيره الرائق ، وتجرّده الصادق ، وجهده الكبير ، وعناؤه الكثير !! .

فشكراً للعلامة «الأميني» وألف شكر . . وثناء على جهده وجهاده وألف ثناء . . ومرحى لآثاره العلميّة النافعة ، وجزاه الله عن الإسلام ونبّيّه وعترته نبّيّه أحسن الجزاء .

وليأذن لي علامتنا «الأميني» أن أسجّل لديه بهذه المناسبة شكراً خاصّاً لمن شرفني بالتعرّف على شخصيّة مؤلّف «الغدير» الفدّة ، وإيمانه الراسخ ، وعقيدته الصافية ، وأخلاقه السمحة ، ومقاصده النبيلة ، ونصرته للحقّ وأهله بروحه وماله ، ولسانه ويده ، ونفسه ونفيسه ، وعلمه وعمله ، نسأل الله له التوفيق والتأييد والفلاح والنجاح .

وليعلّم مولانا «الأميني» أنّي عاملٌ على الإستقاء من آثاره لأنشرها ، ومن أدابه لأبثّها ، ومن معارفه لأذيعها في المدرسة تارة ، وفي المجتمع طوراً ، ومن على منبر الخطابة تارة أخرى . الخ .



جاءنا من الاستاذ القدير سلمان عباس
الدواح الزبيدي من ناحية الكميت ، يحتوي
على معان فخمة يطري بها كتاب «الغدير»
ويشكر جهودنا في تأليفه ، ويذكر موقف
الملا الدينيّ تجاهه ، ومن جملة قوله :

فقد تصفّحنا سفركم الغدير بأجزائه الثمانية فوجدناه سفرًا جليلاً ضمّ بين
طيّاته آيات الحقّ الواضحة والبراهين الساطعة التي إن دلّت فإنّما تدلّ على مدى
حبّكم لآل البيت وتفانيكم في سبيل إظهار الحقّ ومحقّ الباطل .

سيّدي ! لقد أظهرتم - ولست بمبالغ - للملا الإسلاميّ خاصّة سفرًا عجز عن
مثله السابقون وقد يعجز عنه الاحقون ، فما سعيكم طيلة حقب كثيرة مضت وما
اجتيازكم عقبات جمّة صادفتموها أثناء التنقيب والتفتيش عن البراهين والحجج
القويّة التي تثبت بدورها غايتكم التي تريدون إثباتها وإظهارها للملا ما هو إلّا أن
تظهروا ذلك السفر بمظهره اللائق به ، وحقّاً فقد جاء كما أنشدكم .

«الغدير» يا سيّدي هو ذلك الكتاب الزاخر باللالء والوضاءة التي تكشف عن
الحقائق المظمورة ، وظهور تلك الحقائق بدوره يذهب كلّ باطل ظاهر ، فكم ضال
اهتدى بنور ذلك السفر الجليل وآب إليه عقله ، وكم من متحمّس إلى إظهار لواء

١٦ الغدير ج - ٩

الحقّ إلّا وقد رفع رأسه عالياً بفضل هذا الكتاب الجليل . الخ .

سلمان عبّاس الدوّاح الزبيدي

ناحية الكميت

١٥ حزيران سنة ١٩٥١ م

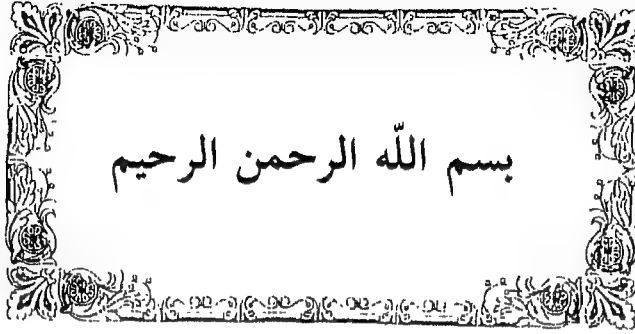
١٠ رمضان سنة ١٣٧٠ هـ

* * *

وهناك عدّة كتب في تقرّيط «الغدير» أتتنا من بعض الأعلام والأساتذة الأفاضل
أرجأنا نشرها إلى آونة أخرى ، نقدّم للجميع شكرنا الجزيل المتواصل .

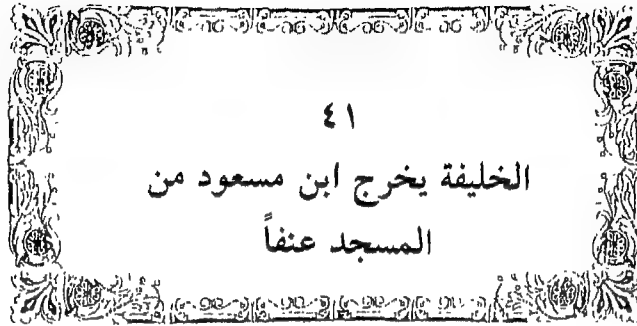
الجزء التاسع

يتضمن تراجم جمع من أعظم
الصحابة ، رجال الدعوة الطالحة . والبحث
عما لفَّقه يد الافتعال من التاريخ المزور . وما
ألفَّته سماسرة الجهل والدجل من الكتب .
والأعراب عن صحيح ما فجد قطة قتيل
الصحابة «عثمان» وأخفاق ما هنالك من جلبة
ولغط ، أو مكاء وتصدية .
والله وليُّ التوفيق



سُبْحَانَكَ ! مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ،
 فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ، حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا
 الْحَقَّ ، مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى
 وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ، وَلَدِينَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ ، كِتَابٌ مُصَدِّقٌ
 لِسَانًا عَرَبِيًّا ، إِذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَالْقِيَّةِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ،
 وَقُلْ : جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ، وَلَقَدْ
 وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ، وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا
 الْعِلْمَ أَنَّ الْحَقَّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ ، فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ،
 إِنَّمَا قَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ
 يَقُولُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ
 أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ .
 يَا قَوْمِ ! لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ،
 لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ، وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا
 الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ، إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ
 يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ
 وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ .

الأميني



أخرج البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٣٦ قال : حَدَّثَنِي عَبَّاسُ بْنُ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي مَخْنَفٍ وَعَوَانَةَ فِي إِسْنَادِهِمَا : إِنَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ حِينَ أُلْقِيَ مِفْتَاحَ بَيْتِ الْمَالِ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَقْبَةَ قَالَ : مَنْ غَيَّرَ غَيَّرَ اللَّهُ مَا بِهِ . وَمَنْ بَدَّلَ أَسْخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَمَا أَرَى صَاحِبَكُمْ إِلَّا وَقَدْ غَيَّرَ وَبَدَّلَ ، يُعْزَلُ مِثْلُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ وَيُوَلَّى الْوَلِيدُ ؟ وَكَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ لَا يَدْعُهُ وَهُوَ :

إِنَّ أَصْدَقَ الْقَوْلِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَأَحْسَنُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحَدَّثٍ بَدْعَةٌ ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ^(١) .

فَكُتِبَ الْوَلِيدُ إِلَى عُثْمَانَ بِذَلِكَ وَقَالَ : إِنَّهُ يَعْيبُكَ وَيَطْعَنُ عَلَيْكَ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ عُثْمَانُ بِأَمْرِهِ بِإِشْخَاصِهِ فَاجْتَمَعَ النَّاسُ فَقَالُوا : أَقِمْ وَنَحْنُ نَمْنَعُكَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ شَيْءٌ تُكْرَهُهُ ، فَقَالَ : إِنَّ لَهُ عَلَيَّ حَقَّ الطَّاعَةِ وَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَ بَابَ الْفِتَنِ . وَفِي لَفْظِ أَبِي عَمْرٍ : إِنَّهَا سَتَكُونُ أُمُورٌ وَفَتَنٌ لَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهَا . فَرَدَّ النَّاسُ وَخَرَجَ إِلَيْهِ^(٢) .

(١) هذه جملة من كلمة ابن مسعود وقد أخرجها برمتها أبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص ١٣٨ وهي كلمة قيمة فيها فوائد جمة .

(٢) الإستيعاب ج ١ ص ٣٧٣ .

قال البلاذري : وشيعة أهل الكوفة فأوصاهم بتقوى الله ولزوم القرآن فقالوا له : جزيت خيراً فلقد علمت جاهلنا ، وثبت عالمنا ، وأقرأتنا القرآن ، وفقهتنا في الدين ، فنعم أخو الإسلام أنت ونعم الخليل ، ثم ودعوه وانصرفوا ، وقدم ابن مسعود المدينة وعثمان يخطب على منبر رسول الله ﷺ فلما رآه قال : ألا إنه قد قدمت عليكم دويبة سوء من يمشي على طعامه يقيء ويسلح ، فقال ابن مسعود : لست كذلك ولكنني صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر ويوم بيعة الرضوان . ونادت عائشة : أي عثمان ! أتقول هذا لصاحب رسول الله ﷺ ؟ ثم أمر عثمان به فأخرج من المسجد إخراجاً عنيفاً ، وضرب به عبدالله بن زمعة الأرض ، ويقال : بل احتمله «يحموم» غلام عثمان ورجلاه تختلفان على عنقه حتى ضرب به الأرض فدق ضلعه ، فقال علي : يا عثمان ! أتفعل هذا بصاحب رسول الله ﷺ بقول الوليد بن عقبة ؟ فقال : ما بقول الوليد فعلت هذا ولكن وجهت زبيد بن الصلت الكندي إلى الكوفة فقال له ابن مسعود : إن دم عثمان حلال ، فقال علي : أحلت عن زبيد على غير ثقة .

وفي لفظ الواقدي : إن ابن مسعود لما استقدم المدينة دخلها ليلة جمعة فلما علم عثمان بدخوله قال : يا أيها الناس ! إنه قد طرركم الليلة دويبة ، من يمشي على طعامه يقيء ويسلح ، فقال ابن مسعود : لست كذلك ولكنني صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر ، وصاحبه يوم بيعة الرضوان ، وصاحبه يوم الخندق ، وصاحبه يوم حنين ، قال : وصاحت عائشة : يا عثمان ! أتقول هذا لصاحب رسول الله ﷺ ؟ فقال عثمان : اسكتي . ثم قال لعبدالله بن زمعة : أخرجه إخراجاً عنيفاً ، فأخذه ابن زمعة فاحتمله حتى جاء به باب المسجد فضرب به الأرض فكسر ضلعاً من أضلاعه ، فقال ابن مسعود : قتلني ابن زمعة الكافر بأمر عثمان .

قال البلاذري : وقام علي بأمر ابن مسعود حتى أتى به منزله ، فأقام ابن مسعود بالمدينة لا يأذن له عثمان في الخروج منها إلى ناحية من النواحي ، وأراد حين برىء الغزو فمنعه من ذلك وقال له مروان : إن ابن مسعود أفسد عليك العراق ، أفتريد أن يفسد عليك الشام ؟ فلم يبرح المدينة حتى توفي قبل مقتل عثمان بستين ، وكان مقيماً بالمدينة ثلاث سنين .

وقال قومٌ : إنَّه كان نازلاً على سعد بن أبي وقاص ، ولمَّا مرض ابن مسعود مرضه الذي مات فيه أتاه عثمان عائداً فقال : ما تشتكي ؟ قال : ذنوبي . قال : فما تشتهي ؟ قال : رحمة ربِّي . قال : ألا أدعوك طبيباً ؟ قال : الطبيب أمرضني . قال : أفلا آمر لك بعطائك^(١) ؟ قال : منعنيته وأنا محتاج إليه ، وتعطينيه وأنا مستغن عنه ؟ قال : يكون لولدك ، قال : رزقهم على الله . قال : إستغفر لي يا أبا عبد الرحمن ، قال : أسأل الله أن يأخذ لي منك بحقي ، وأوصي أن لا يصلي عليه عثمان فدفن بالبقيع وعثمان لا يعلم فلمَّا علم غضب ، وقال : سبقتوني به ؟ فقال له عمار بن ياسر : إنَّه أوصى أن لا تصلي عليه . فقال ابن الزبير^(٢) :

لأعرفنك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي

وفي لفظ ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ١٦٣ : جاءه عثمان في مرضه عائداً فقال له : ما تشتكي ؟ قال ذنوبي . قال فما تشتهي ؟ قال : رحمة ربِّي . قال : ألا آمر لك بطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضني . قال : ألا آمر لك بعطائك ؟ - وكان قد تركه سنتين - فقال : لا حاجة لي به . فقال : يكون لبناتك من بعدك ، فقال : أتخشى على بناتي الفقر ؟ إنِّي أمرت بناتي أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة وإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : مَنْ قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً .

وقال البلاذري : كان الزبير وصي ابن مسعود في ماله وولده ، وهو كلم عثمان في عطائه بعد وفاته حتَّى أخرجه لولده ، وأوصى ابن مسعود أن يصلي عليه عمار بن ياسر ، وقوم يزعمون أن عماراً كان وصيّه ووصية الزبير أثبت .

وأخرج البلاذري من طريق أبي موسى القروي بإسناده : أنه دخل عثمان على ابن مسعود في مرضه فاستغفر كل واحد منهما لصاحبه ، فلمَّا انصرف عثمان قال بعض من حضر : إن دمّه لحلال . فقال ابن مسعود : ما يسرُّني أنني سددت إليه سهماً يخطئه وأن لي مثل أحد ذهباً .

(١) قال ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ١٦٣ : كان قد تركه سنتين .
(٢) كذا والصحيح كما في شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٣٦ : فتمثل الزبير .

٢٢ الغدير ج - ٩

وقال الحاكم وأبو عمر وابن كثير : أوصى ابن مسعود إلى الزبير بن العوام فيقال : إنه هو الذي صلى عليه ودفنه بالبقيع ليلاً بإيصائه بذلك إليه ولم يعلم عثمان بدفنه ، ثم عاتب عثمان الزبير على ذلك ، وقيل : بل صلى عليه عثمان ، وقيل : عمار^(١) .

وفي رواية توجد في شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٣٦ : لما حضره الموت قال : من يتقبل مني وصية أوصيه بها على ما فيها ؟ فسكت القوم وعرفوا الذي يريد فأعادها فقال عمار : أنا أقبلها ، فقال ابن مسعود : أن لا يصلي علي عثمان . قال : ذلك لك ، فيقال : إنه لما دفن جاء عثمان منكراً لذلك فقال له قائل : إن عماراً ولي الأمر . فقال لعمار : ما حملك على أن لم تؤذني ؟ فقال : عهد إلي أن لا أؤذنك . إلخ . وذكر كل ما رويناه عن البلاذري مع زيادة ، فراجع .

وفي لفظ اليعقوبي : إعتل ابن مسعود فأثاه عثمان يعوده فقال له : ما كلام بلغني عنك ؟ قال : ذكرت الذي فعلته بي إنك أمرت بي فوطيء جوفي فلم أعقل صلاة الظهر ولا العصر ومنعتني عطائي . قال : فلإني أريدك من نفسي فافعل بي مثل الذي فعل بك . قال : ما كنت بالذي أفتح القصاص على الخلفاء . قال : فهذا عطاؤك فخذ ، قال : منعتني وأنا محتاج إليه . وتعطينيه وأنا غني عنه ، لا حاجة لي به . فانصرف فأقام ابن مسعود مغاضباً لعثمان حتى توفي .

[تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٤٧] .

وأخرج محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي : إن عثمان ضرب ابن مسعود أربعين سوطاً في دفنه أبا ذر .

[شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٣٧] .

وفي تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٨ : حبس (عثمان) عن عبد الله بن مسعود وأبي ذر عطاءهما وأخرج أبا ذر إلى الربرة وكان بها إلى أن مات . وأوصى (عبدالله) إلى الزبير وأوصاه أن يصلي عليه ولا يستأذن عثمان لئلا يصلي عليه ، فلمّا دفن وصل

(١) المستدرک ج ٣ ص ٣١٣ ، الإستيعاب ج ١ ص ٣٧٣ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٦٣ .

ترجمة ابن مسعود والثناء عليه ٢٣

عثمان ورثته بعطاء أبيهم خمس سنين . وأجاب بأن عثمان كان مجتهداً ولم يكن من قصده حرمانه ، إنما التأخير إلى غاية أدباً ، وإمّا مع حصول تلك الغاية أو دونها وصل به ورثته ولعلّه كان أنفع له .

وفي السيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٧ من جملة ما انتقم به علي عثمان : أنه حبس عبدالله بن مسعود وهجره ، وحبس عطاء أبي بن كعب ، وأشخص عبادة بن الصامت من الشام لما شكاه معاوية ، وضرب عمار بن ياسر وكعب بن عتبة ضربه عشرين سوطاً ونفاه إلى بعض الجبال ، وقال لعبد الرحمن بن عوف : إنك منافق . الخ .

قال الأميني : لعلك لا تستكنه هذه الجرأة ولا تبلغ مداها حتى تعلم أن ابن مسعود من هو ، فهناك تؤمن بأن ما فعل به حوب كبير لا يبرّر من ارتكب به أيّ عذر معقول فضلاً عن التافهات .

١ - أخرج مسلم وابن ماجه من طريق سعد بن أبي وقاص قال نزل قوله تعالى : ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين﴾^(١) في ستة نفر منهم عبدالله بن مسعود .

راجع تفسير الطبري ج ٧ ص ١٢٨ ، المستدرک للحاكم ج ٣ ص ٣١٩ ، تاريخ ابن عساکر ج ٦ ص ١٠٠ ، تفسير القرطبي ج ١٦ ص ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٣٥ ، تفسير ابن جزري ج ٢ ص ١٠ ، تفسير الدر المنثور ج ٣ ص ١٣ ، تفسير الخازن ج ٢ ص ١٨ ، تفسير الشربيني ج ١ ص ٤٠٤ ، تفسير الشوكاني ج ٢ ص ١١٥ .

٢ - أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى ج ٣ ص ١٠٨ ط ليدن من طريق عبدالله بن مسعود نزول قوله تعالى : ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعدما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم﴾^(٢) في ثمانية عشر رجلاً هو أحدهم .

(١) سورة الأنعام ؛ الآية : ٥٢ .

(٢) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٧٢ .

٢٤ الغدير ج - ٩

وذكر ابن كثير والخازن في تفسيرهما أنّ ابن مسعود ممّن نزلت فيهم الآية .

٣ - ذكر الشربيني والخازن نزول قوله تعالى : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آثَاءُ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾ . في ابن مسعود وعمّار وسلمان . يأتي تفصيله بعيد هذا في ترجمة عمّار .

٤ - عن عليّ عليه السلام مرفوعاً : عبدالله يوم القيامة في الميزان أثقل من أحد .

وفي لفظ : والذي نفسي بيده لهما (يعني ساقى ابن مسعود) أثقل في الميزان من أحد .

وفي لفظ : والذي نفسي بيده لساقا عبدالله يوم القيامة أشدّ وأعظم من أحد وحرّاء .

راجع مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣١٧ ، حلية الأولياء ج ١ ص ١٢٧ ، الإستهباب ج ١ ص ٣٧١ ، صفة الصفوة ج ١ ص ١٥٧ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٦٣ ، الإصابة ج ٢ ص ٣٧٠ ، مجمع الزوائد للهيثمى ج ٩ ص ٢٨٩ ، وقال : أخرجه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجالهم رجال الصحيح غير أم موسى وهي ثقة ، ورواه من طريق البزار والطبراني فقال : رجالهما رجال الصحيح . كنز العمال ج ٦ ص ١٨٠ ، ١٨١ ، ج ٧ ص ٥٥ نقلاً عن الطبراني والضياء وابن خزيمة وصحّحه .

٥ - عن علقمة وعمر في حديث عن رسول الله ﷺ : من سرّه أن يقرأ القرآن غضّاً . أو : رطباً ، كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أمّ عبد .

أخرجه أبو عبيد في فضائله ، أحمد ، الترمذي ، النسائي ، البخاري في تاريخه ، ابن أبي خزيمة ، ابن أبي داود ، ابن الأنباري ، عبد الرزاق ، ابن حبان ، الدارقطني ، ابن عساكر ، أبو نعيم ، الضياء المقدسي ، البزار ، الطبراني ، أبو يعلى ، وغيرهم .

راجع سنن ابن ماجه ج ١ ص ٦٣ ، حلية الأولياء ج ١ ص ١٢٤ ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣١٨ ، الإستهباب ج ١ ص ٣٧١ ، صفة الصفوة ج ١

أحاديث الثناء على ابن مسعود ٢٥

ص ١٥٦ ، طرح الشريب ج ١ ص ٨٥ ، الإصابة ج ٢ ص ٣٦٩ ، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٨٧ ، كنز العمال ج ٦ ص ١٨١ .

٦ - عن أبي الدرداء مرفوعاً في حديث : رضيت لأمتي ما رضي الله لها وابن أم عبد ، وسخطت لأمتي ما سخط الله لها وابن أم عبد .

أخرجه البزار والطبراني ورجال البزار ثقات كما قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٠ ، ورواه الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ٣١٧ ، ٣١٨ ، وأبو عمر في الاستيعاب ج ١ ص ٣٧١ ويوجد في كنز العمال ج ٦ ص ١٨١ وج ٧ ص ٥٦ .

٧ - عن عبدالله بن مسعود قال : قال لي رسول الله ﷺ : آذنك على أن ترفع الحجاب وتسمع سوادي^(١) حتى أنهاك . قال ابن حجر : أخرجه أصحاب الصحاح .

مسند أحمد ج ١ ص ٣٨٨ ، سنن ابن ماجه ج ١ ص ٦٣ ، حلية الأولياء ج ١ ص ١٢٦ ، الاستيعاب ج ١ ص ٣٧١ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٦٢ ، الإصابة ج ٢ ص ٣٦٩ .

٨ - أخرج الترمذي من طريق عبدالله في حديث قال : قال رسول الله ﷺ : تمسكوا بعهد ابن أم عبد .

وفي لفظ أحمد : تمسكوا بعهد عمّار ، وما حدّثكم ابن مسعود فصّدّقوه .

راجع مسند أحمد ج ٥ ص ٣٨٥ ، حلية الأولياء ج ١ ص ١٢٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ١٦٢ ، الإصابة ج ٢ ص ٣٦٩ ، كنز العمال ج ٧ ص ٥٥ .

٩ - سُئل عليّ (أمير المؤمنين) عن ابن مسعود قال : علم القرآن وعلم السنّة ثمّ انتهى وكفى به علماً .

(١) كذا في جميع المصادر والسواد بالكسر : السرار . يُقال : ساودت الرجل أي سارزته . وحسبه ناشر حلية الأولياء غلطاً فجعله في المتن «سراي» وقال في التعليق : في الأصلين : سوادي .

٢٦ الغدير ج - ٩

راجع حلية الأولياء لأبي نعيم ج ١ ص ١٢٩ ، المستدرک للحاکم ج ٣ ص ٣١٨ ، الإستيعاب ج ١ ص ٣٧٣ ، صفة الصفوة ج ١ ص ١٥٧ .

١٠ - أخرج الحاکم في المستدرک ج ٣ ص ٣١٥ من طريق حبة العرني قال : إنَّ ناساً أتوا علياً فأثنوا على عبد الله بن مسعود فقال : أقول فيه مثل ما قالوا وأفضل : من قرأ القرآن وأحلَّ حلاله ، وحرمَّ حرامه ، فقيه في الدين ، عالمٌ بالسنة .

١١ - أخرج الترمذي بإسناد رجاله ثقاتٌ من طريق حذيفة بن اليمان : إنَّ أشبه الناس هدياً ودلاً وسمناً بمحمَّد ﷺ عبد الله .

وفي لفظ البخاري : ما أعرف أحداً أقرب سمناً وهدياً ودلاً برسول الله ﷺ من ابن أم عبد ، وزاد الترمذي : ولقد علم المحفوظون من أصحاب رسول الله ﷺ أنَّ ابن أم عبد أقربهم إلى الله زلفى . وفي لفظ أبي نعيم : إنَّه من أقربهم وسيلة يوم القيامة . وفي لفظ أبي عمر : سمع حذيفة يحلف بالله ما أعلم أحداً أشبه دلاً وهدياً برسول الله من حين يخرج من بيته إلى أن يرجع إليه من عبد الله بن مسعود ، ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمَّد ﷺ أنه من أقربهم وسيلة إلى الله يوم القيامة .

وفي لفظ علقمة : كان يشبه بالنبيِّ في هديه ودلِّه وسمته .

راجع صحيح البخاري كتاب المناقب . مسند أحمد ج ٥ ص ٣٨٩ ، المستدرک ج ٣ ص ٣١٥ ، ٣٢٠ ، حلية الأولياء ج ١ ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، الإستيعاب ج ١ ص ٣٧٢ ، مصابيح السنة ج ٢ ص ٢٨٣ ، صفة الصفوة ج ١ ص ١٥٦ ، ١٥٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ١٦٢ ، تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٩٧ ، الإصابة ج ٢ ص ٣٦٩ ، كنز العمال ج ٧ ص ٥٥ .

١٢ - أخرج الشيخان والترمذي عن أبي موسى قال : قدمتُ أنا وأخي من اليمن وما نرى ابن مسعود إلَّا أنَّه رجل من أهل بيت النبيِّ ﷺ لما نرى من دخوله ودخول أمِّه على النبيِّ ﷺ .

راجع المستدرک للحاکم ج ٣ ص ٣١٤ ، مصابيح السنة ج ٢ ص ٢٨٤ ،

أحاديث الثناء على ابن مسعود ٢٧

تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٧٩ نقلاً عن الشيخين والترمذي ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٦٢ ، مرآة الجنان لليافعي ج ١ ص ٨٧ ، الإصابة ج ٨ ص ٣٦٩ قال : عند البخاري في التاريخ بسند صحيح .

١٣ - أخرج أحمد في مسنده ج ٤ ص ٢٠٣ من طريق عمرو بن العاصي قال : مات رسول الله ﷺ وهو يحبُّ عبدالله بن مسعود وعمَّار بن ياسر .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٠ بلفظ : مات رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنه . حكاه عن أحمد والطبراني فقال . رجال أحمد رجال الصحيح ، وأخرجه ابن عساكر من طريق عثمان بن أبي العاص الثقفي كما في كنز العمال ج ٧ ص ٥٦ .

١٤ - أخرج البخاري من طريق عبدالله بن مسعود قال : أخذت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة وإنَّ زيد بن ثابت لصبيٌّ من الصبيان . وفي لفظ : أحكمتها قبل أن يسلم زيد بن ثابت وله ذؤابة يلعب مع الغلمان . وفي لفظ : ما ينازعني فيها أحد .

حلية الأولياء ج ١ ص ١٢٥ ، الاستيعاب ج ١ ص ٣٧٣ ، تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٢٨ وصحَّحه كنز العمال ج ٧ ص ٥٦ نقلاً عن ابن أبي داود .

١٥ - أخرج البغوي من طريق تميم بن حرام^(١) قال : جالست أصحاب رسول الله ﷺ فما رأيت أحداً أزهَّد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أحبَّ إليَّ أن أكون في صلاحه من ابن مسعود ، الإصابة لابن حجر ج ٢ ص ٣٧٠ .

وأخرجه البخاري في تاريخه ج ١ قسم ٢ ص ١٥٢ ولفظه : أدركت أبي بكر وعمر وأصحاب محمد ﷺ فما رأيت أحداً . الخ .

١٦ - عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة : كان عبدالله صاحب سيّود رسول الله ﷺ يعني سرّه .

وعن أبي الدرداء : ألم يكن فيكم صاحب السواد عبدالله ؟ .

(١) في تاريخ البخاري : حذلم .

٢٨ الغدير ج - ٩

وعن عبدالله بن شدّاد : أنّ عبدالله كان صاحب السواد والوساد والسواك والنعلين^(١) .

راجع طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٠٨ ، حلية الأولياء ج ١ ص ١٢٦ ، الإستيعاب ج ١ ص ٣٧١ ، صفة الصفوة ج ١ ص ١٥٦ ، طرح الشريب ج ١ ص ٧٥ .

١٧ - عن أبي وائل قال إبن مسعود : إني لأعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم وما في كتاب الله سورة ولا آية إلّا وأنا أعلم فيم أنزلت ومتى نزلت . قال أبو وائل : فما سمعت أحداً أنكر ذلك عليه .

أخرجه الشيخان والنسائي كما في تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٧٩ ، وأبو عمر في الإستيعاب ج ١ ص ٣٧٢ ، وذكره اليافعي في مرآته ج ١ ص ٨٧ .
هذا ابن مسعود :

وهذا علمه وهديه وسمته وصلاحه وزلفته إلى نبيّ العظمة ﷺ ، أضاف إلى ذلك كلّه سابقته في الإسلام وهو سادس ستة ، وهجرته إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، وشهوده بدرًا ومشاهد النبيّ ﷺ كلّها ، وهو أحد العشرة المبشّرة بالجنة كما في رواية أبي عمر في الإستيعاب ، ولعلّك لا تشكّ بعد سيرك الحثيث في غضون السيرة والتاريخ في أنّه لم يكن له دأب إلّا على نشر علم القرآن وسنة الرسول وتعليم الجاهل ، وتنبيه الغافل ، وتثبيت القلوب ، وشدّ أزر الدين ، في كلّ ذلك هو شبيه رسول الله ﷺ في هديه وسمته ودلّه ، فلا تجد فيه مغمزاً لغامز ، ولا محلاً للمزلامز ، وقد بعثه عمر إلى الكوفة ليعلمهم أمور دينهم ، وبعث عمّاراً أميراً وكتب إليهم : إنّهما من النجباء من أصحاب محمّد من أهل بدر ، فاقتدوا بهما واسمعوا من قولهما ، وقد آثرتكم بعبدالله بن مسعود على نفسي^(٢) وقد سمعت ثناء أهل الكوفة عليه بقولهم : جُزيت خيراً ، فلقد علّمت

(١) كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وآله ويحمل نعليه . قاله ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٦ : ص ٢٨ .

(٢) الاستيعاب ج ١ ص ٣٧٣ ، ج ٢ : ص ٤٣٦ ، الاصابة ج ٢ ص ٣٦٩ .

نظرة فيما جرى على ابن مسعود ٢٩

جاهلنا وثبت عالمنا ، وأقرأتنا القرآن ، وفقهتنا في الدين ، فنعم أخو الإسلام أنت ونعم الخليل .

كان ابن مسعود أول من جهر بالقرآن بمكة ، إجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط ، فمن رجل يسمعه؟ فقال عبدالله بن مسعود : أنا . قالوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه ، قال : دعوني فإن الله سيمعني ، قال : فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى ، وقريش في أنديتها ، حتى قام عند المقام ثم قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم . رافعاً بها صوته . ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ . قال : ثم استقبلها يقرؤها ، قال : وتأملوه ، فجعلوا يقولون : ماذا قال ابن أم عبد ؟ قال : ثم قالوا : إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد ﷺ فقاموا إليه ، فجعلوا يضربون في وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه ، فقالوا له : هذا الذي خشينا عليك ، فقال : ما كان أعداء الله أهون عليّ منهم الآن . ولئن شئت لأغادينهم بمثلها غداً ، قالوا : لا ، حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون^(١)

وقد هذبته تلکم الأحوال وكهربته ، فلم يسق لمغضبة على باطل ، ولم يحده طيش إلى غاية ، فهو إن قال فعن هدى ، وإن حدث فعن الصادع الكريم صدقاً ، وإن جال ففي مستوى الحق ، وإن صال فعلى الضلالة ، وعرفه بذلك من عرفه من أول يومه ، وكان معظماً مبعجلاً لدى الصحابة وكانوا يحذرون خلافه والرد عليه ويعذونه حوباً قال أبو وائل : إن ابن مسعود رأى رجلاً قد أسبل إزاره فقال : إرفع إزارك . فقال : وأنت يا ابن مسعود ! فارفع إزارك . فقال : إني لست مثلك إن بساقي حموشة وأنا آدم الناس فبلغ ذلك عمر ف ضرب الرجل ويقول : أترد على ابن مسعود؟^(٢) .

وأخرج أبو عمر في الاستيعاب ج ١ ص ٣٧٢ بالإسناد عن علقمة قال : جاء

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٣٧ .

(٢) الإصابة ج ٢ ص ٣٧٠ ، كنز العمال ج ٧ ص ٥٥ .

٣٠ الغدير ج - ٩

رجلٌ إلى عمر وهو بعرفات فقال : جئتُك من الكوفة وتركت بها رجلاً يحكي المصحف عن ظهر قلبه فغضب عمر غضباً شديداً وقال : ويحك ومن هو ؟ قال عبدالله بن مسعود . قال : فذهب عنه ذلك الغضب وسكن وعاد إلى حاله وقال : والله ما أعلم من الناس أحداً هو أحقُّ بذلك منه .

فلماذا يحرم هذا البدرى العظيم عطاؤه سنين ؟ ثم يأتيه من سامه سوء العذاب وقد خالجه الندم ولات حين مندم متظاهراً بالصلة فلا يقبلها ابن مسعود وهو في منصرم عمره ، ويسأل ربه أن يأخذ له منه بحقه ، ثم يتوجه إلى النعيم الخالد معرضاً عن الحطام الزائل ، موصياً بأن لا يصلي عليه من نال منه ذلك النيل الفجيع .

لماذا فعل به هذا ؟ ولماذا شتم على رؤوس الأشهاد ؟ ولماذا أخرج من مسجد رسول الله ﷺ مهاناً عنفاً ، ولماذا ضرب به الأرض فدقت أضالعه ؟ ولماذا بطشوا به بطش الجبارين ؟ .

كل ذلك لأنه امتنع عن أن يبيع للوليد بن عقبة الخالع الماجن من بيت مال الكوفة يوم كان عليه ما أمر به ، فألقى مفاتيح بيت المال لما لم يجد من الكتاب والسنة وهو العليم بهما مساعياً لهاتيك الإباحة ولا لأثرة الأمر بها ، وعلم أنها سوف تتبعها من الأعطيات التي لا يقرها كتاب ولا سنة ، فتسلل عن عمله وتنصل ، وما راقه أن يبوء بذلك الإثم ، فلهج بما علم ، وأبدى معاذيره في إلقاء المفاتيح ، فغاض تلکم الأحوال داعية الشهوات ، وشاخص الهوى الوليد بن عقبة ، فكتب في حقه ونمّ وسعى ، فكان من ولائد ذلك أن ارتكب من ابن مسعود ما عرفت ، ولم تمنع عن ذلك سوابقه في الإسلام وفضائله وفواضله وعلمه وهديه وورعه ومعاذيره وحججه ، فضلاً على أن يُشكر على ذلك كله ، فأوجب نقمة الصحابة على من نال ذلك منه ، وإنكار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وصيحة أم المؤمنين في خدرها ، ولم تزل البغضاء محتدمة على هذه وأمثالها حتى كان في مغبة الأمر ما لم يحمدته خليفة الوقت وزبانيته الذين جرّوا إليه الويلات .

ولو ضرب المسيطر على الأمر صفحاً عن الفظاظة في الانتقام ، أو أعار

نظرة فيما جرى على ابن مسعود ٣١

لنصح صلحاء الأمة أذنًا واعية ، أو لم يستبدل بجرائم الفتن عن محنكي الرجال ،
أو لم ينبذ كتاب الله وسنة نبيه وراء ظهره ، لما استقبله ما جرى عليه وعلى من
اكتنفه من الواد والهوان لكنه لم يفعل ففعلوا ، ولمحكمة العدل الإلهي غداً حكمها
البات .

ولابن مسعود عند القوم مظلمة أخرى وهي جلده أربعين سوطاً في موقف
آخر ، لماذا كان ذلك ؟ لأنه دفن أبا ذر لما حضر موته في حجته . وجد بالربذة في
ذلك الوادي الفقر الوعر ميتاً كان في الغارب والسنام من العلم والإيمان .

وجد صحابياً عظيماً كان رسول الله ﷺ يُقرّبه ويُدينه قد فارق الدنيا .

وجد عالماً من علماء المسلمين قد غادرته الحياة .

وجد مثلاً للقداسة والتقوى ، فتمثلت أمام عينيه تلك الصورة المكبرة التي كان
يشاهدها على العهد النبوي .

وجد شبيه عيسى بن مريم في الأمة المرحومة هدياً وسمتاً ونسكاً وزهداً
وخُلُقاً ، طرده خليفة الوقت عن عاصمة الإسلام .

وجد عزيزاً من أعزاء الصحابة على الله ورسوله وعلى المؤمنين قد أودى على
مستوى الهوان في قاعة المنفى مظلوماً مضطهداً .

وجد في قارعة الطريق جثمان طيب طاهر غريب وحيد نازح عن الأوطان
تصهره الشمس ، وتسفي عليه الرياح ، وذكر قول رسول الله : رحم الله أبا ذر
يمشي وحده ويموت وحده ، ويحشر وحده .

فلم يدع العلم والدين ابن مسعود ومن معه من المؤمنين أن يمرّوا على ذلك
المنظر الفجيع دون أن يمثلوا حكم الشريعة بتعجيل دفن جثمان كل مسلم فضلاً
عن أبي ذر الذي بشر بدفنه صلحاء المؤمنين رسول الله ﷺ ، فنهضوا بالواجب
فأودعوه في مقره الأخير والعيون عبرى ، والقلوب واجدة على ما ارتكب من هذا
الإنسان المبجل ، فلمّا هبطوا يشرب نقم على ابن مسعود من نقم على أبي ذر ،
فحسب ذلك الواجب الذي ناء به ابن مسعود حوباً كبيراً ، حتى صدر الأمر بجلده

أربعين سوطاً ، وذلك أمرٌ لا يُفعل بمن دفن زنديقاً لطم جيفته فضلاً عن مسلم لم يبلغ مبلغ أبي ذر من العظمة والعلم والتقوى والزلفة ، فكيف بمثل أبي ذر وعاء العلم ، وموئل التقوى ، ومنبثق الإيمان ، وللعداء مفعولٌ قد يبلغ أكثر من هذا .

أي خليفة هذا لم يُراع حرمةً ولا كرامةً لصلحاء الأمة وعظماء الصحابة من البدرين الذين نزل فيهم القرآن ، وأثنى عليهم النبي العظيم ؟ وقد جاء في مجرمٍ بدريّ قوله عليه السلام لما قال عمر : إئذن لي يا رسول الله فأضرب عنقه : مهلاً يابن الخطاب إنه قد شهد بدرًا ، وما يدريك لعل الله قد أطلع على أهل بدر فقال : إعملوا ما شئتم فأني غافر لكم^(١) واختلق القوم حديثاً لإدخال عثمان في زمريهم لفضلهم المتسالم عليه عند الأمة جمعاء ، كأن الرجل آلى على نفسه أن يُطل على الأمة الداعية إلى الخير ، الأمرة بالمعروف والنهي عن المنكر ، بالذل والهوان ، ويُسر بذلك سماسرة الأهواء من بني أبيه ، فطفق بمراده ، والله من ورائهم حسيب .

والمدافع إن أعوزته المعاذير تشبّت بالطحلب فقال^(٢) : حداه إلى ذلك الإجتهد . ذلك العذر العام المصحح للأباطيل ، والمبرر للشنائع ، والوسيلة المتخذة لإغراء بسطاء الأمة ، وذلك قولهم بأفواههم ، ﴿وإن ربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون﴾^(٣) ﴿وإن الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره﴾^(٤) .

٤٢ - مواقف الخليفة مع عمار :

١ - أخرج البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٤٨ بالإسناد من طريق أبي مخنف قال : كان في بيت المال بالمدينة سفتٌ فيه حلّ وجوهر ، فأخذ منه عثمان ما حلّى به بعض أهله فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك وكلموه فيه بكلام شديد حتى

(١) أحكام القرآن ج ٣ ص ٥٣٥ .

(٢) راجع التمهيد للباقلاني ص ٢٢١ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٤٥ ، الصواعق ص ٦٨ ،

تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٨ .

(٣) سورة النمل ؛ الآية : ٧٤ .

(٤) سورة القيامة ؛ الآية : ١٤ .

أغضبوه فخطب فقال : لنأخذن حاجتنا من هذا الفيء وإن رغمت أنوف أقوام . فقال له علي : إذا تُمنع من ذلك ويُحال بينك وبينه . وقال عمار بن ياسر : أشهد الله إن أنفي أول راغم من ذلك . فقال عثمان : أعلي يابن المتكاء^(١) تجترىء ؟ خذوه ، فآخذ ودخل عثمان ودعا به فضربه حتى عُشي عليه ثم أخرج فحمل حتى أتى به منزل أم سلمة زوج رسول الله ﷺ فلم يصل الظهر والعصر والمغرب فلما أفاق توضأ وصلى وقال : الحمد لله ليس هذا أول يوم أودينا فيه في الله ، وقام هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي وكان عمار حليفاً لبني مخزوم فقال : يا عثمان أما علي فأتقته وبني أبيه ، وأما نحن فاجترأت علينا وضربت أخانا حتى أشفيت به على التلف ، أما والله لئن مات لأقتلن به رجلاً من بني أمية عظيم السرة ، فقال عثمان : وإنك لها هنا يابن القسرية ؟ قال : فإنهما قسريتان وكانت أمه وجدته قسريتين من بجيلة ، فشتمه عثمان وأمر به فأخرج ، فأتى أم سلمة فإذا هي قد غضبت لعمار ، وبلغ عائشة ما صنع بعمار فغضبت وأخرجت شعراً من شعر رسول الله ﷺ وثوباً من ثيابه ونعللاً من نعاله ثم قالت : ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم وهذا شعره وثوبه ونعله لم يبل بعد . فغضب عثمان غضباً شديداً حتى ما درى ما يقول فالتج المسجد وقال الناس : سبحان الله ، سبحان الله ، وكان عمرو بن العاص واجداً على عثمان لعزله إياه عن مصر وتوليته إياها عبدالله بن سعد بن أبي سرح فجعل يكثر التعجب والتسبيح .

وبلغ عثمان مصير هشام بن الوليد ومن مشى معه من بني مخزوم إلى أم سلمة وغضبها لعمار فأرسل إليها : ما هذا الجمع ؟ فأرسلت إليه : دع ذا عنك يا عثمان ! ولا تحمل الناس في أمرك على ما يكرهون . واستقبح الناس فعله بعمار وشاع فيهم فاشتد إنكارهم له .

وفي لفظ الزهري كما في أنساب البلاذري ص ٨٨ : كان في الخزائن سبطاً فيه حلي وأخذ منه عثمان فحلى به بعض أهله فأظهروا عند ذلك الطعن عليه وبلغه ذلك فخطب فقال : هذا مال الله أعطيه من شئت وأمنعه من شئت فأرغم الله أنف

(١) المتكاء : البطراء . المفضاة . التي لا تمسك البول . العظيمة البطن .

من رغم فقال عمار : أنا والله أوّل من رغم أنفه من ذلك . فقال عثمان : لقد اجترأت عليّ يابن سمية ؟! وضربه حتى غشي عليه فقال عمار : ما هذا بأوّل ما أوذيت في الله . وأطلعت عائشة شعراً من رسول الله ﷺ ونعله وثياباً من ثيابه - فيما يحسب وهب - ثمّ قالت : ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم . وقال عمرو بن العاص : هذا منبر نبيكم وهذه ثيابه وهذا شعره لم يبلّ فيكم وقد بدّلتم وغيرتم . فغضب عثمان حتى لم يدر ما يقول .

٢ - قال البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٤٩ : إنّ المقداد بن عمرو وعمار بن ياسر وطلحة والزبير في عدّة من أصحاب رسول الله ﷺ كتبوا كتاباً عدّدوا فيه أحداث عثمان وخوفوه ربّه وأعلموه أنّهم مواثبه إن لم يُقْلَع فأخذ عمار الكتاب وأتاه به فقرأ صدرّاً منه فقال له عثمان : أعلّيّ تقدم من بينهم ؟ فقال عمار : لأنّي أنصحهم لك . فقال : كذبت يابن سمية ! فقال : أنا والله ابن سمية وابن ياسر . فأمر غلمانه فمدّوا يديه ورجليه ثمّ ضربه عثمان برجليه وهي في الخفين على مذاكيره فأصابه الفتق ، وكان ضعيفاً كبيراً فغشي عليه .

وذكره ابن أبي الحديد في الشرح ج ١ ص ٢٣٩ نقلاً عن الشريف المرتضى من دون غمز فيه .

وقال أبو عمر في الإستهباب ج ٢ ص ٤٢٢ : وللحلف والولاء اللذين بين بني مخزوم وبين عمار وأبيه ياسر كان اجتماع بني مخزوم إلى عثمان حين نال من عمار غلمان عثمان ما نالوا من الضرب حتى انفتق له فتق في بطنه ورغموا وكسروا ضلعاً من أضلاعه ، فاجتمعت بنو مخزوم وقالوا : والله لئن مات لقتلنا به أحداً غير عثمان .

صورة مفصلة :

قال ابن قتيبة : ذكروا أنّه اجتمع ناس من أصحاب رسول الله ﷺ كتبوا كتاباً ذكروا فيه : ١ - ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله ﷺ وصاحبه .

٢ - وما كان من هبته خمس أفريقية لمروان وفيه حقّ الله ورسوله ، ومنهم ذوو القربى واليتامى والمساكين .

مواقف عمار مع عثمان ٣٥

٣ - وما كان من تطاوله في البنيان حتى عدّوا سبع دور بناها بالمدينة داراً لنائلة وداراً لعائشة وغيرهما من أهله وبناته .

٤ - وبنيان مروان القصور بذى خشب وعمارة الأموال بها من الخمس الواجب لله ولرسوله .

٥ - وما كان من إفشائه العمل والولايات في أهله وبني عمّه من بني أميّة من أحداث وغلّة لا صحبة لهم من الرّسول ولا تجربة لهم بالأمر .

٦ - وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة إذ صلّى بهم الصبح وهو أميرٌ عليها سكران أربع ركعات ثم قال لهم : إن شئتم أن أزيدكم ركعة زدّكم .

٧ - وتعطيله إقامة الحدّ عليه وتأخير ذلك عنه .

٨ - وتركه المهاجرين والأنصار لا يستعملهم على شيء ولا يستشيرهم واستغنى برأيه عن رأيهم .

٩ - وما كان من الحمى الذي حمى حول المدينة .

١٠ - وما كان من إداره القطائع والأرزاق والأعطيات على أقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبي ﷺ ، ثم لا يغزون ولا يذّبون .

١١ - وما كان من مجاوزته الخيزران إلى السوط ، وأنّه أوّل من ضرب بالسياط ظهور الناس ، وإنّما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرّة والخيزران .

ثم تعاهد القوم ليدفعن الكتاب في يد عثمان وكان ممّن حضر الكتاب عمار بن ياسر والمقداد بن الأسود وكانوا عشرة ، فلمّا خرجوا بالكتاب ليدفعوه إلى عثمان والكتاب في يد عمار جعلوا يتسلّلون عن عمار حتى بقي وحده فمضى حتى جاء دار عثمان فاستأذن عليه فأذن له في يوم شات فدخل عليه وعنده مروان بن الحکم وأهله من بني أميّة فدفع إليه الكتاب فقرأه فقال له : أنت كتبت هذا الكتاب؟ قال : نعم . قال : ومّن كان معك؟ قال : معي نفرٌ تفرّقوا فرّقاً منك . قال : ومن هم؟ قال : أخبرك بهم . قال : فلمّ اجترأت عليّ من بينهم؟ فقال مروان : يا أمير المؤمنين ! إنّ هذا العبد الأسود (يعني عماراً) قد جرّأ عليك الناس وإنّك إن قتلته

نَكَلْتُ بِهِ مَنْ وَرَاءَهُ . قَالَ عُثْمَانُ : إِضْرِبُوهُ . فَضْرِبُوهُ وَضْرِبَهُ عُثْمَانُ مَعَهُمْ حَتَّى فَتَقُوا بَطْنَهُ فَغَشِيَ عَلَيْهِ فَجَرُّوهُ حَتَّى طَرَحُوهُ عَلَى بَابِ الدَّارِ ، فَأَمَرْتُ بِهِ أُمَّ سَلْمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَدْخَلُ مَنْزِلَهَا وَغَضِبَ فِيهِ بَنُو الْمَغِيرَةِ وَكَانَ حَلِيفَهُمْ ، فَلَمَّا خَرَجَ عُثْمَانُ لَصَلَاةِ الظُّهْرِ عَرَضَ لَهُ هِشَامُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ فَقَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَئِنْ مَاتَ عَمَّارٌ مِنْ ضَرْبِهِ هَذَا لَأَقْتُلَنَّ بِهِ رَجُلًا عَظِيمًا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ فَقَالَ عُثْمَانُ : لَسْتُ هُنَاكَ . قَالَ : ثُمَّ خَرَجَ عُثْمَانُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِذَا هُوَ بِعَلِيٍّ وَهُوَ شَاكٍ مَعْصُوبِ الرَّأْسِ فَقَالَ عُثْمَانُ : وَاللَّهِ يَا أَبَا الْحَسَنِ ! مَا أَدْرِي أَشْتَهِي مَوْتَكَ أَمْ أَشْتَهِي حَيَاتَكَ ؟ فَوَاللَّهِ لَئِنْ مِتُّ مَا أُحِبُّ أَنْ أَبْقَى بَعْدَكَ لَغَيْرِكَ ، لِأَنِّي لَا أَجِدُ مِنْكَ خَلْفًا وَلَئِنْ بَقِيتَ لَا أَعْدِمُ طَاغِيًا يَتَّخِذُكَ سُلْمًا وَعَضْدًا وَيَعِدُّكَ كَهْفًا وَمَلْجَأًا ، لَا يَمْنَعُنِي مِنْهُ إِلَّا مَكَانُهُ مِنْكَ وَمَكَانُكَ مِنْهُ ، فَأَنَا مِنْكَ كَالْإِبْنِ الْعَاقِ مِنْ أَبِيهِ إِنْ مَاتَ فَجَعَهُ وَإِنْ عَاشَ عَقَّهُ ، فَإِنَّمَا سَلِمْتُ فَنَسَالِمُ وَإِنَّمَا حَرَبْتُ فَنَحَارِبُ ، فَلَا تَجْعَلْنِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ . فَإِنَّكَ وَاللَّهِ إِنْ قَتَلْتَنِي لَا تَجِدُ مِنِّي خَلْفًا ، وَلَئِنْ قَتَلْتَكَ لَا أَجِدُ مِنْكَ خَلْفًا ، وَلَنْ يَلِيَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَادِيءٌ فَتْنَةٍ . فَقَالَ عَلِيٌّ : إِنَّ فِيمَا تَكَلَّمْتَ بِهِ لَجَوَابًا وَلَكِنِّي عَنْ جَوَابِكَ مُشْغُولٌ بِوَجْعِي فَأَنَا أَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ : فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ . قَالَ مِرْوَانَ : إِنَّا وَاللَّهِ إِذَا لَنُكْسِرَنَّ رِمَاحَنَا وَلَنَقْطَعَنَّ سَيْوفَنَا وَلَا يَكُونُ فِي هَذَا الْأَمْرِ خَيْرٌ لِمَنْ بَعَدَنَا ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : أَسَكَتَ ، مَا أَنْتَ وَهَذَا ؟ . الْإِمَامَةُ وَالسِّيَاسَةُ ج ١ ص ٢٩ .

وذكره مختصراً ابن عبد ربّه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٢ نقلاً عن أبي بكر بن أبي شيبة من طريق الأعمش قال : كتب أصحاب عثمان عيبه وما ينقم الناس عليه في صحيفة فقالوا : من يذهب بها إليه ؟ قال عمار : أنا . فذهب بها إليه فلمّا قرأها قال : أرغم الله أنفك قال : وبأنف أبي بكر وعمر قال : فقام إليه فوطئه حتى غشي عليه ثم ندم عثمان وبعث إليه طلحة والزبير يقولان له : اختر إحدى ثلاث : إمّا أن تعفو ، وإمّا أن تأخذ الأرش ، وإمّا أن تقتصّ ، فقال : والله لا قبلت واحدة منها حتى ألقى الله .

٣ - قال البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٥٤ : وقد روي أيضاً : أنّه لمّا بلغ عثمان موت أبي ذر بالربذة قال : رحمه الله . فقال عمار بن ياسر : نعم فرحمه الله

مواقف عمار مع عثمان ٣٧

من كل أنفسنا . فقال عثمان : يا عاصُ أيرأبيه أتراني ندمت على تسييره ؟ وأمر دفع في قفاه وقال : إحق بمكانه فلماً تهياً للخروج جاءت بنو مخزوم إلى عليّ فسألوه أن يكلم عثمان فيه فقال له عليّ : يا عثمان ! اتق الله فإنك سيّرت رجلاً^(١) صالحاً من المسلمين فهلك في تسييرك ، ثم أنت الآن تريد أن تنفي نظيره ، وجرى بينهما كلام حتى قال عثمان : أنت أحق بالنفي منه فقال عليّ : رُم ذلك إن شئت . واجتمع المهاجرون فقالوا : إن كنت كلماً كلمك رجلٌ سيّرتَه ونفيته فإن هذا شيء لا يسوغ . فكف عن عمار .

وفي لفظ اليعقوبي : لما بلغ عثمان وفاة أبي ذر قال : رحم الله أبا ذر . قال عمار : نعم رحم الله أبا ذر من كل أنفسنا . فغلظ ذلك على عثمان وبلغ عثمان عن عمار كلام فأراد أن يسيّره أيضاً ، فاجتمعت بنو مخزوم إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام وسألوه إعانتهم فقال عليّ : لا ندع عثمان ورأيه . فجلس عمار في بيته ، وبلغ عثمان ما تكلمت به بنو مخزوم فأمسك عنه . تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٥٠ .

٤ - قال البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٤٩ : إن عثمان مرّ بقبر جديد فسأل عنه ف قيل : قبر عبدالله بن مسعود فغضب على عمار لكتمانِه إيّاه موته إذ كان المتولّي للصلاة عليه والقيام بشأنه فعندها وطىء عماراً حتّى أصابه الفتق . وذكره ابن أبي الحديد في شرحه ج ١ ص ٢٣٩ نقلاً عن الشريف المرتضى من دون غمز فيه .

وفي لفظ اليعقوبي : توفي «ابن مسعود» وصلى عليه عمار بن ياسر وكان عثمان غائباً فستر أمره فلماً انصرف رأى عثمان القبر فقال : قبر من هذا ؟ ف قيل : قبر عبدالله بن مسعود ، قال : فكيف دُفن قبل أن أعلم ؟ فقالوا : ولي أمره عمار بن ياسر وذكر أنّه أوصى أن لا يُخبر به ولم يلبث إلّا سيراً حتّى مات المقداد^(٢) فصلى عليه عمار وكان أوصى إليه ولم يؤذن عثمان به فاشتد غضب

(١) يعني سيدنا أبا ذر الغفاري .

(٢) اتفقوا على أنّه مات سنة ثلاث وثلاثين ، وتوفي ابن مسعود قبله بسنة أو أقل أو أكثر .

٣٨ الغدير ج - ٩

عثمان على عمار وقال : ولي علي ابن السوداء أما لقد كنت به عليمًا . تاريخ
اليقوي ج ٢ ص ١٤٧ .

وفي طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٨٥ ط ليدن : إنَّ عقبة بن عامر هو الذي
قتل عمارًا وهو الذي كان ضربه حين أمره عثمان بن عفان .

قال الأميني : هذه أفاعيل الخليفة في رجل نزل فيه القرآن شهيداً على
طمأنينته بالإيمان والرضا بقنوته آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ، في رجل هو
أول مسلم اتخذ مسجداً في بيته يتعبد فيه^(١) في رجل تضافر الشاء عليه عن رسول
الله ﷺ مشفوعاً بالنهي المؤكد عن بغضه ومعاداته وسبّه وتحقيره وانتقاصه
بألفاظ ستقف عليها إن شاء الله تعالى . وقد أكبرته الصحابة الأولون ونقمت على
من آذاه وأغضبه وأبغضه ، وفعل به كلّ تلکم المناهي ولم يؤثر عن عمار إلا الرضا
بما يرضي الله ورسوله والغضب لهما والهتاف بالحق والتجهّم أمام الباطل رضي
الناس أم غضبوا ، ولم يزل على ذلك كلّ منذ بدء أمره الذي اودي فيه هو وأبواه ،
فكان مرضياً عند الله إيمانهم وخضوعهم وبعين الله ما قاسوه من المحن فعاد ذكرهم
ورداً لنبيّ الإسلام فلم يزل يلهم بهم ويدعولهم ويقول :

إصبروا آل ياسر ! موعدكم الجنة . من طريق عثمان بن عفان^(٢) .

ويقول : أبشروا آل ياسر ! موعدكم الجنة . من طريق جابر^(٣) .

ويقول : اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت . رواه عثمان أيضاً^(٤) .

وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار وبأبيه وأمه - وكانوا أهل بيت إسلام - إذا

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٧٨ ط/ليدن ، وذكره ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣١١ .

(٢) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٣ فقال : رجاله ثقات ، وأخرجه
الطبراني عن عمار ، والبغوي وابن مندة والخطيب وأحمد وابن عساكر عن عثمان كما في كنز
العمال ج ٦ ص ١٨٥ .

(٣) مجمع الزوائد نقلاً عن الطبراني ج ٩ ص ٢٩٣ فقال : رجاله رجال الصحيح غير إبراهيم وهو
ثقة .

(٤) مسند أحمد ج ١ ص ٦٢ ، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٣ فقال : رجاله رجال الصحيح .
وأخرجه البيهقي والبغوي والعقيلي والحاكم في الكنى وابن الجوزي وابن عساكر كما في كنز
العمال ج ٧ ص ٧٢ .

أحاديث الثناء على عمار ٣٩

حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة فيمرّ بهم رسول الله ﷺ فيقول : صبراً آل ياسر ! موعدكم الجنة . صبراً آل ياسر ! فإنّ مصيركم إلى الجنة^(١) .

نعم : كان عمار هكذا عند مفتتح حياته الدينية إلى منصرم عمره الذي قتلته فيه الفئة الباغية . وقد أخبر به النبي ﷺ بقوله :

ويحك يا بن سميّة تقتلك الفئة الباغية .

وفي لفظ : تقتل عماراً الفئة الباغية ، وقاتله في النار .

وفي لفظ : ويح عماراً ويح ابن سميّة تقتله الفئة الباغية .

وفي لفظ معاوية : تقتل عماراً الفئة الباغية .

وفي لفظ عثمان : تقتلك الفئة الباغية ، قاتل عمار في النار .

وفي لفظ : تقتل عماراً الفئة الباغية عن الطريق ، وإنّ آخر رزقه من الدنيا ضياع من لبن .

وفي لفظ عمار : أخبرني حبيبي ﷺ أنه تقتلني الفئة الباغية ، وأنّ آخر زادي مذقة من لبن .

وفي لفظ حذيفة : إنك لن تموت حتى تقتلك الفئة الباغية الناكبة عن الحق ، يكون آخر زادك من الدنيا شربة لبن .

وفي لفظ : ويح عمار تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار .

وفي لفظ أنس : ابن سميّة تقتله الفئة الباغية قاتله وسالبه في النار .

وفي لفظ عائشة : اللهمّ بارك في عمار ، ويحك ابن سميّة تقتلك الفئة الباغية ، وآخر زادك من الدنيا ضياع من لبن .

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٤٢ ، حلية الأولياء ج ١ ص ١٤٠ ، طرح التثريب ج ١ ص ٨٧ ، وأخرجه الحارث والضياء والحاكم والطيالسي والبغوي وابن مندة وابن عساكر كما في كنز العمال ج ٧ ص ٧٢ .

وفي لفظ : ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك إنما تقتلك الفئة الباغية .

جاء هذا الحديث من طرق كثيرة تربو حدّ التواتر منها طريق عثمان بن عفان ، عمرو بن العاص ، معاوية بن أبي سفيان ، حذيفة بن اليمان ، عبدالله بن عمر ، خزيمة بن ثابت ، كعب بن مالك ، جابر بن عبدالله ، ابن عباس ، أنس بن مالك ، أبي هريرة الدوسي ، عبدالله بن مسعود ، أبي سعد ، أبي امامة ، أبي رافع ، أبي قتادة ، زيد بن أبي أوفى ، عمّار بن ياسر ، عبدالله بن أبي هذيل ، أبي اليسر ، زياد بن الفرد ، جابر بن سمرة ، عبدالله بن عمرو بن العاص ، أم سلمة ، عائشة .

راجع طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٨٠ ، سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١١٤ ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٩١ ، الاستيعاب ج ٢ ص ٤٣٦ وقال : تواترت الآثار عن النبي ﷺ أنه قال : تقتل عمّاراً الفئة الباغية . وهذا من إخباره بالغيب وإعلام نبوته وهو من أصحّ الأحاديث . طرح التّريب ج ١ ص ٨٨ وصحّحه ، تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٧٨ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٧٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٦ وصحّحه من عدّة طرق ، تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٠٩ وذكر تواتره ، الإصابة ج ٢ ص ٥١٢ وقال : تواترت الأحاديث ، كنز العمال ج ٦ ص ١٨٤ ، ج ٧ ، ص ٧٣ ، ٧٤ ، ونصّ على تواتره السيوطي في الخصائص كما مرّ في الجزء الثالث ٣٠٨

وأخرجه البخاري ، ومسلم ، وأحمد ، والبخاري ، وعبد الرزاق ، والطبراني ، والدارقطني ، وأبو يعلى ، وأبو عوانة ، والإسماعيلي ، والضياء المقدسي ، وأبو نعيم ، وتمام ، وابن قانع ، وابن مندة ، والبارودي ، والبرقاني ، وابن عساكر ، والخطيب .

عمّار في الذكر الحكيم :

هذا عمّار بين البدء والختام المحمودين وهو بينهما كما أثنى عليه الذكر الحكيم بقوله تعالى : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾^(١) .

(١) سورة الزمر ، الآية : ٩ .

عمار في الذكر الحكيم ٤١

أخرج ابن سعد في الطبقات ج ٣ ص ١٧٨ ط ليدن وابن مردويه وابن عساكر عن ابن عباس : إنها نزلت في عمار بن ياسر .

وذكر الزمخشري في تفسيره ج ٣ ص ٢٢ : إنها نزلت في عمار وأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي .

وذكر القرطبي في تفسيره ج ١٥ ص ٢٣٩ عن مقاتل : إنَّ مَنْ هُوَ قانت : عمار بن ياسر .

وذكر الخازن في تفسيره ج ٣ ص ٥٣ : إنها نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان . وذكره الخطيب الشربيني في تفسيره ج ٣ ص ٤١٠ . وذكر الشوكاني في تفسيره ج ٤ ص ٤٤٢ حديث ابن سعد وابن مردويه وابن عساكر . وزاد الألوسي عليه في تفسيره ج ٢٣ ص ٢٤٧ قوله : وأخرج جوير عن ابن عباس أنها نزلت في عمار وابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة . وعن عكرمة : الإقتصار على عمار . وعن مقاتل : المراد بمن هو قانت : عمار وصهيب وابن مسعود وأبو ذر . وجل ما ذكره الألوسي مأخوذ من الدر المنثور ج ٥ ص ٣٢٣ .

آية ثانية : أخرج ابن ماجة في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ . الآية^(١) أنها نزلت في عمار وصهيب وبلال وخباب .

راجع تفسير الطبري ج ٧ ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، تفسير القرطبي ج ١٦ ص ٤٣٢ ، تفسير البضاوي ج ١ ص ٣٨٠ ، تفسير الزمخشري ج ١ ص ٤٥٣ ، تفسير الرازي ج ٤ ص ٥٠ ، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٣٤ ، تفسير ابن جزي ج ٢ ص ١٠ ، الدر المنثور ج ٣ ص ١٤ ، تفسير الخازن ج ٢ ص ١٨ ، تفسير الشربيني ج ١ ص ٤٠٤ ، تفسير الشوكاني ج ٢ ص ١١٥ .

آية ثالثة : أخرج جمع من الحفاظ نزول قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مَظْمُونٌ بِالْإِيمَانِ﴾^(٢) في عمار . وقال أبو عمر في الاستيعاب . هذا مما اجتمع

(١) سورة الأنعام ؛ الآية : ٥٢ .

(٢) سورة النحل ؛ الآية : ١٠٦ .

٤٢ الغدير ج - ٩

أهل التفسير عليه . وقال القرطبي : نزلت في عَمَّار في قول أهل التفسير . وقال ابن حجر في الإصابة : اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَمَّار .

قال ابن عباس (في لفظ الواحدي) نزلت في عَمَّار بن ياسر وذلك أنَّ المشركين أخذوه وأباه ياسراً وأُمَّه سَمِيَّةٌ وصَهِيباً وبلالاً وخباباً وسالمًا ، فأَمَّا سَمِيَّةٌ فَإِنَّهَا رُبِطَتْ بَيْنَ بَعِيرَيْنِ وَوُجِئَ قُبْلُهَا بِحَرْبَةٍ ، وَقِيلَ لَهَا : إِنَّكَ أَسْلَمْتِ مِنْ أَجْلِ الرِّجَالِ . فَقَتَلَتْ ، وَقَتَلَ زَوْجُهَا يَاسِرٌ ، وَهُمَا أَوَّلُ قَتِيلَيْنِ قُتِلَا فِي الْإِسْلَامِ ، وَأَمَّا عَمَّارُ فَإِنَّهُ أَعْطَاهُمْ مَا أَرَادُوا بِلِسَانِهِ مَكْرَهًا فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّ عَمَّارًا كَفَرَ . فَقَالَ : كَلَّا إِنَّ عَمَّارًا مَلِئَ إِيمَانًا مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ ، وَأَخْلَطَ الْإِيمَانَ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ ، فَاتَى عَمَّارُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَبْكِي فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ وَقَالَ : إِنْ عَادُوا لَكَ فَعُدْ لَهُمْ بِمَا قُلْتَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ .

أخرج حديث نزولها في عَمَّار ، ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والطبري عن ابن عباس . وعبد الرزاق وابن سعد وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه ، وابن مردويه والبيهقي وابن عساكر من طريق أبي عبيدة بن محمد بن عَمَّار عن أبيه . وابن أبي شيبه وابن جرير وابن المنذر وابن عساكر عن أبي مالك .

راجع طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٧٨ ، تفسير الطبري ج ١٤ ص ١٢٢ ، أسباب النزول للواحد ص ٢١٢ ، مستدرک الحاكم ج ٢ ص ٣٥٧ ، الإِستيعاب ج ٢ ص ٤٣٥ ، تفسير القرطبي ج ١٠ ص ١٨٠ ، تفسير الزمخشري ج ٢ ص ١٧٦ ، تفسير البياض ج ١ ص ٦٨٣ ، تفسير الرازي ج ٥ ص ٣٦٥ ، تفسير ابن جزى ج ٢ ص ١٦٢ ، تفسير النيسابوري هامش الطبري ج ١٤ ص ١٢٢ ، بهجة المحافل ج ١ ص ٩٤ ، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٨٧ ، الدرر المشورج ٤ ص ١٣٢ ، تفسير الخازن ج ٣ ص ١٤٣ ، الإصابة ج ٢ ص ٥١٢ ، تفسير الشوكاني ج ٣ ص ١٩١ ، تفسير الألوسي ج ١٤ ص ٢٣٧ .

آية رابعة : ذكر الواحدي من طريق السدي أن قوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ

الثناء الجميل على عمار ٤٣

المحضرين ﴿١﴾ نزل في عمار والوليد بن المغيرة .

راجع أسباب النزول للواحد ص ٢٥٥ ، تفسير القرطبي ج ١٣ ص ٣٠٣ ،
تفسير الزمخشري ج ٢ ص ٣٨٦ ، تفسير الخازن ج ٣ ص ٤٣ ، تفسير الشريبي
ج ٣ ص ١٠٥ .

آية خامسة : أخرج أبو عمر من طريق ابن عباس في قوله تعالى : ﴿أَوَمَنْ
كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ ﴿٢﴾ إِنَّهُ عَمَّارٌ بْنُ يَاسِرٍ .

وأخرج نزولها في عمار ابن أبي شيبه ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو
الشيخ راجع الاستيعاب ج ٢ ص ٤٣٥ ، تفسير ابن جزي ج ٢ ص ٢٠ ، تفسير
ابن كثير ج ٢ ص ١٧٢ ، تفسير البيضاوي ج ١ ص ٤٠٠ ، تفسير السيوطي ج ٣
ص ٤٣ ، تفسير الشريبي ج ١ ص ٤٢٩ ، تفسير الخازن ج ٢ ص ٣٢ ، تفسير
الشوكاني ج ٢ ص ١٥٢ .

الثناء الجميل على عمار :

أما الأحاديث الواردة في الثناء عليه فحدث عنها ولا حرج وإليك نزرًا منها :
١ - عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ في حديث : إِنَّ عَمَّارًا مَلَأَ إِيمَانَهُ
مِنْ قُرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ ، واختلط الإيمان بلحمه ودمه .

راجع حلية الأولياء ج ١ ص ١٣٩ ، تفسير الزمخشري ج ٢ ص ١٧٦ ،
تفسير البيضاوي ج ١ ص ٦٨٣ ، بهجة المحافل ج ١ ص ٩٤ ، تفسير الرازي ج ٥
ص ٣٦٥ ، تفسير الخازن ج ٣ ص ١٤٣ ، كنز العمال ج ٦ ص ١٨٤ وج ٧
ص ٧٥ ، تفسير الألوسي ج ١٤ ص ٢٣٧ .

٢ - أخرج ابن عساكر من طريق عليّ : عمار خلط الله الإيمان ما بين قرنه
إلى قدمه ، وخلط الإيمان بلحمه ودمه ، يزول مع الحق حيث زال ، وليس ينبغي
للنار أن تأكل منه شيئاً .

[كنز العمال ج ٦ ص ١٨٣]

(١) سورة القصص ؛ الآية : ٦١ .

(٢) سورة الأنعام ؛ الآية : ١٢٢ .

٤٤ الغدير ج - ٩

٣ - أخرج البزار من طريق عائشة قالت : ما أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا لو شئت لقلت فيه ما خلا عماراً فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ملئ إيماناً إلى مشاشه . وفي لفظ أبي عمر : ملئ عمار إيماناً إلى أخمص قدميه . وفي لفظ له : إن عمار بن ياسر حشي ما بين أخمص قدميه إلى شحمة أذنيه إيماناً .

ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٥ وقال : رجاله رجال الصحيح ، وأخرجه ابن ماجه من طريق علي كما في طرح التثريب ج ١ ص ٨٧ ، وأخرجه ابن ديزيل والنسائي من طريق عمرو بن شرحبيل عن رجل مرفوعاً كما في تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٧٩ ، والبداية والنهاية ج ٧ ص ٣١١ ولفظه : لقد ملئ عمار إيماناً من قدمه إلى مشاشه . ورواه عبد الرزاق والطبراني وابن جرير وابن عساكر كما في كنز العمال ج ٦ ص ١٨٤ . وأخرجه أبو عمر بالألفاظ الثلاثة في الاستيعاب ج ٢ ص ٤٣٥ .

٤ - أخرج ابن ماجه وأبو نعيم من طريق هاني بن هاني قال : كنا عند علي فدخل عليه عمار فقال : مرحباً بالطيب المطيب سمعت رسول الله ﷺ يقول : عمار ملئ إيماناً إلى مشاشه .

سنن ابن ماجه ج ١ ص ٦٥ ، حلية الأولياء ج ١ ص ١٣٩ ، الإصابة ج ٢ ص ٥١٢ .

٥ - أخرج ابن سعد في الطبقات ج ٣ ص ١٨٧ طليدن مرفوعاً : إن عماراً مع الحق والحق معه ، يدور عمار مع الحق أينما دار ، وقاتل عمار في النار . وأخرج الطبراني والبيهقي والحاكم من طريق ابن مسعود مرفوعاً : إذا اختلف الناس كان ابن سميّة مع الحق .

ذكره ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٢٧٠ ، والسيوطي في الجامع الكبير كما في ترتيبه ج ٦ ص ١٨٤ ، وفي لفظ إبراهيم بن الحسين بن ديزيل - في سيرة علي - : جاء رجل إلى ابن مسعود فقال : أرأيت إذا نزلت فتنة كيف أصنع ؟ قال : عليك بكتاب الله . قال : أرأيت إن جاء قوم كلهم يدعون إلى كتاب الله ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا اختلف الناس كان ابن سميّة مع الحق .

الثناء الجميل على عمار ٤٥

وأخرج أبو عمر في الإستهيعاب ج ٢ ص ٤٣٦ من طريق حذيفة : عليكم بابن سمية فإنه لن يفارق الحق حتى يموت . أو قال : فإنه يدور مع الحق حيث دار .

٦ - أخرج ابن ماجة من طريق عطاء بن يسار عن عائشة مرفوعاً : عمار ما عُرض عليه أمران إلا اختار الأرشد منهما .

وفي لفظ أحمد من طريق ابن مسعود مرفوعاً : ابن سمية ما عُرض عليه أمران قط إلا أخذ بالأرشد منهما . وفي لفظ آخر له من طريق عائشة : لا يخير بين أمرين إلا اختار أرشدهما . وفي لفظ الترمذي : ما خیر عمار بين أمرين إلا اختار أرشدهما .

راجع مسند أحمد ج ١ ص ٣٨٩ وج ٦ ص ١١٣ ، سنن ابن ماجة ج ١ ص ٦٦ ، مصابيح البغوي ج ٢ ص ٢٨٨ ، تفسير القرطبي ج ١٠ ص ١٨١ ، تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٧٩ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٧٤ ، كنز العمال ج ٦ ص ١٨٤ ، الإصابة ج ٢ ص ٥١٢ .

٧ - أخرج الترمذي من طريق عليّ قال : إستاذن عمار على النبي ﷺ فقال : إئذنوا له : مرحباً بالطيب المطيب . فقال : حسنٌ صحيحٌ .

وأخرجه الطبراني وابن أبي شيبة وأحمد في المسند ج ١ ص ١٠٠ ، ١٢٦ ، ١٣٨ ، والبخاري في تاريخه ج ٤ ص ٢٢٩ من القسم الثاني ، وابن جرير وصححه والحاكم والشاشي وسعيد بن منصور وأبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص ١٤٠ ، والبغوي في المصابيح ج ٢ ص ٢٨٨ ، وأبو عمر في الإستهيعاب ج ٢ ص ٤٣٥ ، وابن ماجة في السنن ج ١ ص ٦٥ ، وابن كثير في البداية ج ٧ ص ٣١١ ، وابن السديع في التيسير ج ٣ ص ٢٧٨ ، والعراقي في طرح التثريب ج ١ ص ٨٧ ، والسيوطي في الجامع الكبير ج ٧ ص ٧١ .

٨ - عن أنس بن مالك مرفوعاً : إن الجنة تشاق إلى أربعة : عليّ بن أبي طالب ، وعمار بن ياسر ، وسلمان الفارسي ، والمقداد .

وفي لفظ الترمذي والحاكم وابن عساكر : إشتاقت الجنة إلى ثلاثة : عليّ

٤٦ الغدير ج - ٩

. وعمّار وسلمان .

وفي لفظ لابن عساكر : إشتاقت الجنة إلى ثلاثة : إلى عليّ وعمّار وبلال .

أخرجه أبو نعيم في الحلية ج ١ ص ١٤٢ ، والحاكم في المستدرک ج ٣ ص ١٣٧ ، وصحّحه هو والذهبي ، والترمذي والطبراني كما في تفسير القرطبي ج ١٠ ص ١٨١ ، وتاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣١١ ، ومجمع الزوائد للهيثم ج ٩ ص ٣٠٧ ، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه ج ٣ ص ٣٠٦ ، وفي ج ٦ ص ١٩٨ ، ١٩٩ ، وأبو عمر في الإستيعاب ج ٢ ص ٤٣٥ .

٩ - أخرج البزار من طريق عليّ مرفوعاً : دم عمّار ولحمه حرامّ على النّار أن تطعمه . وفي لفظ ابن عساكر : دم عمّار ولحمه حرامّ على النّار أن تأكله أو تمسه .

مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٥ ، كنز العمال ج ٦ ص ١٨٤ ، ج ٧ ص ٧٥ .

١٠ - أخرج ابن هشام مرفوعاً : ما لهم ولعمّار؟ يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النّار ، إنّ عمّاراً جلدة ما بين عينيّ وأنفيّ ، فإذا بلغ ذلك من الرجل فلم يُستبق فاجتنبوه .

سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١١٥ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٩ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٧٤ ولفظه : ما لقريش ولعمّار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النّار ، قاتله وسالبه في النار ، وبهذا اللفظ ذكره ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٢٦٨ .

١١ - أخرج الطبراني وابن عساكر من طريق عائشة مرفوعاً : كم من ذي طمرين لا ثوب له لو أقسم على الله لأبره ، منهم : عمّار بن ياسر .

[مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٤ ، كنز العمال ج ٦ ص ١٨٤]

١٢ - أخرج أحمد من طريق خالد بن الوليد مرفوعاً : من عادى عمّاراً عاداه الله ، ومن أبغض عمّاراً أبغضه الله . صحّحه الحاكم والذهبي بطريقين ، وصحّحه الهيثمي .

الثناء الجميل على عمار ٤٧

وفي لفظ : من يسبّ عماراً يسبّه الله ، ومن يبغض عماراً يبغضه الله ، ومن يسفّه عماراً يسفّفه الله . صحّحه الحاكم والذهبي .

وفي لفظ : من يسبّ عماراً ، يسبّه الله ومن يُعادٍ عماراً يُعاده الله . صحّحه الحاكم والذهبي .

وفي لفظ لأحمد : من يعاد عماراً يعاده الله عزّ وجلّ ، ومن يبغضه يبغضه الله عزّ وجلّ ، ومن يسبّه يسبّه الله عزّ وجلّ .

وفي لفظ الحاكم : من يحقرّ عماراً يحقرّه الله ، ومن يسبّ عماراً يسبّه الله ، ومن يبغض عماراً يبغضه الله .

وفي لفظ ابن النجار : من سبّ عماراً سبّه الله ، ومن حقرّ عماراً حقرّه الله ، ومن سفّه عماراً سفّفه الله .

وفي لفظ ابن عساكر : من يبغض عماراً يبغضه الله ، ومن يلعن عماراً يلعنه الله .

وفي لفظ الطبراني : من يُعادي عماراً يعاديه الله ، ومن يبغض عماراً يبغضه الله ، ومن يسبّ عماراً يسبّه الله ، ومن يسفّه عماراً يسفّفه الله ، ومن يحقرّ عماراً يحقرّه الله .

وفي لفظ الطبراني أيضاً : من يحقرّ عماراً يحقرّه الله ، ومن يسبّ عماراً يسبّه الله ، ومن ينتقص عماراً ينتقصه الله ، ومن يعاد عماراً يعاده الله . قال الهيثمي : رجاله ثقات .

أخرج هذا الحديث على اختلاف ألفاظه جمعٌ كثير من الحفاظ وأئمة الفنّ راجع مسند أحمد ج ٤ ص ٨٩ ، مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣٩٠ ، ٣٩١ ، تاريخ الخطيب ج ١ ص ١٥٢ ، الإستيعاب ج ٢ ص ٤٣٥ ، أسد الغابة ج ٤ ص ٤٥ ، طرح الشريب ج ١ ص ٨٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣١١ ، الإصابة ج ٢ ص ٥١٢ ، كنز العمال ج ٦ ص ١٨٥ ، ج ٧ ص ٧١ - ٧٥ .

١٣ - عن حذيفة أنّه قيل له : إنّ عثمان قد قُتل فما تأمرنا ؟ قال : إلزموا

٤٨ الغدير ج - ٩

عَمَّاراً قِيلَ : إِنَّ عَمَّاراً لَا يَفَارِقُ عَلِيّاً قَالَ : إِنَّ الْحَسَدَ هُوَ أَهْلَكَ لِلْجَسَدِ ، وَإِنَّمَا يَنْفَرُكُمْ مِنْ عَمَّارٍ قَرِيبِهِ مِنْ عَلِيٍّ . فَوَاللَّهِ لَعَلِّيْ أَفْضَلُ مِنْ عَمَّارٍ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ التُّرَابِ وَالسَّحَابِ ، وَإِنَّ عَمَّاراً مِنَ الْأَخْيَارِ . أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ كَمَا فِي كَنْزِ الْعَمَالِ ج ٧ ص ٧٣ .

١٤ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ : مَا رَأَيْتُ مِثْلَ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ كَانَا لَا يَحْبَبَانِ أَنْ يَعْصِيَا اللَّهَ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، وَلَا يَخَالِفَانِ الْحَقَّ قَيْدَ شَعْرَةٍ . أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ كَمَا فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ ج ٩ ص ٢٩٢ .

١٥ - ذَكَرَ الْأَبْشَيْهِيُّ فِي الْمُسْتَطَرَفِ ج ١ ص ١٦٦ فِي حَدِيثٍ : هَبْطَ جِبْرَائِيلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أَحَدٍ (وَكَانَ يَسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِهِ) إِلَى أَنْ قَالَ : مِنْ هَذَا الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ يَتَّقِي عَنْكَ ؟ قَالَ : عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ . قَالَ : بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ حَرَمَتِ النَّارَ عَلَى عَمَّارٍ .

هذا عَمَّار :

إِذَا دُرِسَتْ هَذِهِ كُلُّهَا فَهَلْ تَجِدُ مِنَ الْحَقِّ أَنْ يُعْمَلَ مَعَهُ تَلَكُمُ الْفِظَاطَاتُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ؟ وَهَلْ تَجِدُ مَبْرَراً لَشَيْءٍ مِنْهَا ؟ فَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّهَا تَأْدِيبٌ مِنْ خَلِيفَةِ الْوَقْتِ فَإِنَّ التَّأْدِيبَ لَا يَسُوغُ إِلَّا عَلَى إِسَاءَةٍ فِي الْأَدَبِ ، وَزُورٍ مِنَ الْقَوْلِ ، وَمُنَاقَضَةٍ لِلْحَقِّ ، وَمُضَادَّةٍ لِلشَّرِيعَةِ ، وَيُجَلَّ عَمَّارٌ عَنْ كُلِّ ذَلِكَ ، فَلَمْ يَصْدَرْ مِنْهُ غَيْرُ دُعَاءٍ إِلَى الْحَقِّ ، وَأَذَانٍ بِالْحَقِيقَةِ ، وَتَضَجُّرٍ لِمَظْلُومٍ ، وَعَمَلٍ بِالْوَصِيَّةِ وَاجِبٍ ، وَرِسَالَةٍ عَنْ أَنْاسٍ مُؤْمِنِينَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَهَلْ حَظَرَ الْإِسْلَامُ شَيْئاً مِنْ هَذِهِ فَأَرَادَ الْخَلِيفَةُ أَنْ يَعِيدَ عَمَّاراً إِلَى نَصَابِ الْحَقِّ ؟ أَوْ أَنَّ الْخَلِيفَةَ مَفْوُضٌ فِي النُّفُوسِ كَمَا يَرَى أَنَّهُ مَفْوُضٌ فِي الْأَمْوَالِ فَيَرَاغِمُ فِيهَا عَامَّةَ الْمُسْلِمِينَ بِإِرضَاءٍ مِنْ يَجِبُ إِرْغَامُهُمْ مِنْ أَنْاسٍ لَا خِلَاقَ لَهُمْ ؟ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ بِالنُّفُوسِ فَعَلِ الْمُسْتَبْدِّينَ وَلِوَاظِمِ الدِّكْتَاطُورِيَّةِ وَمَقْتَضِيَّاتِ الْمَلِكِ الْعَضُوضِ .

وَلَوْ كَانَ الْخَلِيفَةُ نَاصِباً نَفْسَهُ لِلتَّأْدِيبِ فَهَلْ أَدَّبَ أَمْثَالَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو ، وَالْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ ، وَمُرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، وَالْوَلِيدَ بْنِ عَقْبَةَ ، وَسَعِيدَ بْنِ الْعَاصِ ، وَنَظَرَاتِهِمْ مِنْ رِجَالِ الْعَيْثِ وَالْفَسَادِ الْمُسْتَحْقِّينَ لِلتَّأْدِيبِ حِينَئِذٍ بَعْدَ حِينٍ ؟

نظرة في فظاظات الخليفة ٤٩

وهو كان يرنو إلى أعمالهم من كُتَب ، لكنَّهُ لم يصدر منه إلَّا إرضائهم وتوفير العطاء لهم والدفاع عنهم ، وتسليطهم على النفوس والأموال حتى أوردوه مورد الهلكة ، ولقد أدَّخر تأديبه كلَّه لصلحاء الأُمَّة مثل عَمَّار وأبي ذر وابن مسعود ومن حذا حذوهم ، فإلى الله المشتكى .

وإنَّكَ لو أمعنت النظرة في أعماله وأفعاله لتجدنَّه لا يقيم وزناً لأيِّ صالح من الأُمَّة ، ولقد ترقَّى ذلك أو تسافل حتى أنَّه جابه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام غير مرَّة بقوارص كلماته وممَّا قال له ممَّا مرَّ في صفحة «٣٦ ، ٣٧» قوله : أنت أحقُّ بالنفي منه . وقوله : لئن بقيتُ لا أعدم طاغياً يتخذك سلماً وعضداً ويعدُّك كهفاً وملجأً . يريد بالطاغى أبا ذر وعَمَّار وأمثالهما ويجعل الإمام عليه السلام سلماً وعضداً وكهفاً وملجأً لمن سمَّاهم الطغاة . كبرت كلمة تخرج من أفواههم .

كأنَّ الرجل لم يصاحب النبيَّ الأعظم عليه السلام أو لم يَعر إلى ما هتف به من فضائل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من أوَّل يومه آناء الليل وأطراف النهار في حلَّه ومرتحله ، في ظعنه وإقامته ، عند أفراد من أصحابه أو في محتشد منهم ، ولدى الحوادث والوقائع ، وعند كلِّ مناسبة ، وفي حروبه ومغازيه .

وكأنَّه لم يشهد بلاء مولانا الإمام عليه السلام في مآزق الإسلام الحرجة ، ولم يشهد كُرَّاته وقد فرَّ أصحابه ، وتفانيه في سبيل الدعوة عند خذلان غيره ، واقتحامه المهالك لصالح الإسلام حيث ركنوا إلى دعة ، وتقهقر بهم الفرق ، وثبَّطهم الخول .

يزعم القوم أنَّ الخليفة كان حافظاً للقرآن وأنه كان يتلوه في ركعة في لياليه ولو صحَّ ما يقولون فهلاً كان يمرُّ بآية التطهير ومولانا الإمام عليه السلام أحد الخمسة الذين أريدوا بها ؟ وبآية المباهلة وهو نفس النبي فيها ؟ إلى آيات أخرى نازلة فيه بالغلة إلى ثلاثمائة آية كما يقوله حبر الأُمَّة عبدالله بن العباس^(١) أو أنه كان يمرُّ بها على حين غفلة من مقادها ؟ أو يمرُّ بها وقد بلغ منه اللغوب من كثرة التلاوة فلا

(١) راجع ما مرَّ في الجزء الاول ص ٣٨٩

يلتفت إليها ؟ أو أنه كان يترتلها ملتفتاً إلى مغازيها ؟ ولكن

أنا لا أدري بماذا يُعلّل قوارص الخليفة عليّاً عليه السلام إبننا حجر وكثير وأمثالهما المعلّلون أقوال الخليفة وأفعاله في مثل أبي ذر وابن مسعود ومالك الأشتر ، بأنّ مصلحة بقائهم في الأوساط الإسلاميّة مع الحرّيّة في المقال لا تكافيء المفسدة المترتبة عليه من سقوط أُبّهة الخلافة . على أنّه ما كان عند القوم إلّا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهل يجرّهم الحبّ المعمي والمصمّ إلى أن يقولوا بمثل ذلك في حقّ عظيم الدنيا والدين مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ؟ فهل كانت مفسدة هنالك مترتبة على مقام الإمام في المدينة حتى يكون نفيه عنها أولى ؟ وهل هو إلّا الصلاح كلّ ؟ وهل المصالح النوعيّة والفرديّة تُستقّى من غيره ؟ ولعمر الحقّ أنّ أُبّهة تسقط لمكان أمير المؤمنين عليه السلام وفضله ونزاهته وعلمه وإصلاحه لحرّيّة بالسقوط ، وأيم الله لو وسع أولئك المدافعون عن تلكم العظام لدنسوا ساحة قدس الإمام بالفرية الشائنة ، وأتهموه بمثل ما اتّهموا به غيره من صلحاء الأُمّة وأعلام الصحابة والخيرة الأمرين بالمعروف والناهيين عن المنكر ، ولكن . . .

ولو كان الخليفة يعير لنصائح الإمام عليه السلام أذناً واعية لصانه عن المهالك ، ولم تزل الأُبّهة مصونة له ، والعزّ والنجاح ذخراً له ولأهل الإسلام ، وكان خيراً له من ركوبه النهابير التي جرّعته الغصص وأودت به وجرت الويلات على الأُمّة حتى اليوم ، ولكنّه . . .

لا جرم أنّ الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ، إنّ هؤلاء يحبّون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً .

٤٣ - تسيير الخليفة صلحاء الكوفة إلى الشام :

روى البلاذري عن عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف في إسناده قال : لمّا عزل عثمان رضي الله عنه الوليد بن عقبة عن الكوفة ولّاها سعيد بن العاص وأمره بمداواة أهلها ، فكان يجالس قراءها ووجوه أهلها ويسامرهم فيجتمع عنده منهم : مالك بن الحارث الأشتر النخعي ، وزيد وصعصعة إبن صوحان العبديّان ، وحرقروص بن زهير السعدي ، وجندب بن زهير الأزدي ، وشريح بن أوفى بن

يزيد بن زاهر العبسي ، وكعب بن عبدة النهدي ، وكان يقال لعبدة بن سعد : ابن ذو الحبكة - وكان كعب ناسكاً وهو الذي قتله بُسر بن أرطاة بثلاث - وعدي بن حاتم الجواد الطائي ويكنى أبا طريف ، وكدام بن حضري بن عامر ، ومالك بن حبيب بن خراش ، وقيس بن عطار بن حاجب ، وزباد بن خصفة بن ثقف ، ويزيد بن قيس الأرحبي ، وغيرهم فإنهم لعنده وقد صلّوا العصر إذ تذكروا السّواد والجبل ففضلوا السّواد وقالوا : هو ينبت ما ينبت الجبل وله هذا النخل ، وكان حسان بن محدوج الدهلي الذي ابتدأ الكلام في ذلك فقال عبد الرحمن بن خنيس الأسدي صاحب الشرطة : لوددت أنه للأمير وأن لكم أفضل منه . فقال له الأشر : تمنّ للأمير أفضل منه ولا تمنّ له أموالنا . فقال عبد الرحمن : ما يضرّك من تمنّي حتى تزوي ما بين عينيك فوالله لو شاء كان له . فقال الأشر : والله لورام ذلك ما قدر عليه . فغضب سعيد وقال : إنّما السّواد بستان لقريش . فقال الأشر : أتجعل مراكز رماحنا وما أفاء الله علينا بستاناً لك ولقومك ؟ والله لورامه أحدٌ لقرع قرعاً يتصأصأ منه . ووثب بابن خنيس فأخذته الأيدي .

فكتب سعيد بن العاص بذلك إلى عثمان وقال : إنّي لا أملك من الكوفة مع الأشر وأصحابه الذين يُدعون القرّاء وهم السفهاء شيئاً . فكتب إليه أن سيّرهم إلى الشام . وكتب إلى الأشر : إنّي لأراك تضر شيئاً لو أظهرته لحلّ دمك وما أظنك منتهياً حتى يصيبك قارعة لا بُقيا بعدها ، فإذا أتاك كتابي هذا فسر إلى الشام لإفسادك من قبلك وإنك لا تألوهم خبالاً . فسيّر سعيد الأشر ومن كان وثب مع الأشر وهم : زيد وصعصة ابنا صوحان ، وعائذ بن حملة الطّاهري من بني تميم ، وكميل بن زياد النخعي ، وجندب بن زهير الأزدي ، والحرث بن عبد الله الأعور الهمداني ، ويزيد بن المكفف النخعي ، وثابت بن قيس بن المنقع النخعي ، وأصعر^(١) بن قيس بن الحرث الحارثي .

فخرج المسيرون من قرّاء أهل الكوفة فاجتمعوا بدمشق ونزلوا مع عمرو بن زرارة فبرّهم معاوية وأكرمهم ، ثمّ أنّه جرى بينه وبين الأشر قولٌ حتى تغالطا

(١) كذا في انساب الاشراف بالعين المهملة وفي الاصابة بالمعجمة .

فحبسه معاوية فقام عمرو بن زرارة فقال : لئن حبسته لتجدن من يمنعه . فأمر بحبس عمرو فتكلم سائر القوم فقالوا : أحسن جوارنا يا معاوية ! ثم سكتوا فقال معاوية : ما لكم لا تكلمون فقال زيد بن صوحان : وما نصنع بالكلام ؟ لئن كنا ظالمين فنحن نتوب إلى الله ، وإن كنا مظلومين فإننا نسأل الله العافية . فقال معاوية : يا أبا عائشة ! أنت رجل صدق . وأذن له في اللحاق بالكوفة ، وكتب إلى سعيد بن العاص : أما بعد : فإنني قد أذنت لزيد بن صوحان في المسير إلى منزله بالكوفة لما رأيت من فضله وقصده وحسن هديه فأحسن جواره وكف الأذى عنه وأقبل إليه بوجهك وودك ، فإنه قد أعطاني موثقاً أن لا ترى منه مكروهاً . فشكر زيد معاوية وسأله عند وداعه إخراج من حبس ففعل .

وبلغ معاوية أن قوماً من أهل دمشق يجالسون الأشر وأصحابه فكتب إلى عثمان : إنك بعثت إلي قوماً أفسدوا مصرهم وأنغلوه ، ولا آمن أن يفسدوا طاعة من قبلي ويعلموهم مالا يحسنونه حتى تعود سلامتهم غائلة ، واستقامتهم اعوجاجاً .

فكتب إلى معاوية يأمره أن يسيرهم إلى حمص ، ففعل وكان واليها عبدالرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة ، ويقال : إن عثمان كتب في ردّهم إلى الكوفة فضجّ منهم سعيد ثانية فكتب في تسيرهم إلى حمص فنزلوا الساحل .

[الأنساب ج ٥ ص ٣٩ - ٤٣]

صورة مفصلة :

إن عثمان أحدث أحداثاً مشهورة نقمها الصحابة عليه من تأمير بني أمية ولا سيما الفساق منهم وأرباب السفه وقلة الدين ، وإخراج مال الفيء إليهم وما جرى في أمر عمار وأبي ذر وعبدالله بن مسعود وغير ذلك من الامور التي جرت في أواخر خلافته ، ثم اتفق أن الوليد بن عقبة لما كان عاملاً على الكوفة وشهد عليه بشرب الخمر صرفه ، وولى سعيد بن العاص مكانه فقدم سعيد الكوفة واستخلص من أهلها قوماً يسرون عنده فقال سعيد يوماً : إن السواد بستان لقريش وبني أمية ، فقال الأشر النخعي : وتزعم أن السواد الذي أفاء الله على المسلمين بأسيا فنا بستان لك ولقومك ؟ فقال صاحب شرطته : أترد على الأمير مقالته ؟ وأغلظ له ،

فقال الأشتر لمن حوله من النخع وغيرهم من أشراف الكوفة : ألا تسمعون ؟ فوثبوا عليه بحضرة سعيدفوطأوه وطأاً عنيفاً وجروا برجله ، فغلظ ذلك على سعيد وأبعد سماره ، فلم يأذن بعدُ لهم فجعلوا يشتمون سعيداً في مجالسهم ثم تعدوا إلى شتم عثمان ، واجتمع إليهم ناسٌ كثيرٌ حتى غلظ أمرهم فكتب سعيد إلى عثمان في أمرهم فكتب إليه أن يسيرهم إلى الشام لئلا يفسدوا أهل الكوفة وكتب إلى معاوية وهو والي الشام : إن نفراً من أهل الكوفة قد هموا بإثارة الفتنة وقد سيرتهم إليك ، فانهمم فإن آنست منهم رشداً فأحسن إليهم واردهم إلى بلادهم . فلما قدموا على معاوية ، وكانوا : الأشتر ، ومالك بن كعب الأرحبي ، والأسود بن يزيد النخعي ، وعلقمة بن قيس النخعي ، وصعصة بن صوحان العبدي ، وغيرهم جمعهم يوماً وقال لهم :

إنكم قومٌ من العرب ذوو أسنان وألسنة ، وقد أدركتم بالإسلام شرفاً وغلبيت الأمم وحويتهم مواريتهم ، وقد بلغني أنكم ذمتم قريشاً ، ونقمتهم على الولاة فيها ، ولولا قريش لكنتم إذلة إن أئمتكم لكم جنة فلا تفرقوا عن جنتكم ، إن أئمتكم ليصبرون على الجور ويحتملون فيكم العتاب ، والله لتنتهين أو ليبتلينكم الله بمن يسومكم الخسف ولا يحمداكم على الصبر ثم تكونون شركاءهم فيما جررتهم على الرعية في حياتكم وبعد وفاتكم .

فقال له صعصة بن صوحان : أما قريش فإنها لم تكن أكثر العرب ولا أمنعها في الجاهلية ، وإن غيرها من العرب لأكثر منها وأمنع .

فقال معاوية : إنك لخطيب القوم ولا أرى لك عقلاً وقد عرفتكم الآن ، وعلمت أن الذي أغراكم قلة العقول ، أعظم عليكم أمر الإسلام فتذكروني الجاهلية ، أخزى الله قوماً عظموا أمرهم ، إفقهوا عني ولا أظنكم تفقهون : إن قريشاً لم تعز في جاهلية ولا في الإسلام إلا بالله وحده ، لم تكن بأكثر العرب ولا أشدها ولكنهم كانوا أكرمهم أحساباً ، وأمحصهم أنساباً ، وأكملهم مروءة ، ولم يمتنعوا في الجاهلية والناس تأكل بعضهم بعضاً إلا بالله ، فبؤأهم حرماً آمناً يتخطف الناس من حولهم ، هل تعرفون عرباً أو عجماً أو سوداً أو حمراً ، إلا وقد أصابهم الدهر في بلدهم وحرمتهم إلا ما كان من قريش ، فإنه لم يردهم أحد من الناس

بكيد إلا جعل الله خذّه الأسفل حتى أراد الله تعالى أن يستنقذ من أكرمه باتباع دينه من هوان الدنيا وسوء مردّ الآخرة ، فارتضى لذلك خير خلقه ، ثم ارتضى له أصحاباً ، وكان خيارهم قريشاً ، ثم بنى هذا الملك عليهم وجعل هذه الخلافة فيهم فلا يصحّ الأمر إلا بهم ، وقد كان الله يحوطهم في الجاهليّة وهم على كفرهم ، أفتراه لا يحوطهم وهم على دينه ؟ أف لك ولأصحابك ، أمّا أنت يا صمصعة ! فإنّ قريتك شرّ القرى ، أنتنها نبأ ، وأعمقها وادياً ، ولأمرها جيراناً ، وأعرفها بالشرّ ، لم يسكنها شريف قطّ ، ولا وضيع إلا شبّ بها نزاع الأمم وعبيد فارس ، وأنت شرّ قومك أحين أبرك الإسلام وخلطك بالناس أقبلت تبغي دين الله عوجاً ، وتنزع إلى الغواية ؟ إنّه لن يضرّ ذلك قريشاً ولا يضعهم ولا يمنعهم من تأدية ما عليهم ، إنّ الشيطان عنكم لغير غافل ، قد عرفكم بالشرّ فأغراكم بالناس ، وهو صارعكم وإنكم لا تدركون بالشرّ أمراً إلا فتح عليكم شرّ منه وأخزى ، قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم ، لا ينفع الله بكم أحداً أبداً ولا يضرّه ، ولستم برجال منفعة ولا مضرة ، فإن أردتم النجاة فالزموا جماعتكم ولا تبطرنكم النعمة ، فإنّ البطر لا يجزّ خيراً ، اذهبوا حيث شئتم ، فسأكتب إلى أمير المؤمنين فيكم .

وكتب إلى عثمان : إنّ قدم عليّ قومٌ ليست لهم عقول ولا أديان ، أضجرهم العدل لا يريدون الله بشيء ، ولا يتكلّمون بحجّة ، إنّما همهم الفتنة والله مبتليهم وفاضحهم وليسوا بالذين نخاف نكايتهم ، وليسوا الأكثر ممّن له شعب ونكير . ثمّ أخرجهم من الشام .

وروى الحسن المدائني : إنّ كان لهم مع معاوية بالشام مجالس طالت فيها المحاورات والمخاطبات بينهم ، وإنّ معاوية قال لهم في جملة ما قاله : إنّ قريشاً قد عرفت أنّ أبا سفيان أكرمها وابن أكرمها إلا ما جعل الله لنبيّه ﷺ فإنّه انتجبه وأكرمه ، ولو أنّ أبا سفيان ولد الناس كلّهم لكانوا حلماً .

فقال له صمصعة بن صوحان : كذبت ، قد ولدهم خيرٌ من أبي سفيان ، من خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة فسجدوا له ، فكان فيهم البرّ والفاجر والكيس والأحمق .

تسيير الخليفة صلحاء الكوفة ٥٥

قال : ومن المجالس التي دارت بينهم : إنَّ معاوية قال لهم : أيُّها القوم ردُّوا خيراً واسكنوا وتفكِّروا وانظروا فيما ينفعكم والمسلمين فاطلبوه وأطيعوني .

فقال له صعصعة : لست بأهل لذلك ولا كرامة لك أن تطاع في معصية الله .

فقال : إنَّ أول كلام ابتدأتُ به أن أمرتكم بتقوى الله وطاعة رسوله وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا .

فقال صعصعة : بل أمرت بالفرقة وخلاف ما جاء به النبي ﷺ .

فقال : إن كنتُ فعلتُ فإنِّي الآن أتوب وأمركم بتقوى الله وطاعته ولزوم الجماعة وأن توقروا أثمتكم وتطيعوهم .

فقال صعصعة : إذا كنت تبت فإننا نأمرُك أن تعتزل أمرُك فإنَّ في المسلمين من هو أحقُّ به منك ممَّن كان أبوه أحسن أثراً في الإسلام من أبيك ، وهو أحسن قدماً في الإسلام منك .

فقال معاوية : إنَّ لي في الإسلام لقدماً وإن كان غيري أحسن قدماً منِّي لكنه ليس في زمانِي أحدٌ أقوى على ما أنا فيه منِّي ، ولقد رأى ذلك عمر بن الخطاب ، فلو كان غيري أقوى منِّي لم يكن عند عمر هودة لي ولغيري ، ولا حدث ما ينبغي له أن اعتزل عملي ، ولو رأى ذلك أمير المؤمنين لكتب إليَّ فاعتزلت عمله ، ولو قضى الله أن يفعل ذلك لرجوت أن لا يعزم له على ذلك إلَّا وهو خير ، فمهلاً فإنَّ فيَّ دون ما أنتم فيه ، ما يأمر فيَّ الشيطان وينهى ، ولعمري لو كانت الأمور تُقضى على رأيكم وأهوائكم ما استقامت الأمور لأهل الإسلام يوماً وليلة ، فعودوا إلى الخير وقولوه . فقالوا : لست لذلك أهلاً . فقال : أما والله إنَّ لله لسطوات ونقمات وإنِّي لخائفٌ عليكم أن تتبايعوا إلى مطاوعة الشيطان ومعصية الرِّحمن فيحلِّكم ذلك دار الهوان في العاجل والآجل .

فوثبوا عليه فأخذوا برأسه ولحيته فقال : مَهْ ، إنَّ هذه ليست بأرض الكوفة والله لو رأى أهل الشام ما صنعتم بي وأنا إمامهم ما ملكتُ أن أنهاهم عنكم حتَّى يقتلوكم فلعمرِي إنَّ صنيعكم لي شبه بعضه بعضاً ، ثمَّ قام من عندهم فقال : والله لا أدخل عليكم مدخلاً ما بقيت وكتب إلى عثمان :

بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم ، لعبدالله عثمان أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان أمّا بعد : يا أمير المؤمنين ! فَإِنَّكَ بَعَثْتَ إِلَيَّ أَقْوَاماً يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةِ الشَّيَاطِينِ وَمَا يُمْلُونَ عَلَيْهِمْ وَيَأْتُونَ النَّاسَ زَعَمُوا مِنْ قَبْلِ الْقُرْآنِ فَيَشْبَهُونَ عَلَى النَّاسِ ، وَلَيْسَ كُلُّ النَّاسِ يَعْلَمُ مَا يَرِيدُونَ ، وَإِنَّمَا يَرِيدُونَ فُرْقَةً ، وَيَقْرَبُونَ فِتْنَةً ، قَدْ أَثْقَلَهُمُ الْإِسْلَامُ وَأَضْجَرَهُمْ ، وَتَمَكَّنَتْ رُقَى الشَّيْطَانِ مِنْ قُلُوبِهِمْ ، فَقَدْ أَفْسَدُوا كَثِيراً مِنَ النَّاسِ مِمَّنْ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَلَسْتُ آمِنٌ إِنْ أَقَامُوا وَسْطَ أَهْلِ الشَّامِ أَنْ يَغْرُوهُمْ بِسِحْرِهِمْ وَفَجْورِهِمْ فَارْدَدَهُمْ إِلَى مِصْرِهِمْ ، فَلَتَكُنْ دَارَهُمْ فِي مِصْرِهِمُ الَّذِي نَجَمَ فِيهِ نِفَاقُهُمْ . وَالسَّلَامُ .

فَكُتِبَ إِلَيْهِ عُثْمَانُ بِأَمْرِهِ أَنْ يَرُدَّهُمْ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بِالْكُوفَةِ فَارْدَهُمْ إِلَيْهِ فَلَمْ يَكُونُوا إِلَّا أَطْلَقَ أَلْسِنَةً مِنْهُمْ حِينَ رَجَعُوا ، وَكُتِبَ سَعِيدٌ إِلَى عُثْمَانَ يَضِجُ مِنْهُمْ ، فَكُتِبَ عُثْمَانُ إِلَى سَعِيدٍ أَنْ سَيِّرَهُمْ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى حِمصٍ وَهُمْ : الْأَشْثَرُ ، وَثَابِتُ بْنُ قَيْسِ الْهَمْدَانِيِّ^(١) وَكَمِيلُ بْنُ زِيَادِ النَّخَعِيِّ ، وَزَيْدُ بْنُ صَوْحَانَ وَأَخُوهُ صَعْصَعَةُ ، وَجَنْدُبُ بْنُ زَهْرٍ الْغَامِدي ، وَحَبِيبُ بْنُ كَعْبِ الْأَزْدِيِّ ، وَعُرْوَةُ بْنُ الْجَعْدِ^(٢) وَعَمْرُو بْنُ الْحَقِّمِ الْخَزَاعِيُّ .

وَكُتِبَ عُثْمَانُ إِلَى الْأَشْثَرِ وَأَصْحَابِهِ : أَمّا بعد : فَإِنِّي قَدْ سَيَّرْتُكُمْ إِلَى حِمصٍ فَإِذَا أَتَاكُمْ كِتَابِي هَذَا فَاخْرُجُوا إِلَيْهَا فَإِنَّكُمْ لَسْتُمْ تَأْلُونَ الْإِسْلَامَ وَأَهْلُهُ شَرًّا . وَالسَّلَامُ .

فَلَمَّا قَرَأَ الْأَشْثَرُ الْكِتَابَ قَالَ : اللَّهُمَّ أَسْوَأَنَا نَظْرًا لِلرَّعِيَّةِ ، وَأَعْمَلْنَا فِيهِمْ بِالْمَعْصِيَةِ فَعَجَّلْ لَهُ النِّقْمَةَ . فَكُتِبَ بِذَلِكَ سَعِيدٌ إِلَى عُثْمَانَ ، وَسَارَ الْأَشْثَرُ وَأَصْحَابُهُ إِلَى حِمصٍ فَأَنْزَلَهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ السَّاحِلُ وَأَجْرَى عَلَيْهِمْ رِزْقًا .

وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ : إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ خَالِدٍ جَمَعَهُمْ بَعْدَ أَنْ أَنْزَلَهُمْ أَيَّامًا وَفَرَضَ لَهُمْ طَعَامًا ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : يَا بَنِي الشَّيْطَانِ ! لَا مَرْجَأَ بِكُمْ وَلَا أَهْلًا ، قَدْ رَجَعَ

(١) فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ : النَّخَعِيُّ . بَدَلَ : الْهَمْدَانِيُّ .

(٢) فِي إِسْدِ الْغَابَةِ ج ٣ ص ٤٠٣ : كَانَ مِمَّنْ سَيَّرَهُ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الشَّامِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ .

نظرة في تسيير صلحاء الكوفة ٥٧

الشیطان محسوراً وأنتم بعد في بساط ضلالكم وغيكم ، جزی الله عبد الرحمن إن لم يؤذكم ، یا معشر من لا أدري أعرب هم أم عجم ، أتراكم تقولون لي ما قلتم لمعاوية ؟ أنا ابن خالد بن الوليد ، أنا ابن من عجمته العاجمات ، أنا ابن فاقىء عين الردة ، والله یابن صوحان ! لأطيرن بك طيرة بعيدة المهوى إن بلغني أن أحداً ممن معي دق أنفك فاقتنعت رأسك ، قال : فأقاموا عنده شهراً كلما ركب أمشاهم معه ويقول لصعصعة : یابن الخطية ! إن من لم یصلحه الخير أصلحه الشر ، ما لك لا تقول كما كنت تقول لسعيد ومعاوية ؟ فيقولون : نتوب إلى الله ، أقلنا أقالك الله ، فما زال ذاك دأبه ودأبهم حتى قال : تاب الله عليكم . فكتب إلى عثمان یسترضيه عنهم ویسأله فيهم فردهم إلى الكوفة .

تاریخ الطبری ج ٥ ص ٨٨ - ٩٠ ، الكامل لابن الأثیر ج ٣ ص ٥٧ - ٦٠ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٥٨ - ١٦٠ ورأى هذه الصورة أصح ما ذكر في القضية ، تاریخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٨٧ - ٣٨٩ ، تاریخ أبي الفدا ج ١ ص ١٦٨ في حوادث سنة ٣٣ .

قال الأميني : ان في عظمة أكثر هؤلاء القوم وصلاحهم المتسالم عليه وتقواهم المعترف بها مرتدع عن أذاهم وإجفالهم عن مستوى عزهم وموطن إقامتهم وتسييرهم من منفي إلى منفي ، والإصاحبة إلى سعاية ذلك الشاب المستهتر والله سبحانه يقول : ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾^(١) وكان على الخليفة أن يبعث إليه باللائمة بل يعاقبه على ما فرط في جنب أولياء الله بتسميته إياهم السفهاء وهم قراء المصر ، وزعماء الملأ ، ونساک القطر ، وفقهاء القارة ، وهم القدوة في التقوى والنسك ، وبهم الأسوة في الفقه والأخلاق ، ولم يكن عليهم إلا عدم التنازل لميول ذلك الغلام الزائف ، وعدم مماشاتهم إياه على شهواته ومزاعمه ، وهلاً استشف الخليفة حقيقة ما شجر بينه وبين القوم حتى يحكم فيه بالحق ، لكنه بدل أن يتخذ تلكم الطريقة المثلى في القضية استهواه ذلك الشاب المترف فمال إليه بكله ، ونال من القوم ما نال ،

(١) سورة الحجرات ؛ الآية : ٦ .

وأوقع بهم ما حَبَّه له الحبُّ المعمي والمصمّ ، لكن الدين وملأه أنكرًا ذلك عليه وحفظه التاريخ ممّا نقم به على عثمان .

كانت لائمة معاوية للقوم مزيجها الملاينة لا عن حلم ، وخشونة لا يستمرُّ عليها ، كلّ ذلك لم يكن لنصرة حقٍّ أو ابتغاء إصلاح ، وإنّما كان يكاشفهم جلباً لمرضاة الخليفة ، ويوادعهم لما كان يدور في خلدّه من هوى الخلافة غدّاً ، وكان يعرف القوم بالشدة والمتبوعة ، فما كان يروقه قطع خطِّ الرجعة بينه وبينهم متى تسنى له الحصول على غايته المتوخاة ، وكانت هذه الخواطر لا تبارحه ، ولا يزال هو يعدّ الدقائق والثواني للتوصّل إليها ، وكان أحبّ الأشياء إليه اكتساح العراق دونها ، ولذلك أطلق سراح القوم وتبّط عن النهضة لنصرة عثمان لمّا استنصره (كما سيأتي تفصيله) حتّى قُتل ومعاوية في الخاذلين له .

وأما ابن خالد فقد جرى مجرى أبيه في الفظاظة والغلظة ، فلم يعاملهم إلّا بالرعونة ولم يُعاملهم إلّا بالقسوة ، وكلّ إناء بالذي فيه ينضح .

وها هنا نوقفك على بُذ من أحوال من يهَمُّك الوقوف على حياته الثمينة من أولئك الرجال المنفيين الأبرار ، حتّى تعلم أن ما تقوّلوه فيهم وفعلوه بهم في متناى عنهم ، وإنّما كان ذلك ظلماً وعدواناً ، وتعلم أن ابن حجر ماثنٌ فيما يصف به الأشتر من المروق^(١) غير مصيب في قذفه ، متجانف للإثم في الدفاع عن عثمان بقوله : إنّ المجتهد لا يُعرض عليه في أموره الإجهادية ، لكن أولئك الملعين المعترضين لا فهم لهم بل ولا عقل^(٢) .

الأشتر :

١ - مالك بن الحارث الأشتر ، أدرك النبيّ الأعظم وقد أثنى عليه كلّ من ذكره ، ولم أجد أحداً يغمز فيه ، وثقّه العجلي وذكره ابن حبان في الثقات ، ولا يُحمل عدم رواية أيّ إمام عنه على تضعيفه ، قال ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١٢ : قال مهنا : سألت أحمد عن الأشتر يروي عنه الحديث ؟ قال :

(١) راجع الصواعق ص ٦٨ .

(٢) راجع الصواعق ص ٦٨ .

مالك الأشتر والثناء عليه ٥٩

لا . قال : ولم يرد أحمد بذاك تضعيفه ، وإنما نفى أن تكون له رواية . وكفاه فضلاً ومنعة كلمات مولانا أمير المؤمنين في الثناء عليه في حياته وبعد المنون ، وإليك بعض ما جاء في ذلك البطل العظيم :

١ - من كتاب لمولانا أمير المؤمنين كتبه إلى أهل مصرَ لما ولّى عليهم الأشتر :

أما بعد : فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيام الخوف ، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروح ، أشدّ على الفجار من حريق النار . وهو : مالك بن الحارث أخو مذحج فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحقّ ، فإنه سيفٌ من سيوف الله ، لا كليل الطّبة^(١) ولا نابي الضريبة ، فإن أمركم أن تنفروا فانفروا ، وإن أمركم أن تقيموا فاقموا ، فإنه لا يُقدم ولا يُحجم ، ولا يؤخّر ولا يُقدّم إلاّ عن أمري ، وقد آثرتكم به على نفسي لنصيحتي لكم ، وشدة شكمته على عدوكم . الخ .

تاريخ الطبري ج ٦ ص ٥٥ ، نهج البلاغة ج ٢ ص ٦١ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٣٠ .

صورة أخرى :

رواها الشعبي من طريق صعصعة بن صوحان .

أما بعد : فلإني قد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيام الخوف ، ولا ينكل عن الأعداء حذار الدوائر ، لا ناكل من قدم ، ولا واءٍ في عزم ، من أشدّ عباد الله بأساً ، وأكرمهم حسباً ، أضرب على الفجار من حريق النار ، وأبعد الناس من دنس أو عار ، وهو : مالك بن الحارث الأشتر ، حسام صارم ، لا نابي الضريبة ، ولا كليل الحدّ ، حكيم في السلم ، رزين في الحرب ، ذورأي أصيل ، وصبر جميل ، فاسمعوا له وأطيعوا أمره ، فإن أمركم بالنفر فانفروا ، وإن أمركم أن تقيموا

(١) الطّبة بتخفيف الموحدة : حدّ السيف .

٦٠ الغدير ج - ٩

فأقيموا ، فإنه لا يُقدم ولا يُحجم إلّا بأمرى ، وقد آثرتكم به على نفسي لنصيحتي لكم ،
وشدة شكيمته على عدوكم . الخ^(١) .

٢ - من كتاب للمولى أمير المؤمنين كتبه إلى أميرين من أمراء جيشه :

وقد أُمّرت عليكما وعلى من في حيزكما مالك بن الحارث الأشتر ، فاسمعا
له وأطيعا واجعلاه درعاً ومجنّاً ، فإنه ممّن لا يخاف وهنه ولا سقطته ، ولا بطؤه عمّا
الإسراع إليه أحزم ، ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل .

قال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٤١٧ : فأما ثناء أمير المؤمنين عليه
عليه في هذا الفصل فقد بلغ مع اختصاره ما لا يبلغ بالكلام الطويل ، ولعمري كان
الأشتر أهلاً لذلك ، كان شديد البأس جواداً رئيساً حليماً فصيحاً شاعراً ، وكان
يجمع بين اللين والعنف ، فيسطو في موضع السطوة ، ويرفق في موضع الرفق ،
ومن كلام عمر : إنّ هذا الأمر لا يصلح إلّا لقويّ في غير عُنف ، ولين في غير
ضعف . اهـ .

٣ - من كتاب كتبه مولانا أمير المؤمنين إلى محمّد بن أبي بكر يذكر فيه الأشتر
فيقول :

إنّ الرجل الذي كنت وليّته مصر كان لنا نصيحاً ، وعلى عدوّنا شديداً ، وقد
استكمل أيّامه ، ولاقى حمامه ، ونحن عنه راضون ، فرضي الله عنه ، وضاعف له
الثواب ، وأحسن له المآب .

تاريخ الطبري ج ٦ ص ٥٥ ، نهج البلاغة ج ٢ ص ٥٩ ، الكامل لابن الأثير
ج ٣ ص ١٥٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٣٠ .

٤ - لمّا بلغ عليّاً (أمير المؤمنين) موت الأشتر قال : إنّنا لله وإنّا إليه راجعون
والحمد لله ربّ العالمين ، اللهمّ إنّني أحسبه عندك فإنّ موته من مصائب الدهر . ثمّ
قال : رحم الله مالكا فقد كان وفي بعهدة ، وقضى نجه ، ولقي ربّه ، مع أنّا قد

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٩ ، جمهرة الرسائل ج ١ ص ٥٤٩ .

مالك الأشتر والثناء عليه ٦١

وطناً أنفسنا أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله ﷺ فإنها من أعظم المصائب ، قال المغيرة الضبي : لم يزل أمر عليّ شديداً حتى مات الأشتر^(١) .

٥ - عن جماعة من أشياخ النخع قالوا : دخلنا على عليّ أمير المؤمنين حين بلغه موت الأشتر فوجدناه يتلهّف ويتأسّف عليه ثم قال : لله درّ مالك ، وما مالك ؟ لو كان من جبل لكان فنداً^(٢) ، ولو كان من حجر لكان صلداً ، أما والله ليهدنّ موتك عالماً ، وليفرحنّ عالماً ، على مثل مالك فليك البواكي ، وهل موجود كمالك ؟ .

وقال علقمة بن قيس النخعي : فما زال عليّ يتلهّف ويتأسّف حتى ظننا أنه المصاب دوننا ، وعرف ذلك في وجهه أيّاماً .

وفي لفظ الشريف الرضي والزبيدي : لو كان جبلاً لكان فنداً ، لا يرتقيه حافر ، ولا يوفي عليه الطائر .

نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٣٩ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٣٠ ، لسان العرب ج ٤ ص ٣٣٦ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٥٣ ، تاج العروس ج ٢ ص ٤٥٤ .

٦ - قال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٤١٦ : كان فارساً شجاعاً رئيساً من أكابر الشيعة وعظمائها ، شديد التحقّق بولاء أمير المؤمنين ﷺ ونصره وقال فيه بعد موته : رحم الله مالكاً فلقد كان لي كما كنت لرسول الله ﷺ .

٧ - دسّ معاوية بن أبي سفيان للأشتر مولى عمر فسقاه شربة سويق فيها سمّ فمات فلما بلغ معاوية موته قام خطيباً في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : أمّا بعد : فإنه كانت لعليّ بن أبي طالب يدان يمينان قطعت إحداهما يوم صفّين وهو عمّار بن ياسر ، وقطعت الاخرى اليوم وهو مالك الأشتر . تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٥٥ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٥٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٩ .

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٩ .

(٢) الفند بالكسر : القطعة العظيمة من الجبل .

قال الأُميني : ما أجراً الطليق ابن الطليق الطاغية على السرور والتبهُج بموت الأخيار الأبرار بعدما يقتلهم ، ويقطع عن أديم الأرض أصول بركاتهم ، ويبشّر بذلك أُمَّته الفئة الباغية ، ويأمرهم بالدعاء عليهم ، ﴿أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون﴾^(١) ، ﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً﴾^(٢) ؟

٨ - وقبل هذه كلّها ما جاء عن رسول الله ﷺ في دفن أبي ذر سيّد غفّار من قوله في لفظ الحاكم وأبي نعيم وأبي عمر : ليموتنّ أحدكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين . وفي لفظ البلاذري : يلي دفنه رهط صالحون . وقد دفنه مالك الأشتر وأصحابه الكوفيون كما في أنساب البلاذري ج ٥ ص ٥٥ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم ج ١ ص ١٧ ، والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ٣٣٧ ، والإستيعاب لأبي عمر ج ١ ص ٨٣ ، وشرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٤١٦ فقال : هذا الحديث يدلّ على فضيلة عظيمة للأشتر رحمه الله وهي شهادة قاطعة من النبي ﷺ بأنّه مؤمن .

قال الأُميني : ما أبعد المسافة بين هذه الشهادة وبين وصف ابن حجر إِيّاه في الصواعق ص ٦٨ بالمروق وعدم الفهم والعقل ، ولعنه إِيّاه وأصحابه الصلحاء ، وقد عزب عنه أنّه لا يلفظ من قول إلّا ولديه رقيبٌ عتيد .

نحن لسنا الآن في صدد التبسُّط في فضائل مالك وتحليل نفسيّاته الكريمة ومآثره الجَمّة وإلّا لأريناك منه كتاباً ضخماً ، ولقد ناء بشطر مهمّ منها الفاضلان الشريفان السيّد محمّد الرضا آل السيّد جعفر الحكيم النجفي ، وابن عمّه السيّد محمّد التقي بن السيّد السعيد الحكيم النجفي في كتابيهما المطبوعين المخصوصين بمالك ، وقد سبقهما إلى ذلك بعض علمائنا السابقين ، يوجد كتابه المخطوط في مكتبة مولانا الإمام الرضا ﷺ بخراسان المشرّفة ، حيّا الله حملة العلم سلفاً وخلفاً .

(١) سورة النمل ؛ ٥ .

(٢) سورة الفرقان ؛ ٤٢ .

زيد بن صوحان العبدي ٦٣

٢ - زيد بن صوحان العبدي الشهير بزيد الخير ، أدرك النبي الأعظم ﷺ وترجمه أبو عمر وابن الأثير وابن حجر في معاجم الصحابة ، قال أبو عمر : كان فاضلاً ديناً سيّداً في قومه .

أخرج أبو يعلى وابن مندة والخطيب وابن عساكر من طريق عليّ بن النضر مرفوعاً : مَنْ سرّه أن ينظر إلى من يسبقه بعض أعضائه إلى الجنة فلينظر إلى زيد بن صوحان .

وفي حديث آخر : الأقطع الحبر زيد ، زيد رجلٌ من أمتي تدخل الجنة يده قبل بدنه - قطعت يده يوم القادسيّة - .

وفي حديث أخرجه ابن مندة وأبو عمر وابن عساكر عن رسول الله ﷺ زيد وما زيد ؟ يسبقه بعض جسده إلى الجنة ثمّ يتبعه سائر جسده إلى الجنة .

وأخرج ابن عساكر من طريق الحكم بن عيينة قال : لمّا أراد زيد أن يركب دابّته أمسك عمر بركابه ثمّ قال لمن حضره : هكذا فاصنعوا بزيد وإخوته وأصحابه .

تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ١١ - ١٣ ، تاريخ الخطيب ج ٨ ص ٤٤٠ ، الإستهباب ج ١ ص ١٩٧ ، أسد الغابة ج ٣ ص ٢٣٤ ، بهجة المحافل ج ٢ ص ٢٣٧ ، الإصابة ج ١ ص ٥٨٢ .

وفي الفائق للزمخشري ج ١ ص ٣٥ : قال فيه النبي عليه الصلّاة والسّلام : زيد الخير الأجزم من الخيار الأبرار .

وفي معارف ابن قتيبة ص ١٧٦ : كان من خيار الناس ، وروي في الحديث أنّ النبي ﷺ قال : زيد الخير الأجزم ، وجندب ما جندب ؟ ف قيل : يا رسول الله ! أتذكر رجلين ؟ فقال : أمّا أحدهما فسبقته يده إلى الجنة بثلاثين عاماً ، وأمّا الآخر فيضرب ضربة يفصل بها بين الحقّ والباطل ، فكان أحد الرجلين زيد بن صوحان شهد يوم جلّولاء فقطعت يده وشهد مع عليّ يوم الجمل فقال : يا أمير المؤمنين ! ما أراني إلّا مقتولاً ، قال : وما علمك بهذا يا أبا سليمان ؟ قال : رأيت يدي نزلت من السّماء وهي تستشيلني . فقتله عمرو بن يثربي وقتل أخاه سليمان يوم الجمل .

٦٤ الغدير ج - ٩

وفي تاريخ الخطيب ج ٨ ص ٤٣٩ : كان زيد يقوم الليل ويصوم النهار وإذا كانت ليلة الجمعة أحياءها ، وقال : قُتل يوم الجمل وقال : ادفنوني في ثيابي فإني مخاصم . وفي رواية : لا تغسلوا عني دماً ولا تنزعوا عني ثوباً إلا الخفين ، وارمسوني الأرض رسماً فإني رجلٌ محتاج . زاد أبو نعيم : أحاج يوم القيامة .

وفي مرآة الجنان للياضي ج ١ ص ٩٩ : كان زيد من سادة التابعين صوّماً قوَّماً . وفي شذرات الذهب ج ١ ص ٤٤ : من خواص عليّ من الصلحاء الأتقياء .

وقال عقيل بن أبي طالب لمعاوية في حديث مروج الذهب ج ٢ ص ٧٥ : أمّا زيد وعبد الله (أخوه) فإنّهما نهران جاريان يصبّ فيهما الخلدجان ، ويغاث بهما اللهفان ، رجلاً جدّ لا لعب معهما .

ووصفه أخوه صعصعة لابن عباس لما قال له : أين أخواك منك زيد وعبد الله ؟ صفهما فقال : كان «زيد» والله يا ابن عباس عظيم المروءة ، شريف الأخوة ، جليل الخطر ، بعيد الأثر ، كميّش العروة ، أليف البدوة ، سليم جوانح الصدر ، قليل وساوس الدهر ، ذاكرةً الله طرفي النهار وزلفاً من الليل ، الجوع والشبع عنده سيّان ، لا ينافس في الدنيا ، وأقلّ في أصحابه من ينافس فيها ، يطيل السكوت ، ويحفظ الكلام ، وإن نطق نطق بمقام يهرب منه الدعار الأشرار ، ويألفه الأحرار الأخيار . فقال ابن عباس : ما ظنّك برجل من أهل الجنة ، رحم الله زيداً .

٣- صعصعة بن صوحان العبدي أخو زيد الخير المذكور ، ذكر في معاجم الصحابة قال أبو عمر : كان مسلماً على عهد رسول الله ﷺ لم يلقه ولم يره . كان سيّداً فصيحاً خطيباً دينياً . قال الشعبي : كنت أتعلم منه الخطب ، وقال عقيل بن أبي طالب لمعاوية في حديث : أمّا صعصعة فعظيم الشأن ، غضب اللسان ، قائد فرسان ، قاتل أقران ، يرتق ما فتق ، ويفتق ما رتق ، قليل النظر . وقال ابن الأثير : كان سيّداً من سادات قومه عبد القيس ، وكان فصيحاً خطيباً لسناً دينياً فاضلاً يُعدّ في أصحاب عليّ رضي الله عنه .

له مع عثمان محاورة سيوافيك شيء منها ، ومواقفه مع معاوية ذكرت جملة

صعصعة ، جندب ، كعب ، عدي ٦٥

منها في مروج الذهب ج ٢ ص ٧٦ - ٨٣ ، وتاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٤٢٤ - ٤٢٧ ، وثقه ابن سعد والنسائي وابن حبان وابن عساكر وابن الأثير وابن حجر .

أخرج ابن شبة أن عمر بن الخطاب قسّم المال الذي بعث إليه أبو موسى وكان ألف ألف درهم وفضلت منه فضلة فاختلفوا عليه حيث يضعها فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيّها الناس قد بقيت لكم فضلة بعد حقوق الناس فما تقولون فيها ؟ فقام صعصعة بن صوحان وهو غلامٌ شابٌ فقال : يا أمير المؤمنين ! إنّما تُشاور الناس فيما لم ينزل الله فيه قرآنًا ، أمّا ما أنزل الله به القرآن ووضعه مواضعه فضعه في مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها فقال : صدقت أنت مني وأنا منك . فقسّمه بين المسلمين .

راجع طبقات ابن سعد ، مروج الذهب ، تاريخ ابن عساكر ، الإستيعاب ، أسد الغابة ، الإصابة ، تهذيب التهذيب ، خلاصة الجزري .

٤ - جندب بن زهير الأزدي ، صحابيٌّ مترجم له في الإستيعاب ، وأسد الغابة ، والإصابة وله في يومي الجمل وصفين مواقف محمودّة مع أمير المؤمنين ﷺ .

٥ - كعب بن عبدة ، سمعت فيما مرّ عن البلاذري أنّه كان ناسكاً .

٦ - عدي بن حاتم الطائي ، صحابيٌّ عظيمٌ قدم على رسول الله ﷺ سنة ٧ لم يختلف إثنان في ثقته أخرج حديثه أئمة الصحاح الست ، وقد أثنى عليه ، عمر بن الخطاب لما قال له : يا أمير المؤمنين أتعرفني ؟ فقال : نعم والله إنني لأعرفك ، أكرمك الله بأحسن المعرفة ، أعرفك والله آمنت إذ كفروا ، وعرفت إذ أنكروا ، ووفيت إذ غدروا ، وأقبلت إذ أدبروا ، وإنّ أوّل صدقة بيّضت وجه رسول الله ﷺ ووجوه أصحابه صدقة طيء جئت بها إلى رسول الله ﷺ . ثم أخذ يعتذر .

أخرجه أحمد في المسند ج ١ ص ٤٥ ، وابن سعد في الطبقات ، ومسلم في صحيحه ، وأبو عمر في الإستيعاب ، والخطيب في تاريخه ، وابن الأثير في أسد الغابة وفيه : أنّه كان منحرفاً عن عثمان ، وابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٦٦ .

وأعجب ما أجده من التحريف في تاريخ الخطيب ما أخرجه في ج ١ ص ١٩١ بالإسناد عن المغيرة قال : خرج عدي بن حاتم ، وجريير بن عبدالله البجلي ، وحنظلة الكاتب من الكوفة فنزلوا (قرقيساء) وقالوا: لا نقيم ببلد يُشتم فيه عثمان .

والصواب : يُشتم فيه عليٌّ . فبدلت يد التحريف علياً بعثمان وذكره على علاّته ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٦٧ .
توجد ترجمة عدي في الإستيعاب ، تاريخ بغداد ج ١ ، أسد الغابة ، الإصابة ، تهذيب التهذيب .

٧ - مالك بن حبيب . له إدراكٌ عدٌ من الصحابة .

٨ - يزيد بن قيس الأرحبي . له إدراكٌ وكان رئيساً كبيراً عظيماً عند الناس ولما ثار أهل الكوفة على عثمان اجتمع قراء الكوفة وأمروه ، وكان مع عليٍّ في حروبه وولاه شرطته ثم ولّاه اصبهان والري وهمذان وهو المعنيُّ في قول ثمامة :

معاوي إن لا تُسرّع السير نحونا فبايع عليّاً أويّزيد اليماني

وله يوم صفّين مواقف وخطابات تُعرب عن نفسيّاته الكريمة وملكاته الفاضلة ، تُذكر وتُشكر ، ذكر جملة منها ابن مزاحم في كتاب صفّين ، والطبري في تاريخه ، وابن الأثير في الكامل ، ومما ذكروه قوله :

إنَّ المسلم السليم من سلم دينه ورأيه ، إنَّ هؤلاء القوم ما إن يقاتلونا على إقامة دين رأونا ضيّعناه ، ولا إحياء عدل رأونا أمتناه ، ولا يقاتلونا إلّا على إقامة الدنيا ، ليكونوا جبابرة فيها ملوكاً ، فلو ظهرنا عليكم - لا أراهم الله ظهوراً ولا سروراً - إذا ألزموكم مثل سعيد والوليد وعبيد الله بن عامر السفية ، يحدث أحدهم في مجلسه بذيت وذيت ، يأخذ مال الله ويقول : هذا لي ولا إثم عليّ فيه ، كأنما أُعطي تراثه من أبيه ، وإنّما هو مال الله أفاءه علينا بأسيافنا ورماحنا ، قاتلوا ، عباد الله ! القوم الظالمين الحاكمين بغير ما أنزل الله ، ولا تأخذكم في جهادهم لومة لائم ، إنهم إن يظهروا عليكم يُفسدوا دينكم ودنياكم ، وهم من قد عرفتم وجربتم ،

مالك ، يزيد ، عمرو ، عروة ٦٧

والله ما أرادوا إلى هذا إلّا شراً ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم^(١) .

٩ - عمرو بن الحمق^(٢) بن حبيب الخزاعي الكعبي . صحب النبي الأعظم وحفظ عنه أحاديث ، وحظي بدعائه ﷺ له لما سقاه لبناً وبقوله : اللهم أمتعه بشبابه فاستكمل الثمانين من عمره ولم ير شعرة بيضاء^(٣) أخرج حديثه البخاري في التعاليق ، وابن ماجة والنسائي وغيرهم ، وكان من أعوان حُجر بن عدي سلام الله عليه وعليهم ، ترجمه أبو عمر في الإستيعاب ، وابن الأثير في أسد الغابة ، وابن حجر في الإصابة ، ولم أجد كلمة غمز لأي أحد فيه مع قولهم : كان ممن سار إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو أحد الأربعة الذين دخلوا عليه الدار فيما ذكروا وصار بعد ذلك من شيعة عليّ . وقولهم : إنه كان ممن قام على عثمان . وقولهم : كان أحد من ألّب على عثمان .

وله يوم صفين مواقف مشكورة وكلم قيّمة خالدة مع الأبد تُعرب عن إيمانه الخالص ، وروحه النزيهة الطاهرة ، راجع كتاب صفين لابن مزاحم ص ١١٥ ، ٤٣٣ ، ٤٥٤ ، ٥٥١ .

قال ابن الأثير في أسد الغابة ج ٤ ص ١٠١ : قبره مشهورٌ بظاهر الموصل يزار ، وعليه مشهدٌ كبير ابتداءً بعمارته أبو عبدالله سعيد بن حمدان - وهو ابن عم سيف الدولة وناصر الدولة ابني حمدان - في شعبان من سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، وجرى بين السنة والشيعة فتنة بسبب عمارته .

١٠ - عروة بن الجعد ، ويقال : أبي الجعد البارقى الأزدي ، صحابيٌّ مرضيٌّ مترجم له في معاجم الصحابة : الإستيعاب ، أسد الغابة ، الإصابة . روى حديث : الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغرم . قال شيب بن غرودة : رأيت في دار عروة سبعين فرساً رغبة في رباط الخيل^(٤) أخرج

(١) كتاب صفين ص ٢٧٩ ، تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٠ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٥ ، الإصابة ج ٣ ص ٦٧٥ .

(٢) بفتح المهملة وكسر الميم .

(٣) أسد الغابة ج ٤ ص ١٠٠ ، الإصابة ج ٢ ص ٥٣٣ .

(٤) صحيح البخاري في المناقب باب قول الله تعالى : ﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ .

٦٨ الغدير ج - ٩

حديثه أئمة الصحاح الست فيها .

١١ - أصعربن قيس بن الحارث الحارثي : له إدراك ذكره ابن حجر في الإصابة ج ١ ص ١٠٩ .

١٢ - كميل بن زياد النخعي ، كان شريفاً في قومه قتله الحجاج سنة ٤٢ ، وثقه ابن سعد ، وابن معين ، والعجلي ، وابن عمار ، وذكره ابن حبان في الثقات^(١) .

١٣ - الحارث بن عبدالله الأعور الهمداني ، من رواة الصحاح الأربعة من الستة قال ابن معين : ثقة . وقال ابن أبي داود : كان أفقه الناس ، وأحسب الناس ، وأفرض الناس ، تعلم الفرائض من عليّ قال ابن أبي خيثمة : قيل ليحيى : يُحتجّ بالحارث ؟ فقال : ما زال المحدثون يقبلون حديثه . وقال أحمد بن صالح المصري : ثقة ما أحفظه وما أحسن ما روى عن عليّ وأثنى عليه . ووثقه ابن سعد .

وهناك من كذبه والعمدة في ذلك الشعبي . قال ابن عبد البر في كتاب العلم : أظنّ الشعبي عوقب بقوله في الحارث : كذاب ، ولم يبين من الحارث كذبه ، وإنما نقم عليه إفراطه في حبّ عليّ .

وقال أحمد بن صالح : لم يكن الحارث يكذب في الحديث ، إنما كان كذبه في رأيه .

وقال الذهبي : والنسائي مع تعنته في الرجال قد احتجّ به والجمهور على توهينه مع روايتهم لحديثه في الأبواب .

[تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٤٥ ، ١٤٧]

فمحصل القول في الهمداني : أنّه لا مغمز فيه غير نزعتة العلوية الممدوحة عند الله وعند رسوله .

(١) تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٤٤٧ .

٦٩ تسيير الخليفة كعب بن عبدة وضربه

٤٤ - تسيير الخليفة كعب بن عبدة وضربه :

كتب جماعة من القراء إلى عثمان منهم معقل بن قيس الرياحي ، وعبدالله بن الطفيل العامري ، ومالك بن حبيب التميمي ، ويزيد بن قيس الأرحبي ، وحجر بن عدي الكندي ، وعمرو بن الحمق الخزاعي ، وسليمان بن صرد الخزاعي ويكنى أبا مطرف ، والمسيب بن نجبة الفزاري ، وزيد بن حصن الطائي ، وكعب بن عبدة النهدي ، وزيد بن النضر بن بشر بن مالك بن الديان الحارثي ، ومسلمة بن عبد القاري من القارة من بني الهون بن خزيمة بن مدركة .

إن سعيداً كثر على قوم من أهل الورع والفضل والعفاف فحملك في أمرهم على ما لا يحل في دين ولا يحسن في سماع ، وإننا نذكرك الله في أمة محمد ، فقد خفنا أن يكون فساد أمرهم على يديك ، لأنك قد حملت بني أبيك على رقابهم ، واعلم أن لك ناصراً ظالماً ، وناقماً عليك مظلوماً ، فمتى نصرك الظالم ونقم عليك الناقم تباين الفريقان واختلفت الكلمة ، ونحن نشهد عليك الله وكفى به شهيداً ، فإنك أميرنا ما أطعت الله واستقيمت ، ولن تجد دون الله ملتحداً ولا عنه منتقداً .

ولم يسم أحد منهم نفسه في الكتاب وبعثوا به مع رجل من عنزة يكنى أبا ربيعة وكتب كعب بن عبدة كتاباً من نفسه تسمى فيه ودفعه إلى أبي ربيعة ، فلما قدم أبو ربيعة على عثمان سأل عن أسماء القوم الذين كتبوا الكتاب فلم يخبره فأراد ضربه وحبسه فمنعه علي من ذلك وقال : إنما هو رسول أدّى ما حُمل ، وكتب عثمان إلى سعيد أن يضرب كعب بن عبدة عشرين سوطاً ، ويحوّل ديوانه إلى الري . ففعل ثم إن عثمان تحوّل وندم فكتب في إشخاصه إليه ففعل فلما ورد عليه قال له : إنه كانت مني طيرة ثم نزع ثيابه وألقى إليه سوطاً وقال : إقتص ، فقال : قد عفوت يا أمير المؤمنين ! .

ويقال : إن عثمان لما قرأ كتاب كعب كتب إلى سعيد في إشخاصه إليه فأشخصه إليه مع رجل أعرابي من أعراب بني أسد فلما رأى الأعرابي صلته وعرف نسكه وفضله قال :

ليت حظي من مسيري بكعب عفوہ عني وغفران ذنبي

فلما قدم به على عثمان قال عثمان : لأن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه وكان شاباً حديث السن نحيفاً ثم أقبل عليه فقال : أنت تعلمني الحق وقد قرأت كتاب الله وأنت في صلب رجل مشرك ؟ فقال له كعب : إن إمارة المؤمنين إنما كانت لك بما أوجبه الشورى حين عاهدت الله على نفسك في (أن) تسيرن بسيرة نبيه ، لا تقصّر عنها وإن يشاورونا فيك ثانية نقلناها عنك ، يا عثمان ! إن كتاب الله لمن بلغه وقرأه وقد شركناك في قراءته ، ومتى لم يعمل القارئ بما فيه كان حجة عليه . فقال عثمان : والله ما أظنك تدري أين ربك ؟ فقال : هو بالمرصاد . فقال مروان : حلمك أغرى مثل هذا بك وجرأه عليك . فأمر عثمان بكعب فجرد وضرب عشرين سوطاً ، وسيّره إلى دُباوند^(١) ويقال : إلى جبل الدخان ، فلما ورد على سعيد حملة مع بكير بن حمران الأحمر ففقال الدهقان الذي ورد عليه : لِمَ فُعل بهذا الرجل ما أرى ؟ قال بكير : لأنه شيرٌ فقال : إن قوماً هذا من شرارهم لخيار .

ثم إن طلحة والزبير وبخا عثمان في أمر كعب وغيره وقال طلحة : عند غب الصدر يحمد عاقبة الورد . فكتب في ردّ كعب رضي الله عنه وحمله إليه فلما قدم عليه نزع ثوبه وقال : يا كعب ! إقتص . فعفا رضي الله عنهم أجمعين^(٢) .

وعُدّ الحلبي في السيرة ج ٢ ص ٨٧ من جملة ما انتقم به على عثمان : أنه ضرب كعب بن عتبة عشرين سوطاً ونفاه إلى بعض الجبال .

قال الأميني : ألا تعجب في أمر هذا الخليفة أن مناوئيه كلهم في عاصمة الخلافة وبقية الأوساط الإسلامية خيار البلاد وصلحاء الأمة ؟ كما أن من اكتنف به وأغراه بالأبرار هم المتهتكون في الدين ، المفضوحون بالسمعة الشائنة ، رؤاد الشر ، وسماسرة المطاعم ، من طغمة الأمويين ومن يقتص أثرهم ، فلا ترى له

(١) بفتح المهملة وتضم ويقال : دباوند ، ودماوند بالميم بدل الموحدة : كورة من كور الري .

(٢) انساب البلاذري ج ٥ ص ٤١ - ٤٣ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٣٧ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٤٠ - ١٤٩ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٨ ، الصواعق ص ٦٨ ، واللفظ للبلاذري .

نظرة في تسيير كعب وضربه ٧١

سوط عذاب يُرفع إلّا وكان مصبّه أولئك الصالحون ، كما أنّك لا تجد جميلاً له يُسدى ولا يداً موفورة إلّا لأولئك الساقطين ، فهل بُعث الخليفة (وهو رحمة للعالمين) نقمةً على المؤمنين ؟ أم ماذا كانت حقيقة الأمر ؟ أنا لا أدري لماذا أسخط الخليفة كتاب القوم فأراد بحامله السوء من حبس وضرب بعد يأسه عن معرفة كاتبيه لولا أنّ عليّاً أمير المؤمنين حال بينه وبين ما يشتهي ، وهل كان الرجل إلّا وسيطاً كلّف بالرسالة فأذاها ؟ ولعلّه لم يكن يعلم ما فيها ، وليس في الكتاب إلّا التذكير بالله ، والتحذير عمّا يوجب تفريق الكلمة ، وإقلاق السّلام ، وإظهار الطاعة بشرط طاعة الله والإستقامة الذي هو مأخوذ في الخليفة قبل كلّ شيء (وعليه جرى انتخابه يوم الشورى) وإيقافه على مكان سعيد الشابّ الغرّ من السعاية التي خافوا أن تكون وبالاً عليه ، وبالأخير وقع ما خافوا منه وحذّروا الخليفة عنه ، والشهادة لأولئك المنفيين بالبراءة ممّا نُزوا به وأنّهم من أهل الورع والفضل والعفاف ، وأنّ تسييرهم لا يحلّ في دين الله ، ويشوّه سمعة الخليفة .

ولماذا أغضبه كتاب كعب ؟ وهو بطبع الحال لدة ما كتبه القوم من النصيح الجميل . ولماذا أمر بإشخاصه إلى المدينة وضربه وجازاه على نصحه بجزاء سنمار ؟

فهلّا انبعث الخليفة إلى التفاهم مع القوم فيما أظهرُوا أنّهم يتحرّون ما فيه صلاحه وصلاح الأُمّة ؟ فإمّا أن يُقنعهم بما عنده ، أو يقتنع بما يبدونه ، فيرتفع ذلك الحوار ، وتُدفع عنه المثالات ، لكنّه أبى إلّا أن يستمرّ على ما ارتآه وحبّذه له المحتفون به الذين اتّخذوه قنطرة إلى شهواتهم ، ولذلك لم يتفاهم مع كعب إلّا بالغلظة فقال له : أنت تعلمني . الخ . أنا لا أدري موقع هذا الكلام التافه ، هل الكون في صُلب رجل مشرك يحطّ من كرامة الإنسان وقد آمن بالله ورسوله ؟ إذن لتسرّب النقص إلى الصحابة الذين نقلوا من أصلاب المشركين وارتكضوا في أرحام المشركات ، وكثير منهم أشركوا بالله قبل إسلامهم ، لكن الإسلام يجبّ ما قبله ، وهل الأصلاب والأرحام إلّا أوعية ؟

ثمّ السبق إلى قرّاء الكتاب العزيز هل هو بمجرّده يرفع من قدر الرجل حتى إذا لم يعمل به كما أجاب به وفصله كعب ؟

ولا أدري ما يريد الخليفة بقوله : والله ما أظنك تدري أين ربك . هل هو يريد المكان ؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وأي مسلم لا يعرف أن ربّه لا يقفله حيّز ، فإنه حريّ بالسقوط ، وما أحسن جواب كعب من قوله : هو بالمرصاد ، فإن كان يريد مثل ما قاله كعب فلماذا احتمل أن مثل كعب الموصوف بالفضيلة والتقوى لا يعرف ذلك ؟ وهل يريد عندئذٍ إلا إهانة الرجل وهتكه ؟ .

ثمّ ماذا كان في هذه المحاوراة حتى عدّ مروان سكوت الخليفة عنه من الحلم وكلام كعب من الجرأة وثور الخليفة على الرجل ؟ وهنالك انفجر بركان غضبه فأمر به فجرد وضرب وسير ، وعوقب لنصحه وصلاحه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم .

لقد أراد القوم أن يزحزحوا التبعة عن عثمان فاخترق كل شيئاً من غير تواطؤ بينهم حتى يفتعلوا أمراً واحداً ، ففي ذيل هذه الرواية أن الخليفة ندم على ما فعل وتاب بعد توبيخ طلحة والزبير إياه واستعفى الرجل فعفى عنه ، ولم يعلم المتقول أن خليفة لا يملك طيشه حيث لا موجب له لا يؤتمن على دين ولا دنيا ، فإن من الممكن عندئذٍ أن يقتحم المهالك حيث لا مؤيخ فيستمرّ عليها فيهلك ويهلك ، وإنّ ممّا قاله الخليفة نفسه يوم الدار عن الثائرين عليه : إنهم يخبروني إحدى ثلاث : إمّا يقيدونني بكلّ رجل أصبته خطأ أو صواباً غير متروك منه شيء ، فقلت لهم : أمّا إقادتي من نفسي فقد كان من قبلي خلفاء تخطيء وتصيب فلم يُستقد من أحد منهم . الخ . وهذه الكلمة تعطينا أنه ما كان يتنازل للإقادة حتى في أخرج ساعاته المشاركة لقتله ، فكيف بأونة السّعة وساعة المقدرة ؟ فما يزعمه هذا الناحي لذيل الرواية من أنه تنازل لكعب لأن يقيد به بنفسه لا يكاد يلائم مع هذه النفسية ، ولو كان فعل شيئاً من ذلك لتشبّث به في ذلك المأزق الحرج .

وهناك رواية أخرى جاء بها الطبري من طريق السري الكذاب المتروك عن شعيب المجهول عن سيف الوضاع المرمي بالزندقة المتفق على ضعفه^(١) عن

(١) راجع ما مرّ في ج ٨ ص ١١١ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٣٧٧ - ٣٨٤ من كلمات الحفاظ حول رجال الاسناد .

محمّد وطلحة أنّ كعباً كان يعالج نيرنجاً^(١) فبلغ ذلك عثمان فأرسل إلى الوليد بن عقبة ليسأله عن ذلك فإن أقرّ به فأوجعه ، فدعا به فسأله فقال : إنّما هورفق وأمرّ يُعجب منه فأمر به فعزّز وأخبر الناس خبره وقرأ عليهم كتاب عثمان : إنّهُ قد جدّ بكم فعليكم بالجدّ وإياكم والهزال فكان الناس عليه وتعجّبوا من وقوف عثمان على مثل خبره فغضب فنفّر في الذين نفروا فضرب معهم فكتب إلى عثمان فيه ، فلمّا سُرّ إلى الشام من سُرّ كعب بن ذي الحبكة ومالك بن عبدالله وكان دينه كدينه إلى دُناوند لأنّها أرض سحرة فقال في ذلك كعب بن ذي الحبكة للوليد .

لعمري لئن طردتني ما إلى التي	طمعت بها من سقطتي لسبيل
رجوت رجوعي يابن أروى ورجعتي	إلى الحقّ دهرأ غال ذلك غول
وإنّ اغترابي في البلاد وجفوتي	وشتمي في ذات الإله قليل
وإنّ دعائي كلّ يوم وليلة	عليك بدُناوندكم لطويل

فلمّا ولّى سعيد أفضله وأحسن إليه واستصلحه فكفره فلم يزد إلاّ فساداً^(٢) شوّه الطبري صحيفة تاريخه بمكاتبات السري وقد أسلفنا في الجزء الثامن أنّها موضوعة كلّها ، اختلق الرجل في كلّ ما ينتقد به عثمان رواية تظهر فيها لوائح الكذب ، يريد بها رفاء لما هنالك من فتق ، وهو الذي قذف أبا ذر ونظرائه من الصالحين ، غير مكترث لمغبة الكذب والإفتراء ، ومن ملامح الكذب في هذه الرواية أنّ تسيير من سُرّ إلى الشام من قرأ الكوفة ونسّاها وضرب كعب إنّما هو على عهد سعيد بن العاص لا الوليد بن عقبة كما زعمه مختلق الرواية .

وإنّ كتاب عثمان إلى الوليد لا يصحّ ولم يؤثر في أيّ من مدونات التاريخ والسير ولو كان تفرد به أناس يوثق بهم لكان مجالاً للقبول ، لكن الرواية كما قيل :

صحاّهم عن سجاح عن مسيلمة	عن ابن حيّان والدوسي يمليه
وكلّهم ينتهي إسناد باطله	إلى عزازيل مُنشيّه ومنهيه ^(٣)

(١) النيرج والنيرنج : اخذ كالسحر وليس به .

(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٣٧ .

(٣) البيتان من قصيدة للشريف ابن فلاح الكاظمي .

على أنه يقول فيها : إنَّ وليداً قرأه على رؤوس الأشهاد ، كأنه يحاول معذرةً عما ارتكب من كعب ، وأنه كان برضىً من المسلمين ، ولو صحت المزعة لكانت مستفيضة إذ الدواعي كانت متوفرة على نقلها ، لكنهم لم يسمعوها فلم يرووها ، مضافاً إلى أنَّ المعروف من كعب بن عتبة أنه كان من نساك الكوفة وقرأتها كما سمعته من كلام البلاذري وغيره لا ممن يتلها بالنيرنجات وأشباهها .

وإن تعجب فعجب أنَّ صاحب النيرنج - لو صدقت الأحلام - يُعزَّر ويعاقب ، ومُعاقَر الخُمور - وليد الفجور - لا يُحدُّ لشربه الخمر إلا بعد نقمة الصحابة على خليفة الوقت من جرأ ذلك ، ثمَّ يكون مقيم الحدِّ عليه غيره وهو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام .

ولم يكن في أولئك المسيرين من يسمَّى مالك بن عبدالله وإنما كان فيهم مالك بن الحارث الأشتر ، ومالك بن حبيب الصحابيَّان كما تقدَّم ذكرهما .

وأبيات كعب تناسب أن يخاطب بها عثمان لا الوليد فإنه هو ابن أروى بنت كرز وفيها صراحة بسبب اغتراب كعب وجفوته وشتمه ، وإنَّها كانت في ذات الله ، يقول ذلك بملء فمه ولا يردُّ عليه رادٌّ بأنَّها ليست في ذات الله وإنما هي لأنَّه كان يعالج نيرنجاً .

هكذا لعبت بالتاريخ يد الأهواء والشهوات تزلفاً إلى أناس وانحيازاً عن آخرين ، فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون .

٤٥ - تسيير الخليفة عامر بن عبد قيس التميمي البصري الزاهد الناسك إلى الشام :

أخرج الطبري من طريق العلاء بن عبدالله بن زيد العنبري أنَّه قال : إجتمع ناسٌ من المسلمين فتذكروا أعمال عثمان وما صنع ، فاجتمع رأيهم على أن يعيشوا إليه رجلاً يكلمه ويخبره بأحداثه ، فأرسلوا إليه عامر بن عبدالله التميمي ثمَّ العنبري وهو الذي يدعى عامر بن عبد قيس فأتاه فدخل عليه فقال له : إنَّ ناساً من المسلمين اجتمعوا فنظروا في أعمالك فوجدوك قد ركبتُ أموراً عظيماً فاتق الله عزَّ وجلَّ وتب إليه وانزع عنها . قال له عثمان : انظر إلى هذا فإنَّ الناس يزعمون أنَّه

مشاورة الخليفة في أمر عامر ٧٥

قارىءٌ ثم هو يجيء فيكلمني في المحقرات فوالله ما يدري أين الله . قال عامر : أنا لا أدري أين الله ؟ قال نعم ، والله ما تدري أين الله . قال عامر : بلى والله إني لأدري إن الله بالمرصاد لك . فأرسل عثمان إلى معاوية بن أبي سفيان ، وإلى عبدالله بن سعد بن أبي سرح ، وإلى سعيد بن العاص ، وإلى عمرو بن العاص ، وإلى عبدالله بن عامر فجمعهم ليشاورهم في أمره وما طلب إليه وما بلغ عنهم فلما اجتمعوا عنده قال لهم : إن لكل امرئ وزراء ونصحاء وأنكم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي ، وقد صنع الناس ما قد رأيتم ، وطلبوا إلي أن أعزل عمالي وأن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبون فاجتهدوا رأيكم وأشيروا علي .

فقال له عبدالله بن عامر : رأيي لك يا أمير المؤمنين ! أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك وأن تجمرهم في المغازي حتى يذُلُّوا لك ، فلا يكون همّة أحدهم إلا نفسه وما هو فيه من دبرة دابته وقمل فروه .

ثم أقبل عثمان على سعيد بن العاص فقال له : ما رأيك ؟ قال : يا أمير المؤمنين إن كنت تريد رأينا فاحسم عنك الداء واقطع عنك الذي تخاف ، واعمل برأيي تصب . قال : وما هو ؟ قال : إن لكل قوم قادة متى تهلك يفرقوا ولا يجتمع لهم أمر . فقال عثمان : إن هذا الرأي لولا ما فيه .

ثم أقبل على معاوية فقال : ما رأيك ؟ قال : أرى لك يا أمير المؤمنين ! أن تردّ عمالك على الكفاية لما قبلهم وأنا ضامن لك قبلي .

ثم أقبل على عبدالله بن سعد فقال : ما رأيك ؟ قال : أرى يا أمير المؤمنين ! أن الناس أهل طمع فأعطهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم .

ثم أقبل على عمرو بن العاص فقال له : ما رأيك ؟ قال : أرى أنك قد ركبت الناس بما يكرهون فاعتزم أن تعتدل ، فإن أبيت فاعتزم أن تعتزل ، فإن أبيت فاعتزم عزماً وامض قدماً .

فقال عثمان : مالك قمل فروك ؟ أهذا الجد منك ؟ فأسكت عنه دهرًا حتى إذا تفرّق القوم قال عمرو : لا والله يا أمير المؤمنين ! لأنت أعز عليّ من ذلك ، ولكن : قد علمت أن سيبلغ الناس قول كل رجل منا فأردت أن يبلغهم قولي فيثقوا

بي فاقود إليك خيراً أو أدفع عنك شراً .

فردّ عثمان عمّاله على أعمالهم وأمرهم بالتضييق على من قبلهم وأمرهم بتجمير الناس في البعوث ، وعزم على تحريم أعطياتهم ليطيعوه ويحتاج إليه^(١) .

وقال البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٥٧ : قال أبو مخنف لوط بن يحيى وغيره : كان عامر بن قيس التميمي يُنكر على عثمان أمره وسيرته فكتب حُمران بن أبان مولى عثمان إلى عثمان بخبره فكتب عثمان إلى عبدالله بن عامر بن كريز في حمله فحملة فلمّا قدم عليه فرآه وقد أعظم الناس إشخاصه وإزعاجه عن بلده لعبادته وزهده ، ألطفه وأكرمه وردّه إلى البصرة .

وروى ابن المبارك في الزهد من طريق بلال بن سعد أن عامر بن عبد قيس وُشي به إلى عثمان ، فأمر أن يُنفى إلى الشام على قتب ، فأنزله معاوية الخضراء وبعث إليه بجارية وأمرها أن تعلمه ما حاله ، فكان يقوم الليل كلّ ويخرج من السحر فلا يعود إلّا بعد العتمة ، ولا يتناول من طعام معاوية شيئاً ، كان يجيء معه بكسر فيجعلها في ماء فيأكلها ويشرب من ذلك الماء ، فكتب معاوية إلى عثمان بحاله فأمره أن يصله ويدنيه فقال : لا ارب لي في ذلك .

[الإصابة لابن حجر ج ٣ ص ٨٥]

وذكر ابن قتيبة في المعارف ص ٨٤ و ١٩٤ ، وابن عبد ربّه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٦١ ، والراغب في المحاضرات ج ٢ ص ٢١٢ جملة ممّا نُقم به على عثمان وعدّوا منه : إنّه سيّر عامر بن عبد قيس من البصرة إلى الشام ، وقال ابن قتيبة : كان خيراً فاضلاً .

قال الأُميني : منظرٌ غريبٌ لعمرُك في ذلك اليوم ، أليس من المستغرب أن صلحاء البلاد مضطهدون فيه على بكرة أبيهم ؟ فمن راسفٍ تحت نير الإضطهاد ، ومن معتقل في غيابة الجبّ ، ومن مغترب يجفل به من منفى إلى منفى ، ومن منقطع عن العطاء ، ومن ممقوت ينظر إليه شزراً ، ومن مضروب تُدقّ به أضالعه ، إلى

(١) أنساب البلاذري ج ٥ ص ٤٣ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ٩٤ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٦٢ ، تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٩٠ .

مشتوم يُهتك في المأى الديني لِمَاذَا ذلك كله ؟ لأنهم غضبوا للحق ، وأنكروا المنكر ، فهلاً كان في وسع مَنْ يفعل بهم ذلك إقناعهم بالإقلاع عمّا ينكرونه وفيه رضا الله قبل كل شيء ، ومرضاة رسوله من بعده ، ومرضاة الأمة جمعاء ، وبه كانت تُدحر عنه المثالات وتُخمد الفتن ، وكانت فيه مجلبة للموَدَّة ، ومكتسح للقلاقل ، وهو أدعى لجمام النفس ، وسيادة الأمن ، وإزاحة الهرج ، وكان خيراً له من ارتكاب العظائم بالنفي والضرب والشتم والإزعاج والجفوة ، ولو كان الخليفة يرى خطأهم في إنكارهم عليه فإنه كان في وسعه أن يعقد لهم محتفلاً للتفاهم ، فإمّا أن يتنازلوا عن بعض ما أرادوا ، أو يتنازل هو عن بعض ما يبتغيه ، أو يتكافأ في التنازل فتقع خيرة الكل على أمر واحد ، وكان عقد هذا المتمدن خيراً له ممّا عقده للنظر في شأن عامر بن عبد قيس ، وجمع خلقاً من أصول الجور ، وجذوم الفتن ، وجرائم العيث والفساد ، فروع الشجرة الملعونة ، وهم الذين جرّوا إليه الولايات بجورهم وفجورهم واستعبادهم الأمة وابتغائهم الغوائل ، وهملجتهم وراء المطامع ، فلم يُسمع منهم في ذلك المجتمع ولا في غيره إلا رأي مُستغش ، ونظرية خائن ، أو أفيكة مائن ، أو دسيسة لعين بلسان النبيّ الأقدس مرةً بعد أخرى ، وهو مع ذلك يراهم وزراءه ونصحاءه وأهل ثقته أولاً تعجب من خلافة يكون هؤلاء وزراءها ونصحاءها وأهل ثقة صاحبها ؟ .

ثم انظر كيف كان التفاهم بين الرجلين : الخليفة وسفير المسلمين إليه ، هذا يذكره بالتقوى والتوبة إلى الله وينهاه عن ارتكاب العظائم التي استعظمها المسلمون العلماء منهم والقراء والنسك وذوو الرأي والمسكة ، والخليفة يعدّ ما استعظمته الأمة من المحقّرات ، ثم يهزأ به ويقذفه بقلة المعرفة مشفوعاً ذلك باليمين كما قذف به كعباً وصعصعة بن صوحان وسمع منهما ما سمعه من عامر لأنهم حملة العلم ، والعلم حرفٌ واحد كثّر الجاهلون .

والأعجب كيف يعير الخليفة إلى سعاية حمران بن أبان أذنأ واعية وقد رآه على الفاحشة هو بنفسه وذلك أنه تزوّج امرأة في العدة فضربه ونفاه إلى البصرة^(١)

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٩١ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٦٠ .

وأُسِّرَ إليه سرّاً فأخبر به عبدالرحمن بن عوف ، فغضب عليه عثمان ونفاه^(١) وقال البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٧٥ : كان عثمان وجّه حُمران إلى الكوفة حين شكا الناس الوليد بن عقبة ليأتيه بحقيقة خبره فرشاه الوليد فلمّا قدم على عثمان كذب عن الوليد وقرّظه ثمّ إنّه لقي مروان فسأله عن الوليد فقال له : الأمر جليل فأخبر مروان عثمان بذلك فغضب على حمران وغرّبه إلى البصرة لكذبه إيّاه وأقطعه داراً .

كيف وثق خليفة المسلمين بخبر إنسان هذا شأنه من الفسق والتهوّر والله جلّ إسمه يقول : ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ، أَنْ تَصِيبُوا قَوْمًا بَٰجِهَالَةً﴾ . الآية ؟ .

ثمّ اعجب أنّ حمران نفاه الخليفة على فسقه وأقطعه داراً لجمع شمله ، والعبد الصالح أبو ذر الغفاري الصادق المصدوق أجفل إلى الربذة ، وتُرك في البرّ الأقفّر لا يأوي إلى مضرب ، ولا يظلّه خباء ، هذا من هوان الدنيا على الله .

وهل الخليفة عرف عامراً ومكانته في الامة ومنزلته من الزهد والتقوى ومحله من التعبد والنزاهة ، فأصاخ فيه إلى قول الوشاة وأشخصه إلى المدينة مرّة وسيّره إلى الشام على القتب أخرى ، وأزرى به وأهانته حين مثل بين يديه ؟ أو أنّه لم يعرفه ولا شيئاً من فضله ، فوثق بما قالوه ؟ وكان عليه أن يعرفه لمّا علم بسفارته من قبّل وجهاء البصرة وأهل الحريجة والتقوى ، ذوي الحلوم الراجحة ، والآراء الناضجة ، فإنّهم لا يرسلون طبعاً إلّا من يرضونه في مكانته وعلمه وعقله وتقواه . وهل كان فيما يقوله مغضبة أو أنّه ما كان يتحرّى صالح الامة وصلاح من يسوسها ؟ .

إنّ من العصيب أن نعترف بأنّه ما كان يعرف عامراً وصلاحه ، فقد كان يسير بذكره الركبان ، وهبّت بأريج فضله النسائم في الأجواء والأرجاء ، وفي طيّات المعاجم والسير اليوم نماذج من تلكم الشهرة الطائلة عن عامر بين العباد وفي البلاد يوم ألزم نفسه أن يصليّ في اليوم واللييلة ألف ركعة^(٢) فكانوا يعدّونه من أولياء الله المقربين ، وأوّل الزهاد الثمانية ، وذكروا له كرامات ومكرمات .

(١) نهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٤ .

(٢) تاريخ ابن عسّاك ج ٧ ص ١٦٩ ، الاصابة ج ٣ ص ٨٥ .

نظرة في قصة عامر ٧٩

أفمن الممكن إذن أن لا يعرفه الخليفة ؟ ولم يكن فيما ينكره إلا ما أصفق على إنكاره أهل الحل والعقد يومئذ من الصالح العام في الحواضر الإسلامية كلها ، غير أنهم لم يجدوا كما أن عامراً لم يجد أذنًا مصغية لهاتفهم ، فتكافىء دؤوب الخليفة على التصامم ودؤوب القوم على الإنكار حتى استفحل الخطب ودارت الدوائر .

وهلمّ معي ننظر إلى رواية الضعفاء رواية كذاب متروك عن مجهول منكر عن وضاع متهم بالزندقة متفق على ضعفه : السري عن شعيب عن سيف بن عمر عن محمد وطلحة : إن عثمان سير حمران بن أبان أن تزوج امرأة في عدتها وفرق بينهما وضربه وسيره إلى البصرة ، فلما أتى عليه ما شاء الله وأتاه عنه الذي يحب ، أذن له فقدم عليه المدينة ومعه قوم سعا بعامر أنه لا يرى التزويج ، ولا يأكل اللحم ، ولا يشهد الجمعة فألحقه عثمان بمعاوية فلما قدم عليه رأى عنده ثريداً فأكل أكلاً عربياً ، فعرف أن الرجل مكذوب عليه فعرفه معاوية سبب إخراجه فقال : أما الجمعة فإنني أشهدها في مؤخر المسجد ثم أرجع في أوائل الناس ، وأما التزويج فإنني خرجت وأنا يخطب عليّ ، وأما اللحم فقد رأيت^(١) .

أولا تعجب من الذين اتخذوا هذه الرواية مصدراً في تعذير عثمان عن نفي عامر وإشخاصه وهم يبطلون الرواية في غير هذا المورد بوجود واحد من رجال هذا السند الثلاثة ، لكنهم يحتجون بروايتهم جميعاً ها هنا ، وفي كل ما نقم به على عثمان ؟

ثم لننظر فيما وُشي به على الرجل بعد الفراغ من النظرة في حال الواشي وهو حمران المتقدم ذكره ، هل يوجب شيء منها ذماً أو تعزيراً أو تأديباً أو تغريباً ؟ وهل هي من المعاصي المسقطه لمحل الإنسان ؟ أما ترك التزويج فلم يثبت حرمة إن لم يكن من باب التشريع وأخذه ديناً ، وإنما النكاح من المرغّب فيه ، على أنه كان لم يزل يخطب لنفسه لكنه لا يجد من يلائمه في خفه المؤنة ، أخرج أبو نعيم في

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٩١ ، تاريخ ابن عساکر ج ٧ ص ١٦٧ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٦٠ ، اسد الغابة ، تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٨٩ .

الحلية ج ٢ ص ٩٠ : إنَّ عامر بن عبد قيس بعث إليه أمير البصرة فقال : إنَّ أمير المؤمنين أمرني أن أسألك مالك لا تزوّج النساء ؟ قال : ما تركتهنَّ وإنِّي لدائبٌ في الخطبة ، قال : ومالك لا تأكل الجبن ؟ قال : أنا بأرض فيها مجوس فما شهد شاهدان من المسلمين أن ليس فيه ميتة أكلته . قال : وما يمنعك أن تأتي الامراء ؟ قال : إنَّ لدى أبوابكم طلاب الحاجات فادعوهم واقضوا حوائجهم ، ودعوا من لا حاجة له إليكم .

وأخرج من طريق أحمد بن حنبل بإسناده عن الحسن قال : بعث معاوية إلى عبدالله بن عامر أن انظر عامر بن عبد قيس فأحسن إذنه وأكرمه ومره أن يخطب إلى من شاء وامهر عنه من بيت المال ، فأرسل إليه أن أمير المؤمنين قد كتب إليَّ وأمرني أن آمرك أن تخطب إلى من شئت وأمهر عنك من بيت المال . قال : أنا في الخطبة دائبٌ . قال : إلى من ؟ قال : إلى من يقبل مني الفلقة والتمرة .

وهذان الحديثان يكذبان ما جاء به السري ، ولو صحَّ ذلك فما وجه هذه المسألة في أيام معاوية عن تزويج عامر ؟

وأما ترك اللحوم فليس من المحرّم ايضاً وقد جاءت السنّة بتحليلها كلّها من غير ايجاب ، نعم تركها النهائي مكروهٌ إن لم يكن من باب التدبّر ، وقد تستدعي المبالغة في الزهادة الذهول عن شؤون الدنيا بأسرها فلا يلتفت صاحبها إلى الملاذ كلّها ، وكان مع ذلك لعامر عذر ، قال ابن قتيبة في المعارف ص ١٩٤ : وكان سبب تسييره أن حمران بن أبان كتب فيه : أنه لا يأكل اللحم ، ولا يغشى النساء ، ولا يقبل الأعمال ، فعرض بأنّه خارجيٌّ ، فكتب عثمان إلى ابن عامر : أن أدع عامراً فإن كانت فيه الخصال فسيّره فسأله فقال : أمّا اللحم فإنني مررت بقصّاب يذبح ولا يذكر اسم الله ، فإذا انتهت اللحم اشترت شاة فذبحتها ، وأمّا النساء فإن لي عنهنَّ شغلاً ، وأمّا الأعمال فما أكثر من تجدونه سواي . فقال له حمران : لا أكثر الله فينا أمثالك ، فقال له عامر : بل أكثر الله فينا من أمثالك كسّاحين حجّامين .

وأما عدم الحضور للجمعة : فقد بين عامر نفسه حقيقته لمعاوية وهو الصادق

تسيير الخليفة عبدالرحمن ٨١

الأمين على أنه كان له أن لا يحضر الجمعة والجماعة إن لم ير لمقيمها أهلية للإتمام به ، وليس من المنكر ذلك في حق الولاة الأمويين يومئذ .

وعلى فرض صحة الرواية وكون كل ممّا نُزبه حوباً كبيراً فكان من الميسور تحقيق حال الرجل من قبل والي البصرة كما وقع ذلك فيما مرّ من رواية أبي نعيم بالنسبة إلى التزويج وأكل الجبن وإتيان الأمراء . ولا أدري هل من الفرائض في الشريعة السماح أكل الجبن بحيث يوجب تركه التجسس والتفتيش ؟ وعلى كلّ فما الموجب لإجفال الرجل العظيم من مستقرّ أمنه على قتب إلى الشام منفى الشائرين علي الخليفة ؟ وأيُّ عقل يقبل تسييره وتعذيبه لتلك الامور التافهة ؟ نعم : الغريق يشبّث بكلّ حشيش .

٤٦ - تسيير الخليفة عبدالرحمن الجمحي :

عُدّ ممّن سيّره الخليفة عبدالرحمن بن حنبل الجمحي . قال يعقوبي : سيّر عبدالرحمن صاحب رسول الله ﷺ إلى القموس^(١) من خيبر ، وكان سبب تسييره إياه أنه بلغه كرهه مساوئ ابنه وخاله وأنه هجاه .

وقال العلائي عن مصعب وأبو عمر في الإستيعاب أنه لما أعطى عثمان مروان خمس مائة ألف من خمس أفريقية قال عبدالرحمن :

وأحلف بالله جهد اليمين	ما ترك الله أمراً سدى
ولكن جعلت لنا فتنة	لكي نُبتلى بك أو تُبتلى
دعوت الطريد فأدنيته	خلفاً لما سنّه المصطفى
وولّيت قرباك أمر العباد	خلفاً لسنة من قد مضى
وأعطيت مروان خمس الغنيمة	آثرته وحميت الحمى
ومالاً أتاك به الأشعري	من الفيء أعطيته من دنا
فإنّ الأمينين قد بيّنا	منار الطريق عليه الهدى

(١) كذا في لفظ يعقوبي . وفي الاصابة : الغموص كما في الأبيات . والصحيح : القموص . باللقاف المفتوحة وآخره صاد مهملة .

فما أخذنا درهماً غيلة ولا قسماً درهماً في هوى^(١)
فأمر به فحبس بخير ، وأنشد له المرزباني في معجم الشعراء أنه قال وهو
في السجن :

إلى الله أشكولاً إلى الناس ما عدا أبا حسن غلاً شديداً أكابده
بخير في قعر الغموص كأنها جوانب قبر أعرق اللحد لاحده
إن قلت حقاً وأنشدت أمانة قُلت ، فمن للحق إن مات ناشده ؟
وكتب إلى عليٍّ وعمار من الحبس :

أبلغ علياً وعماراً فإنهما بمنزل الرشيد إن الرشيد مُبتدر
لا تتركاً جاهلاً حتى يوقره دين الإله وإن هاجت به مُرر
لم يبق لي منه إلا السيف إذ علقت حبال الموت فينا الصادق البرر
يعلم بأنني مظلومٌ إذا ذكرت وسط النديّ حجاج القوم والعذر
فلم يزل عليٌّ يكلم عثمان حتى خلى سبيله على أنه لا يساكنه بالمدينة فسيّره
إلى خير فأنزله قلعة بها تسمى « القموص » فلم يزل بها حتى ناهض المسلمون
عثمان وساروا إليه من كل بلد فقال عبد الرحمن :

لولا عليٌّ فإن الله أنقذني على يديه من الأغلال والصفد
لما رجوت لدى شدّ بجامعة يُمنى يديّ غياث الفوت من أحد
نفسي فداء عليٍّ إذ يخلصني من كافر بعد ما أغضى على صمد
كان عبد الرحمن مع عليٍّ في صفين قال الطبري من طريق عوانة : إنه جعل
ابن حنبل يقول يومئذ .

إن تقتلونني فأنا ابن حنبل أنا الذي قد قلت فيكم نعثل
راجع تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٥ ، تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ١٥٠ ،
الإستيعاب ج ٢ ص ٤١٠ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٦ ، الإصابة ج ٢
ص ٣٩٥ .

قال الأُميني : هذا أحد المعذّبين الذين أقلّتهم غيابة الجبّ مُصقّداً بالحديد

(١) قد تنسب هذه الايات الى أسلم راجع ج ٨ ص ٣٠٠ .

تسيير الخليفة علياً ٨٣

ولم يجهز عليه إلا إنكاره المنكر ، وجنوحه إلى الحق المعروف ، والكلام فيه لدة ما كررناه في غير واحد من زملائه الصالحين ، وأحسن ما ينم عن سريرته شعره الطافح بالإيمان .

٤٧ - تسيير الخليفة علياً أمير المؤمنين :

لعلَّ التبسُّط في البحث عما جرى بين عثمان أيام خلافته وبين عليٍّ أمير المؤمنين يوجب خدش العواطف ، وينتهي إلى ما يُحمد عقباه ، والتاريخ وإن لم يحفظ منه إلا النزر اليسير غير أنَّ في ذلك القليل غنى وكفاية وبه تُعرف جليَّة الحال ، ونحن نمُرُّ به كراماً ، فلا نحوم حول البحث عن كلمه القوارص لعلِّي نلصق ، البعيدة عن ساحة قدسه النائية عن مكانته الراقية التي لا يُدرك شأوها ، ويقصر دون استكناهاها البيان .

أيسع لمن أسلم وجهه لله وهو محسن وآمن بالكتاب وبما نزل من آية في سيدِّ العترة ، وصدَّق بالنبيِّ ﷺ وبما صدع به من فضائل عليٍّ عليه السلام ، وجاوره مع ذلك حقباً وأعواماً بيت بيت ، ووقف على نفسيَّاته الكريمة وهو على ضمادة من أفعاله وتروكه وشاهد مواقفه المبرورة ومساعيه المشكورة في تدعيم الدين الحنيف ، أيسع لمسلم هذا شأنه أن يخاطب أخا الرسول المطهر بلسان الله بقوله : لِمَ لا يشتبك - مروان - إذا شتمته فوالله ما أنت عندي بأفضل منه^(١) ؟ ومروان طريد رسول الله وابن طريده ولعيته وابن لعيته .

أم بقوله له : والله يا أبا الحسن ! ما أدري أشتي موتك ؟ أم أشتي حياتك ؟ فوالله لئن متَّ ما أحبُّ أن أبقى بعدك لغيرك لأنِّي لا أجد منك خلفاً ، ولئن بقيت لا أعدم طاعياً يتخذك سُلماً وعضداً ، وبعدك كهفاً وملجأً ، لا يمنعني منه إلا مكانه منك ومكانك منه ، فأنا منك كالابن العاقُّ من أبيه إن مات فجعه وإن عاش عقه . إلى آخر ما مرَّ في ص ٣٦ ؟ .

أم بقوله له . ما أنت بأفضل من عمار ، وما أنت أقلَّ استحقاقاً للنفي

منه^(٢) ؟ .

(١) راجع ج ٨ ص ٣٥٤ ، ٣٦٠ .

(٢) الفتنة الكبرى ص ١٦٥ .

أم بقوله له : أنت أحقُّ بالنبي من عمّار^(١) ؟ .

أم بقوله الغليظ الذي لا يحبُّ المؤرّخون ذكره ونحن سكتنا عن الإعراب عنه^(٢) ؟ .

وبعد هذه كلّها يزحزحه عليه السلام عن مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويُقلقه من عقر داره ويخرجه إلى ينبع مرةً أخرى قائلاً لابن عبّاس : قل له فليخرج إلى ماله بالينبع ، فلا أغتمّ به ولا يغتمّ بي .

ألا مُسائل الرجل عمّا أوجب أولويّة الإمام الطاهر المنزه عن الخطل ، المعصوم من الزلل بالنبي ممّن نفاهم من الأمّة الصالحة ؟ أكان بزعمه عليّ عليه السلام شيعياً إشتراكياً شيخاً كذاباً كأبي ذر الصّادق المصدّق ؟ أم كان عنده دويبة سوء كابن مسعود أشبه الناس هدياً ودلاً وسمتاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟

أم كان الرجل يراه ابن متكاء ، عاضاً أير أبيه ، طاغياً كذاباً يجترىء عليه ويجرّء عليه الناس كعمّار جِلدة ما بين عيني النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ؟

أم كان يحسبه معالجاً نير نجاً ككعب بن عبدة الصالح الناسك ؟

أم كان يراه تاركاً الجبن واللحم والجمعة والتزويج كعامر بن عبد قيس القارئ الزاهد المتعبّد ؟

أم كان الإمام متكلماً بالسنة الشياطين غير عاقل ولا دين كصلحاء الكوفة المنفيين ؟

سأشأ صنو النبيّ الأقدس عن أن يُرمى بسقطة في القول أو في العمل بعد ما طهره الجليل ، وأتخذ نفسه لنبيّه ، واختارهما من بين بريّته نبياً ووصياً .

وحاشا أولئك المنفيّون من الصحابة الأوّلين الأبرار والتابعين لهم بإحسان عن تلكم الطامات والأفائك والنسب المفتعلة .

(١) راجع صفحة ٣٧ من هذا الجزء .

(٢) راجع ج ٨ ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٦ ، ٣٢٣ .

نظرة في تسيير أمير المؤمنين ٨٥

نعم كان يرى الرجل كلاً من أولئك الصفوة البررة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر طاغياً يتخذ علياً عليه السلام سُلماً ويعده كهفاً وملجأً يدافع عنهم بوادر غضب الخليفة ، ويحول بينهم وبين ما يرومه من عقوبة تلك الفئة الصالحة الناقمة عليه لما ركبه من النهاير ، فدفع هذا المانع الوحيد عن تحقق هواجس الرجل كان عنده أولى بالنفي من أولئك الرجال المنفيين ، ولولاه لكان يشفي منهم غليله ، ويتسنى له ما كان يبتغيه من البغي عليهم ، والله يدافع عن الذين آمنوا وإنه على نصرهم لقدير .

على أنه ليس من المعقول أن يكون من يأوي إلى مولانا أمير المؤمنين وآواه هو طاغياً كما يحسبه هذا الخليفة ، فإنه لا يأوي إلى مثله إلا الصالح الراشد من المظلومين وهو عليه السلام لا يحمي إلا من هو كذلك ، وهو ولي المؤمنين ، وأمير البررة ، وقائد الغر المحجلين ، وإمام المتقين ، وسيد المسلمين ، كل ذلك نصاً من الرسول الصادق الأمين وليتني أدري مم كان يغتم عثمان من مكان أمير المؤمنين عليه السلام بالمدينة ؟ ووجوده رحمةً ولطفً من الله سبحانه وتعالى على الأمة جمعاء لاسيما في البيئة التي تقله ، يكسح عن أهلها الفساد ، ويكبح جماح المتغلبين ، ويقف أمام نعرات المتهوسين ، ويسير بالناس على المنهج اللائق سيراً سجيحاً .

نعم : يغتم به سماسة النهمة والشره فيروقه بعباده ليهملج كل منهم إلى غاياته قلق الوضين . وما كان هتاف الناس به يومئذٍ إلا لأن يقيم أود الجامعة ، ويعدل الخطّة العوجاء ، ويقف بهم على المحجة الواضحة ، غير أن ذلك الهتاف لا يروق من لا يروقه ذلك كله ، فالإغتمام به جنابةً على المجتمع الديني ، ووقوف أمام سير الصالح العام .

ولعمر الله أن هذه القوارص هي التي فتحت باب الجرأة على أمير المؤمنين بمصراعيه طيلة حياته ، وهتكت منه حجاب حرمة وكرامته ، وأطالت عليه السنة البذاءة والوقية فيه ، وعثمان هو الذي أزرى الإمام في الملأ الديني ، وصغره في أعين الناس وجراً عليه طغام الأمويين وسفلة الأعراب ، فبأذاه أبناء أمية وهم على آسال خليفتهم اتخذوه أسوةً وقدوةً في شتيمته وقذيعته وآذوا نبيهم في أخيه علم الهدى ،

٨٦ الغدير ج - ٩

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ، وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغِيرَ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ .

٤٨ - آية نازلة في الخليفة :

أخرج الواحدي والثعلبي من طريق ابن عباس والسدي والكلبي والمسيب بن شريك قالوا : نزل قوله تعالى في سورة النجم ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ : ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ، وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ ، ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾^(١) . نزلت في عثمان رضي الله عنه كان يتصدق وينفق في الخير فقال له أخوه من الرضاعة عبدالله بن أبي سرح : ما هذا الذي تصنع ؟ يوشك أن لا يُبقي لك شيئاً . فقال عثمان : إن لي ذنباً وخطايا وإنِّي أطلب بما أصنع رضا الله تعالى وأرجو عفوه ، فقال له عبدالله : أعطني نافتك برحلتها وأنا أتحمل عنك ذنوبك كلها . فأعطاه وأشهد عليه وأمسك عن بعض ما كان يصنع من الصدقة ، فأنزل الله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ . الخ . فعاد عثمان إلى أحسن ذلك وأجمله .

وذكره مجمع من المفسرين وفي تفسير النيسابوري : معنى تولى : ترك المركز يوم أحد .

راجع أسباب النزول للواحدي ص ٢٩٨ ، تفسير القرطبي ج ١٧ ص ١١١ ، الكشف ج ٣ ص ١٤٦ ، تفسير النيسابوري هامش الطبري ج ٢٧ ص ٥٠ ، تفسير الشربيني ج ٤ ص ١٢٨ .

قال الأميني : لا غرابة من ابن أبي سرح وقد تشاكلت أحواله يوم كفره وإسلامه وردته وزلفته من عثمان على عهد خلافته إن لهج بهذه السخافة التي لا تلائم أياً من نوااميس العدل . ولكن إن تعجب فعجب قبول عثمان تلکم الخرافة منه ، ومنحه إياه ناقته برحلتها على أن يحمل عنه ذنوبه ﴿ولا تزرؤازرةً وزرأخرى﴾

(١) قال ابن عباس ومجاهد وطاوس وقتادة والضحاك : أكدى : انقطع فلا يعطي شيئاً . يقال : البئر أكدت .

نظرة في الآية النازلة في عثمان ٨٧

وإشهاده عليه وإمساكه عن الصدقات ، وحسابه أن ما قاله ذلك الساجر كائن لا محالة ، كأن بيد ابن أبي سرح أزمة الحساب ، وعنده مقاليد يوم القيامة ، وهو الخبير بما يكون فيه ، فأنبأه بأن ذنوبه مُحيت بتلك المبادلة ، أو أن عثمان نفسه كان يعلم الغيب ، فهو يرى أن ما يقوله حميمه حق ، وكأنه نسي قوله تعالى : ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون ، ولحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليُسألن يوم القيامة عما كنوا يفترون﴾^(١) وقوله تعالى : ﴿مَنْ يَعْمَلْ سَوْأً يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾^(٢) وقوله تعالى : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٣) وقوله تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ﴾^(٤) ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبْهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾^(٥) ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾^(٦) ﴿وَلتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٧) إلى آي كثيرة من أمثالها وهي كلها تقرّر حكم العقل بقبح أخذ أي أحد بجريمة غيره .

والعدل يحكم بأن ابن أبي سرح وهو مثال المآثم والمخازي إن حُمِّلَ إثمًا من جرّاء قولته هذه فإنما هو جرّاته على الله تعالى وتصغيره عظمة نيران القسط الإلهي ونهيه عن الصدقة لا ما سبق لعثمان إقترافه من السيئات ، لكن هلمّ معي إلى ضؤولة عقل مَنْ يصدّق تلك المَهْزَاةَ ، ويرتّب عليها آثاراً عمليّة حتّى ندّد به الذكر الحكيم .

وهب أنا غاضينا الراوي على عود الرجل إلى ما كان بعد نزول الآية الكريمة ، لكن ذلك لا يُجديهِ نفعاً يُزيح عنه وصمة ضعف الرأي وقوّة الرعونة فيه ،

(١) سورة العنكبوت ؛ الآيتان : ١٢ ، ١٣ .

(٢) سورة النساء ؛ الآية : ١٢٣ .

(٣) سورة الزلزلة ؛ الآيتان : ٧ ، ٨ .

(٤) سورة المدثر ؛ الآية : ٣٨١ .

(٥) سورة النساء ؛ الآية : ١١١ .

(٦) سورة غافر ؛ الآية : ١٧ .

(٧) سورة الجاثية ؛ الآية : ٢٢ .

نعم : كان يُجديه لو لم يعبأ بتلكم الضلالة ، أو أنه عدل عنها بقوة التفكير لا بتوبيخ الوحي الإلهي ، وليته لم يعدل فإنه عدل إلى ما عرفت من سيرته في الصدقات ، وجاء يخضم مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع .

٤٩ - الخليفة لا يعرف المخلص من النار :

أخرج ابن عساكر في تاريخه ج ٢ ص ٥٨ من طريق أحمد بن محمد أبي علي بن مكحول البيروتي قال : مرَّ عمر على عثمان بن عفان فسلم عليه فلم يردَّ عليه السلام فجاء عمر إلى أبي بكر الصديق فقال : يا خليفة رسول الله ! ألا أخبرك بمصيبة نزلت بنا من بعد رسول الله ؟ قال : وما هي ؟ قال : مررت على عثمان فسلمت عليه فلم يردَّ عليَّ السلام . فقال أبو بكر : أو كان ذلك ؟ قال : نعم . فأخذ بيده وجاء إلى عثمان فسلمًا عليه فردَّ عليهما السلام . فقال أبو بكر : جاءك عمر فسلم عليك فلم تردَّ عليه ؟ فقال : والله يا خليفة رسول الله ! ما رأيته . قال : وفي أي شيء كانت فكرتك ؟ قال : كنت مفكرًا في رسول الله ﷺ فارقناه ولم نسأله : كيف الخلاص والمخلص من النار ؟ فقال أبو بكر : والله لقد سألت رسول الله ﷺ فأخبرني فقال عثمان : ففرج عنا قال أبو بكر : قال رسول الله ﷺ : تمسكوا بالعروة الوثقى قول لا إله إلا الله .

قال الأُميني : أكان في أذن الرجل وقرَّ على عهد النبوة عمَّا كان يتهالك دونه رسول الله ﷺ ويهتف به آناء الليل وأطراف النهار منذ بدء البعثة إلى أن لقي ربه من الإشادة بكلمة التوحيد ، وأنَّ الإخلاص بها هو المنقذ الفدِّ ، والسبب الوحيد للنجاة من الهلكة التي من ورائها النار ، وأنَّ ﴿من يسلم وجهه لله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾^(١) ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾^(٢) ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة﴾^(٣) ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار﴾^(٤) .

(١) سورة لقمان ؛ الآية : ٢٢ .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٥٦ .

(٣) سورة البقرة ؛ الآية : ٨٢ .

(٤) سورة المائدة ؛ الآية : ٧٢ .

الخليفة لا يعرف المخلص من النار ٨٩

ألم يك يسمع ندائه ﷺ : قولوا لا إله إلا الله تفلحوا؟^(١) .
وقوله : مَنْ شهد أن لا إله إلا الله ، وأنَّ محمّداً رسول الله ، حرّم الله عليه النار .

وقوله : مَنْ قال : لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة .
وقوله : ما مِنْ أحد يشهد أن لا إله إلا الله ، وأنَّ محمّداً رسول الله ، صدقاً من قلبه إلاّ حرّمه الله على النار .

وقوله : إني لأعلم كلمة لا يقولها عبدٌ حقّاً من قلبه فيموت على ذلك إلاّ حرّم على النار : لا إله إلاّ الله . إلى أحاديث كثيرة جمع جملة ضافية منها الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ج ٢ ص ١٦٠ - ١٦٤ .

أو أن الرجل كان يسمع هذه الكلمات الذهبية ، لكنّه لا يعيرها أذنّاً واعية فَنسيها ؟ فإن كان لم يعر هذه وهي أساس الدعوة فما الذي وعاه ؟ وما الذي تعقله من نبيّ جاء وذهب ولم يعرف ما هو المخلص من النار ؟ ولم يبعث إلاّ لانتشال أُمته منها ، وفي يده كتابه الكريم فيه تبيان كلّ شيء ، وأيّ نبيّ كان يحسبه عثمان ، نبيّ العظمة ؟ وعلى أيّ أساس علا صُروح إسلامه ؟ وأيّ مسلم هذا يدرك أيام دعوة نبيّه كلّها ثمّ يدركه ﷺ الموت ولم يعرف المسكين بعد ما ينجيه من النار ؟ نعم : لم يأل نبيّ الإسلام في تنوير سبل السّلام ، وإنقاذ البشر من النار ، فماذا عليه إن لم تصادفه نفسٌ صاغية إلى تعاليمه فلم تحفظها ؟ .

٥٠ - ترك الخليفة التكبير في كلّ خفض ورفع :

أخرج أحمد بالإسناد عن مطرف عن عمران بن حصين قال : صلّيت خلف عليّ صلاة ذكرني صلاة صلّيتها مع رسول الله ﷺ والخليفين قال : فانطلقت فصلّيت معه فإذا هو يكبر كلّما سجد وكلّما رفع رأسه من الركوع فقلت : يا أبا نجيد مَنْ أول مَنْ تركه ؟ قال : عثمان رضي الله عنه حين كبر وضعف صوته تركه^(٢) .

(١) تاريخ البخاري ج ٤ القسم الثاني ص ١٤ .

(٢) مسند احمد ج ٤ ص ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٢ ، ٤٤٠ ، ٤٤٤ .

قال الأمين : سيوافيك البحث الضافي في الجزء العاشر إن شاء الله تعالى حول التكبير في الصلاة عند كل رفع وخفض وأنها سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ تسالمت عليها الأمة ، وعمل بها الصحابة ، واستقر عليها إجماع أئمة المذاهب ، وهذا الحديث يعطينا خبراً بأن أول من تركها هو عثمان وتبعه معاوية وبنو أمية ، وما زال الناس على هذا المزن وتمرت عليه الأمة طوعاً أو كرهاً حتى ضاعت السنة الثابتة ونسيت ، وكان من جاء بها يُعدُّ أحمقاً كأنه ارتكب بأمرٍ شاذ عن الشرع المقدس ، والتبعة في ذلك كله على الخليفة البادي بترك سنة الله التي لا تبدل لها . قال الزرقاني في شرح الموطأ ج ٢ ص ١٤٥ : ولأحمد عن عمران : أول من ترك التكبير عثمان حين كبر ، وللطبري عن أبي هريرة : أول من ترك معاوية ، ولأبي عبيد : أول من تركه زياد . ولا ينافي ما قبله لأن زياداً تركه بترك معاوية ، وكأنه تركه بترك عثمان وقد حملة جماعة من العلماء على الإخفاء . هـ .

وتبرير عمل عثمان بالحمل على الإخفاء ياباه صريح لفظ ترك . وإنما يخبر ابن حصين عن تكبير أمير المؤمنين في الهوي والانتصاب لا عن جهره به ، والسائل إنما يسأله عن أول من تركه لا عمن خافت به أولاً ، ويزيفه ما يأتي عن ابن حجر والشوكاني وغيرهما من قولهم كما سمعت عن الزرقاني : كان معاوية تركه بترك عثمان . ولم يؤثر عن معاوية غير الترك والتنقيص كما يأتي حديثه بلفظ نقص ، وقد اتبع أثر عثمان في أحداثه فإلى الملتقى .

نتاج البحث :

هذه نبذة قليلة نشرتها يد التاريخ الجانية بعد أن طوى كشحاً عن ذكر مهمات ما جرى في ذلك العهد المشحون بالقلق ، الطافح بالفتن ، المفعم بالهناث ، وقد عرفناه جانباً بسترلکم الحقائق ، جنوحاً إلى العاطفة ، سائراً مع الميول ، والتاريخ حرٌّ يجب أن يمضي مع الواقع وأن لا يلويه مع القصد تعصب لأحد أو تحيز إلى فئة ، لكن القوم لم يسيروا في سرد التاريخ كما يجب عليهم ، فطفقوا يُحرِّفون الكلم عن مواضعه ، ويثبتون ما يوافق هواهم ، ويدعون ما لا يروقههم .

قال الطبري في تاريخه ج ٥ ص ١٠٨ : إن الواقدي ذكر في سبب مسير

نتاج البحث وجناية التاريخ ٩١

المصريين إلى عثمان ونزولهم ذا خُشب اموراً كثيرة ، منها ما تقدّم ذكره ، ومنها ما أعرضت عن ذكره كراهة منّي ذكره لبشاعته .

وقال في ج ٥ ص ١١٣ : قد ذكرنا كثيراً من الأسباب التي ذكر قاتلوه أنهم جعلوها ذريعة إلى قتله ، فأعرضنا عن ذكر كثير منها لعل دعت إلى الإعراض عنها .

وقال في ص ٢٣٢ : إنَّ محمد بن أبي بكر كتب إلى معاوية لمّا ولي فذكر مكاتبات جرت بينهما كرهت ذكرها لما فيها ممّا لا يتحمّل سماعها العامة .

ومرّ في ج ٨ ص ٣٥٥ في ذكر ما جرى بين عليّ عليه السلام وعثمان قول المسعودي : فأجابه عثمان بجواب غليظ لا أحبُّ ذكره وأجابه عليّ بمثله .

وقال ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٧٠ : قد تركنا كثيراً من الأسباب التي جعلها الناس ذريعة إلى قتله لعل دعت إلى ذلك .

وقال ابن كثير في البداية والنهاية ج ٧ ص ١٦٦ : وفي هذه السنة (يعني ٣٣) سیر عثمان بعض أهل البصرة منها إلى الشام وإلى مصر بأسباب مسوّغة لما فعله رضي الله عنه فكان هؤلاء ممّن يؤلّب عليه ويُماليء الأعداء في الحطّ والكلام فيه وهم الظالمون في ذلك ، وهو البارُّ الراشد رضي الله عنه .

وقال في ص ١٧٧ : جرت أمورٌ سنورد منها ما تيسّر وبالله المستعان . ثمّ ذكر من الأمور ما راقه ويُلّثم ذوقه ولم يذكر إلّا سلسلة أكاذيب لم يصحّ شيء منها .

وقال الدكتور أحمد فريد رفاعي في عصر المأمون ج ١ ص ٥ : أمّا نحن فلا يُطلب ممّا أن نبدي رأينا في عثمان ، فهو صحابيٌّ عظيمٌ وله أثره الخالد في جمع القرآن وغير القرآن وله دينه السمح الذي لا تشوبه شائبة ، وما كان الدين ليحتم على الناس جميعاً أن يكون نظرهم إلى الحياة الدنيا نظر التّقشّف والزهد ، ولا يُطلب ممّا أن نثبت ضعف الحكومة العثمانية ، وإنّما يُطلب ممّا أن نسرّد الحوادث بإيجاز ، ولنا في تسلسل هذه الحوادث ودراستها وتقيد آثارها ما قد يسمح لنا بالتعرّض له حين معالجتنا الكلام عن عصرنا فيما بعد (اهـ) .

ثم ذكر ما جاء به اليعقوبي من الإيعاز إلى بعض ما نُقِمَ به على عثمان فتخلّص عن البحث فيه بما أتى به ابن الأثير من رواية الطبري عن السري الكذاب عن شعيب المجهول عن سيف المتروك الساقط المتهم بالزندقة أو عن أناس آخرين أمثال هؤلاء .

أضف إلى هذه كثيراً من كتب التاريخ المؤلفة قديماً وحديثاً فإنّها ألّفت بيد أئمة على ودائع العلم والدين ، ولعلّ في المذكور في كتابنا هذا وهو قليل من كثير مقنعاً للحصول على العلم بنفسيات الخليفة من شتى نواحيه ، ومبلغه من العلم ، ومقداره من التقوى ، ومداه من الرأي ، ومآثره من ناحية ملكاته ، وقد عرف كلّ ذلك من عاصره وعاشره ، فكانت كلمتهم في حقّه واحدة ، ورأيهم فيه فذاً ، وأعمالهم معه كلّ يشبه الآخر ، ونحن نذكر لك نماذج ممّا لُفِظَ به من قول وعُمل به من فعل في ذلك الدور القاتم بالفجائع والفظائع فدونها :
١ - حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه :

١ - من كلام له عليه السلام في معنى قتل عثمان : لو أمرت به لكنت قاتلاً ، أو نهيت عنه لكنت ناصراً ، غير أنّ من نصره لا يستطيع أن يقول : خذله من أنا خير منه ، ومن خذله لا يستطيع أن يقول : نصره من هو خير مني ، وأنا جامع لكم أمره : إستأثر فأساء الأثرة ، وجزعتهم فأسأتم الجزع ، والله حكم واقع في المستأثر والجازع^(١) .

قال ابن أبي الحديد في الشرح ج ١ ص ١٥٨ : قوله : غير أنّ من نصره . معناه إنّ خاذليه كانوا خيراً من ناصريه ، لأنّ الذين نصره كان أكثرهم فساقاً كمروان بن الحكم وأضرابه ، وخذله المهاجرون والأنصار .

٢ - من كلام له عليه السلام قاله لابن عباس وقد جاءه برسالة من عثمان وهو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبع فقال عليه السلام :

يا بن عباس ! ما يريد عثمان إلّا أن يجعلني جماً ناضحاً بالغرب^(٢) أقبل

(١) نهج البلاغة ج ١ ص ٧٦ .

(٢) الناضح : البعير يستقى عليه . الغرب : الدلو العظيمة .

حديث أمير المؤمنين (ع) ٩٣

وأدبر بعث إليّ أن أخرج ثم بعث إليّ أن أقدم ، ثم هو الآن يبعث إليّ أن أخرج ،
والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثماً^(١) .

٣ - أخرج البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٩٨ من طريق أبي حادة أنه سمع
عليّاً رضي الله عنه يقول وهو يخطب فذكر عثمان فقال : والله الذي لا إله إلا هو ما
قتلته ، ولا مالات على قتله ، ولا ساءني .

٤ - أخرج ابن سعد من طريق عمار بن ياسر قال : رأيت عليّاً على منبر
رسول الله ﷺ حين قُتل عثمان وهو يقول : ما أحببت قتله ولا كرهته ، ولا أمرت به
ولا نهيت عنه . الأنساب للبلاذري ج ٥ ص ١٠١ .

وأوعز شاعر أهل الشام كعب بن جعيل إلى قول الإمام عليه السلام بأبيات له ألا
وهي :

وما في عليّ لمستعب	مقال سوى ضمّه المحدثينا
وإيشاره اليوم أهل الذنوب	ورفع القصاص عن القاتلينا
إذا سيل عنه هذا شبهة ^(٢)	وعمى الجواب على السائلينا
فليس براضٍ ولا ساخطٍ	ولا في النُهاة ولا الأمرينا
ولا هو ساء ولا سرّه	ولا بدّ من بعض ذا أن يكونا ^(٣)

قال ابن أبي الحديد بعد ذكر الأبيات : ما قال هذا الشعر إلا بعد أن نقل إلى
أهل الشام كلام كثير لأمير المؤمنين في عثمان يجري هذا المجرى نحو قوله : ما
سرّني ولا ساءني ، وقيل له : أرضيت بقتله ؟ فقال : لم أرض ، فقيل له :
أسخطت قتله ؟ فقال : لم أسخط . وقوله تارة : الله قتله وأنا معه . وقوله تارة
أخرى : ما قتلت عثمان ولا مالات في قتله . وقوله تارة أخرى : كنت رجلاً من
المسلمين أوردت إذا وردوا ، وأصدرت إذا صدروا . ولكل شيء من كلامه إذا صحّ
عنه تأويل يعرفه أولو الألباب .

(١) نهج البلاغة ج ١ ص ٤٦٨ .

(٢) في العقد الفريد : زوى وجهه .

(٣) كتاب صفين لابن مزاحم ص ٦٣ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٦٧ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١

٩٤ الغدير ج - ٩

٥ - أخرج أبو مخنف من طريق عبد الرحمن بن عبيد : إن معاوية بعث إلى عليّ حبيب بن مسلمة الفهري وشرحبيل بن سمط ومعن بن يزيد بن الأخنس فدخلوا عليه وأنا عنده (إلى أن قال بعد كلام حبيب وشرحبيل وذكر جواب مولانا أمير المؤمنين): فقالا أتشهد أن عثمان رضي الله عنه قُتل مظلوماً ؟ فقال لهما : لا أقول ذلك . قالا : فمن لم يشهد أن عثمان قُتل مظلوماً فنحن منه بُراء . ثم قاما فانصرفا فقال عليّ : ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصَّعْمَ الدَّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مَدْبَرِينَ ، وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمِيِّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ .

كتاب صفين لابن مزاحم ص ٢٢٧ واللفظ له ، تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤ ،
الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٢٥ .

٦ - ذكر البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٤٤ في حديث قول عليّ عليه السلام
عثمان : يا عثمان ! إن الحق ثقیلٌ مریء ، وإن الباطل خفیفٌ وبیء ، وإنك متى
تصدق تسخط ومتى تكذب ترض .

٧ - كان عليّ كلما اشتكى الناس إليه أمر عثمان أرسل ابنه الحسن إليه فلما
أكثر عليه قال له : إن أباك يرى أن أحداً لا يعلم ما يعلم ، ونحن أعلم بما نفعل ،
فكف عنا ، فلم يبعث عليّ ابنه في شيء بعد ذلك ، وذكروا أن عثمان صلى
العصر ثم خرج إلى عليّ يعود في مرضه ومروان معه فرآه ثقیلاً فقال : أما والله
لولا ما أرى منك ما كنت أتكلّم بما أريد أن أتكلّم به ، والله ما أدري أيّ يوميك
أحبّ إليّ أو أبغض ، أيوم حياتك ؟ أو يوم موتك ؟ أما والله لئن بقيت لا أعدم
شامتاً يعدّك كهفاً ، ويتخذك عضداً ، ولئن مت لأفجعن بك ، فحظي منك حظّ
الوالد المشفق من الولد العاق ، إن عاش عقه ، وإن مات فجعه ، فليتك جعلت لنا
من أمرك لنا علماً نقف عليه ونعرفه ، إمّا صديقٌ مسالم ، وإمّا عدوٌّ معاني ، ولا
تجعلني كالمختنق بين السماء والأرض ، لا يرقى بيد ولا يهبط برجل ، أما والله لئن
قتلتك لا أصيب منك خلفاً ، ولئن قتلتني لا تصيب مني خلفاً ، وما أحبّ أن أبقى
بعدك . قال مروان : إي والله ، وأخرى أنه لا ينال ما وراء ظهورنا حتى تكسر

حديث أمير المؤمنين (ع) ٩٥

رماحنا ، وتقطع سيوفنا ، فما خير العيش بعد هذا ؟ فضرب عثمان في صدره وقال : ما يدخلك في كلامنا ؟ فقال عليٌّ : إني والله في شغل عن جوابكما ولكنني أقول كما قال أبو يوسف : فصبرٌ جميلٌ والله المستعان على ما تصفون .

[العقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٤ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٣٠]

٨ - في كتاب لمولانا أمير المؤمنين يوجب به معاوية بن أبي سفيان قال : وذكرت إبطائي عن الخلفاء وحسدي إياهم والبغي عليهم ، فأما البغي فمعاذ الله أن يكون ، وأما الكراهة لهم فوالله ما اعتذر للناس من ذلك ، وذكرت بغبي على عثمان وقطعي رحمه فقد عمل عثمان بما قد علمت ، وعمل به الناس ما قد بلغك ، فقد علمت أنني كنت من أمره في عزلة إلا أن تجنني فتجنّ ما شئت ، وأما ذكرك قتلة عثمان وما سألت من دفعهم إليك فإنني نظرتُ في هذا الأمر وضربتُ أنفه وعينه فلم يسعني دفعهم إليك ولا إلى غيرك ، وإن لم تنزع عن غيِّك لنعرفنك عمّا قليل يطلبونك ولا يكلّفونك أن تطلبهم في سهل ولا جبل ولا برّ ولا بحر .

كتاب صفين لابن مزاحم ص ١٠٢ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٦ ، نهج البلاغة ج ٢ ص ١٠ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٤٠٩ .

٩ - أخرج الطبري من طريق إسماعيل بن محمّد : إن عثمان صعد يوم الجمعة المنبر فحمد الله وأثنى عليه فقام رجل فقال : أقم كتاب الله ، فقال عثمان : إجلس فجلس حتى قام ثلاثاً فأمر به عثمان فجلس فتحاتوا بالحصباء حتى ما ترى السماء وسقط عن المنبر وحمل فأدخل داره مغشياً عليه فخرج رجلٌ من حجاب عثمان ومعه مصحفٌ في يده وهو ينادي : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْراً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ . ودخل عليٌّ بن أبي طالب على عثمان رضي الله عنهما وهو مغشٍ عليه وبنو أمية حوله ، فقال : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فأقبلت بنو أمية بمنطق واحد فقالوا : يا عليّ ! أهلكتنا وصنعت هذا الصنيع بأمر المؤمنين ، أما والله لئن بلغت الذي تريد لتمرنّ عليك الدنيا . فقام عليٌّ مغضباً .

تاريخ الطبري ٥ : ١١٣ ، الكامل لابن الأثير ٣ : ٦٧ .

١٠ - ذكر ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ج ١ ص ٤٢ في حديث مسألة

عمرو بن العاص ركباً : فقال له عمرو : ما الخبر ؟ قال : قتل عثمان ، قال : فما فعل الناس ؟ فقال : بايعوا علياً . قال : فما فعل علي في قتل عثمان ؟ قال : دخل عليه وليد بن عقبة فسأله عن قتله فقال : ما أمرت ولا نهيت ، ولا سرّني ولا ساءني . قال : فما فعل بقتلة عثمان ؟ فقال : آوى ولم يرص ، وقد قال له مروان : إن لا تكن أمرت فقد تولّيت الأمر ، وإن لا تكن قتلت فقد آويت القاتلين ، فقال عمرو بن العاص : خلط والله أبو الحسن .

١١ - روى الأعمش عن الحكم بن عتيبة عن قيس بن أبي حازم قال : سمعت علياً عليه السلام على منبر الكوفة وهو يقول : يا أبناء المهاجرين ! انفروا إلى أئمة الكفر ، وبقية الأحزاب وأولياء الشيطان ، إنفروا إلى من يقاتل على دم حمّال الخطايا ، فوالله الذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه ليحمل خطاياهم إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيئاً^(١) .

قال الأميني : طعن ابن أبي الحديد في هذا الحديث بمكان قيس^(٢) بن أبي حازم وقال : هو الذي روى حديث أنكم لترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته ، وقد طعن مشايخنا المتكلمون فيه وقالوا : إنه فاسق ولا تقبل روايته لأنه قال : إنني سمعت علياً يخطب على منبر الكوفة ويقول : انفروا إلى بقية الأحزاب . فأبغضته ودخل بغضه في قلبي ومن يبغض علياً عليه السلام لا تقبل روايته . ثم حمّله على فرض الصحة على إرادة معاوية من قوله : حمّال الخطايا فقال : لأنهم يحامون عن دمه ، ومن حامى عن دم إنسان فقد قاتل عليه . اهـ .

الأمسائل الرجل عن أن رواية حديث الرؤية أي منقصة وحزاة فيها وقد أخرجها البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد في مسنده ؟ فهل طعن أحد في أولئك الأئمة لروايتهم إياها ؟ .

ثم لو كان من أبغض علياً عليه السلام فاسقاً غير مقبول الرواية - كما هو الحق - فما

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٧٩ .

(٢) من رجال الصحيحين : البخاري ومسلم .

حديث أمير المؤمنين (ع) ٩٧

قيمة الصحاح عندئذ في سوق الإعتبار؟ وما أكثر ما فيها من الرواية عن مناوئي أمير المؤمنين ومنهم نفس الرجل (قيس بن أبي حازم) فقد أخرج أئمة الصحاح أحاديث من طريقه وهو من رجالهم .

على أن علماء الفن من القوم مع قولهم بأنه كان يحمل على عليّ نصوا على ثقة الرجل وقالوا : متقن الرواية ، والحديث عنه من أصحّ الإسناد ، وقال ابن خراش : كوفيّ جليل . وقال ابن معين : ثقة . وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال ابن حجر : أجمعوا على الذهبي الاحتجاج به ومن تكلم فيه فقد آذى نفسه .

[راجع تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٨٦]

وأما تأويل : (حمّال الخطايا) بإرادة معاوية منه فمن التافه البعيد عن سياق العربية نظير تأويل معاوية الحديث الوارد في عمار من قوله طريقه : تقتلك الفئة الباغية .

١٢ - كان مولانا أمير المؤمنين يخطب ويلوم الناس على تشييطهم وتقاعدهم ويستنفرهم إلى أهل الشام فقال له الأشعث بن قيس : هلاّ فعلت فعل ابن عفان ؟ فقال له : إنّ فعل ابن عفان لمخزاة على من لا دين له ولا وثيقة معه ، إنّ امرأ أمكن عدوّه من نفسه يهشم عظمه ويفري جلده لضعيف رأيه ، مأفون عقله ، أنت فكن ذاك ، إن أحببت فأما أنا فدون أن أعطي ذاك ضرب بالمشرفيّة الفصل (١) .

١٣ - من كتاب له عليه السلام كتبه إلى أهل مصر لما ولى عليهم الأشر :

من عبدالله عليّ أمير المؤمنين : إلى القوم الذين غضبوا الله حين عُصي في أرضه وذُهب بحقه ، فضرب الجور سرادقه على البرّ والفاجر ، والمقيم والظاعن ، فلا معروف يُستراح إليه ، ولا منكر يُتناهى عنه (٢) .

قال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٥٨ : هذا الفصل يشكل عليّ تأويله

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٧٨ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٥٥ ، نهج البلاغة ، ج ٢ ص ٦٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٩ .

لأنَّ أهل مصر هم الذين قتلوا عثمان ، وإذا شهد أمير المؤمنين عليه السلام أنهم غضبوا لله حين عُصي في الأرض ، فهذه شهادة قاطعة على عثمان بالعصيان وإتيان المنكر . ثم تأوله بما رآه تعسفاً ، والتعسف لا يغني عن الحق شيئاً ولا تتم به الحجّة .

هَبْ ابن أبي الحديد تعسف ها هنا وتأول فما يصنع ببقية كلمات مولانا أمير المؤمنين وكلمات سائر الصحابة لدة هذه الكلمة وهي تربو على مئات ؟ فهل يسعنا أن نكون عسوفاً في كل ذلك ؟ سل عنه خبيراً .

١٤ - من كلام لأمر المؤمنين قاله لعثمان لما اجتمع الناس إليه وشكوا إليه ما نقموه على عثمان فدخل عليه السلام عليه فقال :

إنَّ الناس ورائي وقد استفسروني بينك وبينهم ، ووالله ما أدري ما أقول لك ، ما أعرف شيئاً تجهله ، ولا أدلك على أمر لا تعرفه ، إنَّك لتعلم ما نعلم ، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه ، ولا خلونا بشيء فنبلغكه وقد رأيت كما رأينا ، وسمعت كما سمعنا وصحبت رسول الله كما صحبنا ، وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب بأولى بعمل الحق منك ، وأنت أقرب إلى رسول الله عليه السلام وشيعة رحم منهما ، وقد نلت من صهره ما لم ينالا ، فالله الله في نفسك فإنَّك والله ما تبصّر من عمي ، ولا تعلم من جهل ، وإنَّ الطرق لواضحة ، وإنَّ أعلام الدين لقائمة ، فاعلم أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل ، هُدي وهدي ، فأقام سنة معلومة ، وأمات بدعة مجهولة ، وإنَّ السنن لنيرة لها أعلام ، وإنَّ البدع لظاهرة لها أعلام ، وإن شرَّ الناس عند الله إمام جائر ، ضلَّ وضلَّ به ، فأمات سنة مأخوذة ، وأحيا بدعة متروكة ، وإنني سمعت رسول الله عليه السلام يقول : يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في نار جهنم فيدور فيها كما تدور الرحى ثم يرتبط في قعرها ، وإنني أنشدك الله أن تكون إمام هذه الأمة المقتول فإنَّه كان يُقال : يُقتل في هذه الأمة إمام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة ، ويُلْبَسُ أمورها عليها ، ويثبت الفتن فيها ، فلا يصرون الحق من الباطل ، يمجون فيها موجاً ، ويمرجون فيها مرجاً ، فلا تكونن لمروان سيقّة يسوقك حيث شاء بعد جلال

حديث أمير المؤمنين (ع) ٩٩

السِّنَّ وتقضي العمر ، فقال له عثمان : كَلِّم الناس في أن يؤجِّلوني حتى أخرج اليهم من مظالمهم فقال عليه السلام : ما كان بالمدينة فلا أجل فيه ، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه^(١) .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ٩٦ ، الأنساب للبلاذري ج ٥ ص ٦ ، نهج البلاغة ج ١ ص ٣٠٣ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٦٣ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٦٨ .

١٥ - أخرج ابن السَّمَّان من طريق عطاء أن عثمان دعا علياً فقال : يا أبا الحسن ! إنك لو شئت لاستقامت عليّ هذه الأمة فلم يخالفني واحدٌ . فقال عليٌّ : لو كانت لي أموال الدنيا وزخرفها ما استطعت أن أدفع عنك أكفَّ الناس ، ولكني سأدلك على أمر هو أفضل ممَّا سألتني : تعمل بعمل أخويك أبي بكر وعمر ، وأنا لك بالناس لا يخالفك أحدٌ .

[الرياض النضرة ج ٢ ص ١٢٩]

١٦ - من خطبة لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام الشَّقْشَقِيَّة قوله : إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع ، إلى انتكث قتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته .

مرَّت مصادر هذه الخطبة في الجزء السابع ص ٩٩ - ١٠٣

١٧ - قال ابن عبد ربِّه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٦٧ : قال حسان بن ثابت لعليٍّ : إنك تقول : ما قتلْتُ عثمان ولكن خذلتَه ، ولا آمر به ولكن لم أنه عنه ، فالخاذل شريك القاتل ، والساكت شريك القاتل .

١٨ - أخرج البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ١٣ من طريق عبدالله بن عباس قال : إنَّ عثمان شكاً علياً إلى العباس فقال له : يا خال ! إنَّ علياً قد قطع رحمي ، وألب الناس إبنك ، والله لئن كنتم يا بني عبد المطلب أقررتم هذا الأمر في أيدي بني تيم وعدي فبنو عبد مناف أحقُّ أن لا تنازعوه فيهم ولا تحسدوهم عليه ! قال عبدالله بن العباس : فأطرق أبي طويلاً ثم قال : يا بن أخت ! لئن كنت لا تحمد

(١) سيأتي تمام الحديث في صور توبة الخليفة وحنثه إياها مرة بعد أخرى .

عليّاً فما يُحمدك له ، وإنَّ حقَّك في القرابة والإمامة للحقِّ الذي لا يُدفع ولا يُجحد ، فلو رقيت فيما تطأطأ أو تطأطأت فيما رقي تقاربتما ، وكان ذلك أوصل وأجمل ، قال : قد صيرت الأمر في ذلك إليك فقرب الأمر بيننا . قال : فلمّا خرجنا من عنده دخل عليه مروان فأزاله عن رأيه ، فما لبثنا أن جاء أبي رسول عثمان بالرجوع إليه فلمّا رجع قال : يا خال ! أحبّ أن تؤخّر النظر في الأمر الذي ألقيت إليّ حتى أرى من رأيي ، فخرج أبي من عنده ثمّ التفت إليّ فقال : يا بُنيّ ليس إلى هذا الرجل من أمره شيءٌ ، ثمّ قال : اللهمّ أسبق بي الفتن ولا تبقيني إلى ما لا خير لي في البقاء إليه . فما كانت جمعة حتى هلك .

١٩ - أخرج البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ١٤ من طريق صهيب مولى العباس : إنّ العباس قال لعثمان : أذكرك الله في أمر ابن عمّك وابن خالك وصهرك وصاحبك مع رسول الله ﷺ ، فقد بلغني أنّك تريد أن تقوم به وبأصحابه ، فقال : أوّل ما أُجيبك به أنّي قد شفعتك ، أنّ عليّاً لو شاء لم يكن أحدٌ عندي إلّا دونه ولكنّه أبى إلّا رأيه ، ثمّ قال لعليّ مثل قوله لعثمان ، فقال عليّ : لو أمرني عثمان أن أخرج من داري لخرجت .

٢٠ - من كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية : أمّا بعد : فوالله ما قتل ابن عمّك غيرك ، وإنّي لأرجو أن ألحقك به على مثل ذنبه وأعظم من خطيئته .

[العقد الفريد ج ٢ ص ٢٢٣ ، وفي ط ٢٨٥]

ولا تنس في الختام قول حسان بن ثابت :

صبراً جميلاً بني الأحرار لا تهنوا	قد ينفع الصبر في المكروه أحياناً
يا ليت شعري وليت الطير تُخبرني	ما كان شأن عليّ وابن عفّاناً
لتسمعنّ وشيكاً في دياركم	الله أكبر يا ثارات عثمان ^(١)

قال الأميني : يُعطينا الأخذ بمجامع هذه الأحاديث أنّ الإمام عليه السلام ما كان يرى الخليفة إمام عدل يسوءه قتله ، أو يهّمه أمره ، أو يُسخطه التجمهر عليه ، بل

(١) أنساب البلاذري ج ٥ ص ١٠٤ .

نظرة في حديث أمير المؤمنين (ع) ١٠١

كان يعتزل عن أمره ويخشى أن يكون آثماً إن دأب على الدفاع عنه ، ولا يرى الثائرين عليه متحويين في نهضتهم وإلا لساء ذلك فضلاً عن أن يسكت عنهم ، أو يطريهم كما سمعته من كتابه إلى أهل مصر ، أو يرى الخاذلين له خيراً ممن نصره ، ولو كان يراه إمام عدل فأقلّ المراتب أن يقول : إنَّ ناصره خيرٌ من خاذله . بل الشأن هذا في أفراد المسلمين العدول من الرعيّة فضلاً عن إمامها .

وحديث شكاية عثمان إلى عمّه العباس المتوفى سنة ٣٢ يُعلمنا بأنّ الخلاف والتشاجر بينهما كانا قبل تجمهر الثائرين عليه في أواسط أيام خلافته قبل وفاته بأعوام وقول أمير المؤمنين له : لو أمرني عثمان أن أخرج من داري لخرجت . فيه إيعازٌ إلى أن إنكاره عليه السلام على الرجل لم يكن قطّ في الملك ، وما كان يرضى بشقّ عصا المسلمين بالخلاف عليه في أمره ، وإنّما كان للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولم يك يري لنفسه بُدّاً من ذلك .

ولو أمعنت النظر فيما سردناه من ألفاظه الدريّة لا نفتح عليك أبواب من رأي الإمام عليه السلام في الخليفة لم نوعز إليها ، ويُعرب عن رأيه فيه ما مرّ في ج ٨ ص ٣٣٥ من خطبة له عليه السلام خطبها في اليوم الثاني من بيعته من قوله : ألا إنّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان ، وكلّ مال أعطاه من مال الله فهو مردودٌ في بيت المال . فلو كان الرجل إمام عدل عند الإمام عليه السلام لكان أخذه وردّه وقطعه وعطاءه، حجة لا يتطرّق إليها الردّ ، ولكن ...

٢ - حديث عائشة بنت أبي بكر أم المؤمنين :

١ - قال ابن سعد : لما حُصر عثمان كان مروان يُقاتل دونه أشدّ القتال ، وأرادت عائشة الحجّ وعثمان محصوراً فأتاها مروان وزيد بن ثابت وعبدالرحمن بن عتاب فقالوا : يا أم المؤمنين ! لو أقمت فإنّ أمير المؤمنين على ما ترين محصورٌ ومقامك ممّا يدفع الله به عنه . فقالت : قد حلبت ظهري ، وعريت غرائري ، ولست أقدر على المقام فأعادوا عليها الكلام فأعادت عليهم مثل ما قالت لهم ، فقام مروان وهو يقول :

وحرّق قيسٌ عليّ البلا دحتي إذا استعرت أجذما

فقال عائشة : أيها المتمثل عليّ بالأشعار وددتُ والله أنك وصاحبك هذا الذي يعينك أمره في رجل كل واحد منكما رَحاً وأنكما في البحر ، وخرجت إلى مكة .

وفي لفظ البلاذري : لَمَّا اشْتَدَّ الأمر على عثمان أمر مروان بن الحكم وعبدالرحمن بن عتاب بن اسيد فأتيا عائشة وهي تريد الحجَّ فقالا لها : لو أقمتِ فلعلَّ الله يدفع بك عن هذا الرجل . فقالت : قد قرنتُ ركابي وأوجبتُ الحجَّ على نفسي ، والله لا أفعل . فنهض مروان وصاحبه ومروان يقول :

وحرق قيس عليّ البلا د حتى إذا اضطرمت أجذما

فقال عائشة : يا مروان ! وددت والله أنه في غرارة^(١) من غرائري هذه وأني طوّقت حملة حتى ألقيه في البحر .

٢ - مرَّ عبدالله بن عباس بعائشة وقد ولّاه عثمان الموسم وهي بمنزل من منازل طريقها فقالت : يا بن عباس ! إن الله قد آتاك عقلاً وفهماً وبياناً فيّاك أن تردّ الناس عن هذا الطاغية . أخرجه البلاذري .

وفي لفظ الطبري : خرج ابن عباس فمرَّ بعائشة في الصلصل^(٢) فقالت : يا بن عباس ! انشدك الله فإنك قد أعطيت لساناً إزعيلاً أن تخذل عن هذا الرجل وأن تشكك فيه الناس ، فقد بانت لهم بصائرهم وأنهجت ورفعت لهم المنار وتجلّبوا من البلدان لأمر قد جمّ ، وقد رأيت طلحة بن عبدالله قد اتّخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح ، فإن يل يسر بسيرة ابن عمّه أبي بكر رضي الله عنه . قال : قلت : يا أمّه ! لو حدث بالرجل حدث ما فزع الناس إلّا إلى صاحبنا . فقالت : إيهأً عنك إنني لست أريد مكابرتك ولا مجادلتك . وحكاه ابن أبي الحديد عن تاريخ الطبري في شرح النهج غير أن فيه : فقالت : يا بن عباس ! انشدك الله فإنك قد أعطيت فهماً ولساناً وعقلاً أن لا تخذل الناس عن طلحة فقد بانت لهم بصائرهم

(١) الغرارة بكسر المعجمة : الجوالق .

(٢) صلصل بالضم والتكرير : موضع بنواحي المدينة على سبعة أميال منها .

حديث عائشة أم المؤمنين ١٠٣

في عثمان ، واتجهت ورفعت لهم المنابر وتجلّوا من البلدان لأمر عظيم قد حمّ ، وإنّ طلحة قد اتّخذ رجالاً على بيوت الأموال ، وأخذ مفاتيح الخزائن ، وأظنّه يسير إن شاء الله بسيرة ابن عمّه أبي بكر . الحديث .

٣ - كانت عائشة وأمّ سلمة حجّتا ذلك العام (عام قتل عثمان) وكانت عائشة تؤلّب على عثمان فلما بلغها أمره وهي بمكة أمرت بقبّتها فضربت في المسجد الحرام وقالت : إنّي أرى عثمان سيّئاً قومه كما شأّم أبو سفيان قومه يوم بدر . رواه البلاذري .

٤ - أخرج عمر بن شبة من طريق عبيد بن عمرو القرشي قال : خرجت عائشة رضي الله عنها وعثمان محصوراً فقدم عليها مكة رجلٌ يقال له : أخضر ، فقالت : ما صنع الناس ؟ فقال : قتل عثمان المصريّين . قالت : إنّ الله وإنّا إليه راجعون ، أيقتل قوماً جاؤوا يطلبون الحقّ ويُنكرون الظلم ؟ والله لا نرضى بهذا . ثمّ قدم آخر فقالت : ما صنع الناس ؟ قال : قتل المصريّون عثمان ، قالت : العجب لأخضر زعم أنّ المقتول هو القاتل فكان يضرب به المثل : أكذب من أخضر . وأخرجه الطبري .

٥ - مرّ في الجزء الثامن صفحة ١٥٥ : ان الشهود على الوليد بن عقبة بشربه الخمر استجاروا بعائشة وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتاً وكلاماً فيه بعض الغلظة فقال : أما تجد مراق أهل العراق وفساقهم ملجأ إلاّ بيت عائشة . فسمعت فرفعت نعل رسول الله ﷺ وقالت : تركت سنة رسول الله صاحب هذا النعل . الحديث فراجع .

٦ - أسلفنا في هذا الجزء صفحة ٣٤ في مواقف عمّار : إنّ عائشة لمّا بلغها ما صنع عثمان بعمّار فغضبت وأخرجت شعراً من رسول الله ﷺ وثوباً من ثيابه ونعلًا من نعاله ثمّ قالت : ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم وهذا شعره وثوبه ونعله لم يسل بعد ؟ فغضب عثمان غضباً شديداً حتّى ما درى ما يقول . الحديث .

وقال أبو الفدا : كانت عائشة تنكر على عثمان مع من ينكر عليه وكانت

تخرج قميص رسول الله ﷺ وشعره وتقول : هذا قميصه وشعره لم يبل وقد بلى دينه .

٧ - وفي كتاب لأمر المؤمنين عليه السلام كتبه لما قارب البصرة إلى طلحة والزبير وعائشة : وأنت يا عائشة فإنك خرجت من بيتك عاصيةً لله ولرسوله تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً ، ثم تزعمين أنك تريدين الإصلاح بين المسلمين ، فخبّريني ما للنساء وقود الجيوش والبروز للرجال ، والوقوع بين أهل القبلة وسفك الدماء المحرمة ؟ ثم إنك طلبت على زعمك دم عثمان وما أنت وذاك ؟ عثمان رجل من بني أمية وأنت من تيم ، ثم بالأمس تقولين في ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ : اقتلوا نعلًا قتله الله فقد كفر ، ثم تطلبين اليوم بدمه ؟ فاتقي الله وارجعي إلى بيتك ، واسبلي عليك سترك ، والسلام .

٨ - أخرج الطبري وابن قتيبة : أنَّ غلاماً من جهينة أقبل على محمد بن طلحة (يوم الجمل) وكان محمد رجلاً عابداً فقال : أخبرني عن قتلة عثمان فقال : نعم دم عثمان ثلاثة أثلاث : ثلث على صاحبة اليهودج يعني عائشة ، وثلث على صاحب الجمل الأحمر يعني طلحة ، وثلث على علي بن أبي طالب . وضحك الغلام وقال : ألا أراني على ضلال ولحق بعلي وقال في ذلك شعراً :

سألت ابن طلحة عن هالك	بجوف المدينة لم يُقبر ؟
فقال : ثلاثة رهط هم	أما ترون ابن عفان واستعبر
فثلث على تلك في خدرها	وثلث على راكب الأحمر
وثلث على ابن أبي طالب	ونحن بدويّة قرقر
فقلت : صدقت على الأولين	وأخطأت في الثالث الأزهر

٩ - أخرج الطبري من طريقين : إنَّ عائشة رضي الله عنها لما انتهت إلى سرف^(١) راجعةً في طريقها إلى مكة لقيها عبد بن أم كلاب وهو عبد بن أبي سلمة ينسب إلى أمه فقالت له : مهيم ؟ قال : قتلوا عثمان رضي الله عنه فمكثوا ثمانية .

(١) سرف بالفتح ثم الكسر : موضع على ستة أميال من مكة .

حديث عائشة أم المؤمنين ١٠٥

قالت : ثم صنعوا ماذا ؟ قال : أخذها أهل المدينة بالإجماع فجازت بهم الامور إلى خير مجاز ، اجتمعوا على علي بن أبي طالب . فقالت : والله ليت إن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك ردوني ردوني . فانصرفت إلى مكة وهي تقول : قتل والله عثمان مظلوماً ، والله لأطلبن بدمه . فقال لها ابن أم كلاب : ولم ؟ فوالله إن أول من أمال حرفه لأنت ولقد كنت تقولين : اقتلوا نعثلاً فقد كفر^(١) . قالت : إنهم استتابوه ثم قتلوه ، وقد قلت وقالوا وقولي الأخير خير من قولي الأول . فقال لها ابن أم كلاب^(٢) :

منك البداء ومنك الغير	ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام	وقلت لنا : إنه قد كفر
فهنا أطلعناك في قتله	وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا	ولم ينكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا تدرا	يزيل الشبا ويقيم الصعر
ويلبس للحرب أثوابها	وما من وفي مثل من قد غدر

فانصرفت إلى مكة فنزلت على باب المسجد فقصدت للحجر فسترت واجتمع إليها الناس فقالت : يا أيها الناس ! إن عثمان رضي الله عنه قتل مظلوماً والله لأطلبن بدمه .

١٠ - قال أبو عمر صاحب الاستيعاب : إن الأحنف بن قيس كان عاقلاً حليماً ذا دين وذكاء وفصاحة ودعاء ، لما قدمت عائشة البصرة أرسلت إلى الأحنف بن قيس فأبى أن يأتيها ثم أرسلت إليه فأتاها فقالت : ويحك يا أحنف ! بئس تعتذر إلى الله من ترك جهاد قتلة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ؟ أمن قلة عدد ؟ أو أنك لا تطاع في العشيرة ؟ قال : يا أم المؤمنين ! ما كبرت السن ولا طال العهد وإن عهدي بك عام أول تقولين فيه وتنايلين منه . قالت : ويحك يا أحنف ! إنهم ماصوه موص الإناء ثم قتلوه . قال : يا أم المؤمنين ! إنني آخذ بأمرك وأنت راضية ، وأدعه وأنت ساخطة .

(١) في لفظ ابن قتيبة : فجر .

(٢) في لفظ ابن قتيبة : عذر والله ضعيف ، يا ام المؤمنين . ثم ذكر الابيات .

١١ - أخرج ابن عساكر من طريق أبي مسلم أنه قال لأهل الشام وهم ينالون من عائشة في شأن عثمان ، يا أهل الشام ! أضرب لكم مثلكم ومثل أمكم هذه : مثلها ومثلكم كمثّل العين في الرأس تؤذي صاحبها ولا يستطيع أن يعاقبها إلا بالذي هو خير لها .

١٢ - قال ابن أبي الحديد : قال كلٌّ من صنّف في السير والأخبار : إنّ عائشة كانت من أشدّ الناس على عثمان حتّى أنّها أخرجت ثوباً من ثياب رسول الله ﷺ فنصبته في منزلها وكانت تقول للداخلين إليها : هذا ثوب رسول الله ﷺ لم يبل وعثمان قد أبلى ستته . قالوا : أول من سمى عثمان نعثلاً عائشة ، وكانت تقول : اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً .

١٣ - روى المدائني في كتاب الجمل قال : لمّا قُتل عثمان كانت عائشة بمكة وبلغ قتله إليها وهي بشراف فلم تشكّ في أن طلحة هو صاحب الأمر وقالت : بعداً لنعثل وسحقاً ، إيه ذا الإصبع ! إيه أبا شبل ! إيه يابن عمّ ! لكأنّي أنظر إلى إصبعه وهو يبايع له ، حثوا الإبل ودعدعوها . قال : وقد كان طلحة حين قُتل عثمان أخذ مفاتيح بيت المال وأخذ نجائب كانت لعثمان في داره ثمّ فسد أمره فدفعها إلى عليّ بن أبي طالب .

١٤ - قال أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي في كتابه : إنّ عائشة لمّا بلغها قتل عثمان وهي بمكة أقبلت مسرعة وهي تقول : إيه ذا الإصبع لله أبوك ، أما إنّهم وجدوا طلحة لها كفواً ، فلمّا انتهت إلى شراف^(١) استقبلها عبيد بن أبي سلمة الليثي فقالت له : ما عندك ؟ قال : قُتل عثمان . قالت : ثمّ ماذا ؟ قال : ثمّ حارت بهم الأمور إلى خير محار ، بايعوا عليّاً . فقالت : لوددت أن السماء انطبقت على الأرض إن تمّ هذا ، ويحك انظر ماذا تقول . قال : هو ما قلت لك يا أمّ المؤمنين ! . فولولت . فقال لها : ما شأنك يا أمّ المؤمنين ؟ والله ما أعرف بين لابتيها أحداً أولى بها منه ولا أحقّ ، ولا أرى له نظيراً في جميع حالاته ، فلمّا ذا تكرهين ولايته ؟ قال : فما ردّت عليه جواباً .

(١) راجع صفحة ٢٨٠ من الجزء الثامن ، وص ١٠٤ من هذا الجزء .

حديث عائشة أم المؤمنين ١٠٧

وقد روي من طرق مختلفة : إنَّ عائشة لما بلغها قتل عثمان وهي بمكة قالت : أبعد الله ، ذلك بما قدّمت يداه وما الله بظلام للعبيد .

١٥ - قال : وقد روى قيس بن أبي حازم : إنَّه حجَّ في العام الذي قُتل فيه عثمان وكان مع عائشة لما بلغها قتله فتحمّل إلى المدينة قال : فسمعها تقول في بعض الطريق إيه ذا الإصبع . وإذا ذكرت عثمان قالت : أبعد الله . حتّى أتاهها خبر بيعة عليّ فقالت : لوددت أنّ هذه وقعت على هذه . ثمّ أمرت بردّ ركبائها إلى مكة فرددت معها ورأيتهما في سيرها إلى مكة تخاطب نفسها كأنّها تخاطب أحداً : قتلوا ابن عفان مظلوماً . فقلت لها : يا أمّ المؤمنين ! ألم أسمعك آنفاً تقولين أبعد الله ؟ وقد رأيته قبل أشدّ الناس عليه وأقبحهم فيه قولاً ، فقالت : لقد كان ذلك ولكنني نظرت في أمره فرأيتهم استتابوه حتّى إذا تركوه كالفضّة البيضاء أتوه صائماً محرماً في شهر حرام فقتلوه .

١٦ - قال : وروي من طرق أخرى : أنّها قالت لما بلغها قتله : أبعد الله قتله ذنبه ، وأقاده الله بعمله ، يا معشر قريش ! لا يسومنكم قتل عثمان كما سام أحمر ثمود قومه ، إنّ أحقّ الناس بهذا الأمر ذو الإصبع . فلمّا جاءت الأخبار ببيعة عليّ عليه السلام قالت : تعسوا لا يردّون الأمر في تيم أبداً . كتب طلحة والزبير إلى عائشة وهي بمكة كتباً أن خذلي الناس عن بيعة عليّ ، وأظهري الطلب بدم عثمان . وحملتا الكتب مع ابن اختها عبدالله بن الزبير ، فلمّا قرأت الكتب كاشفت وأظهرت الطلب بدم عثمان ، وكانت أمّ سلمة رضي الله عنها بمكة في ذلك العام فلمّا رأت صنع عائشة قابلتها بنقيض ذلك وأظهرت موالاته عليّ عليه السلام ونصرته على مقتضى العداوة المركوزة في طباع الضرتين .

١٧ - قال أبو مخنف : جاءت عائشة إلى أمّ سلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان فقالت لها : يا بنت أبي أمية أنت أول مهاجرة من أزواج رسول الله ﷺ ، وأنت كبيرة أمّهات المؤمنين ، وكان رسول الله ﷺ يقسم لنا من بيتك ، وكان جبريل أكثر ما يكون في منزلك . فقالت أمّ سلمة : لأمر ما قلت هذه المقالة ؟ فقالت عائشة : إنّ عبد الله أخبرني أنّ القوم استتابوا عثمان فلمّا تاب قتلوه

١٠٨ الغدير ج - ٩

صائماً في شهر حرام ، وقد عزمتم على الخروج إلى البصرة ومعني الزبير وطلحة فاخرجي معنا لعل الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا وبنا . فقالت : أنا أم سلمة ، إنك كنت بالأمس تحرّضين على عثمان وتقولين فيه أخبث القول ، وما كان إسمه عندك إلا نعثلاً ، وإنك لتعرفين منزلة علي بن أبي طالب عند الرسول ﷺ . الحديث (١) .

١٨ - روى ابن عبد ربّه عن العتيبي قال : قال رجلٌ من بني ليث : لقيت الزبير قادمًا فقلت : يا أبا عبد الله ما بالك ؟ قال : مطلوبٌ مغلوبٌ يغلبني إني ويطلبني ذنبي ، قال : فقدمت المدينة فلقيت سعد بن أبي وقاص فقلت : أبا إسحاق ! من قتل عثمان ؟ قال : قتله سيف سلّته عائشة ، وشحّذه طلحة ، وسمّاه عليّ . قلت : فما حال الزبير ؟ قال : أشار بيده وصمت بلسانه .

وفي الإمامة والسياسة : كتب عمرو بن العاص إلى سعد بن أبي وقاص يسأله عن قتل عثمان ومن قتله ومن تولّى كبره ، فكتب إليه سعد : إنك سألتني من قتل عثمان ، وإنّي أخبرك أنّه قُتل بسيف سلّته عائشة ، وصقّله طلحة ، وسمّاه ابن أبي طالب ، وسكت الزبير وأشار بيده ، وأمسكنا نحن ولو شئنا دفعناه عنه ، ولكن عثمان غير متغيّر وأحسن وأساء ، فإن كنّا أحسنًا فقد أحسنّا ، وإن كنّا أسوأنا ، فنستغفر الله ، وأخبرك أنّ الزبير مغلوبٌ بغلبة أهله وبطلبه بذنبه ، وطلحة لو يجد أن يشقّ بطنه من حبّ الإمارة لشقّه .

١٩ - وقال ابن عبد ربّه : دخل المغيرة بن شعبة على عائشة فقالت : يا أبا عبد الله ! لو رأيته يوم الجمل قد أنفذت النصل هودجي حتّى وصل بعضها إلى جلدي . قال لها المغيرة : وددت والله أنّ بعضها كان قتلك . قالت : يرحمك الله ولمّ تقول هذا ؟ قال لعلّها تكون كفّارةً في سعيك على عثمان . قالت : أما والله لئن قلت ذلك لما علم الله أنّي أردت قتله ، ولكن علم الله أنّي أردت أن يُقاتل فقوتلت ، وأردت أن يُرمى فرُميت ، وأردت أن يُعصى فعصيت ، ولو علم مني أنّي أردت قتله لقتلت .

(١) فيه فوائد جمة لا تفوت الباحث وعليه به .

حديث عائشة أم المؤمنين ١٠٩

٢٠ - وروى ابن عبد ربّه عن أبي سعيد الخدري قال : إنّ ناساً كانوا عند فسطاط عائشة وأنا معهم بمكة فمرّ بنا عثمان فما بقي أحدٌ من القوم إلّا لعنه غيري فكان فيهم رجلٌ من أهل الكوفة فكان عثمان على الكوفة أجراً منه على غيره فقال : يا كوفي ! أتشتمني ؟ فلما قدم المدينة كان يتهدّده قال : فقيل له : عليك بطلحة ، قال : فانطلق معه حتّى دخل على عثمان فقال عثمان : والله لأجلدنه مائة سوط . قال طلحة : والله لا تجلده مائة إلّا أن يكون زانياً . قال : والله لأحرمنه عطاءه . قال : الله يرزقه .

٢١ - قال ابن الأثير والفيروز آبادي وابن منظور والزبيدي : النعثل الشيخ الأحمق ونعثل يهوديٌّ كان بالمدينة . قيل شبّه به عثمان رضي الله عنه كما في التبصير ، ونعثل رجلٌ من أهل مصر كان طويل اللحية ، قال أبو عبيد : كان يشبه عثمان ، وشاتموا عثمان يسمّونه نعثلاً ، وفي حديث عثمان أنّه كان يخطب ذات يوم فقام رجلٌ فنال منه فوذاه ابن سلام فاتّذاً فقال له رجلٌ : لا يمنعنك مكان ابن سلام أن تسبّ نعثلاً فإنّه من شيعته ، وكان أعداء عثمان يسمّونه نعثلاً ، وفي حديث عائشة : اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً . تعني عثمان ، وكان هذا منها لما غاضبته وذهبت إلى مكة ، وفي حياة الحيوان : النعثل كجعفر : الذكر من الضباع وكان أعداء عثمان يسمّونه نعثلاً .

٢٢ - روى البلاذري في الأنساب قال : خرجت عائشة رضي الله تعالى عنها باكية تقول : قُتل عثمان رحمه الله . فقال لها عمّار بن ياسر : أنتِ بالأمس تحرّضين عليه ثمّ أنت اليوم تبكينه ؟ !

راجع طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٥ ط ليدن ، أنساب البلاذري ج ٥ ص ٧٠ ، ٧٥ ، ٩١ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٤٣ ، ٤٦ ، ٥٧ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٤٠ ، ١٦٦ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٣١٩ ، الإستيعاب ترجمة الأحنف صخر بن قيس ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٧٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٧٧ ، ٥٠٦ ، تذكرة السبط ص ٣٨ ، ٤٠ ، نهاية ابن الأثير ج ٤ ص ١٦٦ ، اسد الغابة ج ٣

١١٠ الغدير ج - ٩

ص ١٥ : الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٨٧ ، القاموس ج ٤ ص ٥٩ ، حياة الحيوان ج ٢ ص ٣٥٩ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣١٤ ، لسان العرب ج ١٤ ص ١٩٣ ، تاج العروس ج ٨ ص ١٤١ .

قال الأميني : هذه الروايات تُعطينا درساً ضافياً بنظرية عائشة في عثمان وإنها لم تكن ترى له جدارة تسنم ذلك العرش ، وبالغت في ذلك حتى ودّت إزالته عن مستوى الوجود . فأحبّت له أن يُلقى في البحر وبرجله رحيّ تجرّه إلى أعماقه ، أو أنّه يُجعل في غرارة من غرائرها وتشدّ عليه الجبال فيقذف في عباب اليمّ فيرسب فيه من غير خروج ، أو أن يودي به حراب المتجمهرين عليه فتكسح عن الملاء معرفة أحداثاته ، ولذلك كانت تُثير الناس عليه بإخراج شعر رسول الله ﷺ وثوبه ونعله ، ولم تبرح تؤلب الملاء الدينيّ عليه وتحثهم على مقته وتخذلّهم عن نصرته في حضرها وسفرها ، وإنّها لم تعدل عن تلکم النظرية حتى بعدما أجهز على عثمان إلّا لما علمت من إنفلات الأمر عن طلحة الذي كانت عائشة تتهالك دون تأميره وتضمر تقديمه منذ كانت تُرهج النقع على عثمان ، ونهيج الأمة على قتله ، فكانت تروم أن تُعيد الإمرة تيمية مرة أخرى ، ولعلّها حجّت لبث هاتيك الدعاية في طريقها وعند مجتمع الحجيج بمكة ، فكان يُسمع منها قولها في طلحة : إيه ذا الإصبع إيه أبا شبل ! إيه يابن عمّ ! لكأنّي أنظر إلى إصبعه وهو يبايع له ، وقولها : إيه ذا الإصبع ! الله أبوك ، أما إنهم وجدوا طلحة لها كفواً .

وقولها في عثمان : اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر ، وقولها لابن عباس : إياك أن تردّ الناس عن هذا الطاغية ، وقولها بمكة : بُعداً لنعثل وسحقاً ، وقولها لما بلغها قتله : أبعد الله ، ذلك بما قدمت يداه وما الله بظلام للعبيد .

لكنّها لما علمت أنّ خلافة الله الكبرى عادت علوية واستقرّت في مقرّها الجدير بها - ولم يكن لها مع أمير المؤمنين ﷺ هوى - قلبت عليها ظهر المجنّ ، فطففت تقول : لوددت أنّ السّماء إنطبقت على الأرض إن تمّ هذا ، وأظهرت الأسف على قتل عثمان ورجعت إلى مكة بعد ما خرجت منها ، ونهضت ثائرة تطلب بدم عثمان لعلّها تجلب الإمرة إلى طلحة من هذا الطريق ، وإلّا فما هي من أولياء ذلك الدم ، وقد وُضع عنها قود العساكر ومباشرة الحروب ، لأنّها امرأة خلقتها

حديث عبدالرحمن بن عوف ١١١

الله لخدورها ، وقد نهيت كبقية نساء النبي ﷺ خاصة عن التبرج ، وقد أُنذرها رسول الله ﷺ وحذَّرها عن خصوص واقعة الجمل ، غير أنها أَعْرَضَتْ عن ذلك كله لما تَرَجَّح في نظرها من لزوم تأييد أمر طلحة ، وتصاممت عن نبج كلاب الحوَّاب ، وقد ذكره لها الصَّادق الأمين عند الإنذار والتحذير ، ولم تزل يقودها الأمل حتَّى قُتِلَ طلحة فألَمَّت بها الخيبة ، وغلب أمر الله وهي كارهة .

٣ - حديث عبدالرحمن بن عوف أحد العشرة المبشَّرة ، شيخ الشورى ، بدري :

١ - أخرج البلاذري عن سعد قال : لَمَّا تَوَفَّي أَبُو ذَرٍّ بِالرِّبْذَةِ تَذَاكُرَ عَلِيٌّ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَعَلَ عَثْمَانُ فَقَالَ عَلِيٌّ : هَذَا عَمَلُكَ . فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : إِذَا شِئْتُ فَخُذْ سَيْفَكَ وَآخِذْ سَيْفِي ، إِنَّهُ قَدْ خَالَفَ مَا أَعْطَانِي .

٢ - قال أبو الفدا : لَمَّا أَحْدَثَ عَثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا أَحْدَثَ مِنْ تَوَلِيَّتِهِ الْأَمْصَارَ لِلْأَحْدَاثِ مِنْ أَقَارِبِهِ رَوَى أَنَّهُ قِيلَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ : هَذَا كُلُّهُ فَعَلُكَ . فَقَالَ : مَا كُنْتُ أَظُنُّ هَذَا بِهِ ، لَكِنْ لِلَّهِ عَلِيٌّ أَنْ لَا أَكَلِّمَهُ أَبَدًا ، وَمَاتَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَهُوَ مُهَاجِرٌ لِعَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ عَثْمَانُ عَائِدًا فِي مَرَضِهِ فَتَحَوَّلَ إِلَى الْحَائِطِ وَلَمْ يُكَلِّمَهُ .

٣ - روى البلاذري من طريق عثمان بن الشريد قال : ذَكَرَ عَثْمَانُ عِنْدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : عَاجِلُوهُ قَبْلَ أَنْ يَتِمَادَى فِي مَلِكِهِ فَبَلَغَ ذَلِكَ عَثْمَانُ فَبَعَثَ إِلَى بَثْرَ كَانَتْ يُسْقَى مِنْهَا نَعَمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَمَنْعَهُ إِيَّاهَا فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَاءَهَا غَوْرًا . فَمَا وَجَدَتْ فِيهَا قَطْرَةً .

٤ - عن عبدالله بن ثعلبة قال : إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ كَانَ حَلَفَ أَلَّا يَكَلِّمَ عَثْمَانَ أَبَدًا .

٥ - عن سعد قال : إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَوْصَى أَنْ لَا يَصَلِّيَ عَلَيْهِ عَثْمَانُ ، فَصَلَّى عَلَيْهِ الزُّبَيْرُ أَوْ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَتَوَفَّيَ سَنَةَ إِثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ .

٦ - قال ابن عبد ربّه : لَمَّا أحدث عثمان ما أحدث من تأمير الأحداث من أهل بيته على الجَلّة من أصحاب محمّد قيل لعبد الرَّحْمَنِ : هذا عملك . قال : ما ظننت هذا . ثمّ مضى ودخل عليه وعاتبه وقال : إِنَّمَا قَدَّمْتُكَ عَلَى أَنْ تَسِيرَ فِينَا بسيرة أبي بكر وعمر فخالفتهما وحابيت أهل بيتك وأوطأتهم رقاب المسلمين . فقال : إِنَّ عَمْرَكَ أَنْ يَقْطَعَ قَرَابَتَهُ فِي اللَّهِ وَأَنَا أَصْلُ قَرَابَتِي فِي اللَّهِ . قال عبد الرَّحْمَنِ : اللَّهُ عَلَيَّ أَنْ لَا أَكَلِّمَكَ أَبَدًا . فلم يكلمه أبداً حتّى مات وهو مهاجرٌ لعثمان ، ودخل عليه عثمان عائداً له في مرضه فتحول عنه إلى الحائط ولم يكلمه .

راجع أنساب البلاذري ج ٥ ص ٥٧ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٧٢ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٦٦ .

٧ - أخرج الطبري من طريق المسور بن المخزومة قال : قدمت إبل من إبل الصدقة على عثمان فوهبها لبعض بني الحكم فبلغ ذلك عبد الرَّحْمَنِ بن عوف فأرسل إلى المسور بن المخزومة وإلى عبد الرَّحْمَنِ بن الأسود بن عبد يغوث فأخذاها فقسّمها عبد الرَّحْمَنِ في الناس وعثمان في الدار .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٣ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٧٠ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٥ .

٨ - قال أبو هلال العسكري في كتاب الأوائل : أُسْتَجِيبَتْ دَعْوَةُ عَلِيٍّ عليه السلام في عثمان وعبد الرَّحْمَنِ فما ماتا إلّا متهاجرين متعادين ، أرسل عبد الرَّحْمَنِ إلى عثمان يعاتبه (إلى أن قال) : لَمَّا بَنَى عثمان قصره طمار الزوراء وصنع طعاماً كثيراً ودعا الناس إليه كان فيهم عبد الرَّحْمَنِ فلمّا نظر إلى البناء والطعام قال : يا بن عفان ! لقد صدّقنا عليك ما كنّا نكذبُ فيك ، وإنّي أستعيذ بالله من بيعتك ، فغضب عثمان وقال : أخرجني يا غلام ! فأخرجوه وأمر الناس أن لا يجالسوه ، فلم يكن يأتيه أحدٌ إلّا ابن عبّاس كان يأتيه فيتعلم منه القرآن والفرائض ، ومرض عبد الرَّحْمَنِ فعاده عثمان وكلمه فلم يكلمه حتّى مات .

[شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٥ ، ٦٦]

قول العسكري : أُسْتَجِيبَتْ دَعْوَةُ عَلِيٍّ . إشارةٌ إلى ما ورد من قوله عليه السلام يوم

نظرة في حديث عبدالرحمن بن عوف ١١٣

الشورى لعبدالرحمن بن عوف : والله ما فعلتها إلا لأنك رجوت منه ما رجا صاحبكم من صاحبه دق الله بينكما عطر منشم^(١) .

ومنشم امرأة عطارة من حمير ، وكانت خزاعة وجرحهم إذا أرادوا القتال تطيبوا من طيبها ، وكانوا إذا فعلوا ذلك كثر القتلى فيما بينهم ، فكان يقال : أشام من عطر منشم فصار مثلاً .

وقول عبد الرحمن : لقد صدقنا عليك ما كنا نكذب فيك . إيعاز إلى قول مولانا أمير المؤمنين يوم الشورى أيضاً : أما إنني أعلم أنهم سيولون عثمان ، وليحدثن البدع والأحداث ، ولئن بقي لأذكرنك ، وإن قُتل أو مات ليتداولونها بنو أمية بينهم ، وإن كنت حياً لتجدني حيث تكرهون^(٢) .

قال الشيخ محمد عبده في شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٣٥ : لما حدث في عهد عثمان ما حدث من قيام الأحداث من أقاربه على ولاية الأمصار ، ووجد عليه كبار الصحابة روي أنه قيل لعبد الرحمن : هذا عمل يديك . فقال : ما كنت أظن هذا به ولكن الله علي أن لا أكلمه أبداً ، ثم مات عبدالرحمن وهو مهاجر لعثمان ، حتى قيل : ان عثمان دخل عليه في مرضه يعودته فتحول إلى الحائط لا يكلمه ، والله أعلم والحكم لله يفعل ما يشاء .

وقال ابن قتيبة في المعارف ص ٢٣٩ : كان عثمان بن عفان مهاجراً لعبدالرحمن بن عوف حتى ماتا .

قال الأميني ، لا بد أن يُسائل هؤلاء عن أشياء فيقال لهم : إن سيرة الشيخين التي بويع عثمان عليها هل كانت تطابق سنة رسول الله ﷺ أو تخالفها ؟ وعلى الأول فشرطها مستدرك ، ولا شرط للخلافة إلا مطابقة كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ولا نقمة على تاركها إلا بترك السنة لا السيرة ، فذكرها إلى جانب السنة الشريفة كضمم اللاحقة إلى الحجة ، أو كوضع الحجر إلى جنب الإنسان ، وعلى الثاني فإن من الواجب على كل مسلم مخالفتها بعد فرض إيمانه بالله ويكتابه ورسوله واليوم

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٣ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٤ .

الآخر ، فكان من حقّ المقام أن ينكروا على عثمان مخالفة السنّة فحسب . ولهذا لم يقبل مولانا أمير المؤمنين لَمَّا ألقى إليه عبدالرحمن أمر البيعة على الشرط المذكور إلّا مطابقة أمره للسنّة والإجتهاد فيها^(١) .

وليت شعري إنّه لَمَّا شرط ابن عوف على عثمان ذلك هل كان يعلم بما قلناه من الموافقة أو المخالفة أو لا ؟ وعلى فرض علمه يتوجّه عليه ما سطرناه على كلّ من الفرضين ، وعلى تقدير عدم علمه وهو أبعد شيء يُفرض فكيف شرط عليه ما لا يعلم حقيقته ، وكيف يناط أمر الدين وزعامته الكبرى بحقيقة مجهولة ؟ وما الفائدة في اشتراطه ؟

وللباقلاني في التمهيد ص ٢١٠ في بيان هذا الشرط وجهٌ نُجِّلُ عنه ساحة كلّ متعلّم فاهم فضلاً عن عالم مثله .

ثمّ نأتي إلى عثمان فنحاسبه على قبوله لأوّل وهلة ، هل كان يعلم شيئاً ممّا قدّمناه من النسبة بين السنّة والسيّرة أو لا ؟ فهلّا شرط الأمر على تقدير الموافقة ؟ ورفضه على فرض المخالفة ؟ وإن كان لا يعلم فكيف قبل شرطاً لا يدري ما هو ؟ ثمّ هل كان يعلم يومئذٍ أنّه يطبق على ذلك أو لا ؟ أو كان يعلم أنّه لا يطيقه ؟ وعلى الأخير فكيف قبل ما لا يطيقه ؟ وعلى الثاني كيف أقدم على الخطر فيما لا يعلم أنّه يتسنى له أن ينوء به ؟ وعلى الأوّل فلماذا خالف ما اشترط عليه وقبله ووفيت البيعة عليه ؟ وحصل القبول والرضا من الأمّة به ؟ ثمّ جاء يعتذر لَمَّا أخذه ابن عوف بمخالفته إيّاها بأنّه لا يطيق ذلك فقال فيما أخرجه أحمد في مسنده ج ١ ص ٦٨ من طريق شقيق : وأمّا قوله : ولم أترك سنّة عمر ؟ فإنّي لا أطيقها ولا هو . وذكره ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٢٠٦ .

وكيفما أُجيب عن هذه المسائل فعبرتنا الآن بنظرية عبدالرحمن بن عوف الأخيرة في الخليفة ، وهي من أوضح الحقائق لمن استشفّ ما ذكرناه من قوله له : إني أستعيذ بالله من بيعتك . وقوله لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام : إذا شئت فخذ

(١) مسند أحمد ج ١ ص ٧٥ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ٤٠ ، تمهيد الباقلاني ص ٢٠٩ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٤٦ .

نظرة في حديث عبدالرحمن بن عوف ١١٥

سيفك وأخذ سيفي . الخ . مستحلاً قتاله ، وقوله : عاجلوه قبل أن يتمادى في ملكه . وقد بالغ في الإنكار عليه ورأيه في سقوطه أنه لم يره أهلاً للصلاة عليه وأوصى بذلك عند وفاته فصلّى عليه الزبير ، وهجره وحلف أن لا يكلمه أبداً حتى أنه حوّل وجهه إلى الحائط لما جاء عائداً ، وإنه كان لا يرى لتصرفاته نفوذاً ولذلك لما بلغه إعطاء عثمان إبل الصدقة لبعض بني الحكم أرسل إليها المسور بن المخزومة وعبدالرحمن بن الأسود فأخذها فقسّمها عبدالرحمن في الناس وعثمان في الدار ، ولهذه كلها كان يراه عثمان منافقاً ويقذفه بالفاق كما ذكره ابن حجر في الصواعق ص ٦٨ وأجاب عنه متسالمًا عليه بأنه كان متوحّشاً منه لأنه كان يجيئه كثيراً . اقرأ واضحك . وذكره الحلبي في السيرة ج ٢ ص ٨٧ فقال : أجاب عنه ابن حجر ولم يذكر الجواب لعلمه بأنه أضحكة .

ونسائل القوم بصورة أخرى مع قطع النظر عن جميع ما قلناه : إن ما اشترط على عثمان وعُقد عليه أمره هل كان واجب الوفاء ؟ أو كان لعثمان متدحّج عنه بتركه ؟ وعلى الأول فما وجه مخالفة الخليفة له ؟ ولماذا لم يقبله مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وهو عيبة علم رسول الله ﷺ والعارف بأحكامه وسننه وبصالح الأمة منذ بدء أمرها إلى منصرمه ، وهل يخلع الخليفة في صورة المخالفة ؟ فلماذا كان عثمان لا يروقه التنازل عن أمره لما أرادت الصحابة خلعه للمخالفة ؟ أو أنه لا يُخلع ؟ فلماذا تجمهروا عليه فخلعوه وقتلوه ؟ وهم أصحاب رسول الله ﷺ العدول كلّهم في نظر القوم ، وإن كان لا يجب الوفاء به ؟ فلماذا لم يباعدوا أمير المؤمنين عليه السلام لما جاء بعدم الالتزام بما لا يجب الوفاء به ؟ وما معنى اعتذار عبدالرحمن بن عوف في تقديمه عثمان على أمير المؤمنين عليه السلام بأنه قبل متابعة سيرة الشيخين ولم يقبلها علي عليه السلام ؟ ولماذا ألزموا عثمان به ؟ ولماذا التزم به عثمان ؟ ولماذا تمّت البيعة عليه ؟ ولماذا تجمهروا عليه كما شاهدوا منه المخالفة ؟

﴿وَلَيْسَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعِيرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾^(١) .

(١) سورة العنكبوت ؛ الآية : ١٣ ، سورة الروم ؛ الآية : ٥٧ .

٤ - حديث طلحة بن عبيدالله أحد العشرة المبشرة ، وأحد الستة أصحاب الشورى :

١ - من كلام لمولانا أمير المؤمنين في طلحة : والله ما استعجل متجرباً للطلب بدم عثمان إلا خوفاً من أن يُطالب بدمه لأنه مظنّته ، ولم يكن في القوم أحرص عليه منه ، فأراد أن يغالب بما أجلب فيه ليلبس الأمر ويقع الشك ، والله ما صنع في أمر عثمان واحدة من ثلاث : لئن كان ابن عفان ظالماً - كما كان يزعم - لقد كان ينبغي له أن يوازر قاتليه أو يباذ ناصريه . ولئن كان مظلوماً لقد كان ينبغي له أن يكون من المنهين عنه والمعدّرين فيه . ولئن كان في شك من الخصلتين لقد كان ينبغي له أن يعتزله ويركد جانباً ويدع الناس معه ، فما فعل واحدة من الثلاث ، وجاء بأمر لم يعرف بابيه ، ولم تسلم معاذيره^(١) .

قال ابن أبي الحديد في الشرح ج ٢ ص ٥٠٦ : فإن قلت : يُمكن أن يكون طلحة اعتقد إباحتها دم عثمان أولاً ثم تبدّل ذلك الاعتقاد بعد قتله فاعتقد أن قتله حرام وأنه يجب أن يقتل من قاتليه . قلت : لو اعترف بذلك لم يقسم علي عليه السلام هذا التقسيم وإنما قسّمه لبقائه على اعتقاد واحد ، وهذا التقسيم مع فرض بقاءه على اعتقاد واحد صحيح لا مطعن فيه ، وكذا كان حال طلحة فإنه لم يُنقل عنه أنه قال : ندمت على ما فعلت بعثمان .

فإن قلت : كيف قال أمير المؤمنين : فما فعل واحدة من الثلاث ؟ وقد فعل واحدة منها لأنه وازر قاتليه حيث كان محصوراً . قلت : مراده : إنه إن كان عثمان ظالماً وجب أن يوازر قاتليه بعد قتله يحامي عنهم ويمنعهم ممن يروم دماءهم ، ومعلوم أنه لم يفعل ذلك . وإنما وازرهم وعثمان حيّ وذلك غير داخل في التقسيم . اهـ .

٢ - أخرج الطبري من طريق حكيم بن جابر قال : قال علي لطلحة - وعثمان محصوراً - : أنشدك الله إلا رددت الناس عن عثمان . قال : لا والله حتى تعطي بنو أمية الحق من أنفسها .

(١) نهج البلاغة ج ١ ص ٣٢٣ .

حديث طلحة بن عبيدالله ١١٧

تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٣٩ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٨ فقال :
فكان عليٌّ عليه السلام يقول : لحا الله ابن الصعبة أعطاه عثمان ما أعطاه وفعل به ما
فعل .

٣ - أخرج الطبري من طريق بشر بن سعيد قال : حدثني عبدالله بن عباس بن
أبي ربيعة قال : دخلت على عثمان رضي الله عنه فتحدثت عنه ساعة فقال : يا بن
عبّاس ! تعال فأخذ بيدي فأسمعني كلام من على باب عثمان فسمعنا كلاماً ، منهم
من يقول : ما تنتظرون به ؟ ومنهم من يقول : انظروا عسى أن يراجع ، فبينما أنا
وهو واقفان إذ مرَّ طلحة بن عبيدالله فوقف فقال : أين ابن عديس ؟ فقيل : ها
هوذا . قال : فجاء ابن عديس فناجاه بشيء ثم رجع ابن عديس فقال لأصحابه : لا
تتركوا أحداً يدخل على هذا الرجل ولا يخرج من عنده قال : فقال لي عثمان : هذا
ما أمر به طلحة بن عبيدالله ثم قال عثمان : اللهم اكفني طلحة بن عبيدالله فإنه
حمل عليٍّ هؤلاء وألبهم ، والله إنني لأرجو أن يكون منها صفرأ وأن يسفك دمه ، إنه
انتهك مني ما لا يحل له ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يحل دم امرئ مسلم
إلا في إحدى ثلاث : رجلٌ كفر بعد إسلامه فيقتل ، أو رجلٌ زنى بعد إحصائه
فيرجم ، أو رجلٌ قتل نفساً بغير نفس . ففيم أقتل ؟ قال : ثم رجع عثمان . قال
ابن عباس : فأردت أن أخرج فمنعوني حتى مرَّ بي محمد بن أبي بكر فقال :
خلوه . فخلوني . تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٢٢ ، الكامل ابن الأثير ج ٣ ص ٧٣ .

٤ - أخرج الطبري من طريق الحسن البصري : إن طلحة بن عبيدالله باع
أرضاً له من عثمان بسبعمائة ألف فحملها إليه فقال طلحة : إن رجلاً تنسق هذه
عنه^(١) وفي بيته لا يدري ما يطرقه من أمر الله عز وجل لغريراً بالله سبحانه ، فبات
ورسوله يختلف بها في سكك المدينة يقسمها حتى أصبح فأصبح وما عنده منها
درهم . قال الحسن : وجاءها هنا يطلب الدينار والدرهم . أو قال : الصفرأ
والبيضاء .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٣٩ ، تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٨١ .

(١) في شرح ابن أبي الحديد : عنده .

٥ - حكى ابن أبي الحديد عن الطبري : إنَّ عثمان كان له على طلحة خمسون ألفاً فخرج عثمان يوماً إلى المسجد فقال له طلحة : قد تهيأ مالك فاقبضه فقال : هـولك يا أبا محمَّد معونة لك على مروءتك . قال : فكان عثمان يقول وهو محصورٌ جزاء سنمار^(١) .

وقال ابن أبي الحديد : كان طلحة من أشدَّ الناس تحريضاً عليه ، وكان الزبير دونه في ذلك . روي أنَّ عثمان قال : ويلي على ابن الحضرمية - يعني طلحة - أعطيته كذا وكذا بهاراً ذهباً وهو يروم دمي يحرض على نفسي ، اللهم لا تمتعه به ولقه عواقب بغيه .

قال : وروى الناس الذين صنَّفوا في واقعة الدار : أنَّ طلحة كان يوم قُتل عثمان مقتنعاً بثوب قد استتر به عن أعين الناس يرمي الدار بالسهم ، ورووا أيضاً : أنَّه لما امتنع على الذين حصروه الدخول من باب الدار حملهم طلحة إلى دارٍ لبعض الأنصار فأصعدهم إلى سطحها وتسوَّروا منها على عثمان داره فقتلوه . شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٤٠٤ .

٦ - روى المدائني في كتاب مقتل عثمان : إنَّ طلحة منع من دفنه ثلاثة أيَّام ، وإنَّ علياً لم يبايع الناس إلَّا بعد قتل عثمان بخمسة أيَّام ، وإنَّ حكيم بن حزام أحد بني أسد بن عبد العزى وجبير بن مطعم بن الحرث بن نوفل استنجدا بعليٍّ على دفنه فأقعد طلحة لهم في الطريق ناساً بالحجارة فخرج به نفرٌ يسيرٌ من أهله وهم يريدون به حائطاً بالمدينة يُعرف بحشٍّ كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم ، فلما صار هناك رجم سريره وهمَّوا بطرحه ، فأرسل عليٌّ إلى الناس يعزم عليهم ليكفَّوا عنه ، فكفَّوا فانطلقوا به حتَّى دفنوه في حشٍّ كوكب .

وأخرج المدائني في الكتاب قال : دُفن عثمان بين المغرب والعتمة ولم يشهد جنازته إلَّا مروان بن الحكم وابنة عثمان وثلاثة من مواليه فرفعت إبنته صوتها تندبه وقد جعل طلحة ناساً هناك أكنهم كميناً فأخذتهم الحجارة وصاحوا : نعثل

(١) هذا الحديث أخرجه الطبري في تاريخه ج ٥ ص ١٣٩ وليس فيه ما حكاه عنه ابن أبي الحديد (فكان عثمان يقول وهو محصور : جزاء سنمار) .

حديث طلحة بن عبيد الله ١١٩

نعثل . فقالوا : الحائط الحائط . فدفن في حائط هناك .

٧ - أخرج الواقدي قال : لَمَّا قُتِلَ عثمان تكلّموا في دفنه فقال طلحة : يُدفن بدير سلع . يعني مقابر اليهود . ورواه الطبري في تاريخه ج ٥ ص ١٤٣ غير أنّ فيه مكان طلحة : رجل .

٨ - أخرج الطبري بالإسناد قال : حُصِرَ عثمان وعليٌّ بخيبر فلَمَّا قدم أرسل إليه عثمان يدعوه فانطلق فقلت : لأنطلقنّ معه ولأسمعنّ مقاتلتهما ، فلَمَّا دخل عليه كَلَّمَهُ عثمان فحمد الله وأثنى عليه ثُمَّ قال : أَمَّا بعد فإنّ لي عليك حقوقاً حقّ الإسلام وحقّ الإخاء ، وقد علمت أنّ رسول الله ﷺ حين آخى بين الصحابة آخى بيني وبينك ، وبَيَّنَ حقّ القرابة والصهر وما جعلت لي في عنقك من العهد والميثاق ، فوالله لو لم يكن من هذا شيءٌ ثُمَّ كُنَّا إِنَّمَا نحن في جاهليّة لَكُنَّا مُبْطَأً على بني عبد مناف أن يبتزّهم أخو بني تيم ملكهم . فتكلّم عليٌّ فحمد الله وأثنى عليه ثُمَّ قال : أَمَّا بعد : فكلّ ما ذكرت من حقّك عليٌّ على ما ذكرت ، أَمَّا قولك : لو كُنَّا في جاهليّة لَكُنَّا مُبْطَأً على بني عبد مناف أن يبتزّهم أخو بني تيم ملكهم ، فصدقت وسيأتيك الخبر . ثُمَّ خرج فدخل المسجد فرأى أسامة جالساً فدعاه فاعتمد على يده فخرج يمشي إلى طلحة وتبعته فدخلنا دار طلحة بن عبيد الله وهي رجّاس من الناس فقام إليه فقال : يا طلحة ! ما هذا الأمر الذي وقعت فيه ؟ فقال : يا أبا حسن ! بعدما مسّ الحزام الطيبين^(١) فانصرف عليٌّ ولم يُحرّ إليه شيئاً حتّى أتى بيت المال فقال : افتحوا هذا الباب . فلم يقدر على المفاتيح فقال : اكسروه فكُسر باب بيت المال فقال : أخرجوا المال . فجعل يُعطي الناس فبلغ الذين في دار طلحة الذي صنع عليٌّ فجعلوا يتسلّلون إليه حتّى ترك طلحة وحده ، وبلغ الخبر عثمان فسرّ بذلك ، ثُمَّ أقبل طلحة يمشي عائداً إلى دار عثمان فقلت : والله لأنظرنّ ما يقول هذا فتتبعته فاستأذن على عثمان فلَمَّا دخل عليه قال : يا أمير المؤمنين ! استغفر الله وأتوب إليه أردت أمراً فحال الله بيني وبينه ، فقال عثمان : إنك والله ما

(١) أي : اشتدّ الامر وتفاقم . كتب عثمان الى عليّ عليه السلام : قد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطيبين . تاج العروس ج ١ ص ٢٢٢ .

١٢٠ الغدير ج - ٩

جئت تائباً ولكنك جئت مغلوباً ، الله حسيك يا طلحة . تاريخ الطبري ج ٦
ص ١٥٤ ، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ٧٠ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١
ص ١٦٥ . تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٩٧ .

قال الأميني : هذا لفظ تاريخ الطبري المطبوع وقد لعبت به أيدي الهوى
بالتحريف وزادت فيه حديث الإخاء بين عثمان وعليّ المتسالم على بطلانه بين فرق
المسلمين ، كأنّ القوم آلوا على أنفسهم بأن لا يدعوا حديثاً إلاّ شوّهوه بالإختلاق ،
وقد حكى ابن أبي الحديد هذا الحديث عن تاريخ الطبري في شرحه ج ٢
ص ٥٠٦ ولا توجد فيه مسألة الإخاء وإليك لفظه :

روى الطبري في التاريخ : إنّ عثمانَ لما حُصر كان عليّ عليه السلام بخير في
أمواله فلما قدم أرسل إليه يدعوه فلما دخل عليه قال له : إنّ لي عليك حقّاً : حقّ
الإسلام ، وحقّ النسب ، وحقّ مالي عليك من العهد والميثاق ، والله إن لولم
يكن من هذا كلّ شيءٍ وكُنّا في جاهلية لكان عاراً على بني عبد مناف أن يبتزّهم أخو
تيم ملكهم يعني طلحة ، فقال له عليه السلام : سيأتيك الخبر . إلى آخر الحديث باللفظ
المذكور .

وقد أسلفنا في الجزء الثالث ص ١٤٨ - ١٦٠ حديث المواخاة بأوسع ما
يسطر وفيه : إنّ رسول الله ﷺ هو الذي واخى أمير المؤمنين عليه السلام لا غيره .

٩ - ذكر البلاذري في حديث : إنّ طلحة قال لعثمان : إنّك أحدثت أحداثاً
لم يكن الناس يعهدونها ، فقال عثمان : ما أحدثت أحداثاً ولكنكم أظنّاء تفسدون
عليّ الناس وتؤلّبوهم .

[الأنساب ج ٥ ص ٤٤]

١٠ - حكى البلاذري عن أبي مخنف وغيره : حرس القوم عثمان ومنعوا من
أن يدخل عليه ، وأشار عليه سعيد بن العاص بأن يُحرّم ويُلَبّي ويخرج فيأتي مكة
فلا يقدم عليه . فبلغهم قوله فقالوا : والله لئن خرج لا فارقناه حتّى يحكم الله بيننا
وبينه ، واشتدّ عليه طلحة بن عبيدالله في الحصار ، ومنع من أن يدخل إليه الماء

حديث طلحة بن عبيدالله ١٢١

حتى غضب علي بن أبي طالب من ذلك ، فأدخلت عليه روايا الماء .

[الأنساب ج ٥ ص ٧١]

١١ - في رواية للبلاذري ص ٩٠ : كان الزبير وطلحة قد استوليا على الأمر ، ومنع طلحة عثمان من أن يدخل عليه الماء العذب فأرسل علي إلى طلحة وهو في أرض له على ميل من المدينة : أن دع هذا الرجل فليشرب من مائه ومن بشره يعني بشر رومة ، ولا تقتلوه من العطش . فأبى فقال علي : لولا أنني قد آليت يوم ذي حُشب أنه إن لم يُطعني لا أردُّ عنه أحداً لأدخلت عليه الماء .

وفي الإمامة والسياسة ج ١ ص ٣٤ : أقام أهل الكوفة وأهل مصر بيباب عثمان ليلاً ونهاراً وطلحة يحرض الفريقين جميعاً على عثمان ، ثم إن طلحة قال لهم : إن عثمان لا يبالي ما حضرتموه وهو يدخل إليه الطعام والشراب فامنعوه الماء أن يدخل عليه .

١٢ - قال البلاذري : قالوا : مرَّ مجمع بن جارية الأنصاري بطلحة بن عبيدالله فقال : يا مجمع ما فعل صاحبك ؟ قال : أظنكم والله قاتليه . فقال طلحة : فإن قُتل فلا ملك مقرب ولا نبي مرسل .

[الأنساب ج ٥ ص ٧٤]

١٣ - وروى البلاذري في حديث : وسلّم عثمان على جماعة فيهم طلحة فلم يردوا عليه فقال . يا طلحة ! ما كنت أرى أنه أعيش إلى أن أسلم عليك فلا ترد علي السلام .

[الأنساب ج ٥ ص ٧٦]

كأن هذه القضية غير ما وقع في أيام الحصار الثاني ممّا ذكره الديار بكرى في تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٠ قال : أشرف عثمان عليهم ذات يوم وقال : السلام عليكم . فما سمع أحداً من الناس يرد عليه إلا أن يرد في نفسه . وسيوافيك حديث جبلة بن عمرو الأنصاري ونهيه الناس عن رد السلام على عثمان إذا سلّمهم .

١٤ - أخرج البلاذري من طريق يحيى بن سعيد قال : كان طلحة قد استولى

على أمر الناس في الحصار ، فبعث عثمان عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب إلى عليّ بهذا البيت :

وإن كنت مأكولاً فكن أنت آكلي وإلا فأدركني ولمّا أمزق^(١)
وقال أبو مخنف : صلى عليّ بالناس يوم النحر وعثمان محصورٌ فبعث إليه
عثمان بيت الممزق ، وكان رسوله به عبدالله بن الحارث ففرّق عليّ الناس عن
طلحة ، فلما رأى ذلك طلحة دخل على عثمان فاعتذر فقال له عثمان : يا ابن
الحضرميّة ! ألّبت عليّ الناس ودعوتهم إلى قتلي حتّى إذا فاتك ما تريد جئت
معتذراً ، لا قبل الله ممّن قبل عذرک .

[الأنساب ج ٥ ص ٧٧]

١٥ - روى البلاذري بإسناده من طريق ابن سيرين أنّه قال : لم يكن من
أصحاب النبي ﷺ أشدّ على عثمان من طلحة . الأنساب ج ٥ ص ٨١ ، وذكره ابن
عبد ربّه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٦٩ .

١٦ - أخرج ابن سعد وابن عساكر قال : كان طلحة يقول يوم الجمل :
إنّا داهنا في أمر عثمان فلا نجد شيئاً أمثل من أن نبذل دماءنا فيه ، اللهم خذ لعثمان
منيّ اليوم حتّى ترضى . طبقات ابن سعد ، تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٨٤ ، تذكرة
السبط ص ٤٤ .

١٧ - أخرج ابن عساكر قال : كان مروان بن الحكم في الجيش - يوم
الجمل - فقال : لا أطلب بثاري بعد اليوم ، فهو الذي رمى طلحة فقتله ، ثمّ قال
لأبان بن عثمان : كفيّتك بعض قتلة أبيك ، وكان السهم قد وقع في عين ركبتة ،
فكانوا إذا أمسكوها انتفخت وإذا أرسلوها انبعثت فقال : دعوها فإنّها سهمٌ أرسله
الله .

[تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٨٤]

قال أبو عمر في الاستيعاب : لا يختلف العلماء الثقات في أنّ مروان قتل
طلحة يومئذٍ وكان في حزبه ، روى عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن زيد عن
يحيى بن سعيد قال : قال طلحة يوم الجمل :

(١) هذا البيت للممزق العبدى شاش بن لها بن الاسود . وبه سمي الممزق .

حديث طلحة بن عبيدالله ١٢٣

ندمت ندامة الكسعي لما شريت رضا بني جرم برغمي^(١)
اللهم خذ مني لعثمان حتى يرضى .

«بيان» الكسع : حي من قيس عيلان ، وقيل : هم حي من اليمن رماة ،
ومنهم الكسعي الذي يضرب به المثل في الندامة وهو رجل رام رمى بعدما أسدف
الليل عيراً فأصابه وظن أنه أخطأه فكسر قوسه وقيل : وقطع إصبعه ثم ندم من الغد
حين نظر إلى العير مقتولاً وسهمه فيه ، فصار مثلاً لكل نادم على فعل يفعله . وإياه
عنى الفرزدق بقوله :

ندمت ندامة الكسعي لما غدت مني مطلقاً نوار
وقال آخر :

ندمت ندامة الكسعي لما رأت عيناه ما فعلت يده
وقيل : كان إسم الكسعي محارب بن قيس .

وأخرج أبو عمر من طريق ابن أبي سبرة قال : نظر مروان إلى طلحة يوم
الجميل فقال : لا أطلب بثاري بعد اليوم . فرماه بسهم فقتله .

وأخرج من طريق يحيى بن سعيد عن عمه أنه قال : رمى مروان طلحة بسهم
ثم التفت إلى أبان بن عثمان فقال : قد كفينا بعض قتلة أبيك .

وأخرج من طريق قيس نقلاً عن ابن أبي شيبه أن مروان قتل طلحة ، ومن
طريق وكيع وأحمد بن زهير بإسنادهما عن قيس بن أبي حازم حديث : لا أطلب
بثاري بعد اليوم . وزاد في «اسد الغابة» ما مر من قول مروان لأبان .
وقال ابن حجر في الإصابة ج ٢ ص ٢٣٠ : روى ابن عساكر من طرق^(٢)

(١) هذا البيت معه ثلاثة أبيات أخر ذكرها ابن الاثير في اسد الغابة ج ٣ ص ١٠٤ ، وسبط ابن
الجوزي في التذكرة ص ٤٤ .

(٢) حذفها يد الطبع الامينة على ودائع العلم حيا الله الامانة . لقد لعبت يد الشيخ عبد القادر بن
بدران بتاريخ ابن عساكر لما هذبه ورتبه على زعمه فأخرجه عما هو عليه ، وجعله مسيخاً
مشوهاً بإدخال آرائه الساقطة فيه ، وأسقط منه أحاديث كثيرة متناً وإسناداً ممّا لا يروقه .

١٢٤ الغدير ج - ٩

متعددة : إنّ مروان بن الحكم هو الذي رماه فقتله ، منها : ما أخرجه أبو القاسم البغوي بسند صحيح عن الجارود بن أبي سبرة قال : لَمَّا كان يوم الجمل نظر مروان إلى طلحة فقال : لا أطلب ثاري بعد اليوم فنزع له بسهم فقتله .

وأخرج يعقوب بن سفيان بسند صحيح عن قيس بن أبي حازم أنّ مروان بن الحكم رأى طلحة في الخيل فقال : هذا أعان على عثمان فرماه بسهم في ركبته ، فما زال الدم يسبح حتى مات . وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٣٧٠ .

أخرجه عبد الحميد بن صالح عن قيس ، وأخرجه الطبراني من طريق يحيى بن سليمان الجعفي عن وكيع بهذا السند قال : رأيت مروان بن الحكم حين رمى طلحة يومئذٍ بسهم فوقع في عين ركبته ، فما زال الدم يسبح إلى أن مات .
وأخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٣٧٠ من طريق عكراش قال : كنّا نقاتل عليّاً مع طلحة ومعنا مروان قال : فانهزمتنا فقال مروان : لا أدرك بثاري بعد اليوم من طلحة فرماه بسهم فقتله .

وقال محبّ الدين الطبري في الرياض ج ٢ ص ٢٥٩ : المشهور أنّ مروان بن الحكم هو الذي قتله رماه بسهم وقال : لا أطلب بثاري بعد اليوم . وذلك أنّ طلحة زعموا أنّه كان ممّن حاصر عثمان واشتدّ عليه .

وأخرج البلاذري في «الأنساب» ص ١٣٥ في حديث عن روح بن زنباع : إنّهُ قال : رمى مروان طلحة فاستقاد منه لعثمان .

يوجد حديث قتل مروان بن الحكم طلحة بن عبيدالله أخذاً بشار عثمان في مروج الذهب ج ٢ ص ١١ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٩ ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٧٠ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٠٤ ، صفة الصفوة لابن الجوزي ج ١ ص ١٣٢ ، أسد الغابة ج ٣ ص ٦١ ، دول الإسلام للذهبي ج ١ ص ١٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٤٧ ، تذكرة السبط ص ٤٤ ، مرآة الجنان لليافعي ج ١ ص ٩٧ ، تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢١ ، تاريخ ابن شحنة هامش الكامل ج ٧ ص ١٨٩ .

١٨ - أخرج ابن سعد بالإسناد عن شيخ من كلب قال : سمعت عبدالمك بن مروان يقول : لولا أنّ أمير المؤمنين مروان أخبرني أنّه قتل طلحة ما

حديث طلحة بن عبيدالله ١٢٥

تركت أحداً من ولد طلحة إلا قتلته بعثمان .

١٩ - أخرج الحميدي في النوادر من طريق سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن مروان قال : دخل موسى بن طلحة على الوليد فقال له الوليد : ما دخلت عليّ قط إلا هممتُ بقتلك لولا أنّ أبي أخبرني أنّ مروان قتل طلحة .

[تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٢]

٢٠ - أخرج الطبري في حديث : فقام طلحة والزبير خطيبين (يعني بالبصرة) فقالا : يا أهل البصرة توبةٌ بحوبة ، إنّما أردنا أن يُستعتب أمير المؤمنين عثمان ولم نُرد قتلته فغلب سفهاء الناس الحلماء حتّى قتلوه . فقال الناس لطلحة : يا أبا محمد قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا . [تاريخ الطبري : ج ٥ ص ١٧٩]

٢١ - ذكر المسعودي في حديث وقعة الجمل : ثمّ نادى عليّ رضي الله عنه طلحة حين رجع الزبير : يا أبا محمد ! ما الذي أخرجك ؟ قال : الطلّب بدم عثمان . قال عليّ : قتل الله أولانا بدم عثمان^(١) .

[مروج الذهب ج ٢ ص ١١]

٢٢ - لما نزل طلحة والزبير السبخة^(٢) أتاهما عبدالله بن الحكيم التميمي لكتب كانا كتبها إليه فقال لطلحة : يا أبا محمد ! أما هذه كتبك إلينا ؟ قال : بلى . قال : فكتبتم أمس تدعوننا إلى خلع عثمان وقتله حتّى إذا قتلته أتيتنا ثائراً بدمه ، فلعمري ما هذا رأيك ، لا تريد إلا هذه الدنيا ، مهلاً إذا كان هذا رأيك فلم قبلت من عليّ ما عرض عليك من البيعة ؟ فبايعته طائعاً راضياً ثمّ نكثت ببيعتك ، ثمّ جئت لتدخلنا في فتنتك . الحديث^(٣) .

٢٣ - قال ابن قتيبة : ذكروا أنّه لما نزل طلحة والزبير وعائشة البصرة إصطفّ لها الناس في الطريق يقولون : يا أمّ المؤمنين ! ما الذي أخرجك من بيتك ؟ فلمّا أكثروا عليها تكلمت بلسان طلق وكانت من أبلغ الناس فحمدت الله وأثنت عليه ثمّ

(١) لقد استجاب الله تعالى دعاء الامام عليه السلام فقتل طلحة في اسرع وقت .

(٢) السبخة بالتحريك موضع بالبصرة .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥٠٠ .

قالت : أيُّها النَّاسُ والله ما بلغ من ذنب عثمان أن يُستحلَّ دمه^(١) ولقد قُتلَ مظلوماً ، غضبنا لكم من السوط والعصا ولا نغضب لعثمان من القتل ، وإنَّ من الرأى أن تنظروا إلى قتلة عثمان فيقتلوا به ثمَّ يُردَّ هذا الأمر شورى على ما جعله عمر بن الخطَّاب . فمن قائل يقول : صدقت . وآخر يقول : كذبت . فلم يرح النَّاس يقولون ذلك حتَّى ضرب بعضهم وجوه بعض فبينما هم كذلك أتاهم رجل من أشراف البصرة بكتاب كان كتبه طلحة في التَّأليب على قتل عثمان . فقال لطلحة : هل تعرف هذا الكتاب ؟ قال نعم . قال : فما ردُّك على ما كنت عليه ، وكنت أمس تكتب إلينا تؤلِّبنا على قتل عثمان وأنت اليوم تدعونا إلى الطلب بدمه ؟ وقد زعمتما أنَّ علياً دعاكما إلى أن تكون البيعة لكما قبله إذ كنتما أسنَّ منه فأبيتما إلَّا أن تقدِّماه لقرباته وسابقتهم فبايعتماه ، فكيف تنكثان بيعتكما بعد الذي عرض عليكما ؟ قال طلحة : دعانا إلى البيعة بعد أن اغتصبها وبايعه النَّاس ، فعلمنا حين عرض علينا أنَّه غير فاعل ولو فعل أبى ذلك المهاجرون والأنصار ، وخفنا أن نردَّ بيعته فنقتل فبايعناه كارهين ، قال : فما بدا لكما في عثمان ؟ قال : ذكرنا ما كان من طعننا عليه وخذلاننا إيَّاه ، فلم نجد من ذلك مخرجاً إلَّا الطلب بدمه . قال : ما تأمراني به ؟ قال : بايعنا على قتال عليٍّ ونقض بيعته ، قال : أرايتم إن أتانا بعدكما من يدعونا إليه ما نصنع ؟ قال : لا تبايعه . قال ما أنصفتما أتأمراني أن أقاتل علياً وأنقض بيعته وهي في أعناقكما وتنهاني عن بيعه من لا بيعه له عليكما ؟ اما إننا قد بايعنا علياً ، فإن شئتما بايعناكما بيسار أيدينا . قال : ثمَّ تفرَّق النَّاس فصارت فرقة مع عثمان بن حنيف ، وفرقة مع طلحة والزبير . ثمَّ جاء جارية بن قدامة فقال : يا أمَّ المؤمنين ! لقتل عثمان كان أهون علينا من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون ، إنَّه كانت لك من الله حرمة وستر ، فهتكتِ سترك ، وأبحتِ حرمتك ، إنَّه من رأى قتالك فقد رأى قتلك ، فإن كنت يا أمَّ المؤمنين ، أتيتينا طائعة ، فارجعي إلى منزلك ، وإن كنت أتيتينا مستكرهة ، فاستعيتي^(٢) .

(١) أنى هذا المحال والتمحل من قوارصها التي مرَّت في ص ١٠١ - ١١٠ .

(٢) الامامة والسياسة ج ١ ص ٦٠ .

حديث طلحة بن عبيد الله ١٢٧

٢٤ - ذكر أبو مخنف من طريق مسافر بن عفيف من خطبة^(١) لمولانا أمير المؤمنين قوله : اللهم إنَّ طلحة نكث بيعتي وألب على عثمان حتى قتله ثمَّ عضهني به ورماني اللهم فلا تمهله ، اللهم إنَّ الزبير قطع رحمي ونكث بيعتي وظاهر عليَّ عدوي فاكفنيه اليوم بما شئت^(٢) .

٢٥ - أخرج الطبري في تاريخه ج ٥ ص ١٨٣ من طريق علقمة بن وقاص الليثي قال : لَمَّا خرج طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم رأيت طلحة وأحبَّ المجالس إليه أخلاها وهو ضاربٌ بلحيته على زوره^(٣) فقلت : يا أبا محمد ! أرى أحبَّ المجالس إليك أخلاها وأنت ضاربٌ بلحيتك على زورك ، إن كرهت شيئاً فاجلس . قال : فقال لي : يا علقمة بن وقاص ! بينا نحن يدٌ واحدة على مَن سوانا إذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضاً إنَّه كان مني في عثمان شيءٌ ليس توبتي إلا أن يُسفك دمي في طلب دمه .

الوجه في هذه التوبة إن صحَّت وكان المؤود من النفوس المحترمة أن يسلم نفسه لأولياء القتل أو لإمام الوقت فيقيدوا منه ، لا أن يلحق فتنة كبرى تُراق فيها دماءٌ بريئة من دم عثمان ، وتزهق أنفُسٌ لم تكن هنالك في حَلٍّ ولا مرتحل ، فيكون قد زاد ضغناً على أبالة ، وجاء بها حشفاً وسوء كيلة .

٥ - حديث الزبير بن العوام أحد العشرة المبشِّرة ، وأحد أصحاب الشورى الست :

١ - أخرج الطبري في حديث وقعة الجمل : خرج عليٌّ على فرسه فدعا الزبير فتوافقا فقال عليٌّ للزبير : ما جاء بك ؟ قال : أنت ، ولا أراك لهذا الأمر أهلاً ولا أولى به منّا . فقال عليٌّ : لست^(٤) له أهلاً بعد عثمان رضي الله عنه ؟ قد كنّا

(١) ذكرها ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ١ ص ١٠١ .

(٢) يا لها من دعوة مستجابة أصابت الرجلين من دون مهلة .

(٣) الزور : الصدر وقيل : وسط الصدر . وقيل : أعلى الصدر . وقيل : ملتقى أطراف عظام الصدر .

(٤) في الكامل لابن الاثير : ألت .

نعدُّك من بني عبد المطلب حتَّى بلغ إبنك ابن السوء ففرَّق بيننا وبينك . وعظَّم عليه أشياء فذكر أنَّ النبيَّ ﷺ مرَّ عليهما فقال لعليٍّ : ما يقول ابن عمَّتكَ ؟ ليقَاتِلَنَّك وهو لك ظالمٌ^(١) فانصرف عنه الزبير وقال : فإنِّي لا أقاتلك ، فرجع إلى إبنه عبد الله ، فقال : مالي في هذا الحرب بصيرة . فقال له إبنه : إنَّكَ قد خرجت على بصيرة ، ولكنَّكَ رأيت رايات ابن أبي طالب وعرفت أنَّ تحتها الموت فجبنْتَ ، فأحفظه حتَّى أُرعد وغضب وقال : ويحك إنِّي قد حلفت له ألا أقاتله . فقال له إبنه : كَفَّر عن يمينك بعق غلامك (سرجيس) فأعتقه وقام في الصفِّ معهم ، وكان عليٌّ قال للزبير : أطلب مني دم عثمان ؟ وأنت قتلتَه ، سلَّط الله على أشدِّنا عليه اليوم ما يكره^(٢) .

وقول عليٍّ ﷺ للزبير : أطلب مني دم عثمان وأنت قتلتَه . الخ . أخرجه أيضاً الحافظ العاصمي في زين الفتى . وفي لفظ المسعودي : قال عليٌّ : ويحك يا زبير ! ما الذي أخرجك ؟ قال : دم عثمان . قال عليٌّ : قتل الله أولانا بدم عثمان .

قال الأُميني : إنَّما حلف الزبير على ترك القتال لأنَّه وجده بعد تذكير الإمام ﷺ له الحديث النبويُّ ، وبعد إتمام الحجَّة عليه بذلك محرماً عليه في الدين ، وأنَّه من الظلم الفاحش الذي استقلَّ العقل بتحريمه ، فهل التكفير بعق الغلام يُبيح ذلك المحرَّم بالعقل والشرعية ؟ ويسوِّغ الخروج على الإمام المفترض طاعته ؟ لا . لكن تسويل عبد الله هو الذي فرَّق بين الزبير وبين آل عبد المطلب ، وأباح له كلَّ محظور ، فقاتل إمام الوقت ظالماً كما ورد في النصِّ النبويِّ ، وصدَّق الخبرُ الخبر .

٢ - ذكر المسعودي في حديث : إنَّ مروان بن الحكم قال - يوم الجمل - : رجع الزبير ، يرجع طلحة ، ما أبالي رميت ها هنا أم ها هنا ، فرماه في أكحله فقتله .

[مروج الذهب ج ٢ ص ١١]

(١) هذا الحديث أخرجه جمع من الحفاظ كما أسلفناه في الجزء الثالث ص ٢٤٠

(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٠٤ ، مروج الذهب ج ٢ ص ١٠ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ١٠٢ .

حديث الزبير بن العوام ١٢٩

٣ - قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٢ ص ٤٠٤ : كان طلحة من أشد الناس تحريضاً عليه ، وكان الزبير دونه في ذلك ، روي أن الزبير كان يقول : أقتلوه فقد بدّل دينكم . فقالوا له : إن إبنك يحامي عنه بالباب . فقال : ما أكره أن يُقتل عثمان ولو بُدئ بابني ، إن عثمان لجيفة على الصراط غداً .

٤ - أخرج البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٧٦ من طريق أبي مخنف قال : جاء الزبير إلى عثمان فقال له : إن في مسجد رسول الله ﷺ جماعة يمنعون من ظلمك ، ويأخذونك بالحق ، فأخرج فخاصم القوم إلى أزواج النبي ﷺ ، فخرج معه فوثب الناس عليه بالسلاح فقال : يا زبير ! ما أرى أحداً يأخذ بحق ، ولا يمنع من ظلم ، ودخل ومضى الزبير إلى منزله .

٥ - قال البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ١٤ : وجدت في كتاب لعبدالله عن الصالح العجلي ذكروا : أن عثمان نازع الزبير فقال الزبير : إن شئت تقاذفنا ؟ فقال عثمان : بماذا أبا البعير يا أبا عبدالله ؟ قال : لا والله ولكن بطبع خباب ، وريش المقعد ، وكان خباب يطبع السيوف ، وكان المقعد يريش النبل . وقال ابن المغيرة بن الأحنس متغنياً على قعود له :

حُكيم وعمّار الشجا ومحمّد وأشتر والمكشوح جرّوا الدواھيا
وقد كان فيها للزبير عجاجة وصاحبه الأدنى أشاب النواصيا^(١)

٦ - حديث طلحة والزبير :

١ - من كلام لمولانا أمير المؤمنين في شأن الرجلين : والله ما أنكروا عليّ منكراً ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً ، وإنّهم ليطلبون حقّاً هم تركوه ، ودمأ هم سفكوه ، فإن كنت شريكهم فيه فإنّ لهم نصيبهم منه ، وإن كانوا ولّوه دوني فما الطلبة إلّا قبْلهم ، وإنّ أوّل عدلهم للحكم على أنفسهم ، وإنّ معي لبصيرتي ما لبّست ولا لبّس عليّ ، وإنّها للفتة الباغية فيها الحما والحمة^(٢) .

[نهج البلاغة ج ١ ص ٢٥٤]

(١) كتاب صفين لابن مزاحم ط مصر ص ٦٠ ، ٦٦ .

(٢) قال ابن أبي الحديد : كنى عليّ عليه السلام عن الزوجة بالحمة . وهي : سم العقرب . والحما يضرب مثلاً لغير الطيب ولغير الصافي .

وفي لفظ أبي عمر في «الإستيعاب» في ترجمة طلحة بن عبيدالله : إني مُنيت بأربعة : أدهى النَّاس وأسخاهم طلحة ، وأشجع النَّاس الزبير ، وأطوع النَّاس في النَّاس عائشة ، وأسرع النَّاس إلى الفتنة يعلى بن منية ، والله ما أنكروا عليَّ شيئاً منكراً ، ولا استأثرت بمال ، ولا ملت بهوى ، وأنهم ليطلبون حقاً تركوه ، ودماً سفكوه ، ولقد ولوه دوني ، وإن كنت شريكهم في الإنكار لما أنكروه ، وما تبعه عثمان إلاّ عندهم ، وأنهم لهم الفئة الباغية . إلى قوله عليه السلام : والله إنَّ طلحة والزبير وعائشة ليعلمون أني على الحق وأنهم مبطلون .

٢ - من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة : أمّا بعد : فإنني أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه ، إنَّ النَّاس طعنوا عليه فكنت رجلاً من المهاجرين أكثر استعتابه ، وأقلُّ عتابه ، وكان طلحة والزبير أهون سيرهما فيه الوجيف ، وأرفق حدائهما العنيف ، وكان من عائشة فيه فلتة غضب ، فأتيت له قومٌ فقتلوه ، وبايعني الناس غير مستكرهين ولا مجبرين بل طائعين مخيرين .

[نهج البلاغة ج ٢ ص ٢ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٥٨]

قال ابن أبي الحديد في الشرح ج ٣ ص ٢٩٠ : أمّا طلحة والزبير فكانا شديدين عليه (على عثمان) والوجيف : سير سريع وهذا مثلٌ يقال للمستمرين في الطعن عليه حتى أنَّ السير السريع أبطأ ما يسيران في أمره ، والحداء العنيف أرفق ما يحرّضان به عليه .

٣ - قال البلاذري : حدّثني المدائني عن ابن الجعدبة قال : مرَّ عليٌّ بدار بعض آل أبي سفيان فسمع بعض بناته تضرب بدُف وتقول :

ظُلّامة عثمان عند الزبير وأوتر منه لنا طلحة
هما سعراهما بأجدالها وكانا حقيقين بالفضحة

فقال عليٌّ : قاتلها الله ، ما أعلمها بموضع ثأرها ؟

[الأنساب ج ٥ ص ١٠٥]

٤ - أخرج الطبري من طريق ابن عباس قال : قدمت المدينة من مكّة بعد

حديث طلحة والزبير ١٣١

قتل عثمان رضي الله عنه بخمسة أيام فجئت علياً أدخل عليه فقبل لي : عنده المغيرة بن شعبة فجلست بالباب ساعة فخرج المغيرة فسلم عليّ فقال : متى قدمت ؟ فقلت : الساعة . فدخلت على عليّ فسلمت عليه فقال لي : لقيت الزبير وطلحة ؟ قال : قلت : لقيتهما بالنواصف . قال : من معهما ؟ قلت : أبو سعيد بن الحارث بن هشام في فئة من قريش . فقال عليّ : أما إنهم لن يدعوا أن يخرجوا يقولون : نطلب بدم عثمان والله نعلم أنهم قتلة عثمان .

[تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٦٠]

٥ - أخرج الطبري عن عمر بن شبه من طريق عتبة بن المغيرة بن الأخنس قال : لقي سعيد بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه بذات عرق فقال : أين تذهبون ؟ وثأركم على أعجاز الإبل اقتلوهم^(١) ثم ارجعوا إلى منازلكم لا تقتلوا أنفسكم . قالوا : بل نسير فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعاً . فخلا سعيد بطلحة والزبير فقال : إن ظفرتما لمن تجعلان الأمر ؟ أصدقاني . قال : لأحدنا أيّنا اختاره الناس . قال : بل اجعلوه لولد عثمان فإنكم خرجتم تطلبون بدمه . قال : ندعُ شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم ؟ قال : أفلا أراني أسعى لأخرجها من بني عبد مناف ؟ فرجع ورجع عبدالله بن خالد بن اسيد فقال المغيرة بن شعبة : الرأي ما رأى سعيد من كان ها هنا من ثقيف فليرجع فرجع . الحديث .

[تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٦٨]

٦ - وفي كتاب كتبه ابن عباس إلى معاوية جواباً : وأما طلحة والزبير فإنّهما أجلبا عليه وضيقا خناقه ، ثم خرجا ينقضان البيعة ويطلبان الملك ، فقاتلناهما على النكث كما قاتلناك على البغي . كتاب نصر بن مزاحم ص ٤٧٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٨٩ .

٧ - قدم على حابس بن سعد سيّد طيّ بالشام ابن عمّه فأخبره أنّه شهد قتل عثمان بالمدينة المنورة وسار مع عليّ إلى الكوفة وكان له لسانٌ وهيبة فغدا به حابس إلى معاوية فقال : هذا ابن عمّي قدم من الكوفة ، وكان مع عليّ وشهد قتل عثمان

(١) يعني طلحة والزبير وأصحابهما .

بالمدينة وهو ثقة فقال معاوية : حدّثنا عن أمر عثمان . قال : نعم وليه محمّد بن أبي بكر ، وعمار بن ياسر ، وتجرّد في أمره ثلاثة أنفار: عدي بن حاتم ، والأشتر النخعي ، وعمرو بن الحمق ، ودبّ^(١) في أمره رجلان : طلحة والزبير ، وأبرأ الناس منه عليّ بن أبي طالب ثمّ تهافت الناس على عليّ بالبيعة تهافت الفراش حتى ضلّت^(٢) النعل ، وسقط الرداء ، ووطىء الشيخ ولم يُذكر عثمان ولم يذكروه . الخ .

(الإمامة والسياسة ج ١ ص ٧٤ ، كتاب صفّين لابن مزاحم ص ٧٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٥٩) .

٨ - أخرج الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ١١٨ بإسناده عن إسرائيل بن موسى أنّه قال : سمعت الحسن يقول : جاء طلحة والزبير إلى البصرة فقال لهم الناس : ما جاء بكم ؟ قالوا : نطلب دم عثمان . قال الحسن : أيا سبحان الله ! أفما كان للقوم عقول فيقولون : والله ما قتل عثمان غيركم ؟

٩ - لمّا انتهت عائشة وطلحة والزبير إلى حُفر أبي موسى^(٣) قريباً من البصرة أرسل عثمان بن حنيف وهو يومئذٍ عامل عليّ على البصرة إلى القوم أبا الأسود الدؤلي فجاء حتى دخل على عائشة فسألها عن مسيرها فقالت : أطلب بدم عثمان . قال : إنّه ليس بالبصرة من قتلة عثمان أحدٌ ، قالت . صدقت ولكنهم مع عليّ بن أبي طالب بالمدينة وجئت أستنهض أهل البصرة لقتاله ، أنغضب لكم من سوط عثمان ولا نغضب لعثمان من سيوفكم ؟ فقال لها : ما أنتِ من السوط والسيف ؟ إنّما أنتِ حبيس رسول الله ﷺ أمركِ أن تقرّ في بيتكِ ، وتتلّي كتاب ربّكِ ، وليس على النساء قتال ، ولا لهنّ الطلب بالدماء ، وإنّ عليّاً لأولى بعثمان منك وأمسّ رحماً فإنّهما إنا عبد مناف . فقالت : لست بمنصرفة حتى أمضي لما

(١) لفظ ابن مزاحم : وجّد في أمره رجلان .

(٢) وفي لفظ : ضاعت النعل

(٣) حفر أبي موسى هي ركايا حفرها أبو موسى الأشعري على جادة البصرة الى مكة بينها وبين البصرة خمس ليال .

حديث طلحة والزبير ١٣٣

قدمت إليه ، أفتظنُّ يا أبا الأسود أنَّ أحداً يقدم على قتالي ؟ قال : أما والله لتقاتلنَّ قتالاً أهونه الشديد . ثمَّ قام فأتى الزبير فقال : يا أبا عبدالله ! عهد الناس بك وأنت يوم بويج أبو بكر آخذٌ بقائم سيفك تقول : لا أحد أولى بهذا الأمر من ابن أبي طالب وأين هذا المقام من ذاك ؟ فذكر له دم عثمان ، قال : أنت وصاحبك وليتماه فيما بلغنا . قال : فانطلق إلى طلحة فاسمع ما يقول . فذهب إلى طلحة فوجده سادراً في غيِّه مصراً على الحرب والفتنة . الحديث .

الإمامة والسياسة ج ١ ص ٥٧ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٨ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٨١ .

١٠ - خرج عثمان بن حنيف إلى طلحة والزبير في أصحابه فناشدهم الله والإسلام وأذكرهما بيعتهما عليّاً فقالا : نطلب بدم عثمان . فقال لهما : وما أنتما وذاك ؟ أين بنوه ؟ أين بنو عمِّه الذين هم أحقُّ به منكم ؟ كلا والله ، ولكنكما حسدتماه حيث اجتمع النَّاس عليه ، وكنتما ترجوان هذا الأمر وتعملان له ، وهل كان أحداً أشدَّ على عثمان قولاً منكما ؟ فشتماه شتماً قبيحاً وذكرأ أمه . الحديث .
[شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥٠٠]

١١ - لما نزل طلحة والزبير وعائشة بأوطاس من أرض خيبر أقبل عليهم سعيد ابن العاصي على نجيب له فأشرف على النَّاس ومعه المغيرة بن شعبة فنزل وتوَكَّأ على قوس له سوداء فأتى عائشة فقال لها : أين تريدان يا أمَّ المؤمنين ؟ قالت : أريد البصرة . قال : وما تصنعين بالبصرة ؟ قالت : أطلب بدم عثمان . قال : فهؤلاء قتلة عثمان معك ، ثمَّ أقبل على مروان فقال له : أين تريد أيضاً ؟ قال : البصرة . قال : وما تصنع بها ؟ قال : أطلب قتلة عثمان . قال : فهؤلاء قتلة عثمان معك ، إنَّ هذين الرجلين قتلوا عثمان : طلحة والزبير ، وهما يريدان الأمر لأنفسهما فلما غلبا عليه قالوا : نغسل الدم بالدم والحبوة بالتوبة .

ثمَّ قال المغيرة بن شعبة : أيُّها النَّاس إن كنتم إنمَّا خرجتم مع أممكم ؟ فارجعوا بها خيراً لكم ، وإن كنتم غضبتم لعثمان ؟ فروسواؤكم قتلوا عثمان ، وإن كنتم نقمتهم على عليٍّ شيئاً ، فبيئوا ما نقمتهم عليه ، أنشدكم الله ، ففنتين في عام

١٣٤ الغدير ج - ٩

واحد ؟ فأبوا إلا أن يمضوا بالناس .

[الإمامة والسياسة ج ١ ص ٥٥]

١٢ - لما نزل طلحة والزبير البصرة قال عثمان بن حنيف : نعذر إليهما برجلين . فدعا عمران بن حصين صاحب رسول الله وأبا الأسود الدؤلي فأرسلهما إلى الرجلين فذهبا إليهما فناديا : يا طلحة ! فأجابهما فتكلم أبو الأسود الدؤلي فقال : يا محمد ! إنكم قتلتم عثمان غير مؤامرين لنا في قتله ، وبايعتم علياً غير مؤامرين لنا في بيعته ، فلم نغضب لعثمان إذ قُتل ، ولم نغضب لعليٍّ إذ بويع ، ثم بدا لكم فأردتم خلع عليٍّ ونحن على الأمر الأول ، فعليكم المخرج مما دخلتم فيه . ثم تكلم عمران فقال : يا طلحة ! إنكم قتلتم عثمان ولم نغضب له إذ لم تغضبوا ، ثم بايعتم علياً وبايعنا من بايعتم ، فإن كان قتل عثمان صواباً فمسيركم لماذا ؟ وإن كان خطأ ، فحفظكم منه الأوفر ، ونصيبكم منه الأوفى ، فقال طلحة : يا هذان إن صاحبكما لا يرى أن معه في هذا الأمر غيره وليس على هذا بايعناه ، وأيم الله ليسفكن دمه . فقال أبو الأسود : يا عمران ! أما هذا فقد صرح أنه إنما غضب للملك . ثم أتيا الزبير فقالا : يا أبا عبدالله ! إننا أتينا طلحة . قال الزبير : إن طلحة وإيائي كروح في جسدين ، وإنه والله يا هذان ! قد كانت منا في عثمان فلتات إحتجنا فيها إلى المعاذير ، ولو استقبلنا من أمرنا ما استدبرنا نصرناه الحديث .

[الإمامة والسياسة ج ١ ص ٥٦]

١٣ - من خطبة لعمار بن ياسر خطبها بالكوفة فقال : يا أهل الكوفة ! إن كان غاب عنكم أنباؤنا فقد انتهت إليكم أمورنا ، إن قتل عثمان لا يعتذرون من قتله إلى الناس ولا ينكرون ذلك ، وقد جعلوا كتاب الله بينهم وبين محاجيهم فيه ، أحياء الله من أحياء ، وأمات من أمات ، وإن طلحة والزبير كانا أول من طعن وآخر من أمر ، وكانا أول من بايع علياً ، فلما أخطأهما ما أملاه نكثا ببيعتهما من غير حدث . الحديث .

[الإمامة والسياسة ج ١ ص ٥٩]

حديث طلحة والزبير ١٣٥

١٤ - روى البلاذري عن المدائني قال : ولَّى عبد الملك علقمة بن صفوان بن المحرث مَكَّة فشتم طلحة والزبير على المنبر فلمَّا نزل قال لأبان بن عثمان : أرضيتك في المدهنين في أمير المؤمنين عثمان ؟ قال : لا والله ، ولكن سؤتني ، بحسبي بليَّة أن تكون شركاً في دمه .

[الأنساب للبلاذري ج ٥ ص ١٢٠]

١٥ - أخرج أبو الحسن عليُّ بن محمَّد المدائني من طريق عبد الله بن جنادة خطبة لمولانا أمير المؤمنين منها قوله : بايعني هذان الرجلان في أوَّل من بايع ، تعلمون ذلك وقد نكثا وغدرا ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرقا جماعتكم ، ويلقيا بأسكم بينكم ، اللهم فخذهما بما عملا أخذة واحدة رابية ، ولا تنعش لهما صرعة ، ولا تقل لهما عثرة ، ولا تمهلها فوفا ، فإنَّهما يطلبان حقاً تركاه ، ودماً سفكاه ، اللهم إني أقتضيك وعدك فإنك قلت وقولك الحق لمن بُغي عليه لينصره الله ، اللهم فانجز لي موعدك ، ولا تكلني إلى نفسي إنك على كل شيء قدير .

[شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٠٢]

١٦ - من خطبة لمولانا أمير المؤمنين ذكرها الكلبي كما في شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٠٢ : فما بال طلحة والزبير ؟ وليس من هذا الأمر بسبيل ، لم يصبرا عليَّ حولاً ولا أشهراً حتَّى وثبا ومَرقا ، ونازعاني أمراً لم يجعل الله لهما إليه سبيلاً بعد أن بايعا طائعين غير مكرهين ، يرتضعان أمّاً قد فطمت ، ويحييان بدعة قد أُميتت ، أدم عثمان زعماً ؟ والله ما التبعة إلَّا عندهم وفيهم ، وإنَّ أعظم حجَّتهم لعلی أنفسهم ، وأنا راضٍ بحجَّة الله عليهم وعلمه فيهم . الحديث .

١٧ - من كلمة لمالك الأشتر : لعمرى يا أمير المؤمنين ! ما أمر طلحة والزبير وعائشة علينا بمخيَّل ، ولقد دخل الرجلان فيما دخلا فيه وفارقا على غير حدث أحدثت ولا جور صنعت ، زعما أنَّهما يطلبان بدم عثمان فليقيدا من أنفسهما ، فإنَّهما أوَّل من ألَّب عليه وأغرى الناس بدمه ، وأشهد الله لئن لم يدخلا فيما خرجا

منه لنلحقنهما بعثمان فإن سيوفنا في عواتقنا ، وقلوبنا في صدورنا ، ونحن اليوم كما كنا أمس .

[شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٠٣]

قال الأميني : انَّ الأخذ بمجامع هذه الأخبار البالغة خمسين حديثاً يعطينا درساً ضافياً بأنَّ الرجلين هما أساس النهضة في قصّة عثمان ، وهما اللذان أسعرا عليه الفتنة ، وأنهما لم يريا حرجاً في إراقة دمه ، وقد استباحا عندئذٍ ما يحرم ارتكابه في المسلمين إلا أن يكون مهذور الدم بسبب من الأسباب الموجبة لذلك ، فلم يتركاه حتى أوديا به ، وكان لطلحة هنالك مواقف مشهودة ، فمنع عنه الماء الذي هو شرعٌ سواء بين المسلمين ، وأنه لم يردّ على عثمان لَمَّا سلّم عليه ومن الواجب ردُّ السّلام على كلّ مسلم ، وقد منع عن دفنه ثلاثاً في مقابر المسلمين ، وقد أوجبت الشريعة الإسلامية المبادرة إلى دفن المسلم ، وقد أمر برمي الجنازة ورمي من يتولّى تجهيزها بالحجارة والمسلم حرّمته ميتاً كحرّمته حيّاً ، فلم يرض طلحة بالأخير إلا دفنه في مقبرة اليهود «حشّ كوكب» وهل لهذه الأعمال وجهٌ بعد حفظ كرامة صاحبتها ؟ والقول بعدالة الصحابة كلّهم ؟ وقبول ما ورد في الرجلين أنّهما من العشرة المبشّرة ، إلا أن يُقال : إنّهما كانا يريان القليل خارجاً عن حوزة المسلمين ، وإلا لردعتهما الصحة والعدالة والبشارة عن ارتكاب تلكم الأعمال في أيّ من ساقّة المسلمين فضلاً عن خليفتهم .

ونحن في هذا المقام نقف موقف المتحايد ، ولسنا هنا إلا في صدد بيان آراء الصحابة الأوّلين في عثمان ، وما أفضناه من رأيهما كان معروفاً عنهما في وقتها ، ولم يزل كذلك في الأجيال المتأخّرة عنهما حتّى العصر الحاضر ، إن كانت الآراء تؤخذ من المصادر الوثيقة ، وكانت حرّة غير مشوبة بحكم العاطفة ، نزهة عن الميول والشهوات .

وأما ما أظهره من التوبة بعد أن نكثا البيعة الصحيحة المشروعة فقد قدّمنا وجهها في ص ١٢٧ في طلحة ويشاركه في ذلك الزبير أيضاً ، فقد قفيا الحوبة بالحوبة لا بالتوبة حسباً (إن كانا يصدقان) أنها تمحو السيئة ، بل الحوبة الأخيرة

حديث عبدالله بن مسعود ١٣٧

أعظم عند الله ، فقد أراقا بها من الصّفين في واقعة الجمل دماءً تعدُّ بالآلاف بريئة من دم عثمان .

وهتكا حرمة رسول الله بإخراج حشية من حشاياه من خدرها ، وقد نهى ﷺ نساءه عن ذلك ، وأوقفها في محتشد العساكر وجبهة القتال الدامي ، وقصدوا قتل إمام الوقت المفترض طاعته الواجب حفظه ، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، والله من ورائهم محيط .

٧ - حديث عبدالله بن مسعود الصحابي البدري العظيم :

مرّ في هذا الجزء ص ١٩-٢٢ شطراً من أحاديثه المعربة عن رأيه السديد في عثمان وعمّا كان حاملاً بين جنبيه من الموجدة عليه ، وأنّه كان من الناقمين عليه يعيبه ويقدر فيه ، أفسد عليه العراق بذكر محدثاته ، وأخذ عثمان بذلك أخذاً شديداً وجبسه وهجره ومنعه عطاءه سنين وأمر به وأخرج من مسجد رسول الله إخراجاً عنيفاً ، وضرب به الأرض فدقّ ضلعه وضربه أربعين سوطاً .

وكان ابن مسعود على اعتقاده السيء في الرجل مغاضباً له حتّى لفظ نفسه الأخير وأوصى أن لا يصلي عليه ، وفي الفتنة الكبرى ص ١٧١ : روي أن ابن مسعود كان يستحل دم عثمان أيام كان في الكوفة ، وهو كان يخطب الناس فيقول : إنّ شرّ الامور محدثاتها ، وكلّ محدث بدعة ، وكلّ بدعة ضلالة ، وكلّ ضلالة في النار^(١) يعرض في ذلك بعثمان وعامله الوليد . اهـ .

هذا رأي ذلك الصحابي العظيم في الرجل ، فبأيّ تمحل يتأتّى للباحث تقديس عثمان بعدما يستحلّ دمه أو يشدّد النكير عليه ويراه صاحب محدثات وبدع مثل ابن مسعود أشبه الناس هدياً ودلاً وسمتاً بمحمد نبيّ العظمة ﷺ ؟

٨ - حديث عمار بن ياسر البدري العظيم الممدوح بالكتاب والسنة :

١ - من خطبة لعمار خطبها يوم صفين قال :

(١) راجع ص ١٩ من هذا الجزء .

انهضوا معي عباد الله إلى قوم يزعمون أنهم يطلبون بدم ظالم ، إنما قتله الصالحون المنكرون للعدوان ، الأمرون بالإحسان ، فقال هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم ولو دَرَسَ هذا الدين : لِمَ قتلتموه ؟ فقلنا : لإحداثه ، فقالوا : إنَّه لم يحدث شيئاً ، وذلك لأنَّه مَكْنَهَم من الدُّنيا فهم يأكلونها ويرعونها ، ولا يبالون لو انهدمت الجبال ، والله ما أظنَّهم يطلبون بدم ، ولكن القوم ذاقوا الدُّنيا فاستحلوها واستمرواها وعلموا : أنَّ صاحب الحقَّ لو وليهم لحال بينهم وبين ما يأكلون ويرعون منها ، إنَّ القوم لم يكن لهم سابقة في الإسلام يستحقُّون بها الطاعة والولاية ، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا : قُتل إمامنا مظلوماً ليكونوا جبابرة وملوكاً ، تلك مكيده قد بلغوا بها ما ترون ولولاها ما تابعهم من الناس رجلٌ . الخ .

وفي لفظ نصر بن مزاحم في كتاب صفَّين : امضوا (معي) عباد الله إلى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم لنفسه ، الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله ، إنما قتله الصالحون المنكرون للعدوان . إلخ . وله لفظ آخر يأتي بُعيد هذا .

وفي لفظ الطبري في تاريخه : أيُّها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء الذين ييغون دم ابن عفان ويزعمون أنَّه قتل مظلوماً . إلخ .

راجع كتاب صفَّين لابن مزاحم ط مصر ص ٣٦١ ، ٣٦٩ ، تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢١ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٢٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٥٠٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٦٦ ، جمهرة الخطب ج ١ ص ١٨١ .

٢ - خطب معاوية يوم وفد إليه وفد^(١) بعثه إليه أمير المؤمنين عليه السلام فقال :

أما بعد فإنكم دعوتكم إلى الطاعة والجماعة ، فأما الجماعة التي دعوتكم إليها فمعناها هي ، وأما الطاعة لصاحبكم فإننا لا نراها ، إنَّ صاحبكم قتل خليفتنا ، وفرَّق جماعةنا ، وآوى ثأرنا وقتلنا ، وصاحبكم يزعم أنَّه لم يقتله ، فنحن لا نردُّ ذلك عليه ، أرايتم قتلة صاحبنا ؟ ألسن تعلمون أنَّهم أصحاب صاحبكم ؟ فليدفعهم إلينا فلنقتلهم به ، ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة .

(١) كان فيه : عدي بن حاتم ، يزيد بن قيس ، شيب بن ربعي ، زياد بن حفصة .

حديث عمار بن ياسر ١٣٩

فقال له شُبث بن ربعي : أيسرُك يا معاوية ! أنك أمكنت من عمار تقتله ؟ وفي لفظ ابن كثير : لو تمكنت من عمار أكنت قاتله بعثمان ؟ فقال معاوية : وما يمنعني من ذلك ؟ والله لو أمكنت^(١) من ابن سمية ما قتلته بعثمان رضي الله عنه ، ولكن كنت قاتله بناتل مولى عثمان .

فقال شُبث : وإله الأرض وإله السماء ما عدلت معتدلاً . لا والذي لا إله إلا هو ، لا تصل إلى عمار حتى تندر الهام عن كواهل الأقوام ، وتضيق الأرض الفضاء عليك برحبها . إلخ .

كتاب صفين لابن مزاحم ص ٢٢٣ ، تاريخ الطبري ج ٦ ص ٣ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٢٤ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٤٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٥٧ ، جمهرة الخطب ج ١ ص ١٥٨ .

٣ - أرسل أمير المؤمنين ابنه الحسن وعمار بن ياسر إلى الكوفة فلمّا قدماها كان أول من اتاهما مسروق بن الأجدع فسلم عليهما وأقبل على عمار فقال : يا أبا اليقظان ! علام قتلتم عثمان رضي الله عنه ؟ قال : على شتم أعراضنا ، وصرب أبقارنا^(٢) . فقال : والله ما عاقبتكم بمثل ما عوقبتكم به ، ولئن صبرتم لكان خيراً للصابرين .

فخرج أبو موسى فلقي الحسن فضمه إليه وأقبل على عمار فقال : يا أبا اليقظان ! أعدوت^(٣) فيمن عدا على أمير المؤمنين فأحللت نفسك مع الفجار ؟ قال : لم أفعل ولم يسؤني ، فقطع عليهما الحسن فأقبل على أبي موسى فقال : يا أبا موسى ! لِمَ تُبْطِ الناس عنا ؟ فوالله ما أردنا إلا الإصلاح وما مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء ، فقال : صدقت بأبي أنت وأمي ، ولكن المستشار مؤتمن سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنها ستكون فتنة القاعد فيها خيرٌ من القائم ، والقائم خيرٌ من الماشي ، والماشي خيرٌ من الراكب ، وقد جعلنا الله عز وجل إخواناً وحرماً

(١) في لفظ ابن مزاحم : لو امكنتني صاحبكم من ابن سمية .

(٢) أبقار جمع البقرة : أعلى جلدة الوجه والجسد من الإنسان .

(٣) شرح ابن أبي الحديد : غدوت فيما غدا .

علينا أموالنا ودماءنا وقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ولا تقتلوا أنفسكم إن الله بكم رحيم﴾ . وقال عز وجل : ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم﴾ . الآية . فغضب عمار وساءه وقام وقال : يا أيها الناس إنما قال رسول الله له خاصة : أنت فيها قاعداً خيراً منك قائماً . وقام رجل من بني تميم فقال لعمار : أسكت أيها العبد أنت أمس مع الغوغاء واليوم تسافه أميرنا وثار زيد بن صوحان . الحديث (١) .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٨٧ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٨٥ ،
الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٩٧ .

٤ - قال الباقلاني في التمهيد ص ٢٢٠ : روي أن عماراً كان يقول : عثمان كافر . وكان يقول بعد قتله : قتلنا عثمان يوم قتلناه كافراً . وهذا سرف عظيم من خرج إلى ما هو دونه استحق الأدب من الإمام . فلعل عثمان انتهره وأدبه لكثرة قوله : قد خلعت عثمان وأنا بريء منه ، فأدى الأدب إلى فتق أمعائه ، ولو أدى الأدب إلى تلف النفس لم يكن بذلك مأثوماً ولا مستحقاً للخلع ، فيما أن يكون ضربه باطلاً وإما أن يكون صحيحاً فيكون ردعاً وتأديباً ونهيّاً عن الإغراق والسرف ، وذلك صواب من فعل عثمان وهفوة من عمار .

قال الأميني : هذه التمحلات تضاد ما صح وثبت عن النبي الأقدس في عمار ، ونحن لا يسعنا تكذيب النبي الصادق الأمين تحفظاً على كرامة أي ابن أنثى فضلاً عن أن يكون من أبناء الشجرة الملعونة في القرآن .

٥ - روى أبو مخنف عن موسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال :
أقبلنا مع الحسن وعمار بن ياسر من ذي قار حتى نزلنا القادسية فنزل الحسن وعمار ونزلنا معهما ، فاحتبى عمار بحماثل سيفه ، ثم جعل يسأل الناس عن أهل الكوفة وعن حالهم ، ثم سمعته يقول : ما تركت في نفسي حزة أهم إلي من أن لا نكون نبشنا عثمان من قبره ثم أحرقناه بالنار .

[شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٩٢]

(١) في هذا الحديث أشياء موضوعة حذف بعضها ابن الأثير في الكامل وزاد فيه أيضاً ، وهو من مكاتبات السري وكلها باطل فيها دجل .

حديث عمار بن ياسر ١٤١

٦ - جاء في محاوراة وقعت بين عمار بن ياسر وعمرو بن العاص فيما أخرجه نصر في كتابه : قال له عمرو : فما ترى في قتل عثمان ؟ قال : فتح لكم باب كل سوء . قال عمرو : فعلي قتلته ، قال عمار : بل الله رب علي قتلته وعلي معه . قال عمرو : أكنت فيمن قتلته ؟ قال : كنت مع من قتلته وأنا اليوم أقاتل معهم . قال عمرو : فلم تقتلتموه ؟ قال عمار : أراد أن يغير ديننا فقتلناه ! فقال عمرو : ألا تسمعون ؟ قد اعترف بقتل عثمان . قال عمار : وقد قالها فرعون قبلك لقومه : ألا تسمعون ؟ . الحديث .

كتاب صفين لابن مزاحم ص ٣٨٤ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٧٣ :

٧ - إن عمار بن ياسر نادى يوم صفين^(١) : أين من يبغي رضوان ربّه ولا يؤوب إلى مال ولا ولد ؟ قال : فأتته عصابة من الناس فقال : أيها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يبغون دم عثمان ويزعمون أنه قُتل مظلوماً ، والله إن كان إلا ظالماً لنفسه الحاكم بغير ما أنزل الله .

[كتاب صفين : ص ٣٦٩]

وفي الفتنة الكبرى ص ١٧١ : فقد روي أن عمار بن ياسر كان يكفر عثمان ويستحلّ دمه ويسمّيه : «نعل» .

قال الأميني : هذا الصحابيُّ البطل الذي عرفته في صفحة ٣٨ - ٤٦ من هذا الجزء عمار بن ياسر المعنيّ في عدّة آيات كريمة من الذكر الحكيم ، ومصبّ الثناء البالغ المتكرّر المستفيض من صاحب الرسالة ، من ذلك : أنه ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه ، وأنه مع الحقّ والحقّ معه يدور معه أينما دار ، وأنه ما عرض عليه أمران إلا أخذ بالأرشد منهما ، وأنه من نفر تشاق إليهم الجنة ، وأنه جلدة بين عينيهِ ﷺ ، وأنه تقتله الفئة الباغية ، فمعتقد هذا الرجل العظيم وهو متلفّع بهاتيك الفضائل كلّها في الخليفة ما تراه يكرّره من أنه كان ظالماً لنفسه ، حاكماً بغير ما أنزل الله ، مُريداً تغيير دين الله تغييراً أباح لهم قتله ، وأنه قتله الصالحون ،

(١) في شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٦٩ : ناداه في صفين قبل مقتله بيوم ، أو يومين .

المنكرون للعدوان ، الأمرون بالإحسان ، إلى ما لهذه من عقائد تركته جازماً بما نطق به ، مصراً على ما ارتكبه ، معترفاً بأنه كان مع المجهزين عليه ، متأسفاً على ما فاتته من نبش قبره وإحراقه بالنار ، فلم يبرح كذلك حتى أخذ يقاتل الطالبين بشاره مع قاتليه وخاذليه ، مدعياً بأنَّ الثائرين له مبطلون يجب قتالهم فلم يفتأ على هذا المعتقد حتى قتله الفئة الباغية . أصحاب معاوية ، وقاتله وسالبه وباغضه في النار نصاً من النبي المختار صلوات الله عليه .

٩ - حديث المقداد بن الأسود الكندي فارس يوم بدر :

قال اليعقوبي في تاريخه ج ٢ ص ١٤٠ في بيعته عثمان واستخلافه : مال قوم مع علي بن أبي طالب ، وتحاملوا في القول على عثمان ، فروى بعضهم قال : دخلت مسجد رسول الله فرأيت رجلاً جاثياً على ركبتيه يتلّهُف يتلّهُف من كأن الدنيا كانت له فسلبها وهو يقول : واعجباً لقريش ودفعهم هذا الأمر على أهل بيت نبيهم ، وفيهم أول المؤمنين ، وابن عم رسول الله ، أعلم الناس وأفقههم في دين الله ، وأعظمهم عناءً في الإسلام ، وأبصرهم بالطريق ، وأهداهم للصراط المستقيم ، والله لقد زووها عن الهادي المهتدي الظاهر النقي ، وما أرادوا إصلاحاً للأمة ، ولا صواباً في المذهب ، ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة ، فبعداً وسحقاً للقوم الظالمين .

فدنوت منه فقلت : مَنْ أنت يرحمك الله ومَنْ هذا الرجل ؟ فقال : أنا المقداد بن عمرو وهذا الرجل علي بن أبي طالب ، قال فقلت : ألا تقوم بهذا الأمر فأعينك عليه ؟ فقال : يا ابن أخي ! إن هذا الأمر لا يُجزى فيه الرجل ولا الرجلان ، ثم خرجت فلقيت أبا ذر فذكرت له ذلك ، فقال : صدق أخي المقداد ، ثم أتيت عبدالله بن مسعود فذكرت ذلك له ، فقال : لقد أخبرنا فلم نأل .

وذكر ابن عبد ربّه في العقد ج ٢ ص ٢٦٠ في حديث بيعة عثمان : فقال عمار بن ياسر (لعبد الرّحمن) : إن أردت أن لا يختلف المسلمون ، فبايع علياً ، فقال المقداد بن الأسود : صدق عمار إن بايعت علياً قلنا : سمعنا وأطعنا . قال ابن أبي سرح : إن أردت أن لا تختلف قريش ، فبايع عثمان ، إن بايعت عثمان

حديث المقداد بن الأسود ١٤٣

سمعنا وأطعنا . فشتهم عمار ابن أبي سرح وقال : متى كنت تنصح المسلمين ؟ فتكلم بنو هاشم وبنو أمية فقال عمار : أيها الناس إن الله أكرمنا بنبينا وأعزنا بدينه ، فأني تصرفون هذا الأمر عن بيت نبيكم ؟ فقال له رجل من بني مخزوم : لقد عدوت طورك يابن سمية ، وما أنت وتأمير قريش لأنفسها ؟ فقال سعد بن أبي وقاص : أفزع قبل أن يفتتن الناس ، فلا تجعلن أيها الرهط على أنفسكم سبيلاً . ودعا علياً فقال : عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخليفين من بعده ، قال : أعمل بمبلغ علمي وطاقتي ، ثم دعا عثمان فقال : عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخليفين من بعده . فقال : نعم . فبايعه فقال علي حبوته محابة ليس ذا بأول يوم تظاهرت فيه علينا ، أما والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك ، والله كل يوم هو في شأن . فقال عبدالرحمن : يا علي لا تجعل على نفسك سبيلاً فإنني قد نظرت وشاورت الناس فإذا هم لا يعدلون بعثمان أحداً ، فخرج علي وهو يقول : سيبليغ الكتاب أجله ، قال المقداد : أما والله لقد تركته من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون ، فقال : يا مقداد ! والله لقد اجتهدت للمسلمين . قال : لئن كنت أردت بذلك الله فأثابك الله ثواب المحسنين . ثم قال المقداد : ما رأيت مثل ما أوتي أهل هذا البيت بعد نبيهم ، ولا أقضى منهم بالعدل ، ولا أعرف بالحق ، أما والله لو أجد أعواناً قال له عبدالرحمن : يا مقداد ! اتق الله فإنني أخشى عليك الفتنة . وأخرج الطبري نحوه في تاريخه ج ٥ ص ٣٧ ، وذكره ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٩ ، ٣٠ ، وابن أبي الحديد في شرح النهج ج ١ ص ٦٥ .

وفي لفظ المسعودي في المروج ج ١ ص ٤٤٠ : فقام عمار في المسجد فقال : يا معشر قريش ! أما إذا صرتم هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم ههنا مرة وههنا مرة فما أنا بأمن أن ينزعه الله فيضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله ، وقام المقداد فقال : ما رأيت مثل ما أودي به أهل هذا البيت بعد نبيهم . فقال له عبدالرحمن بن عوف : وما أنت وذاك يا مقداد بن عمرو ؟ فقال : إني والله لأحبهم بحب رسول الله ﷺ وإن الحق معهم وفيهم يا عبدالرحمن ! أعجب من قريش - وأنت تطولهم على الناس أهل هذا البيت - قد

١٤٤ الغدير ج - ٩

اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله ﷺ بعده من أيديهم ، أما وأيم الله يا عبدالرحمن ! لو أجد على قريش أنصاراً لقاتلتهم كقتالي إياهم مع رسول الله ﷺ يوم بدر . وجرى بينهم من الكلام خطبٌ طويل قد أتينا ذكره في كتابنا أخبار الزمان في أخبار الشورى والدار .

ومرَّ في هذا الجزء ص ٣٥ : أنَّ المقداد أحد الجمع الذين كتبوا كتاباً عدَّدوا فيه أحداث عثمان وخوفوه ربَّه وأعلموه أنَّهم موائبوه إن لم يُقلع . راجع حديث البلاذري المذكور .

قال الأُميني : لعلَّكَ تعرف المقداد ومبلغه من العظمة ، ومبَّوَّاه من الدين ، ومثواه من الفضيلة ، قال أبو عمر : كان من الفضلاء النجباء الكبار الخيار . هاجر الهجرتين وشهد بدرًا والمشاهد كلها ، أوَّل من حارب فارساً في الإسلام . كان فارساً يوم بدر ، ولم يثبت أنَّه كان فيها على فرس غيره ، وهو عند القوم أحد السبعة الذين أظهروا الإسلام ، وأحد النجباء الأربعة عشر وزراء رسول الله ورفقائه^(١) سمَّاه رسول الله ﷺ أواباً كما في حديث أخرجه أبو عمر في «الإستيعاب» .

وأنى يسع للباحث أن يستكنه ما لهذا الصحابيِّ العظيم من الفضائل أو يدرك شأوه وبين يديه قول رسول الله ﷺ في الثناء عليه : إنَّ الله أمرني بحبِّ أربعة ، وأخبرني أنَّه يحبُّهم : عليٌّ . والمقداد . وأبو ذر . وسلمان^(٢) ؟ .

وقوله ﷺ : إنَّ الجنَّة تشاق إلى أربعة : عليٌّ . وعمَّار . وسلمان . والمقداد أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص ١٤٢ .

فهذا الرجل الدينيُّ الذي يحبه الله ويأمر نبيِّه ﷺ بحبه كان ناقماً على الخليفة واجداً على خلافته من أوَّل يومه ، متلهِّفاً على استخلافه تلهِّف من كأنَّ الدنيا كانت له فسلبها ، وكان يُشبِّط الناس ويُخذِّلهم عنه ، ويرى إمرته إمرأً من الأمر

(١) مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، الإستيعاب ج ١ ص ٢٨٩ ، أسد الغابة ج ٤ ص ٤١٠ ، الإصابة ج ٣ ص ٤٥٥ .

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه ، وأبو عمر في الإستيعاب ج ١ ص ٢٩٠ ، وذكره ابن الأثير في أسد الغابة ج ٤ ص ٤١٠ ، وابن حجر في الإصابة ج ٣ ص ٤٥٥ .

حديث حجر بن عدي ١٤٥

وإذا ، يعتقدونها ظلماً على أهل بيت العصمة ، ويستنجد أعواناً يقاتل بهم مستخلفيه
كقتاله إياهم يوم بدر ، هذا رأيه في عثمان من يوم الشورى قبل بوائقه ، فكيف
بعدهما شاهد منه من هنات وهنات .

١٠ - حديث حجر بن عدي الكوفي ، سلام الله عليه ، وعلى
أصحابه :

إن معاوية بن أبي سفيان لما ولى المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادى سنة ٤١
دعاه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد : فإن لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع
العصا ، وقد قال المتلمس (١) :

لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلم
وقد يجزي عنك الحكيم بغير التعليم ، وقد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة فأنا
تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضيني ، ويسعد سلطاني ، ويصلح به رعيتي ،
ولست تاركاً إيصاءك بخصلة : لا تتحم عن شتم علي وذمه ، والترحم على عثمان
والإستغفار له ، والعيب على أصحاب علي والإقصاء لهم وترك الإستماع منهم ،
وبإطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه والإدناء لهم والإستماع منهم . فقال المغيرة :
قد جربت وجربت وعملت قبلك لغيرك فلم يذمم بي دفع ولا رفع ولا وضع ،
فستبلو فتحمد أو تذم ثم قال : بل نحمد إن شاء الله .

فأقام المغيرة بالكوفة عاملاً لمعاوية سبع سنين وأشهرراً لا يدع ذم علي
والوقوع فيه ، والعيب لقتلة عثمان واللعن لهم ، والدعاء لعثمان بالرحمة والإستغفار
له والتذكية لأصحابه ، فكان حجر بن عدي إذا سمع ذلك قال : بل إياكم فذمم الله
ولعن . ثم قام فقال : إن الله عز وجل يقول : ﴿كونوا قوامين بالقسط شهداء لله﴾ ،
وأنا أشهد أن من تدمون وتعيرون لأحق بالفضل ، وأن من تزكون وتطرون أولى
بالذم . فيقول له المغيرة : يا حجر ! لقد رمي بسهمك إذ كنت أنا الوالي عليك ،

(١) هو جرير بن عبد المسيح من بني ضبيعة ، توجد ترجمته في (الشعر والشعراء) لابن قتيبة
ص ٥٢ ، وفي (المؤتلف والمختلف) ص ٧١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٧ .

يا حجر ! ويحك إئتق السلطان ، إئتق غضبه وسطوته ، فإن غضبه السلطان أحياناً ممّا يهلك أمثالك كثيراً ، ثم يكف عنه ويصفح ، فلم يزل حتى كان في آخر إمارته قام المغيرة فقال في عليّ وعثمان كما كان يقول وكانت مقالته : اللهم إرحم عثمان بن عفان وتجاوز عنه واجزه بأحسن عمله فإنه عمل بكتابك وأتبع سنة نبيك ﷺ وجمع كلمتنا وحقن دماءنا وقتل مظلوماً ، اللهم فارحم أنصاره وأوليائه ومحبيه والطالبين بدمه . ويدعو على قتلته فقام حجر بن عدي فنعر نكرةً بالمغيرة سمعها كل من كان في المسجد وخارجاً منه وقال : إنك لا تدري بمن تولّع من هرمك أيها الإنسان ! مر لنا بأرزاقنا وأعطياتنا فإنك قد حبستها عنا وليس ذلك لك ، ولم يكن يطمع في ذلك من كان قبلك ، وقد أصبحت بدم أمير المؤمنين وتقريظ المجرمين . قال : فقام معه أكثر من ثلثي الناس يقولون : صدق والله حجر وبر ، مر لنا بأرزاقنا وأعطياتنا ، فإننا لا نتفع بقولك هذا ، ولا يجدي علينا شيئاً وأكثرنا في مثل هذا القول ونحوه .

إلى أن هلك المغيرة سنة ٥١ فجمعت الكوفة والبصرة لزياد بن أبي سفيان فأقبل حتى دخل القصر بالكوفة ثم صعد المنبر فخطب ثم ذكر عثمان وأصحابه ففرّظهم وذكر قتلته ولعنهم ، فقام حجر ففعل مثل الذي كان يفعل بالمغيرة .

قال محمد بن سيرين : خطب زياد يوماً في الجمعة فأطال الخطبة وأخّر الصلاة فقال له حجر بن عدي : الصلاة . فمضى في خطبته ثم قال : الصلاة فمضى في خطبته ، فلما خشي حجر فوت الصلاة ضرب بيده إلى كف من الحصا وثار إلى الصلاة وثار الناس معه ، فلما رأى ذلك زياد نزل فصلى بالناس ، فلما فرغ من صلاته كتب إلى معاوية في أمره وكثر عليه فكتب إليه معاوية : أن شدّه في الحديد ثم احملة إليّ . فلما أن جاء كتاب معاوية أراد قوم حجر أن يمنعه فقال : لا ، ولكن سمع وطاعة . فشدّ في الحديد ثم حمل إلى معاوية . ساروا به وبأصحابه وهم :

١ - الأرقم بن عبدالله الكندي من بني الأرقم .

٢ - شريك بن شدّاد الحضرمي .

حديث حجر بن عدي ١٤٧

- ٣ - صيفي بن فسيل الشيباني .
- ٤ - قبيصة بن ضبيعة بن حرملة العبسي .
- ٥ - كريم بن عفيف الخثعمي من بني عامر ثم من قحافة .
- ٦ - عاصم بن عوف البجلي .
- ٧ - ورقاء بن سمي البجلي .
- ٨ - كدام بن حيان العنزي .
- ٩ - عبدالرحمن بن حسان العنزي .
- ١٠ - محرز بن شهاب التميمي من بني منقر .
- ١١ - عبدالله بن حوية السعدي من بني تميم .

وأُتبعهم زياد برجلين وهما : عتبة بن الأخنس السعدي ، وسعيد بن نمران الهمداني ، فمضوا بهم حتى انتهوا إلى مرج عذراء (بينها وبين دمشق إثنا عشر ميلاً) فحبسوا بها فجاء رسول معاوية إليهم بتخليفة ستة وبقتل ثمانية ، فقال لهم رسول معاوية : إننا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من عليّ واللعن له فإن فعلتم تركناكم ، وإن أبيتم قتلناكم ، وإن أمير المؤمنين يزعم أن دماءكم قد حلّت له بشهادة أهل مصركم عليكم غير أنه قد عفى عن ذلك ، فابروا من هذا الرجل نخلّ سبيلكم قالوا : اللهمّ إننا لسنا فاعلي ذلك . فأمر بقبورهم فحفرت وأدّيت أكفانهم ، وقاموا الليل كلّهُ يُصَلُّونَ فلما أصبحوا قال أصحاب معاوية : يا هؤلاء ! لقد رأيناكم البارحة قد أطلتم الصلّاة وأحسنتم الدعاء فأخبرونا ما قولكم في عثمان ؟ قالوا : هو أوّل من جار في الحكم وعمل بغير الحقّ . فقال أصحاب معاوية : أمير المؤمنين كان أعلم بكم . ثمّ قاموا إليهم فقالوا : تبرأون من هذا الرجل ؟ قالوا : بل نتولاه ونتبرأ ممّن تبرأ منه . فأخذ كلّ رجل منهم رجلاً ليقتله وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتّى قتلوا ستة وهم .

- ١ - حجر ٢ - شريك ٣ - صيفي ٤ - قبيصة ٥ - محرز ٦ - كدام .

١٤٨ الغدير ج - ٩

أخذنا من القصّة ما يهّمنا ذكره راجع الأغاني لأبي الفرج ج ١٦ ص ٢ -
١١ ، تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٤١ - ١٦٠ ، تايخ ابن عساكر ج ٢ ص ٣٧٠ -
٣٨١ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٠٢ - ٢١٠ ، تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٤٩ -
٥٥ .

قال الأميني : هذه نظريّة الصحابيّ العظيم حجر وأصحابه العظماء الصلحاء
الأخيار في عثمان فكانوا يرونه أوّل من جار في الحكم وعمل بغير الحقّ ، وكان
حجر يراه من المجرمين فيما جابه به المغيرة بالكوفة ، وقد بلغ هو وزملاؤه الأبرار
من ذلك حدّاً إستساغوا القتل دون ما يرونه ، وأبوا أن يتحوّلوا عن عقائدهم ، وبرز
الذين كُتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ، فاستمرّوا جُرع الموت في سبيلها زُعافاً
مُقرّاً .

١١ - حديث عبدالرحمن بن حسان العنزي الكوفي :

لَمَّا قُتِلَ حجر بن عدي سلام الله عليه وخمسة من أصحابه رضوان الله عليهم
قال عبدالرحمن بن حسان وكريم بن عفيف الخثعمي (وكانا من أصحاب حجر) :
إبعثوا بنا إلى أمير المؤمنين فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته . فبعثوا إلى
معاوية فأخبروه فبعث : إئتوني بهما فالتفتا إلى حجر فقال له العنزي : لا تبعد يا
حجر ! ولا يبعد مشواك فنعم أخو الإسلام كنت . وقال الخثعمي نحو ذلك . ثمّ
مضى بهما فالتفت العنزي فقال متمثلاً :

كفى بشفاعة القبر بُعداً لهالك وبالموت قطعاً لحبل القرائن

فلَمَّا دخل عليه الخثعمي قال له : الله الله يا معاوية ! إنك منقول من هذه
الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة ، ومسؤول عمّ أردت بقتلنا وفيهم سفكت
دماءنا ، فقال : ما تقول في عليّ ؟ قال : أقول فيه قولك ، أتتبرأ من دين عليّ
الذي كان يدين الله به ؟ وقام شمر بن عبدالله الخثعمي فاستوهبه ، فقال : هولك
غير أنّي حابسه شهراً فحبسه ثمّ أطلقه على أن لا يدخل الكوفة ما دام له سلطان ،
فنزّل الموصل فكان ينتظر موت معاوية ليعود إلى الكوفة فمات قبل معاوية بشهر .

وأقبل على عبدالرحمن بن حسان فقال له : يا أخا ربيعة ! ما تقول في

حديث عبدالرحمن العنزي ١٤٩

عليّ ؟ قال : أشهد أنه من الذاكرين الله كثيراً والأمينين بالمعروف والناهين عن المنكر والعافين عن الناس . قال : فما تقول في عثمان ؟ قال : هو أول من فتح أبواب الظلم ، وأرتج أبواب الحقّ قال : قتلت نفسك . قال : بل إياك قتلت لا ربيعة بالوادي (يعني أنه ليس ثم أحد من قومه فيتكلم فيه) فبعث به معاوية إلى زياد وكتب إليه : إن هذا شرٌّ من بعثت به ، فعاقبه بالعقوبة التي هو أهلها ، واقتله شرّاً قتله . فلما قدم به عليّ زياد بعث به إلى قيس الناطف فدفنه حياً .

الأغاني لأبي الفرج ج ١٦ ص ١٠ ، تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٥٥ ، تاريخ ابن عساکر ج ٢ ص ٣٧٩ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٠٩ .

قال الأميني : أنظر إلى تصلّب الرجل الدينيّ في معتقده في حقّ الرجلين : عليّ أمير المؤمنين ، وعثمان ، وكيف بلغ من ذلك حدّاً استباح فيه أن يُراق دمه دون أن يعدل عمّا عقد عليه ضميره ، وأخبتت إليه نفسه ، وكان يرى من واجبه الإشادة بما ذكر وإن أريق عليه دمه الطاهر ، وأسبلت نفسه الزكيّة .

١٢ - حديث هاشم المرقال :

خرج يوم صفين (من عسكر معاوية) فتى شاب وهو يقول :

أنا ابن أرباب الملوك غساناً والدائن اليوم بدين عثمان
أنبأنا أقوامنا بما كان إن علينا قتل ابن عفان

ثم شدّ فلا يثني يضرب بسيفه ، ثم جعل يلعن عليّاً ويشتمه ويسهب في ذمّه ، فقال له هاشم بن عتبة : إن هذا الكلام بعده الخصام ، وإن هذا القتال بعده الحساب فأتق الله فإنك راجع إلى ربك فسائلك عن هذا الموقف وما أردت به ، قال : فإنني أقاتلكم لأنّ صاحبكم لا يصليّ كما ذكر لي ، وأنكم لا تصلّون ، وأقاتلكم لأنّ صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم وازرتموه على قتله . فقال له هاشم : وما أنت وابن عفان ؟ إنما قتله أصحاب محمّد وقرأء الناس حين أحدث أحدائاً وخالف حكم الكتاب ، وأصحاب محمّد هم أصحاب الدين ، وأولى بالنظر في أمور المسلمين ، وما أظنّ أن أمر هذه الأمّة ولا أمر هذا الدين عنك طرفة عين قطّ . قال الفتى : أجل أجل والله لا أكذب فإنّ الكذب يضّر ولا ينفع ويشين ولا يزين . فقال له هاشم : إن هذا الأمر لا علم لك به فخلّه وأهل العلم

به . قال : أظنك والله قد نصحتني . وقال له هاشم : وأما قولك : إن صاحبنا لا يصلي . فهو أول من صلى مع رسول الله ، وأفقهه في دين الله ، وأولاه برسول الله ، وأما من ترى معه فكلهم قارئ الكتاب ، لا ينامون الليل تهجداً ، فلا يغررك عن دينك الأشقياء المغرورون . قال الفتى : يا عبدالله ! إني لأظنك امرأ صالحاً ، وأظنني مخطئاً آثماً ، أخبرني هل تجد لي من توبة ؟ قال : نعم ، تب إلى الله يتب عليك فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويحب التوابين ويحب المتطهرين . الحديث (١) .

قال الأميني : هذا هاشم المرقال الصحابي المقدس ، وبطل الدين العظيم ، وهذا رأيه في عثمان وهو يوبخ به في موقف قتال حصل من جرأ قتله ، مبرراً فيه عمل المجهزين عليه ، ويرى أنه خالف حكم الكتاب وأحدث أحداثاً أباحت لأصحاب محمد ﷺ قتله وأن من قتله هم أهل الدين والقرآن .

١٣ - حديث جهجاه بن سعيد الغفاري ممن بايع تحت الشجرة (٢) :

ورد من طريق أبي حبيبة أنه قال : خطب عثمان الناس فقام إليه جهجاه الغفاري ، فصاح : يا عثمان ! ألا إن هذه شارف قد جثنا بها عليها عبادة وجامعة فانزل فلندركك العبادة ولنطرحك في الجامعة ولنحملك على الشارف ثم نطرحك في جبل الدخان . فقال عثمان : قبحك الله وقبح ما جئت به . قال أبو حبيبة : ولم يكن ذلك منه إلا عن ملأ من الناس ، وقام إلى عثمان خيرته وشيعته من بني أمية فحملوه فأدخلوه الدار .

وجاء من طريق عبدالرحمن بن حاطب قال : أنا أنظر إلى عثمان يخطب على عصا النبي ﷺ التي كان عليها وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال له جهجاه : قم يا نعثل ! فانزل عن هذا المنبر . وأخذ العصا فكسرها على ركبته اليمنى ، فدخلت شظية منها فيها فبقي الجرح حتى أصابته الأكلة فرأيتها تدود ، فنزل عثمان وحملوه

(١) كتاب صفين لابن مزاحم ط مصر ص ٤٠٢ ، تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٣ ، شرح ابن أبي

الحديد ج ٢ ص ٢٧٨ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ١٣٥ .

(٢) الاستيعاب . أسد الغابة . الإصابة .

حديث جهجاه بن سعيد الغفاري ١٥١

وأمر بالعصا فشدوها فكانت مضببة ، فما خرج بعد ذلك اليوم إلا خرجة أو خرجتين حتى حُصر فقتل .

وفي لفظ البلاذري : خطب عثمان في بعض أيامه فقال له جهجاه بن سعيد الغفاري : يا عثمان! إنزل ندرعك عباءة ونحملك على شارف من الإبل إلى جبل الدخان كما سيرت خيار الناس ، فقال له عثمان : قَبْحُك الله وقَبْحُ ما جئت به . وكان جهجاه متغيظاً على عثمان ، فلمَّا كان يوم الدار دخل عليه ومعه عصاً كان النبي ﷺ يتخَصَّرُ بها فكسرها على ركبته فوقعت فيها الأكلة .

راجع الأنساب للبلاذري ج ٥ ص ٤٧ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٤ ، الإستيعاب في ترجمة جهجاه ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٧٠ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٥ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٢٣ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٧٥ ، الإصابة ج ١ ص ٢٥٣ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٠ .

قال الأميني : الجهجاه من أهل بيعة الشجرة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه بنصِّ الذكر الحكيم وهو يستريح خلع عثمان ونفيه وتشهيره ملفوفاً بعباءة مكبلاً بالحديد إلى جبل الدخان ، ولا يتحرَّج من هتكه وكسر مخصرته ، وإنَّما قال ما قاله وفعل ما فعل بمحضر من المهاجرين والأنصار ، فلم يؤاخذه على ذلك أحدٌ منهم ولا ردَّ عليه رادٌّ ، فكأنَّه كان يُخبر عن صميم أفئدتهم ، وأظهر ما أضمروه ، وجاء بما أحَبُّوه حتى قضى ما كان مقتضياً .

إنَّ حدوث الجرح في ركة جهجاه لولوج شيء من كسرات العصا فيها المتحوِّل أكلة إن صحَّ فمن ولائد الإتياف وليس بكرامة للقتيل ، كما أنَّ وقوع عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي والي عثمان على اليمن من مركبه وموته وقد جاء لنصرة عثمان لم يكن نقمة ولا نخبة له . قال أبو عمر وغيره : جاء عبدالله المخزومي لينصره لَمَّا حُصر فسقط عن راحلته بقرب مكة فمات^(١) .

وقال البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٨٧: أقبل عبدالله المخزومي وكان عامله

(١) الإستيعاب ج ١ ص ٣٥١ ، أسد الغابة ج ٣ ص ١٥٥ ، الإصابة ج ٢ ص ٣٠٥ .

١٥٢ الغدير ج - ٩

على مخاليف الجند لينصره فلما انتهى إلى بطن نخلة سقط عن راحلته فانكسرت رجله فانصرف إلى أهله .

١٤ - حديث سهل بن حنيف :

أبو ثابت الأنصاري (بدرى) .

١٥ - رفاعه بن رافع بن مالك :

أبو معاذ الأنصاري (بدرى) .

١٦ - الحجاج بن غزية الأنصاري :

قال البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٧٨ : قال أبو مخنف في روايته : إنَّ زيد بن ثابت الأنصاري قال : يا معشر الأنصار ! إنَّكم نصرتم الله ونبيّه فانصروا خليفته . فأجابه قومٌ منهم فقال سهل بن حنيف : يا زيد ! أشبعك عثمان من عضدان المدينة - والعصيدة نخلة قصيرة يُنال حملها - فقال زيد : لا تقتلوا الشيخ ودعوه حتّى يموت فما أقرب أجله . فقال الحجاج بن غزية الأنصاري أحد بني النجار : والله لو لم يبق من عمره إلّا بين الظهر والعصر لتقرّبنا إلى الله بدمه .

وجاء رفاعه بن مالك الأنصاري ثمّ الزرقى بنار في حطب فأشعلها في أحد البابين فاحترق وسقط ، وفتح الناس الباب الآخر واقتحموا الدار .

وفي لفظ للبلاذري ص ٩٠ : قال زيد للأنصار : إنَّكم نصرتم رسول الله ﷺ فكنتم أنصار الله فانصروا خليفته تكونوا أنصاراً لله مرّتين . فقال الحجاج بن غزية : والله إن تدري هذه البقرة الصيحاء ما تقول ، والله لو لم يبق من أجله إلّا ما بين العصر إلى الليل لتقرّبنا إلى الله بدمه .

وقال ابن حجر في الإصابة ج ١ ص ٣١٣ : روى الحجاج بن غزية عن أصحاب السنن حديثاً صرّح بسماعه فيه من النبي ﷺ في الحجّ قال ابن المديني : هو الذي ضرب مروان يوم الدار حتّى سقط^(١) .

(١) سيوافيك حديث ضربه مروان .

حديث أبي أيوب الأنصاري ١٥٣

قال الأميني : نظرية هؤلاء الثلاثة ليست بأقل صراحة من نظريات إخوانهم المهاجرين والأنصار في استباحة دم الخليفة وإزالته عن منصّة ملك الإسلام الديني .

١٧ - حديث أبي أيوب الأنصاري من السابقين من جلة الصحابة
البدرين :

قال في خطبة له : إنّ أمير المؤمنين - أكرمه الله - قد استمع من كانت له أذن واعية وقلبٌ حفيظ ، إنّ الله قد أكرمكم به كرامة ما قبلتموها حقّ قبولها ، حيث نزل بين أظهركم ابن عمّ رسول الله ﷺ ، وخير المسلمين وأفضلهم وسيدهم بعده ، يفقهكم في الدين ويدعوكم إلى جهاد المحلّين ، فوالله لكأنكم صمّ لا تسمعون ، وقلوبكم غلّف مطبوعٌ عليها فلا تستجيبون ، عباد الله ! أليس إنّما عهدكم بالجور والعدوان أمس ؟ وقد شمل العباد ، وشاع في الإسلام ، فذو حقّ محرومٌ مشتومّ عرضه ، ومضروبٌ ظهره ، وملطومٌ وجهه ، وموطوءٌ بطنه ، ومُلقيٌّ بالعراء ، فلمّا جاءكم أمير المؤمنين صدع بالحقّ ، ونشر العدل ، وعمل بالكتاب ، فاشكروا نعمة الله عليكم ولا تتولّوا مجرمين ، ولا تكونوا كالذين قالوا : سمعنا وهم لا يسمعون ، إشحنوا السيوف وجددوا آلة الحرب ، واستعدّوا للجهاد ، فإذا دُعيتُم فأجيبوا ، وإذا أمرتم فأطيعوا تكونوا بذلك من الصّادقين .

الإمامة والسياسة ج ١ ص ١١٢ في طبع وفي آخر ص ١٢٨ ، جمهرة الخطب ج ١ ص ٢٣٦ .

قال الأميني : هذا أبو أيوب الأنصاري عظيم الصحابة الذي اختار الله داره منزلاً لرسول الله ﷺ من بين الأنصار ، وحسبه ذلك شرفاً ، وهو من البدرين وشهد المغازي كلّها ، وقد دعا له رسول الله ﷺ لَمَّا أخذ شيئاً من كريمته الشريفة بقوله : لا يصيبك سوء يا أبا أيوب ! وهذا يعمُّ الأسواء الظاهرة من قتل بهوان وأسر وسجن في مذلة وأمراض مخزية من جذام وبرص وغيرهما واختلال في العقل ، والأسواء المعنوية من ترحزح عن الإيمان وتضعضع في العقيدة ، وانحياز عن الدين ، فهو رضوان الله عليه مكلوءٌ عن هذه كلّها بتلك الدعوة المجابة ، وهو

١٥٤ الغدير ج - ٩

مع فضله هذا يعدُّ عهد عثمان عهد جور وعدوان ، ويعدُّ ما حدث هنالك من البوائق النازلة على صلحاء الأمة كأبي ذر وعمار وابن مسعود وغيرهم ممَّا مرَّ تفصيله ، ولو لم يكن إلَّا شهادة أبي أيوب لكفت حجة في كلِّ مهمَّة ، فكيف وقد صافقه على ما يقول سروات المهاجرين والأنصار ؟ .

١٨ - حديث قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ، سيّد الخزرج «بدري» :

١ - من خطبة له خطبها بمصر في أخذ البيعة للأمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه قال : الحمد لله الذي جاء بالحقِّ وأمات الباطل ، وكبت الظالمين ، أيُّها النَّاسُ إنا قد بايعنا خير من نعلم بعد محمَّد نبينا ﷺ فقوموا أيُّها النَّاسُ فبايعوا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٢٨ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١١٥ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٣ .

٢ - من كتاب لمعاوية إلى قيس بن سعد قبل وقعة صفين : أمَّا بعد : فإنَّكم إن كنتم نقيمتُم على عثمان بن عفَّان رضي الله عنه في أثره رأيتموها أو ضربة سوط ضربها ، أو شتيمة رجل ، أو في تسييره آخر ، أو في استعماله الفُتي ، فإنَّكم قد علمتم إن كنتم تعلمون أنَّ دمه لم يكن يحلُّ لكم ، فقد ركبتم عظيمًا من الأمر وجئتم شيئًا إدًّا ، فتب إلى الله عزَّ وجلَّ يا قيس بن سعد ! فإنَّك كنت في المجلبين على عثمان بن عفَّان رضي الله عنه إن كانت التوبة من قتل المؤمن تغني شيئًا .

فأمَّا صاحبك : فإنَّا استيقنا أنَّه الذي أغرى به النَّاس وحملهم على قتله حتَّى قتلوه وإنَّه لم يسلم من دمه عظم قومك ، فإن استطعت يا قيس أن تكون ممَّن يطلب بدم عثمان فافعل ، تابعنا على أمرنا ولك سلطان العراقيين إذا ظهرت ما بقيت ، ولمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لي سلطان ، وسلي غير هذا ممَّا تحبَّ فإنَّك لا تسألني شيئًا إلَّا أوتيته ، واكتب إليَّ برأيك فيما كتبت به إليك . والسَّلام .

حديث قيس بن سعد ١٥٥

فكتب إليه قيس :

أما بعد : فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من قتل عثمان رضي الله عنه وذلك أمر لم أقارفه ولم أطف به . وذكرت صاحبي هو أغرى الناس بعثمان ودسهم إليه حتى قتلوه ، وهذا لم أطلع عليه ، وذكرت عظم عشيرتي لم تسلم من دم عثمان فأول الناس كان فيه قياماً عشيرتي . الخ .

وفي لفظ : فلعمري إن أولي الناس في أمره عشيرتي . فلعمري إن أول الناس كان فيه قياماً عشيرتي ولهم أسوة .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٢٧ ، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ١١٦ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٣ ، النجوم الزاهرة ج ١ ص ٩٩ ، جمهرة الرسائل ج ١ ص ٥٢٤ .

٣ - تحاور قيس بن سعد والنعمان بن بشير بين الصفيين بصفين فقال النعمان : يا قيس بن سعد ! أما أنصفكم من دعاكم إلى ما رضي لنفسه ؟ إنكم يا معشر الأنصار أخطأتم في خذل عثمان يوم الدار ، وقتلكم أنصاره يوم الجمل ، وإقحامكم على أهل الشام بصفين فلو كنتم إذ خذلتهم عثمان خذلتهم علياً ، كان هذا بهذا ، ولكنكم خذلتهم حقاً ، ونصرتهم باطلاً ، ثم لم ترضوا أن تكونوا كالناس ، شعلتم الحرب ، ودعوتهم إلى البراز ، فقد والله وجدتم رجال الحرب من أهل الشام سراعاً إلى برازكم غير أنكاس عن حربكم . الكلام .

فضحك قيس وقال : والله ما كنت أراك يا نعمان تجترىء على هذا المقام ، أما المنصف المحق فلا ينصح أخاه من غش نفسه ، وأنت والله الغاش لنفسه ، المبطل فيما نصح غيره .

أما ذكر عثمان فإن كان الأيجاز يكفيك ، فخذ . قتل عثمان من لست خيراً منه ، وخذله من هو خير منك ، وأما أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكت ، وأما معاوية فلو اجتمعت العرب على بيعته لقاتلتهم الأنصار . وأما قولك : إننا لسنا كالناس فنحن في هذه الحرب كما كنا مع رسول الله ، نلقى السيوف بوجوهنا والرماح بنحورنا ، حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون . ولكن أنظر يا

نعمان ! هل ترى مع معاوية إلا طليقاً أعرابياً أو يمانياً مستدرجاً ؟ وانظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان ، الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ؟ ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك وصويحبك^(١) ؟ ولستما والله بدريين ولا عقبين^(٢) ولا لكما سابقة في الإسلام ولا آية في القرآن .

كتاب صفين لابن مزاحم ص ٥١١ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٩٤ ، وفي ط ٨٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٩٨ ، جمهرة الخطب ج ١ ص ١٩٠ .

٤ - قدم المدينة قيس بن سعد فجاءه حسان بن ثابت شامئاً به وكان حسان عثمانياً فقال له : نزعتك علي بن أبي طالب وقد قتلت عثمان ، فبقي عليك الإثم ولم يحسن لك الشكر . فقال له قيس : يا أعمى القلب والبصر ، والله لولا أن ألقى بين رهطي ورهطك حرباً لضربت عنقك ، أخرج عني . تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٣١ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٥ .

قال الأميني : إن فتى الأنصار وأمير الخزرج وابن أميرها قيس بن سعد الذي تقدّمت فضائله وفواضله في الجزء الثاني ص ٦٩ - ١١٠ ط ٢ تراه يتبجح في كتابه إلى معاوية بأنّ عشيرته الأنصار كانوا أوّل الناس قياماً في دم عثمان ، وفي خطبته يرى أنّ الحقّ المحيى مع مولانا أمير المؤمنين ، وإنّ الباطل الذي أميت كان في العهد البائد بقتل عثمان ، وأنّ المقتولين في واقعة الدارهم الظالمون ، واعطف على هذه كلّها محاورته مع النعمان بن بشير بصقّين ، فالكلّ لهجة واحدة من رئي في الدين والدنيا واحد .

١٩ - حديث فروة بن عمرو بن ودقة البياضي الأنصاري (بدري) :

أخرج مالك في الموطأ حديثه في باب (العمل في القراءة) وسكت عن إسمه ولم يسمّه ، بل ذكره بلقبه «البياضي» وقال ابن وضاح^(٣) وابن مزين^(٤) : إنّما

(١) يعني به عمرو بن العاص .

(٢) يعني ممن يابعوه عليه السلام في العقبة .

(٣) أبو عبد الله محمد بن الحسين بن علي بن الوضاح الأنباري المتوفى ٣٤٥ .

(٤) كذا في الاستيعاب ، وأسد الغابة ، وشرح الموطأ للزرقاني ، وفي الإصابة : ابن سيرين .

حديث محمد وجابر الأنصاريين ١٥٧

سكت مالك عن إسمه ، لأنه كان ممن أعان على قتل عثمان .

وعقبه أبو عمر في «الإستيعاب» فقال : هذا لا يُعرف ولا وجه لما قاله في ذلك ولم يكن لقاتل هذا علم بما كان من الأنصار يوم الدار .

الإستيعاب ترجمة فروة ، أسد الغابة ج ٤ ص ١٧٩ ، الإصابة ج ٣ ص ٢٠٤ ، شرح الموطأ للزرقاني ج ١ ص ١٥٢ .

قال الأميني : الذي يشهد ببطلان ما قاله أن ما حسبه جريمة من فروة إن كان مسقطاً لعدالته ، فالإخراج عنه باطلٌ سَمَاهُ أو لم يسمَّه ، وإن كان غير مسقط لها ، فهو مشمول لما عمَّ الصحابة عند القوم من الفضل والعدالة ، وإن روايته حجة يُؤخذ بها ولا يضره إذن إلغاء الاسم ، ثم إن كانت هذه الجريمة مما يُؤخذ به صاحبه ، فهي عامّة للأنصار كلّهم كما أوعز إليه أبو عمر بقوله : لم يكن لقاتل هذا علم بما كان من الأنصار يوم الدار . فيجب إسقاط رواياتهم أو السكوت عن أسمائهم جمعاء . وبالجملّة : إنّ هذا الأنصاريُّ البدريّ عُذٌّ ممن أعان على قتل عثمان ، ولم يشدّ في رأيه عن الأنصار أو عن بقيّة الصحابة أجمع .

٢٠ - حديث محمد بن عمرو بن حزم أبي سليمان الأنصاري :

أحد المحامدة الذين سمّاهم رسول الله ﷺ محمّداً . قال أبو عمر في «الإستيعاب» في ترجمته : يقال : إنّه كان أشدّ الناس على عثمان المحمّدون : محمّد بن أبي بكر . محمّد بن أبي حذيفة . محمّد بن عمرو بن حزم .

٢١ - حديث جابر بن عبد الله أبي عبد الله الأنصاريّ الصحابيّ

العظيم وقوم آخرين من الصحابة :

لَمَّا فرغ الحجاج من أمر ابن الزبير كنس المسجد الحرام من الحجارة والدم وأتته ولاية مكّة والمدينة ، وكان عبد الملك حين بعثه لقتال عبد الله بن الزبير عقد له على مكّة ولكنه أحبّ تجديد ولايته إيّاها ، فشخص الحجاج إلى المدينة ، واستخلف على مكّة عبد الرحمن بن نافع بن عبد الحارث الخزاعي ، فلمّا قدم المدينة أقام بها شهراً أو شهرين فأساء إلى أهلها واستخفّ بهم وقال : إنهم قتلة

أمير المؤمنين عثمان ، وختم يد جابر بن عبدالله برصاص وأيدي قوم آخرين كما يُفعل بالذمة ، منهم : أنس بن مالك ختم عنقه ، وأرسل إلى سهل بن سعد فدعاه فقال : ما منعك أن تنصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان ؟ قال : قد فعلت . قال : كذبت . ثم أمر به فختم في عنقه برصاص .

أنساب البلاذري ج ٥ ص ٣٧٣ ، تاريخ الطبري ج ٧ ص ٢٠٦ ، الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٤٩ .

قال الأميني : تُعطي هذه الرواية أن مؤاخذه الحجاج لبقية الصحابة وفيهم جابر - صاحب الحلقة في مسجد النبي ﷺ يُؤخذ منه العلم كما في الإصابة ج ١ ص ٢١٣ - كانت لتدخلهم في واقعة عثمان بمباشرة أو تخذيل عنه أو بتقاعد عن نصرته ، نحن لا نقول بوثاقة الرجل فيما يرويه كما لا نقول بسداده فيما يرتثيه ، غير أن الحالة تشهد أن تلك النسبة كانت مشهورة بين الملاء فاحتج بها الحجاج على ما ارتكبه من إهانتهم ولم يظهر من القوم أي إنكار لما رُموا به درءاً لعادية الطاغية ، لكنهم صبروا على البلاء وشدة النازلة ثباتاً منهم على ما ارتكبوه في واقعة الدار .

٢٢ - حديث جبلة بن عمرو^(١) بن ساعدة الساعدي الأنصاري (بدري) :

أخرج الطبري من طريق عثمان بن الشريد قال : مرَّ عثمان على جبلة بن عمرو الساعدي وهو بفناء داره ومعه جماعة فقال : يا نعثل ؟ والله لأقتلنك ولأحملنك على قلوص جرباء ولأخرجنك إلى حرّة النار ، ثم جاءه مرة أخرى وعثمان على المنبر فأنزله عنه .

وأخرج من طريق عامر بن سعد قال : كان أول من أجزأ على عثمان بالمنطق السيء جبلة بن عمرو الساعدي ، مرَّ به عثمان وهو جالس في ندي قوميه وفي يد جبلة بن عمرو جماعة ، فلما مرَّ عثمان سلّم فردّ القوم فقال جبلة : لم تردّون على رجل فعل كذا وكذا ؟ قال : ثم أقبل على عثمان فقال : والله لأطرحن هذه الجماعة

(١) قال البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٤٧ : قال الكلبي : هورخيلة بن ثعلبة البياضي ، بدري .

حديث جبلة الأنصاري ١٥٩

في عنقك أو لتتركن بطانتك هذه . قال عثمان : أي بطانة ؟ فوالله إني لا أتخير الناس . فقال : مروان تخيرته ، ومعاوية تخيرته ، وعبدالله بن عامر بن كريز تخيرته ، وعبدالله بن سعد تخيرته ، منهم من نزل القرآن بدمه وأباح رسول الله دمه^(١) قال : فانصرف عثمان فما زال الناس مجترئين عليه إلى هذا اليوم .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٤ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٧٠ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٧٦ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٥ .

وأخرج البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٤٧ الحديث الأول باللفظ المذكور فقال : ثم أتاه وهو على المنبر فأنزله ، وكان أول من اجترأ على عثمان وتجهمه بالمنطق الغليظ وأتاه يوماً بجامعة فقال : والله لأطرحنّها في عنقك ، أو لتتركن بطانتك هذه ، أطعمت الحارث بن الحكم السوق وفعلت ، وفعلت ، وكان عثمان ولّى الحارث السوق فكان يشتري الجلب بحكمه ويبيعه بسومه ، ويجبي مقاعد المتسوقين ، ويصنع صنيعاً منكراً ، فكلم في إخراج السوق من يده فلم يفعل ، وقيل لجبلة في أمر عثمان وسئل الكف عنه فقال : والله لا ألقى الله غداً فأقول : إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأصلونا السبيل .

وأخرج ابن شبه في أخبار المدينة من طريق عبدالرحمن بن الأزهر : إنهم لما أرادوا دفن عثمان فانتهوا إلى البقيع فمنعهم من دفنه جبلة بن عمرو فانطلقوا إلى حش كوكب فدفنوه فيه^(٢) .

قال الأميني : إنك جدّ عليم بما في هذا الرجل المبجل - البدري الذي أثنى عليه أبو عمر في «الإستيعاب» بقوله : كان فاضلاً من فقهاء الصحابة . وهو أحد الصحابة العدول الذين يحتج بما روه أو رأوه - من شدة على عثمان وثبات عليها ، حتى أنه يعدّ المحايدة يومئذ من الضلال الذي يأمر به السادة والكبراء الضالون ، ويهدّد عثمان ويرعد ويسرق وينهى عن ردّ السلام عليه الذي هو تحية المسلمين ، ومن الواجب شرعاً ردّها ، وينزّله عن منبر الخطابة إنزالاً عنيفاً بين الملأ ، ثم لم

(١) هو عبد الله بن سعد راجع ما أسلفناه في ج ٨ ص ٣٢٤

(٢) الإصابة ج ١ ص ٢٢٣ .

١٦٠ الغدير ج - ٩

يزل يستخفُّ به ويهينه ولا تأخذه فيه هودة حتَّى منعه عن الدفن في البقيع ، فدفن في حشٍّ كوكب مقابر اليهود وكلُّ هذه لا تلتئم مع حسن ظنه به فضلاً عن حسن عقيدته .

نعم : إنَّ جيلة فعل هذه الأفاعيل بين ظهراني الملاء الديني الصحابة العدول وهم بين مُتجمهرٍ معه ، ومُخذِّلٍ عن الخليفة المقتول ، ومتَّبِطٍ عنه ، وراضٍ بما دارت على الخليفة من دائرة سوء ، ما خلا شذاذ من الأمويين الذين وصفهم جيلة في بيانه ، وقدَّمنا نحن تفصيل ما نزل من القرآن فيهم في الجزء الثامن^(١) ولم تقم الجامعة الدينيَّة لهم ولآرائهم وزناً .

٢٣ - حديث محمد بن مسلمة أبي عبد الرحمن الأنصاري
(بدري) :

أخرج الطبري من طريق محمد بن مسلمة قال : خرجت في نفر من قومي إلى المصريين وكان رؤساءهم أربعة : عبد الرحمن بن عديس البلوي ، وسودان بن حمران المرادي ، وعمرو بن الحمق الخزاعي ، وابن النباع^(٢) قال : فدخلت عليهم وهم في خباء لهم أربعتهم ورأيت الناس لهم تبعاً ، قال : فعظمتُ حقَّ عثمان ، وما في رقابهم من البيعة ، وخوفتهم بالفتنة ، وأعلمتهم أنَّ في قتله اختلافاً وأمرأً عظيماً ، فلا تكونوا أوَّل من فتحه وأنَّه ينزع عن هذه الخصال التي نقمت منها عليه وأنا ضامنٌ لذلك . قال القوم : فإن لم ينزع قال : قلت فأمركم إليكم . قال : فانصرف القوم وهم راضون فرجعت إلى عثمان فقلت : أخلني . فأخلاني فقلت : الله الله يا عثمان ! في نفسك ، إنَّ هؤلاء القوم إنَّما قدموا يريدون دمك وأنت ترى خذلان أصحابك لك ، لا ، بل هم يقوون عدوك عليك ؟ قال : فأعطاني الرضا وجزائي خيراً قال : ثمَّ خرجت من عنده فأقمت ما شاء الله أن أقيم ، قال : وقد تكلم عثمان برجوع المصريين وذكر أنَّهم جاؤوا لأمر فبلغهم غيره فانصرفوا . فأردت أن آتية فأعنفه ثمَّ سكْتُ فإذا قائلٌ يقول : قد قدم المصريون وهم بالسويداء^(٣)

(١) راجع صفحة ٢٩٢ - ٢٩٤ ، ٣٢٢ ، ٢٦١

(٢) كذا في تاريخ الطبري وفيما حكى عنه الصحيح : ابن البباع وهو عروة بن شبيب اللبثي .

(٣) السويداء : موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام .

حديث محمد بن مسلمة ١٦١

قال : قلت : أحقّ ما تقول ؟ قال : نعم . قال : فأرسل إليّ عثمان ، قال : وإذا الخبر قد جاءه وقد نزل القوم من ساعتهم ذا خُشب^(١) فقال : يا أبا عبد الرحمن ! هؤلاء القوم قد رجعوا فما الرأي فيهم ؟ قال قلت : والله ما أدري إلّا إنّي أظنّ أنّهم لم يرجعوا لخير قال : فارجع إليهم فاردهم قال : قلت : لا والله ما أنا بفاعل ، قال : ولمّ قال : لأنّني ضمنت لهم اموراً تنزع عنها ، فلم تنزع عن حرف منها قال : فقال : الله المستعان قال : وخرجت وقدم القوم وحلّوا بالأسواف وحاصروا عثمان وجاءني عبد الرحمن بن عديس ومعه سودان بن حمران وصاحباة فقالوا : يا أبا عبد الرحمن ! ألم تعلم أنّك كلّمتنا ورددتنا وزعمت أنّ صاحبنا نازعٌ عمّا نكره ؟ فقلت : بلى ، فإذا هم يُخرجون إليّ صحيفة صغيرة وإذا قصبه من رصاص فإذا هم يقولون : وجدنا جملاً من إبل الصدقة عليه غلام عثمان فأخذنا متاعه ففتّشناه فوجدنا فيه هذا الكتاب . الحديث يأتي بتمامه .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٨ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٧٠ .

قال الأميني : إنّك تجد محمد بن مسلمة ها هنا لا يشك في أنّ ما نقمه القوم على الخليفة موبقات يستحلُّ بها هتك الحرمات ممّن ارتكبها ، لكنّه كره المناجزة وحاول الإصلاح حذار الفتنة المستتعبة لطامات وهنابث ، وسعى سعيه في ردّ القوم بضمانه عسى أن ينزع الخليفة عمّا فرط في جنب الله ، وأن يكون ذلك توبة نصوحاً ، فلعلّ الفورة تهدأ ، ولهيب الثورة يخبأ ، لكنّه لمّا شاهد الفشل في مسعاه ، وأخفق ظنّه بعثمان ، ورأى منه حنث الإلّ ، وعدم النزوع عن أحداثه ، تركه والقوم ، فارتكبوا منه ما ارتكبوا ولم يجبه حينما استنصره ، ولم يُقم لطلبته وزناً ، ولم ير له حرمة يدافع بها عنه ، ولذلك خاشنه في القول ، فكان ما كان مقضياً .

٢٤ - حديث ابن عباس حبر الأمة ابن عمّ النبيّ الأعظم (ص) :

١ - أخرج أبو عمر في «الإستيعاب» في ترجمة مولانا أمير المؤمنين عليّ

(١) واد على مسيرة ليلة من المدينة .

صلوات الله عليه من طريق طارق قال : جاء ناسٌ إلى ابن عباس فقالوا : جئناك نسألك فقال : سلوا عما شئتم فقالوا : أي رجل كان أبو بكر ؟ فقال : كان خيراً كله . أو قال : كالخير كله على جِدة كانت فيه . قالوا : فأَي رجل كان عمر ؟ قال : كان كالطائر الحذر الذي يظنُّ أنَّ له في كلِّ طريق شركاً . قالوا : فأَي رجل كان عثمان ؟ قال : رجل ألهته نومته عن يقظته . قال : فأَي رجل كان علي ؟ قال : كان قد ملئ جوفه حكماً وعلماً وبأساً ونجدةً مع قرابته من رسول الله ﷺ وكان يظنُّ أنَّ لا يمدُّ يده إلى شيء إلا ناله ، فما مدَّ يده إلى شيء فنال .

٢ - من كتاب لمعاوية إلى ابن عباس : لعمرى لو قتلتك بعثمان رجوت أن يكون ذلك لله رضا ، وأن يكون رأياً صواباً ، فإنَّك من الساعين عليه ، والخاذلين له ، والسافكين دمه ، وما جرى بيني وبينك صلحٌ فيمنعك مني ولا بيدك أمان^(١) .

فكتب إليه ابن عباس جواباً طويلاً يقول فيه : وأما قولك «إني من الساعين على عثمان والخاذلين له ، والسافكين له ، وما جرى بيني وبينك صلح فيمنعك مني» فأقسم بالله لأنت المتربص بقتله ، والمحِبُّ لهلاكه ، والحابس الناس قبلك عنه على بصيرة من أمره ، ولقد أتاك كتابه وصريخه يستغيث بك ويستصرخ فما حفلت به حتى بعثت إليه معذراً بإجرة أنت تعلم أنهم لن يتركوه حتى يُقتل ، فقتل كما كنت أردت ثم علمت عند ذلك أن الناس لن يعدلوا بيننا وبينك فطفقت تنعي عثمان وتلزمنا دمه ، وتقول قُتل مظلوماً ، فإن يك قُتل مظلوماً فأنت أظلم الظالمين ، ثم لم تزل مصوباً ومصعداً وجائماً ورايضاً تستغوي الجهال وتنازعنا حقنا بالسفهاء حتى أدركت ما طلبت وإن أدري لعلَّه فتنةٌ لكم ومتاعٌ إلى حين .

قال الأميني : إنَّ خبر الأُمة وإن لم يكن له أي تدخل في واقعة الدار ، وكان أمير الحاج في سنته تلك ، لكنك تراه لا يشذ عن الصحابة في الرأي حول الخليفة ، ولا يقيم له وزناً ، ولا يرى له مكانة ، ومن أجل ذلك أعطى المقام حقَّه في جواب السائل عن الخلفاء ، غير أنَّه لم يصف عثمان إلا بما ينبغي عن عدم

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٥٨ . قال : كتبه اليه عند صلح الحسن ، عليه السلام ، يدعوه إلى بيعته .

حديث عبدالله بن عباس ١٦٣

كفأته برقده الطويلة الغاشية على يقظته ، وسباته العميق الساتر لانتباهته ، ومن جرأ ذلك الاعتقاد تجده لم يهتم بشيء من أمره لما جاءه نافع بن طريف بكتاب^(١) من الخليفة يستنجد الحجاج ويستغيث بهم ، على حين أنه محصور ، فقرأه نافع على الناس بينما كان ابن عباس يخطب فلما نجزت قراءته أتم خطبته من حيث أفضت إليه ، ولم يلو إلى أمر عثمان وحصاره ، ولم ينس في أمره بنت شفة ، وكان في وسعه أن يستشيرهم لنصرتهم ، وهل ذلك كله لسوء رأي منه في الخليفة ؟ أو لعدم الإهتمام في أمره ؟ أو لحسن ظنه بالثائرين عليه ؟ اختر ما شئت ، ولعلك تختار تحقق الجميع لدى ابن عباس ، وكأن عائشة شعرت منه ذلك فقالت يوم مر بها ابن عباس في منزل من منازل الحج : يا بن عباس ! إن الله قد أتاك عقلاً وفهماً وبياناً فإياك أن ترد الناس عن هذا الطاغية^(٢) .

ومن جرأ رأيه الذائع الشائع كان يحذر معاوية ويخاف بطشه ، ولما قال له أمير المؤمنين عليه السلام : إذهب أنت إلى الشام فقد وليتها . قال : إني أخشى من معاوية أن يقتلني بعثمان ، أو يحبسني لقرايتي منك ، ولكن اكتب معي إلى معاوية فمعه وعده الحديث^(٣) .

وفي أثر ذلك الرأي كان يسكت عن لعن قتلة عثمان ولما كتب إليه معاوية : أن اخرج إلى السمجد والعن قتلة عثمان . أجاب بقوله : لعثمان ولدٌ وخاصّة وقراة هم أحقّ بلعنهم مني ، فإن شاؤوا أن يلعنوا ، وإن شاؤوا أن يمسكوا فليمسكوا^(٤) .

٢٥ - حديث عمرو بن العاصي الذي عرفناكه في ج ٢ ص ١٤٢ -

: ٢٠٧

أخرج الطبري من طريق أبي عون مولى المسور قال : كان عمرو بن العاصي على مصر عاملاً لعثمان فعزله عن الخراج واستعمله على الصلاة ، واستعمل

(١) يأتي تفصيله في هذا الجزء عند ذكر كتب عثمان إن شاء الله .

(٢) راجع ما مر في هذا الجزء من حديث عائشة .

(٣) تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٢٨ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٨٣ .

(٤) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ١٤٨ .

عبدالله بن سعد على الخراج ، ثمَّ جمعهما لعبدالله بن سعد ، فلمَّا قدم عمرو بن العاصي المدينة جعل يطعن على عثمان ، فأرسل إليه يوماً عثمان خالياً به فقال : يا بن النابغة ما أسرع ما قمل به جربان جبتك ! إنما عهدك بالعمل عاماً أوَّل ، أتطعن عليّ ، وتأتيني بوجه ، وتذهب عني بآخر ؟ والله لولا أكلة ما فعلت ذلك . فقال عمرو : إنَّ كثيراً ممَّا يقول الناس وينقلون إلى ولا تهم باطلٌ ، فاتَّق الله يا أمير المؤمنين في رعيتك ! فقال عثمان : والله لو استعملتك على ظلعك وكثرة القالة فيك ، فقال عمرو : قد كنت عاملاً لعمر بن الخطاب ففارقني وهو عني راضٍ فقال عثمان : وأنا والله لو آخذتك بما آخذك به عمر لاستقمت ولكني لنت عليك فاجترأت عليّ ، أمّا والله لأنا أعزُّ منك نفراً في الجاهليَّة وقبل أن ألي هذا السلطان ، فقال عمرو : دع عنك هذا فالحمد لله الذي أكرمنا بمحمَّد ﷺ وهذا به ، قد رأيت العاصي بن وائل ورأيت أباك عفان فوالله للعاصي كان أشرف من أبيك^(١) فانكسر عثمان وقال : ما لنا ولذكر الجاهليَّة ، وخرج عمرو ودخل مروان فقال : يا أمير المؤمنين ! وقد بلغت مبلغاً يذكر عمرو بن العاصي أباك ، فقال عثمان : دع هذا عنك ، مَنْ ذكر آباء الرجال ذكروا أباه . قال فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتقّد عليه يأتي عليّاً مرّة فيؤلِّبه على عثمان ، ويأتي الزبير مرّة فيؤلِّبه على عثمان ، ويأتي طلحة مرّة فيؤلِّبه على عثمان ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان ، فلمَّا كان حصر عثمان الأوَّل خرج من المدينة حتّى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال لها : السبع ، فنزل في قصر له يقال له : العجلان وهو يقول : العجب ما يأتينا عن ابن عفان قال : فيينا هو جالسٌ في قصره ذلك ومعه ابنه محمّد ، وعبدالله ، وسلامة بن رَوْح الجذامي إذ مرَّ بهم راكبٌ فناداه عمرو : من أين قدم الرجل ؟ فقال : من المدينة ، قال : ما فعل الرجل ؟ يعني عثمان . قال : تركته محصوراً شديد الحصار قال عمرو : أنا أبو عبدالله قد يضطر العير والمكواة في النَّار فلم يبرح مجلسه ذلك حتّى مرَّ به راكبٌ آخر فناداه عمرو : ما فعل الرَّجل ؟ يعني عثمان . قال : قُتل . قال : أنا أبو عبدالله إذا حككت قرحة

(١) ليت شعري ما مكانة عفان من الشرف إن كان يفضل عليه العاصي الساقط المشرف بقوله تعالى : ﴿إِنْ شَأْنُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ كما مرَّ تفصيله في الجزء الثاني ص ١٢٠/ ط ٢ .

حديث عمرو بن العاص ١٦٥

نكأتها ، إن كنت لأحرّض عليه حتّى إنّي لأحرّض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل . فقال له سلامة بن روح : يا معشر قريش ! إنّه كان بينكم وبين العرب بابٌ وثيقٌ فكسرتموه ، فما حملكم على ذلك ؟ فقال : أردنا أن نخرج الحقّ من حافة الباطل ، وأن يكون الناس في الحقّ شرعاً سواء ، وكانت عند عمرو أخت عثمان لأُمّه أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ففارقها حين عزله (١) .

٢ - لما ركب علي وركب معه ثلاثون رجلاً من المهاجرين والأنصار إلى أهل مصر في أوّل مجيئهم المدينة ناقمين على عثمان ، وردّهم عنه فانصرفوا راجعين ورجع عليّ إلى عثمان وأخبره أنّهم قد رجعوا ، حتّى إذا كان الغد جاء مروان عثمان فقال له : تكلم وأعلم الناس أنّ أهل مصر قد رجعوا ، وأنّ ما بلغهم عن إمامهم كان باطلاً ، فإنّ خطبتك تسير في البلاد قبل أن يتحلّب الناس عليك من أمصارهم فيأتيك من لا تستطيع دفعه . فأبى عثمان أن يخرج ، فلم يزل به مروان حتّى خرج فجلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : أما بعد : إنّ هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمرٌ فلمّا تيقنوا أنّه باطل ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم (٢) فناداه عمرو بن العاصي من ناحية المسجد : إتق الله يا عثمان ! فإنّك قد ركبت نهابير (٣) وركبناها معك فتب إلى الله نتب ، فناداه عثمان : وإنّك هناك يابن النابغة ؟ قملت والله جبتك منذ تركتك من العمل ، فنودي من ناحية أخرى : تب إلى الله وأظهر التوبة يكفّ الناس عنك . فرفع عثمان يديه مدّاً واستقبل القبلة فقال : اللهمّ إنّي أوّل تائب تاب إليك . ورجع إلى منزله ، وخرج عمرو بن العاصي حتّى نزل منزله بفلسطين فكان يقول : والله إن كنت لألقى

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٠٨ ، ٢٠٣ ، الأنساب للبلاذري ج ٥ ص ٧٤ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٤٢ ، الإستيعاب ترجمة عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٣ ، وأوعز إليه ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ١٧٠ بصورة مصغرة جرياً على عادته فيما لا يروقه .

(٢) ما عذر الخليفة في هذا الكذب الفاحش على منبر النبي الأعظم وهو بين يدي قبره الشريف لعله يعتذر بأن مروان حثه عليه ولم يكن له منتدح من قبول أمره ، والملك عقيم .

(٣) النهابير والنهابر : المهالك : الواحدة : نهيرة ونهبور .

الراعي فأحرّضه عليه . وفي لفظ البلاذري : يا بن النابغة ! وإنك ممّن تؤلّب عليّ الطغام ؟ وفي لفظ : قال عمرو : يا عثمان ! إنك قد ركبت بهذه الأمة نهاية من الأمر وزغت فزاغوا فاعتدل أو اعتزل . وفي لفظ : ركبت بهذه الأمة نهايير من الأمور فركبوها منك ، ومِلت بهم فمالوا بك ، اعدل أو اعتزل .

تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٠ ، ١١٤ ، أنساب البلاذري ج ٥ ص ٧٤ ، الإستيعاب ترجمة عثمان ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١١٣ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٦٨ ، الفائق للزمخشري ج ٢ ص ٢٩٦ ، نهاية ابن الأثير ج ٤ ص ١٩٦ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٧٥ ، تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٩٦ ، لسان العرب ج ٧ ص ٩٨ ، تاج العروس ج ٣ ص ٥٩٢ .

٣- قال ابن قتيبة : ذكروا أنّ رجلاً من همدان يقال له «برد» قدم على معاوية فسمع عمرواً يقع في عليّ فقال له : يا عمرو ! إنّ أشياخنا سمعوا رسول الله ﷺ يقول : من كنت مولاه فعليّ مولاه . فحقّ ذلك أم باطل ؟ فقال عمرو : حقّ وأنا أزيدك أنّه ليس أحد من صحابة رسول الله له مناقب مثل مناقب عليّ . ففزع الفتى فقال عمرو : إنّهُ أفسدها بأمره في عثمان فقال برد : هل أمر أو قتل ؟ قال : لا ، ولكنه آوى ومنع ، قال : فهل بايعه الناس عليها ؟ قال : نعم . قال : فما أخرجك من بيعته ؟ قال : إتهامي إتياءه في عثمان . قال له : وأنت أيضاً قد اتهمت . قال : صدقت فيها ، خرجت إلى فلسطين . فرجع الفتى إلى قومه فقال : إنّنا أتينا قوماً أخذنا الحجّة عليهم من أفواههم ، عليّ على الحقّ فاتّبِعوه .

[الإمامة والسياسة ج ١ ص ٩٣]

٤- أخرج الطبري في تاريخه ج ٥ ص ٢٣٤ من طريق الواقدي قال : لَمَّا بلغ عمرواً قتل عثمان رضي الله عنه قال : أنا أبو عبد الله قتلته وأنا بوادي السباع ، من يلي هذا الأمر من بعده ؟ إن يله طلحة فهو فتى العرب سييئاً ، وإن يله ابن أبي طالب فلا أراه إلّا سيسْتَظف الحقّ ، وهو أكره من يليه إليّ .

٥- أسلفنا في حديث طويل في الجزء الثاني ص ١٥٨ - ١٦١ من قول الإمام الحسن السبط الزكي لعمر بن العاصي : وأما ما ذكرت من أمر عثمان فانت

حديث عمرو بن العاص ١٦٧

سَعَرْتُ عَلَيْهِ الدُّنْيَا نَارًا ، ثُمَّ لَحَقْتُ بِفَلَسْطِينَ فَلَمَّا أَتَاكَ قَتَلْتَهُ قُلْتُ : أَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ إِذَا نَكَاتُ «أَيُّ قَشْرَتِ» قَرَحَةً أَدْمِيَّتَهَا ، ثُمَّ حَبَسْتُ نَفْسَكَ إِلَى مَعَاوِيَةَ وَبَعْتُ دِينَكَ بِدَنِيَاهُ ، فَلَسْنَا نَلُومُكَ عَلَى بَغْضٍ ، وَلَا نَعَاتِبُكَ عَلَى وَدٍّ ، وَبِاللَّهِ مَا نَصَرْتُ عُثْمَانَ حَيًّا ، وَلَا غَضِبْتُ لَهُ مَقْتُولًا .

قال أبو عمر في «الإستيعاب» في ترجمة عبدالله بن سعيد بن أبي سرح : كان عمرو بن العاصي يطعن على عثمان ويؤلِّب عليه ويسعى في إفساد أمره ، فلَمَّا بلغه قتل عثمان وكان معتزلاً بفلسطين قال : إِنِّي إِذَا نَكَاتُ قَرَحَةً أَدْمِيَّتَهَا أَوْ نَحُو هَذَا .

وقال في ترجمة محمد بن أبي حذيفة : كان عمرو بن العاص مذ عزله عثمان عن مصر يعمل حيله في التآليب والبطن على عثمان . وفي الإصابة ج ٣ ص ٣٨١ : إن عثمان لمَّا عزل عمرو بن العاص عن مصر قدم المدينة فجعل يطعن على عثمان ، فبلغ عثمان فزجره ، فخرج إلى أرض له بفلسطين فأقام بها .

قال الأُمِينِي : لَعَلَّ مِمَّا يَسْتَعْنَى عَنِ الْإِفَاضَةِ فِيهِ مَنَاوَةُ ابْنِ الْعَاصِي لِعُثْمَانَ وَرَأْيِهِ فِي سَقُوطِهِ ، وَتَبَجُّحِهِ بِالتَّأْلِيْبِ عَلَيْهِ ، وَمَسَرَّتِهِ عَلَى قَتْلِهِ ، وَقَوْلُهُ بِمَلَأَ فَمَهُ : أَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَتَلْتُهُ وَأَنَا بَوَادِي السَّبَاعِ . وَقَوْلُهُ : إِنِّي إِذَا نَكَاتُ قَرَحَةً أَدْمِيَّتَهَا . وَهَلْ الْإِحْنُ بَيْنَهُمَا اسْتَفْحَلَتْ فَتَأَثَّرَتْ بِهَا نَفْسِيَّةُ ابْنِ الْعَاصِي حَتَّى أَنَّهُ اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ . أَوْ أَنَّهُ أَصَابَ الْحَقَّ ، فَكَانَ اجْتِهَادُهُ عَنِ مَقْدِّمَاتٍ صَحِيْحَةٍ مَقْطُوعَةٍ عَنِ الضَّغَائِنِ الثَّائِرَةِ ، مَعْتَصِدَةً بِأَرَاءِ الصَّحَابَةِ ، وَأَيَّامًا مَا كَانَ فَهُوَ عِنْدَ الْقَوْمِ مِنْ أَعْظَمِ الصَّحَابَةِ الْعَدُولُ يَرَى فِي الْخَلِيفَةِ هَذَا الرَّأْيَ .

٢٦ - حديث عامر بن واثلة أبي الطفيل الشيخ الكبير الصحابي :

قدم أبو الطفيل الشام يزور ابن أخ له من رجال معاوية فأخبر معاوية بقدمه فأرسل إليه فاتاه وهو شيخ كبير فلَمَّا دخل عليه قال له معاوية : أنت أبو الطفيل عامر ابن واثلة ؟ قال : نعم . قال معاوية : أكنت ممن قتل عثمان أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، ولكن ممن شهدته فلم ينصره . قال : ولم ؟ قال : لم ينصره المهاجرون

والأنصار . فقال معاوية أما والله إن نصرته كانت عليهم وعليك حقاً واجباً وفرضاً لازماً ، فإذا ضيَّعتموه فقد فعل والله بكم ما أنتم أهلُه وأصاركم إلى ما رأيتم . فقال أبو الطفيل : فما منعك يا أمير المؤمنين ! إذ تربُّصت به ريب المنون أن لا تنصره ومعك أهل الشام ؟ قال معاوية : أو ما ترى طلبي لدمه نصرة له ؟ فضحك أبو الطفيل وقال بلى : ولكنِّي وإيَّاك^(١) كما قال عبيد بن الأبرص :

لأعرفنك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي

فدخل مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحكم فلما جلسوا نظر إليهم معاوية ثم قال : أتعرفون هذا الشيخ ؟ قالوا : لا . فقال معاوية : هذا خليل علي بن أبي طالب ، وفارس صفين وشاعر أهل العراق ، هذا أبو الطفيل . قال سعيد بن العاص : قد عرفناه يا أمير المؤمنين ! فما يمنعك منه ؟ وشتمة القوم فزجرهم معاوية قال : فربَّ يوم ارتفع عن الأسباب قد ضقتُم به ذرعاً ثم قال : أتعرف هؤلاء يا أبا الطفيل ؟ قال : ما أنكرهم من سوء ولا أعرفهم بخير وأنشد شعراً :

فإن تكن العداوة قد أكنَّت فشرُّ عداوة المرء السباب

فقال معاوية : يا أبا الطفيل ! ما أبقى لك الدهر من حبِّ عليٍّ ؟ قال : حبُّ أم موسى وأشكو إلى الله التقصير . فضحك معاوية وقال : ولكن والله هؤلاء الذين حولك لو سألوا عني ما قالوا هذا . فقال مروان : أجل والله لا نقول الباطل .

الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٥٨ ، مروج الذهب ج ٢ ص ٦٢ ، تاريخ ابن عساکر ج ٧ ص ٢٠١ ، الإستيعاب في الكنى ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٣٣ .

قال الأميني : أترى هذا الشيخ الكبير الصالح كيف يعترف بخذلانه عثمان ؟ ويحكي مصافقته على ذلك عن المهاجرين والأنصار الصحابة العدول ، غير متندِّم على ما فرط هنالك ، ولو كان يتحرَّج هو ومن نقل عنهم موافقتهم له لردعتهم

(١) كذا والصحيح كما في مروج الذهب . ولكنك وإياه .

حديث سعد بن أبي وقاص ١٦٩

الصحة والعدالة عما ارتكبه من القتل والخذلان ، ولو كان لحقه وإياهم شيء من الندم لباح به وباحوا ، لكنهم اعتقدوا أمراً فمضوا على ضوئه ، وإنهم كانوا على بصيرة من أمرهم ، وما اعتراهم الندم إلى آخر نفس لفظوه .

٢٧ - حديث سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المبشرة ، وأحد الستة أصحاب الشورى :

١ - روى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ج ١ ص ٤٣ قال : كتب عمرو بن العاص إلى سعد بن أبي وقاص يسأله عن قتل عثمان ومن قتله ومن تولى كبره فكتب إليه سعد : إنك سألتني من قتل عثمان وأنا أخبرك أنه قتل بسيف سلتة عائشة ، وصقله طلحة ، وسمه ابن أبي طالب ، وسكت الزبير وأشار بيده ، وأمسكنا نحن ولو شئنا دفعناه عنه ، ولكن عثمان غير وتغير وأحسن وأساء ، فإن كنا أحسنًا فقد أحسنًا ، وإن كنا أسوأ فاستغفر الله . الحديث مرّ بتمامه ص ١٠٨ .

٢ - عن أبي حبيبة قال : نظرت إلى سعد بن أبي وقاص يوم قتل عثمان دخل عليه ثم خرج من عنده وهو يسترجع مما يرى على الباب فقال له مروان . الآن تندم ؟ أنت أشعرت . فأسمع سعداً يقول : استغفر الله لم أكن أظن الناس يجترؤون هذه الجرأة ولا يطلبون دمه ، وقد دخلت عليه الآن فتكلم بكلام لم تحضره أنت ولا أصحابك فنزع عن كل ما كره منه وأعطى التوبة . وقال : لا أتمادى في الهلكة أن من تمادى في الجور كان أبعد من الطريق فأنا أتوب وأنزع . فقال مروان : إن كنت تريد أن تذب عنه فعليك بابن أبي طالب فإنه متستر وهو لا يجبه . فخرج سعد حتى أتى علياً وهو بين القبر والمنبر فقال : يا أبا الحسن ! قم فداك أبي وأمي جئتك والله بخير ما جاء به أحد قط إلى أحد ، تصل رحم ابن عمك ، وتأخذ بالفضل عليه ، وتحقق دمه ، ويرجع الأمر على ما نحب . قد أعطى خليفتك من نفسه الرضى فقال علي : تقبل الله منه يا أبا إسحاق ! والله ما زلت أذب عنه حتى إنني لأستحيي ، ولكن مروان ومعاوية وعبدالله بن عامر وسعيد بن العاص هم صنعوا به ما ترى ، فإذا نصحتهم وأمرته أن يُنحيهم استغشني حتى جاء ما ترى . قال : فبينما هم كذلك جاء محمد بن أبي بكر فسار علياً فأخذ

١٧٠ الغدير ج - ٩

عليّ بيدي ونهض عليّ وهو يقول : وأيّ خير توبته هذه ؟ فوالله ما بلغت داري حتّى سمعت الهائعة : إنّ عثمان قد قتل . فلم نزل والله في شرٍّ إلى يومنا هذا .

[تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٢١]

قال الأميني : يُترأى للقارىء من هذه الجمل أنّ سعداً خذل الخليفة على حين أنّه مكشور لا يُراد به إلّا القتل وهو على علم منه أنّه مقتول لا محالة لما كان يرى أنّه غير وتغيّر ، وغير عازب عن سعد حيثُ حكم الشريعة بوجوب كلاءة النفس المحترمة للمتمكّن منها وهو يقول : وأمسكنا نحن ولو شئنا دفعناه عنه . حتّى أنّه بعد هدوء الثورة غير جازم بأنّه ارتكب حوباً في خذلانه فيقول : إن كُنّا أحسنّا فقد أحسنّا ، وإن كُنّا أسأنا فستغفر الله ، وعلى تقدير كونه إساءة يراها من اللمم الممحوّ بالإستغفار ، ولعلّ الشقّ الأخير من كلمته مجاملة مع عمرو بن العاصي لئلاّ يلحقه الطلب بدم عثمان ولذلك ألقى المسؤولية على أناس آخرين من عليّة الأمة ذكرهم في كتابه ، وعليه فصميم رأيه هو ما ارتكبه ساعة القتل من الخذلان .

٢٨ - حديث مالك الأشتر بن الحارث المترجم له فيما مرّ

ص ٥٨ - ٦٠ :

ذكر البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٤٦ : إنّ عثمان كتب إلى الأشتر وأصحابه مع عبدالرحمن بن أبي بكر ، والمسور بن مخرمة يدعوهم إلى الطاعة ويُعلمهم أنّهم أول من سنّ الفرقة ، ويأمرهم بتقوى الله ومراجعة الحقّ ، والكتاب إليه بالذي يُحبّون .

فكتب إليه الأشتر :

من مالك الحارث إلى الخليفة المبتلى الخاطيء الحائد عن سنّة نبيّه ، النابذ لحكم القرآن وراء ظهره .

أمّا بعد : فقد قرأنا كتابك فأنّه نفسك وعمالك عن الظلم والعدوان وتسيير الصالحين نسمح لك بطاعتنا ، وزعمت أنّا قد ظلمنا أنفسنا ، وذلك ظنك الذي أرداك ، فأراك الجور عدلاً ، والباطل حقّاً ، وأمّا محبّتنا فإنّ تنزع وتوب وتستغفر الله من تجنيك على خيارنا ، وتسييرك صلحاءنا ، وإخراجك إيانا من ديارنا ،

حديث مالك الأشتر ١٧١

وتوليتك الأحداث علينا ، وأن تولي مصرنا عبد الله بن قيس أبا موسى الأشعري وحذيفة فقد رضيتهما ، واحبس عنا وليدك وسعيدك ومن يدعوك إليه الهوى من أهل بيتك إن شاء الله والسلام .

وخرج بكتابهم يزيد بن قيس الأرحبي ، ومسروق بن الأجدع الهمداني ، وعبد الله بن أبي سبرة الجعفي ، وعلقمة بن قيس أبو شبل النخعي ، وخارجة بن الصلت البرجمي في آخرين . فلما قرأ عثمان الكتاب قال : اللهم إني تائب وكتب إلى أبي موسى وحذيفة : أئتما لأهل الكوفة رضي ولنا ثقة ، فتوليا أمرهم وقوما به بالحق غفر الله لنا ولكما . فتولى أبو موسى وحذيفة الأمر ، وسكن أبو موسى الناس وقال عتبة بن الوغل :

تصدق علينا يا بن عفان واحتسب وأمر علينا الأشعري لياليا

فقال عثمان : نعم وشهوراً إن بقيت .

قال الأميني : نظرية مالك الذي عرفته صحيفة ٥٨ في عثمان صريحة واضحة لا تحتاج إلى تحليل وتعليل ، وإنما أعطى من نفسه الرضا في كتابه بشرط النزوع والتوبة ، لكنه لما لم يجد للشرط وفاء بل وجد منه إصراراً على ما نقمه هو والصحابة كلهم تنشط للمخالفة ، وأجلب عليه خيلاً ورجلاً ، ولم يزل مشتتاً في ذلك حتى بلغ ما أراد .

وسنوقفك على حقيقة أمر الخليفة من توبته بعد توبته في المستقبل القريب إن شاء الله تعالى .

٢٩ - حديث عبدالله بن عكيم :

أخرج ابن سعد والبلاذري بإسنادهما عن عبدالله بن عكيم الجهني «الصحابي» قال : لا أعين على دم خليفة أبداً بعد عثمان . فقيل له : يا أبا معيد وأعنت على دمه ؟ قال : إني أعد ذكر مساوئه إعانة على دمه .

طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٥٦ ، الأنساب للبلاذري ج ٥ ص ١٠١ .

قال الأميني : هذا الحديث صريح في أن الرجل كان يعتقد في عثمان

مساوئ ومثالب، وقد اطمأن بثبوتها له ، فتحدث بها في الأندية والمحاشد إعانةً على دمه ، فكان ذلك من موجبات قتله ، ولم يزل معترفاً به بعد أن أسيلت نفسه وأريق دمه .

٣٠ - حديث محمد بن أبي حذيفة :

كان أبو القاسم محمد بن أبي حذيفة العبشمي من أشد الناس تأليباً على عثمان ، وذكر البلاذري في الأنساب قال : كان محمد بن أبي بكر بن أبي قحافة ، ومحمد بن أبي حذيفة ، خرجا إلى مصر عام مخرج عبدالله بن سعد بن أبي سرح إليها ، فأظهر محمد بن أبي حذيفة عيب عثمان والطعن عليه وقال : استعمل عثمان رجلاً أباح الرسول ﷺ دمه يوم الفتح ونزل القرآن بكفره حين قال : ﴿سأنزل مثل ما أنزل الله﴾ (١) .

وكانت غزاة ذات الصواري في المحرم سنة أربع وثلاثين وعليها عبد بن سعد ، فصلّى بالناس فكبر ابن أبي حذيفة تكبيرة أفزعه بها فقال : لولا إنك أحقّ لقربت بين خطوك ، ولم يزل يبلغه عنه وعن ابن أبي بكر ما يكره ، وجعل ابن أبي حذيفة يقول : يا أهل مصر ! إنّا خلفنا الغزو وراءنا . يعني غزو عثمان .

إنّ محمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر حين أكثر الناس في أمر عثمان قدما مصر وعليها عبدالله بن سعد بن أبي سرح ، ووافقا بمصر محمد بن طلحة بن عبيدالله وهو مع عبدالله بن سعد ، وإنّ ابن أبي حذيفة شهد صلاة الصبح في صبيحة الليلة التي قدم فيها ففاته الصلاة فجهر بالقراءة فسمع ابن أبي سرح قراءته فسأل عنه ، فقل : رجل أبيض وضيء الوجه . فأمر إذا صلى أن يؤتى به فلما رآه قال : ما جاء بك إلى بلدي ؟ قال : جئت غازياً ، قال : ومن معك ؟ قال : محمد بن أبي بكر . فقال : والله ما جئتما إلّا لتفسدا الناس ، وأمر بهما فسجنا ، فأرسلا إلى محمد بن طلحة يسألانه أن يكلمه فيهما لئلا يمنعهما من الغزو ، فأطلقهما ابن أبي سرح وغزا ابن أبي سرح أفريقية فأعدّ لهما سفينة مفردة لئلا يُفسد

(١) يعني بذلك عبد الله بن سعد بن أبي سرح وهو صاحب يوم الفتح ، وفيه نزلت الآية كما مرّ في

حديث محمد بن أبي حذيفة ١٧٣

عليه الناس ، فمرض ابن أبي بكر فتخلف وتخلف معه ابن أبي حذيفة ، ثم إنهما خرجا في جماعة الناس فما رجعا من غزاتهما إلا وقد أوغرا صدور الناس على عثمان فلما وافى ابن أبي سرح مصر وافاه كتاب عثمان بالمصير إليه ، فشخص إلى المدينة وخلف على مصر رجلاً كان هواه مع ابن أبي بكر وابن أبي حذيفة ، فكان ممن شايعهم وشجعهم على المسير إلى عثمان .

قالوا : وبعث عثمان إلى ابن أبي حذيفة بثلاثين ألف درهم ويحمل عليه كسوة فأمر فوضّع في المسجد وقال : يا معشر المسلمين ! ألا ترون إلى عثمان يخادعني عن ديني ویرشوني عليه ؟ فازداد أهل مصر عيباً لعثمان وطعنوا عليه ، واجتمعوا إلى ابن أبي حذيفة فرأسوه عليهم ، فلما بلغ عثمان ذلك دعا بعمّار بن ياسر فاعتذر إليه ممّا فعل به واستغفر الله منه وسأله أن لا يحقد عليه ، وقال : بحسبك من سلامتي لك ثقتي بك ، وسأله الشخصوص إلى مصر لياتيه بصحّة خبر ابن أبي حذيفة ، وحقّ ما بلغه عنه من باطله ، وأمره أن يقوم بعذرده ، ويضمن عنه العتبي لمن قدم عليه ، فلما ورد عمّار مصر^(١) حرّض الناس على عثمان ودهاهم إلى خلعه ، وأشعلها عليه ، وقوى رأي ابن أبي حذيفة وابن أبي بكر وشجعهما على المسير إلى المدينة ، فكتب ابن أبي سرح إلى عثمان يُعلمه ما كان من عمّار ، ويستأذنه في عقوبته ، فكتب إليه : بشس الرأي رأيت يابن أبي سرح فأحسن جهاز عمّار واحمله إليّ ، فتحرّك أهل مصر وقالوا : سيّر عمّار ، ودبّ فيهم ابن أبي حذيفة ودعاهم إلى المسير فأجابوه^(٢) .

وذكر أبو عمر الكندي في أمراء مصر : أنّ عبد الله بن سعد أمير مصر كان توجّه إلى عثمان لَمّا قام الناس عليه ، فطلب أمراء الأمصار فتوجّه إليه في رجب سنة ٣٥ واستناب عقبة بن عامر فوثب محمّد بن أبي حذيفة على عقبة - وكان يوم ذاك بمصر - فأخرجه من مصر وغلب عليها ، وذلك في شوال منها ، ودعا إلى خلع عثمان ، وأسعر البلاد ، وحرّض على عثمان^(٣) .

(١) سنوقفك على أنّ بعث عمار الى مصر قط لا يصح .

(٢) أنساب البلاذري ج ٥ ص ٤٩ - ٥١ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٥٧ .

(٣) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٠٩ ، الإستيعاب ج ١ ص ٢٣٣ ، الكامل لابن الاثير ج ٣

ص ٦٧ ، الإصابة ج ٣ ص ٣٧٣ .

وأخرج من طريق الليث عن عبد الكريم الحضرمي كما في الإصابة ج ٣ ص ٣٧٣ : إن ابن أبي حذيفة كان يكتب الكتب على أزواج النبي ﷺ في الطعن على عثمان كان يأخذ الرواحل فيحصرها ثم يأخذ الرجال الذين يريد أن يبعث بذلك معهم فيجعلهم على ظهور بيت في الحر ، فيستقبلون بوجوههم الشمس ليلوحهم تلويح المسافر ، ثم يأمرهم أن يخرجوا إلى طريق المدينة ، ثم يرسل رسلاً يخبروا بقدمهم فيأمر بتلقيهم ، فإذا لقوا الناس قالوا لهم : ليس عندنا خبر ، الخبر في الكتب ، فيتلقاهم ابن أبي حذيفة ومعه الناس فيقول لهم الرسل : عليكم بالمسجد فيقرأ عليهم الكتب من أمهات المؤمنين : إننا نشكو إليكم يا أهل الإسلام كذا وكذا من الطعن على عثمان ، فيضج أهل المسجد بالبكاء والدعاء ، فلما خرج المصريون ووجهوا نحو المدينة على عثمان شيعهم محمد بن أبي حذيفة إلى عجرود ثم رجع .

قال الأميني : أترى هذا الصحابي العظيم كيف يجذ ويجتهد في إطفاء هذه النائرة ولا يخاف فيما يعتقد أنه في الله لومة لائم ، غير مكتثر لما بهته به العثمانيون من اختلاق الكتب على أمهات المؤمنين ، وتسويد الوجوه بمواجهة الشمس ، ولم يزل على دأبه واجتهاده حتى قضى الأمر ، وأزيحت المثلات ، وما نبزوه به من الإفتعال والتزوير هو حرفة كل عاجز ، ولعلّه دبر في الأزمنة الأخيرة كما دبرت أمثاله في كل من الثائرين على عثمان سترًا على الحقائق الراهنة .

وهل من المستبعد أن تكتب في التآليب على عثمان صاحبة قول : اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً إنه قد كفر . وقائلة : وددت والله أنك «يا مروان» وصاحبك هذا الذي يعنيك أمره في رجل كل واحد منكما راحاً وأنكما في البحر . وقائلة : بعداً لنعثل وسحقاً . وقائلة : أبعده الله ، ذلك لما قدمت يداه وما الله بظلام للعبيد . وقائلة : يابن عباس إن الله قد أتاك عقلاً وفهماً وبياناً فيأياك أن ترد الناس عن هذا الطاغية . وهي كانت في الرعيّل الأول من الثائرين على عثمان بشتى الحيل والطرق الثائرة .

هب أنهم بهتوا القوم بتلكم الأفائك لكن هل يسعهم إنكار تألّبهم على

حديث عمرو بن زرارة ١٧٥

الخليفة يومئذ ؟ وقد التزموا بعد التهم ، والصحاح والمسانيد مشحونة بالإحتجاج بهم والإخراج عنهم ، نعم غاية ما يمكنهم من التقول الحكم بالخطأ في الإجتهد شأن كل متقابلين في حكم شرعي ، وليس تحكّمهم هذا بأرجح من رأي من يرى أنهم أصابوا في الإجتهد وإجماع الصحابة يومئذ كان معاضداً لهم ، وهم يقولون : إن الأمة محمّداً لا تجتمع على خطأ .

٣١ - حديث عمرو بن زرارة النخعي أدرك عصر النبي (ص) :

قال البلاذري وغيره : إنَّ أوَّل من دعا إلى خلع عثمان والبيعة لعليّ عمرو بن زرارة بن قيس النخعي ، وكميل بن زياد بن نهيك النخعي ، فقام عمرو بن زرارة فقال : أيُّها النَّاسُ إنَّ عثمان قد ترك الحقَّ وهو يعرفه ، وقد أغرى بصلحائكم يوليَّ عليهم شراركم فبلغ الوليد فكتب إلى عثمان بما كان من ابن زرارة ، فكتب إليه عثمان : إنَّ ابن زرارة أعرابيٌّ جلفٌ فسَيِّره إلى الشام . وشيَّعه إلى الأشتر والأسود بن يزيد بن قيس وعلقمة بن قيس بن يزيد وهو عمُّ الأسود والأسود أكبر منه فقال قيس بن قهدان يومئذ :

أقسم بالله ربَّ البيت مجتهداً أرجو الشواب به سرّاً وإعلانياً
لأخلعن أبا وهب وصاحبه كهف الضلالة عثمان بن عفّانا

وقال ابن الأثير : هو ممَّن سيَّره عثمان من أهل الكوفة إلى دمشق .

راجع الأنساب للبلاذري ج ٥ ص ٣٠ ، أسد الغابة ج ٤ ص ١٠٤ ، الإصابة ج ١ ص ٥٤٨ ، ج ٢ ص ٥٣٦ .

قال الأميني : ليس على نظريّة هذا الصحابيِّ سترٌ يماط عنها ، ولا أنّه كان يلهج بغير المكشوف حتّى يُسدل عليه شيء من التمويه ، فإنَّك لا تجد رأيه إلّا في عدد آراء الصحابة جمعاء يومئذ .

٣٢ - حديث صعبعة بن صوحان سيّد قومه عبد القيس :

أخرج ابن عساكر في تاريخه ج ٦ ص ٤٢٤ من طريق حميد بن هلال العدوي قال : قام صعبعة إلى عثمان بن عفان وهو على المنبر فقال : يا أمير

المؤمنين ! ملت فمالت أُمَّتُكَ ، اعتدل يا أمير المؤمنين ! تعتدل أُمَّتُكَ .

قال : وتكلم صعصعة يوماً فأكثر فقال عثمان : يا أيُّها النَّاسُ إنَّ هذا البجبا ، النَّفَّاجَ ما يدري مَنْ الله ولا أين الله . فقال : أمَّا قولك : ما أدري مَنْ الله . فإنَّ الله ربُّنا وربُّ آبائنا الأولين ، وأمَّا قولك : لا أدري أين الله . فإنَّ الله لبالمرصاد ، ثمَّ قرأ : ﴿أُذِّنْ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^(١) . فقال عثمان : ما نزلت هذه الآية إلَّا فيَّ وفي أصحابنا أخرجنا من مكَّة بغير حقّ .

وذكره الزمخشري في الفائق ج ١ ص ٣٥ فقال : البجبا : الذي يهَبُّ الكلام وليس لكلامه جهة ، وروي : الفجفا . وهو الصَّيَّاح المكثار . وقيل : المأفون المختال . والنَّفَّاج : الشديد الصلف .

وأوعز إليه ابن منظور في لسان العرب ج ٣ ص ٣٢ ، وقال : البجبا من البجبة التي تفعل عند مناغة الصبي ، وبجبا فجفا كثير الكلام ، والبجبا : الأحمق ، والنَّفَّاج : المتكبر .

وكذا ذكره ابن الأثير في النهاية ج ١ ص ٧٢ ، والزبيدي في تاج العروس ج ٢ ص ٦ .

قال الأميني : هذا صعصعة الذي أسلفنا صفحة ٦٤ من هذا الجزء ذكر عظمته وفضله وبطولته وثقته في الدين والدنيا يرى أنَّ الخليفة مال عن الحقِّ فمالت أُمَّتُه ولو اعتدل اعتدلت ، وفي تلاوته الآية الكريمة في محاورته إيدان بالحرب ، وإنَّه ومَنْ شاكلة مظلومون من ناحية عثمان منصورون بالله تعالى ، فهو بذلك مستبيحٌ لمنابدته ومناجزته ، لقد لهج صعصعة بهذه على رؤوس الأشهاد والخليفة على المنبر يخطب ، فلم يسمع إنكاراً أو دفاعاً من أفاضل الصحابة العدول .

٣٣ - حديث حكيم بن جبلة العبدي الشهيد يوم الجمل :

كان هذا الرجل العظيم صالحاً ديناً مطاعاً في قومه كما وصفه أبو عمر ،

(١) سورة الحج ؛ الآية : ٣٩ .

حديث صمصعة بن صوحان ١٧٧

وأثنى عليه المسعودي بالسيادة والزهد والنسك . كان أحد زعماء الشائرين على عثمان من أهل البصرة كما يأتي . وقال المسعودي : إِنَّ النَّاسَ لَمَّا نَقَمُوا عَلَى عثمان ما نَقَمُوا سارَ فيمن سارَ إلى المدينة حكيم بن جبلة . وقال الذهبي : كان مَمَّنْ أَلْبَ على عثمان رضي الله عنه . وجاء في مقال خفاف الطائي في الحديث عن عثمان : حصره المكشوح ، وحكم فيه حكيم ، ووليه محمد وعمار ، وتجرّد في أمره ثلاثة نفر : عدي بن حاتم . والأشتر النخعي . وعمرو بن الحقم . وجدّ في أمره رجلا : طلحة والزبير . الحديث .

وقال أبو عمر : كان مَمَّنْ يعيب عثمان من أجل عبدالله بن عامر وغيره من عمّاله . قال أبو عبيد : قطعت رجل حكيم يوم الجمل فأخذها ثم زحف إلى الذي قطعها . فلم يزل يضربه بها حتى قتله وقال :

يا نفس لن تراعي دعاك خير داعي
إن قطعت كراعي إنَّ معي ذراعي^(١)

فالباحث يجد لهذا البطل الصالح الدين الزاهد الناسك قدماً أيّ قدم في التأليب على الخليفة ، وله خطواته الواسعة في استئصال دمه والتجمهر عليه ، وهو مع ذلك كلّهُ بعدُ صالحٌ يُذكر ويُشكر ويُثنى عليه ، ما اسودّت صحيفة تاريخه بمناجزته الخليفة والوقعة فيه ومقتله والنقمة عليه ، ولم تتضعع بها أركان صلاحه ، وما اختلّ بها نظام نسكه ، ولا شوّهت سمعته الدينيّة ، ولا دنّست ساحه قدسه ، وهذه كلّها لا تلتئم مع كون الخليفة إمام عدل .

٣٤ - حديث هشام بن الوليد المعزومي أخيه خالد :

مرّ في ص ٣٥ من هذا الجزء قول الرجل لعثمان لَمَّا ضرب عمّاراً حتّى عُشي عليه : يا عثمان ! أمّا عليّ فأتقيته وبني أبيه ، وأمّا نحن فاجترأت علينا وضربت أخانا حتّى أشفيت به على التلف ، أما والله لئن مات لأقتلنّ به رجلاً من بني أميّة

(١) راجع كتاب صفين لابن مزاحم ص ٨٢ ، مروج الذهب ج ٢ ص ٧ ، الاستيعاب ج ١ ص ١٢١ ، دول الإسلام للذهبي ج ١ ص ١٨ ، ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٥٩ .

١٧٨ الغدير ج - ٩

عظيم السرّة . فقال عثمان : وإنّك لها هنا يا ابن القسريّة ؟ قال : فإنّهما قسريّتان ، وكانت أمّه وجدّته قسريّتين من بجيلة ، فشتّمه عثمان وأمر به فأخرج .

ولهشام أبيات في عثمان ذكرها المرزباني في معجم الشعراء كما قاله ابن حجر في الإصابة ج ٣ ص ٦٠٦ وذكر منها قوله :

لساني طويل فاحترس من شدائه عليك وسيفي من لساني أطول

لعلّ الباحث لا يعزب عنه رأي هذا الصحابي - العادل - في الخليفة ، ولا يجده شاذّاً عن بقيّة الصحابة في إصفاقهم على مقتبه بعدما يراه كيف يجابه الرجل بفظاظة وخشونة ، ويقابله بالقول القارص ، ويهدّده بالهجاء والقتل ، غير راع له أيّ حرمة وكرامة ، لا يحسب تلکم القوارص زوراً من القول ، وفنداً من الكلام ، بل يرى الخليفة أهلاً لكلّ ذلك ، فهل يجتمع هذا مع كون الرجل إمام عدل عند المخزومي ؟

٣٥ - حديث معاوية بن أبي سفيان الأموي :

١ - من كتاب لأمر المؤمنين إلى معاوية : فسبحان الله ما أشدّ لزومك للأهواء المبتدعة والحيرة المتّبعة ، مع تضييع الحقائق وإطراح الوثائق التي هي لله طلبة ، وعلى عباده حجة ، فأما إكثارك الحجاج في عثمان وقتله فإنّك إنّما نصرت عثمان حيث كان النصر لك ، وخذلتته حيث كان النصر له^(١) .

٢ - ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية : فوالله ما قتل ابن عمّك غيرك .

راجع ما مرّ من حديث أمير المؤمنين .

٣ - ومن كتاب له عليه السلام إلى الرجل : قد أسهبت في ذكر عثمان ، ولعمري ما قتله غيرك ، ولا خذله سواك ، ولقد تربّصت به الدوائر ، وتمنّيت له الأمان ، طمعاً فيما ظهر منك ، ودلّ عليه فعلك .

[شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٤١١]

(١) نهج البلاغة ج ٢ ص ٦٢ .

حديث معاوية بن أبي سفيان ١٧٩

٤ - من كتاب لابن عباس إلى معاوية : أمّا ما ذكرت من سرعتنا إليك بالمساءة إلى أنصار ابن عفان ، وكراحتنا لسلطان بني أمية ، فلعمري لقد أدركت في عثمان حاجتك حين استنصرك فلم تنصره ، حتى صرت إلى ما صرت إليه ، وبينني وبينك في ذلك ابن عمك وأخو عثمان : الوليد بن عقبة .

كتاب نصر ص ٤٧٢ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٩٦ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٨٩ .

٥ - من كتاب لابن عباس إلى معاوية : وأمّا قولك : إنني من الساعين على عثمان والخاذلين له والسافكين دمه ، وما جرى بيني وبينك صلح فيمنعك مني ، فأقسم بالله لآنت المتربّص بقتله ، والمحبّ لهلاكه ، والحابس الناس قبلك عنه على بصيرة من أمره ، ولقد أتاك كتابه وصريخه يستغيث ويستصرخ ، فما حفلت به حتى بعثت إليه معذراً باجرة أنت تعلم أنهم لن يتركوه حتى يُقتل ، فقتل كما كنت أردت ، ثم علمت عند ذلك أن الناس لن يعدلوا بيننا وبينك فطفقت تنعي عثمان وتلزمنا دمه وتقول : قُتل مظلوماً . فإن يك قُتل مظلوماً فأنت أظلم الظالمين . مرّ تمام الكتاب في صفحة ١٦٢ .

٦ - روى البلاذري في الأنساب قال : لَمّا أرسل عثمان إلى معاوية يستمدّه بعث يزيد بن أسد القسري جدّ خالد بن عبدالله بن يزيد أمير العراق وقال له : إذا أتيت ذا خُشب فأقم بها ولا تتجاوزها ولا تقل : الشاهد يرى ما لا يرى الغائب . فإِنني أنا الشاهد وأنت الغائب ، قال : فأقام بذي خُشب حتى قُتل عثمان ، فاستقدمه حينئذ معاوية فعاد إلى الشام بالجيش الذي كان أرسل معه ، وإنما صنع ذلك معاوية ليقتل عثمان فيدعو إلى نفسه . راجع شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٥٧ .

٧ - من خطبة لشبث بن ربعي يخاطب معاوية : إِنَّهُ والله لا يخفى علينا ما تغزرو وما تطلب ، إِنَّك لم تجد شيئاً تستغوي به الناس ، وتستميل به أهواءهم ، وتستخلص به طاعتهم ، إلّا قولك : «قُتل إمامكم مظلوماً ، فنحن نطلب بدمه» فاستجاب له سفهاء طغام ، وقد علمنا أن قد أبطأت عنه بالنصر ، وأحببت له القتل

لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب . الخ .

كتاب صفين لابن مزاحم ص ٢١٠ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٤٣ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٢٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٤٢ .

٨ - من كتاب أبي أيوب الأنصاري جواباً لمعاوية : فما نحن وقتلة عثمان إنَّ الذي تربص بعثمان وثبط أهل الشام عن نصرته لأنت ، وإنَّ الذين قتلوه غير الأنصار .

[الإمامة والسياسة ج ١ ص ٩٣ وفي ط ٨١ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٨١]

٩ - من كتاب لمحمد بن سلمة الأنصاري جواباً لمعاوية : ولئن كنت نصرت عثمان ميثاً لقد خذلت حياً ، ونحن ومن قبلنا من المهاجرين والأنصار أولى بالصواب .

[الإمامة والسياسة ج ١ ص ٨٧ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٦٠]

١٠ - في محاورة بين معاوية وأبي الطفيل الكنانى : قال معاوية : أكنت فيمن حضر قتل عثمان ؟ قال : لا ، ولكنني فيمن حضر فلم ينصره ، قال : فما منعك من ذلك وقد كانت نصرته عليك واجبة ؟ قال : منعي ما منعك إذ تربصت به ريب المنون وأنت بالشام ، قال : أو ما ترى طلبي بدمه نصرة له ؟ قال : بلى ولكنك وياه كما قال الجعدي :

لألقيتك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادا

راجع ما مر في هذا الجزء ص ١٦٧

١١ - لما أتى معاوية نعي عثمان وبيعة الناس علياً ^{عليه السلام} ضاق صدره بما أتاه

وتظاهر بالندم على خذلانه عثمان وقال كما في كتاب صفين ص ٨٨ :

أتاني أمر فيه للنفس غمّة	وفيه بكاء للعيون طويل
وفيه فناء شامل وخزاية	وفيه اجتداع للأنوف أصيل
مصاب أمير المؤمنين وهذه	تكاد لها صم الجبال تزول
فليله عيناً من رأى مثل هالك	أصيب بلا ذنب وذاك جليل
تداعت عليه بالمدينة عصبّة	فريقان منها قاتل وخذول

حديث معاوية بن أبي سفيان ١٨١

دعاهم فصموا عنه عند جوابه وذاكم على ما في النفوس دليل
ندمت على ما كان من تبعي الهوى وقصري^(١) فيه حسرة وعويل
قال الأميني : إن زبدة مخض هذه الكلمات المعتضدة بعضها ببعض أن
ابن هند لم يشذ عن الصحابة في أمر عثمان ، وإنما يفترق عنهم بأن أولئك كانوا
مهاجمين عليه أو خاذلين له ، وأما معاوية فقد اختص بالخذلان والتخذيل اللذين
كان يروقه نتاجهما حتى وقع ما كان يحبه ويتحرّاه ، وحتى حسب صفاء الجوّ لما
كان يضمّره من التشبّث بثارات عثمان ، والظاهر بعد الأخذ بمجامع هذه النقول عن
أعاضم الصحابة وبعد تصوير الحادثة نفسها من شتى المصادر : أن لخذلان معاوية
أتم مدخلية في انتهاء أمر الخليفة إلى ما انتهى إليه ، والخاذل غير بعيد عن
المجهز ، ومن هنا وهنا يقول له الإمام عليه السلام : فوالله ما قتل ابن عمك غيرك .
ويقول : ولعمري ما قتله غيرك ، ولا خذله سواك ، إلى كلمات آخرين لا تخفى
عليهم نوايا الرجل ، فلو كان مستعجلاً بكتائبه إلى دخول المدينة ، غير متربّص قتل
ابن عمه لحاموه ونصروه ، وكان مبلغ أمره عندئذ إما إلى الفوز بهم ، أو تراخي
الأمر إلى أن يبلغه بقية الأنصار من بلاد أخرى ، فيكون النصر بهم جميعاً ، لكن
معاوية ما كان يريد ذلك وإنما كان مستبطيء أجل الرجل ، طامعاً في تقلّده الخلافة
من بعده ، فتركه والقوم فهو أظلم الظالمين إن كان قُتل مظلوماً كما قاله حبر الأمة ،
أو أنه من الصحابة العدول - كما يحسبه القوم - وهذا رأيه في الخليفة المقتول .

٣٦ - حديث عثمان نفسه :

دخل المغيرة بن شعبة على عثمان رضي الله عنه وهو محصور فقال : يا أمير
المؤمنين ! إن هؤلاء قد اجتمعوا عليك فإن أحببت فالحق بمكة ، وإن أحببت أن
نخرق لك باباً من الدار فتلحق بالشام ، ففيها معاوية وأنصارك من أهل الشام ، وإن
أبيت فاخرج ونخرج وتحاكم القوم إلى الله فقال عثمان : أما ما ذكرت من الخروج
إلى مكة فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول يلحد بمكة رجل من قريش عليه نصف
عذاب هذه الأمة من الإنس والجن . فلن أكون ذلك الرجل إن شاء الله .
الحديث .

(١) قصري : أي حسبي يقال : قصرك : أي حسبك وكفايتك . كما يقال : قصارك وقصارك .

وفي لفظ أحمد : يُلحد رجلٌ من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم فلن أكون أنا إياه .

وفي لفظ الخطيب : يُلحد بمكة رجلٌ من قريش عليه نصف عذاب الأمة فلن أكونه .

وفي لفظ الحلبي : إنَّ ابن الزبير لما قال لعثمان رضي الله عنه وهو محاصرٌ : إنَّ عندي نجائب أعددها لك فهل لك أن تنجو إلى مكة ؟ فإنهم لا يستحلونك بها ، قال له عثمان : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يُلحد رجلٌ في الحرم من قريش أو بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم فلن أكون أنا .

راجع مسند أحمد ج ١ ص ٦٧ رجال إسناده كلهم ثقات ، الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ٣٥ ، تاريخ الخطيب ج ١٤ ص ٢٧٢ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٢٩ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢١٠ ، مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٣٠ قال : ورواه أحمد ورجاله ثقات وله طرق ، الصواعق ص ٦٦ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠٩ ، السيرة الحلبية ج ١ ص ١٨٨ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٣ ، إزالة الخفاف ج ٢ ص ٢٤٣ .

الإنسان على نفسه بصيرة :

تُعطينا هذه الرواية أنَّ ثقة عثمان بانطباع ما ذكره عن رسول الله ﷺ في الرجل الملحد بمكة على نفسه من جرّاء ما علم أنَّه مُرتكبه من الأعمال أشدَّ وأكثر من ثقته بإيمانه بما رَوَّه له من البشارة بالجنة في العشرة المبشرة إلى فضائل أخرى صنعتها له أيدي الولاء والمحبة ، على أنَّ هذه كلّها نصوصٌ فيه ، وأمّا ما خشي انطباقه عليه فهو واردٌ في رجل مجهول إستقرب الخليفة أن يكونه هو ، فامتنع عن الإنفلات إلى مكة وأثر عليه بقاءه في الحصار حتى اودي به ، ولم يكن يعلم أنَّه يقتل بمكة لو خرج إليها ، وعلى فرض قتله بها فمن ذا الذي أخبره أنه يكون هو ذلك الرجل ؟

كيف يخاف عثمان أن يكون هو ذلك الرجل وقد اشترى الجنة من

حديث عثمان نفسه ١٨٣

النبي ﷺ مرتين بيع الحق : حيث حفر بئر رومة ، وحيث جهّز جيش العسرة (١) ؟

كيف يخاف عثمان وقد عهد إليه رسول الله ﷺ بأنه يُقتل ويُبعث يوم القيامة أميراً على كلّ مخدول ، يغطه أهل المشرق والمغرب ، ويشفع في عدد ربيعة ومضر (٢) ؟

كيف يخاف عثمان وقد سمع وصيّة رسول الله ﷺ إلى أمّته به بقوله : عليكم بالأمر وأصحابه . وأشار إلى عثمان ؟ .

كيف يخاف عثمان وقد أخبر ﷺ عن شأنه في الجنة لما سُئل : أفي الجنة برق ؟ فقال : نعم والذي نفسي بيده إن عثمان ليتحوّل من منزل إلى منزل فتبرق له الجنة (٣) ؟

كيف يخاف عثمان وقد قال ﷺ بمشهد منه ومسمع : ليس من نبيّ إلّا وله رفيق من أمّته معه في الجنة وإنّ عثمان رفيقي ومعّي في الجنة (٤) ؟

كيف يخاف عثمان وقد قال له ﷺ معتقاً إيّاه : أنت وليّ في الدنيا والآخرة . أو قال : هذا جليسي في الدنيا ووليّ في الآخرة (٥) ؟

كيف يخاف عثمان بعدما جاء عن جابر أنّ النبي ﷺ ما صعد المنبر فنزل حتّى قال : عثمان في الجنة (٦) ؟ .

نعم : للباحث أن يجيب بأنّ هذه كلّها أباطيل وأكاذيب لا يصحّ شيء منها فما ذنب عثمان ؟ وكيف لا يخاف الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ؟ .

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ١٠٧ وصححه غير معن نظره في إسناده وعقبه الذهبي بتضعيف عيسى بن المسيب من رجال إسناده وقال : ضعفه أبو داود وغيره .

(٢) سيوافيك الحديث بإسناده ومثنه كاملاً .

(٣) راجع الجزء الخامس من كتابنا هذا ص ٣٨٠

(٤) سيأتيك الحديث بإسناده وأنه باطل .

(٥) سنوقفك في هذا الجزء على أنه باطل لا يصح .

(٦) من أكاذيب جاء بها محب الطبري في رياض ج ٢ ص ١٠٤ .

قريض يؤكد ما سبق :

ذكر البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ١٠٥ للأعور الشَّني بشر بن منقذ يكتنأ أبا منقذ أحد بني شن بن أقصى كان مع أمير المؤمنين يوم الجمل ، ترجمه المرزباني في معجم الشعراء ص ٣٩ قوله :

بكت عين من يبكي ابن عفان بعدما نفى ورقَ الفرقان كل مكان
ثوى تاركاً للحق متبع الهوى وأورث حرباً حشها بطعان
برئت إلى الرِّحمان من دين نعثل ودين ابن صخر أيها الرجلان
ويقال : ابن الغريرة النهشلي ، ويقال : الحباب بن يزيد المجاشعي^(١) :
عليه أهل العراق :

وقال علي بن الغدير المضرس الغنوي ، ويُقال : إهاب بن همام بن صعصعة
المجاشعي :

لعمراًبيك فلا تكذبي لقد ذهب الخير إلا قليلا
لقد فتن الناس في دينهم وخلقى ابن عفان شراً طويلا
أعاذل كل امرئ هالك فسيري إلى الله سيراً جميلا

راجع الأنساب ج ٥ ص ١٠٤ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٥٢ ، الإستيعاب
ج ٢ ص ٤٨٠ ، تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٤٣ .

وأخرج نصر بن مزاحم في كتاب صفين ص ٤٣٥ من رجز همام بن الأغفل
يوم صفين قوله :

قد قرّت العين من الفساق ومن رؤوس الكفر والنفاق
إذ ظهرت كتائب العراق نحن قتلنا صاحب المراق
وقائد البغاة والشقاق عثمان يوم الدار والإحراق^(٢)
لما لففنا ساقهم بساق بالطنع والضرب مع العناق

(١) في تاريخ ابن عساكر ج ٣ ص ٢٥٨ : الحتات بن يزيد .

(٢) إشارة إلى إحراق باب دار عثمان كما مرّ حديثه ويأتي .

قريظ يؤكد ما سبق ١٨٥

وقال محمد بن أبي سبرة بن أبي زهير القرشي كما في كتاب صفين

ص ٤٣٦ :

نحن قتلنا نعثلاً بالسيرة إذ صدَّ عن أعلامنا المنيرة
يحكم بالجور على العشيرة نحن قتلنا قبله المغيرة^(١)
نالت أرماح لنا موتوره إننا أناسُ ثابِتو البصيرة

وقال الفضل بن العباس مجيباً الوليد بن عقبة بن أبي معيط عن أبيات له :

أطلب ثأراً لست منه ولا له وأين ابن ذكوان الصفوري من عمرو؟
كما اتَّصلت بنت الحمار بأُمِّها وتنسى أباهَا إذ تُسامي أولي الفخر
ألا إنَّ خير الناس بعد محمد وصي النبي المصطفى عند ذي الذكر
وأول مَنْ صلَّى وصنونيبيَّه وأول مَنْ أَردى الغواة لدى بدر
فلورأت الأنصار ظلم ابن عمِّكم لكانوا له من ظلمه حاضري النصر
كفى ذاك عيباً أن يُشيروا بقتله وأن يُسلموه للأحابيش من مصر

[تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٥١]

نادى عمرو بن العاص يوم صفين بأعلى صوته :

يا أيُّها الجند الصليب الإيمان قوموا قياماً واستعينوا الرحمن
إنني أتاني خبرٌ ذو ألوان^(٢) إنَّ علياً قتل ابن عفَّان
ردُّوا علينا شيخنا كما كان

فردَّ عليه أهل العراق وقالوا :

أبت سيوف مذحج وهمدان بأن تردَّ نعثلاً كما كان
خلقاً جديداً مثل خلق الرحمن ذلك شأنٌ قد مضى وذا شان

ثم نادى عمرو بن العاص ثانية برفع صوته :

(١) هو المغيرة بن الاخنس المقتول يوم الدار مع عثمان كما يأتي حديثه .

(٢) في كتاب نصر : فاشجان .

رُدُّوا علينا شيخنا ثمَّ بجلُّ أو لا تكونوا حرَّزاً من الأسل^(١)
فرَّد عليه أهل العراق :

كيف نردُّ نعثلاً وقد قحلُّ نحن ضربنا رأسه حتَّى انجفل^(٢)
وأبدل الله به خير بدل أعلم بالدين وأزكى بالعمل^(٣)

شدَّ الأشتر مالك بن الحارث يوم صفِّين على محمَّد بن روضة وهو يقول :

لا يبعد الله سوى عثماننا وأنزل الله بكم هوانا
ولا يسلي عنكم الأحزاننا مخالفٌ قد خالف الرِّحمانا
نصرتموه عابداً شيطانا^(٤)

٣٧ - حديث المهاجرين والأنصار :

١ - من كتاب كتبه مولانا أمير المؤمنين إلى معاوية : زعمت أنك إنما أفسد عليك بيعتي خفري بعثمان ، ولعمري ما كنت إلا رجلاً من المهاجرين أوردت كما أوردوا وأصدرت كما أصدروا ، وما كان الله ليجمعهم على ضلال ، ولا ليضربهم بالعمى ، وما أمرت فلزمتني خطيئة الأمر ، ولا قتلت فأخاف على نفسي قصاص القتال^(٥) .

٢ - روى البلاذري عن المدائني عن عبد الله بن فائد أنه قال : نظر ثابت بن عبد الله بن الزبير إلى أهل الشام فقال : إنِّي لأبغضهم . فقال سعيد بن خالد بن

(١) في كتاب صفِّين : جزراً من الأسل . الجزر : قطع اللحم تأكله السباع . الأسل : الرماح .

(٢) قحل : يبس فهو قاحل . انجفل : انقلب وسقط .

(٣) كتاب صفِّين ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٤٥٤ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٢ ، لسان العرب ج ١٤ ص ٧٠ ، تاج العروس ج ٨ ص ٧٧ .

(٤) كتاب صفِّين ص ١٩٩ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٣٠ . حذف منها الشطرين الأخيرين .

(٥) الإمامة والسياسة ج ١ ص ٨٧ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٤ ، الكامل للمبرد : ج ١ ص ١٥٧ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٥٢ .

حديث المهاجرين والأنصار ١٨٧

عمرو بن عثمان : تبغضهم لأنهم قتلوا أباك . قال : صدقت ، قتل أبي علوج الشام وجفاته وقتل جدك المهاجرون والأنصار .

[أنساب البلاذري ج ٥ ص ١٩٥ ، ٣٧٢]

٣ - قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ج ١ ص ٩٢ : ذكروا أن أبا هريرة وأبا الدرداء قدما على معاوية من حمص وهو بصفين فوعظه وقالوا : يا معاوية ! علام تُقاتل علياً ؟ وهو أحق بهذا الأمر منك في الفضل والسابقة ، لأنه رجل من المهاجرين الأولين السابقين بالإحسان ، وأنت طليق وأبوك من الأحزاب ، أما والله ما نقول لك أن تكون العراق أحب إلينا من الشام ولكن البقاء أحب إلينا من الفناء ، والصّلاح أحب إلينا من الفساد فقال : لست أزعم أنني أولى بهذا الأمر من عليّ ولكنني أقاتله حتى يدفع إليّ قتلة عثمان فقالوا : إذا دفعهم إليك ماذا يكون ؟ قال : أكون رجلاً من المسلمين : فأتيا علياً فإن دفع إليكما قتلة عثمان جعلتها شوري . فقدموا على عسكر عليّ فأتاهما الأشتر فقال يا هذان ! إنّه لم يزلكما الشام حبّ معاوية ، وقد زعمتما أنّه يطلب قتلة عثمان فعمن أخذتما ذلك ؟ فقبلتماه ، أعمن قتله ؟ فصدّقتموهم على الذنب كما صدّقتموهم على القتل . أم عمن نصره ؟ فلا شهادة لمن جرّ إلى نفسه ، أم عمن اعتزل ؟ إذ علموا ذنب عثمان وقد علموا ما الحكم في قتله ، أو عن معاوية ؟ وقد زعم أن علياً قتله ، إتقيا الله فإننا شهدنا وغبتما ، ونحن الحكماء على من غاب . فانصرفا ذلك اليوم .

فلما أصبحا أتيا علياً فقالا له : إن لك فضلاً لا يدفع ، وقد سرت مسير فتى إلى سفيه من السفهاء ، ومعاوية يسألك أن تدفع إليه قتلة عثمان فإن فعلت ثم قاتلك كنّا معك قال عليّ : أتعرفانهم ؟ قالوا . نعم . قال : فخذاهم فأتيا محمّد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر والأشتر فقالوا : أنتم من قتلة عثمان وقد أمرنا بأخذكم . فخرج إليهما أكثر من عشرة آلاف رجل فقالوا : نحن قتلنا عثمان . فقالوا : نرى أمراً شديداً أليس علياً الرجل .

فانصرف أبو هريرة وأبو الدرداء إلى منزلهما بحمص فلما قدما حمص لقيهما عبدالرحمن بن عثمان وسأل عن مسيرهما فقصّا عليه القصّة فقال : العجب منكما إنكما من أصحاب رسول الله ﷺ ، أما والله لئن كففتما أيديكما ما كففتما

أَلَسْتَكُمَا ، أَتَأْتِيَانِ عَلَيَّ وَتَطْلُبَانِ إِلَيْهِ قَتْلَ عَثْمَانَ ؟ وَقَدْ عَلِمْتُمَا أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ لَوْ حَرَّمُوا دَمَ عَثْمَانَ نَصَرُوهُ ، وَبَايَعُوا عَلَيَّ عَلَى قَتْلِهِ ، فَهَلْ فَعَلُوا ؟ وَأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ رَغْبَتُكُمَا عَمَّا صَنَعُوا ، وَقَوْلُكُمَا لِعَلِّي : إَجْعَلْهَا شُورَى وَاخْلَعْهَا مِنْ عُنُقِكَ ، وَإِنَّكُمَا لَتَعْلَمَانِ أَنَّ مَنْ رَضِيَ بِعَلِيٍّ خَيْرٌ مِمَّنْ كَرِهَهُ ، وَأَنَّ مَنْ بَايَعَهُ خَيْرٌ مِمَّنْ لَمْ يَبَايَعِهِ ، ثُمَّ صَرْتُمَا رَسُولِي رَجُلٍ مِنَ الطَّلَقَاءِ لَا تَحُلُّ لَهُ الْخِلَافَةُ . فَفَشَى قَوْلُهُ وَقَوْلُهُمَا فَهَمَّ مَعَاوِيَةَ بِقَتْلِهِ ، ثُمَّ رَاقِبَ فِيهِ عَشِيرَتَهُ .

وفِي لَفْظِ ابْنِ مَزَاحِمٍ فِي كِتَابِ صَفِّينَ ص ٢١٣ ، خَرَجَ أَبُو إِمَامَةِ الْبَاهِلِيِّ وَأَبُو الدَّرْدَاءِ فَدَخَلَا عَلَى مَعَاوِيَةَ وَكَانَا مَعَهُ فَقَالَا : يَا مَعَاوِيَةُ ! عَلَامَ تَقَاتِلُ هَذَا الرَّجُلَ ؟ فَوَاللَّهِ لَهُوَ أَقْدَمُ مِنْكَ سَلَمًا ، وَأَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكَ ، وَأَقْرَبُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَعَلَامَ تُقَاتِلُهُ ؟ فَقَالَ : أَقَاتِلُهُ عَلَى دَمِ عَثْمَانَ ، وَأَنَّهُ أَوَى قَتْلَهُ فَقَوْلُوا لَهُ : فَلْيَقْدُنَا مِنْ قَتْلِهِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ بَايَعَهُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَانْطَلَقُوا إِلَى عَلِيٍّ فَأَخْبَرُوهُ بِقَوْلِ مَعَاوِيَةَ فَقَالَ : هُمُ الَّذِينَ تَرَوْنَ فَخَرَجَ عَشْرُونَ أَلْفًا أَوْ أَكْثَرُ مُسْرِبِلِينَ فِي الْحَدِيدِ لَا يُرَى مِنْهُمْ إِلَّا الْحَدَقُ فَقَالُوا : كَلْنَا قَتْلَهُ فَإِنْ شَاؤُوا فَلْيُرَوْا ذَلِكَ مِنَّا .

٤ - مَرَّ فِي صَفْحَةِ ١٦٧ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الطَّفِيلِ قَوْلَ مَعَاوِيَةَ لَهُ : أَكُنْتُ مِمَّنْ قَتَلَ عَثْمَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ مِمَّنْ شَهِدَهُ فَلَمْ يَنْصُرْهُ ، قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : لَمْ يَنْصُرْهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ . الْحَدِيثُ فَرَاغَ .

٥ - قَالَ شُعْبَةُ : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَوْقَعَ فِي رِجَالِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنَ الْقَاضِي أَبِي إِسْحَاقَ سَعْدَ «بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفِ الْمَدَنِيِّ الزُّهْرِيِّ الْمَتَوَفَى سَنَةَ ١٢٥» مَا كُنْتُ أَرَفَعُ لَهُ رَجُلًا مِنْهُمْ إِلَّا كَذَّبَهُ ، فَقُلْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ : إِنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ قَتَلُوا عَثْمَانَ .

[تَارِيخُ ابْنِ عَسَاكِرَ ج ٦ ص ٨٣]

٦ - ذَكَرَ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِهِ ج ٧ ص ٣١٩ قَالَ : كَانَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ التَّابِعِيُّ فِي الْمَدِينَةِ فَسَمِعَ مَكْفُوفًا يَقُولُ : اللَّهُمَّ الْعَنِ عَثْمَانَ وَمَا وَلَدَ . فَقَالَ : يَا مَكْفُوفُ ! أَلْعَثْمَانُ يَقُولُ هَذَا ؟ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ ! كُنْتُمْ بَيْنَ قَاتِلٍ وَخَاذِلٍ فَكَلَّا جَزَى اللَّهِ شَرًّا ، يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ ! لَأَنْتُمْ شَرُّ مَنْ ثُمُودَ ، إِنَّ ثُمُودَ قَتَلُوا نَاقَةَ اللَّهِ وَأَنْتُمْ قَتَلْتُمْ خَلِيفَةَ اللَّهِ ، وَخَلِيفَةُ اللَّهِ أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْ نَاقَتِهِ .

حديث المهاجرين والأنصار ١٨٩

قال الأُميني : غايتنا الوحيدة في نقل هذا الحديث إيقاف الباحث على موقف الصحابة من أهل المدينة وأنهم كانوا بين قاتل وخاذل ، وأما رأي أبي مسلم الخولاني فيهم فتعرف جوابه من قول الأُشتر قُبيل هذا .

٧ - قال الواقدي في إسناده : لَمَّا كانت سنة أربع وثلاثين كتب بعض أصحاب رسول الله ﷺ إلى بعض يتشاكون سيرة عثمان وتغييره وتبديله ، وما الناس فيه من عمّالِه ، ويكثرُون عليه ويسأل بعضهم أن يقدموا المدينة إن كانوا يريدون الجهاد ، ولم يكن أحدٌ من أصحاب رسول الله ﷺ يدفع عن عثمان ولا يُنكر ما يقال فيه إلّا زيد بن ثابت ، وأبو أسيد الساعدي ، وكعب بن مالك ، وحسان بن ثابت الأنصاري ، فاجتمع المهاجرون وغيرهم إلى عليّ فسألوه أن يكلم عثمان ويعظه ، فاتاه فقال له إنّ الناس ورائي قد كلّموني في أمرِك ، ووالله ما أدري ما أقول لك ، ما أعرفك شيئاً تجهله ، ولا أدلك على أمر لا تعرفه ، وإنّك لتعلم ما نعلم ، وما سبقتك إلى شيء فنخبرك عنه ، لقد صحبت رسول الله ﷺ وسمعتُ ورأيتُ مثل ما سمعنا ورأينا ، وما ابن أبي قحافة وابن الخطاب بأولى بالحقّ منك ، ولأنت أقرب إلى رسول الله ﷺ رحماً ، ولقد نلت من صهره ما لم ينال ، فالله الله في نفسك ، فإنّك لا تبصّر من عمي ، ولا تعلّم من جهل ، فقال له عثمان : والله لو كنت مكاني ما عنفتك ولا أسلمتكَ ولا عتبتُ عليك إن وصلت رحماً^(١) وسددت خلّة ، وآويت ضائعاً ، وولّيت من كان عمر يولّيه ، نشدتك الله ألم يولّ عمر المغيرة بن شعبة ، وليس هناك ؟ قال : نعم . قال : فلم تلومني إن ولّيت ابن عامر في رحمه وقربته ؟ قال عليّ : سأخبرك أنّ عمر بن الخطاب كان كلّ من ولّى فإنّما يطيأ على صماخه ، إن بلغه عنه حرفٌ جلبه ، ثمّ بلغ به أقصى الغاية ، وأنت لا تفعل ، ضعفتُ ورفقت على أقربائك ، قال عثمان : هم أقرباؤك أيضاً . فقال

(١) انظر إلى الرجل بحسب كلمته هذه تبرّر أعماله الشاذة عن الكتاب والسنة وتجعل أعطياته لأبناء أُمية من الغنائم والصدقات صلة للرحم ، ودفعه القناطر المقنطرة من الذهب والفضة إلى رجال الفتن والثورات المدلهمة سدّاً للخلّة ، ورد الحكم وابتاؤه مطرودي النبيّ الأعظم إلى المدينة إيواء للضائع ، دع هو وحسابه ، لكن العجب كل العجب أنه يروم إفحام مثل أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الخزعات .

١٩٠ الغدير ج - ٩

عليّ : لعمرى إنّ رحمهم منّي لقريبة ولكن الفضل في غيرهم . قال : أو لم يولّ عمر معاوية ؟ فقال عليّ : إنّ معاوية كان أشدّ خوفاً وطاعة لعمر من يرفاء وهو الآن يبتزّ الامور دونك وأنت تعلمها ويقول للناس : هذا أمر عثمان . وبلغك فلا تُغيّر على معاوية .

راجع الأنساب للبلاذري ج ٥ ص ٦٠ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ٩٧ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٦٣ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٦٨ ، تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٩١ .

٨ - أخرج ابن سعد في طبقاته ج ٣ ص ٤٧ / ط ليدن عن مجاهد قال : أشرف عثمان على الذين حاصروه فقال : يا قوم ! لا تقتلونني فإنّي والّ وأخّ مسلم - إلى أن قال - : فلما أتوه قال : اللهمّ أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تبق منهم أحداً ، قال مجاهد : فقتل الله منهم من قتل في الفتنة ، وبعث يزيد إلى المدينة عشرين ألفاً فأباحوا المدينة ثلاثاً يصنعون ما شاؤوا لمدهاتهم .

وقال حسن بن ثابت فيمن تخلف عن عثمان وخذله من الأنصار وغيرهم وأعان على قتله من أبيات له :

خذلته الأنصار إذ حضر المو ت وكانت وُلاته الأنصار
من عذيري من الزبير ومن طلحة إذ جاء أمرُ له مقدار^(١)
فتولّى محمّد بن أبي بكر عياناً وخلفه عمار
وعليّ في بيته يسأل النسا س ابتداءً وعنده الأخبار
باسطاً للذي يريد يديه وعليه سكينَةٌ ووقار^(٢)

وقال حميد بن ثور أبو المثنى الهلالي في قتل عثمان كما في تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٤٥٨ :

(١) في العقد الفريد :

من عذيري من الزبير ومن طلحة هاجا أمراً له اعصار .

(٢) مروج الذهب ج ١ ص ٤٤٢ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٦٧ .

إنَّ الخلافةَ لَمَّا أظنعت ظعنْتَ
صارت إلى أهلها منهم ووارثها
السافكي دمه ظلماً ومعصيةً
والهاتكي سترذي حقٍّ ومحرمه
والخيل عابسةً نضج الدماء بها
من كلِّ أبيض هنديٍّ وسابغة
قد نال جلَّهم حصرٌ بمحصرة
قرَّت بذاك عيونٌ واشتفين به
من أهل يثرب إذ غير الهدى سلكوا
لَمَّا رأى الله في عثمان ما انتهكوا
أيَّ دم لا هُذوا من غيِّهم سفكوا
فأيَّ شرٍّ على أشياعهم هتكوا
تنعى ابن أروى على أبطالها الشكك
تغشى البنان لها من نسجها حبك
ونال فتاكهم فتكٌ بما فتكوا
وقد تقرُّ بعين الشائر الدرك

٣٨ - كتاب أهل المدينة إلى الصحابة في الثغور :

أخرج الطبري من طريق عبد الرحمن بن يسار أنه قال : لَمَّا رأى النَّاس ما صنع عثمان كتب من بالمدينة من أصحاب النبيِّ إلى من بالآفاق منهم وكانوا قد تفرَّقوا في الثغور :

إنَّكم إنَّما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله عزَّ وجلَّ تطلبون دين محمد ﷺ فإنَّ دين محمد قد أفسده من خلفكم وترك ، فهلِّموا فأقيموا دين محمد ﷺ . وفي لفظ ابن الأثير : فإنَّ دين محمد قد أفسده خليفتم فأقيموه . وفي لفظ ابن أبي الحديد : قد أفسده خليفتم فاخلعوه ، فاختلفت عليه القلوب . فأقبلوا من كلِّ أفاق حتى قتلوه^(١) .

وأخرج من طريق محمد بن مسلمة قال : لَمَّا كانت سنة ٣٤ كتب أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم إلى بعض يتشاكون سيرة عثمان وتغييره وتبديله ويسأل بعضهم بعضاً : أن أقدموا فإن كنتم تريدون الجهاد فعندنا الجهاد ، وكثر النَّاس على عثمان ، ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد ، وأصحاب رسول الله يرون ويسمعون ليس فيهم أحدٌ ينهى ولا يذُبُّ إلَّا نفير : زيد بن ثابت ، وأبو أسيد الساعدي ، وكعب بن مالك ، وحسان بن ثابت . فاجتمع المهاجرون وغيرهم إلى عليٍّ فسألوه أن يكلم

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٥ ، الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٧٠ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٥ .

١٩٢ الغدير ج - ٩

عثمان ويعظه فأتاه فقال له : إنَّ الناس ورائي . إلى آخر ما مرَّ في ص ٩٨ .

٣٩ - كتاب المهاجرين إلى مصر :

بسم الله الرحمن الرحيم

من المهاجرين الأوَّلين وبقية الشورى إلى مَنْ بمصر من الصحابة والتابعين .

أمَّا بعد : أن تعالوا إلينا وتداركوا خلافة رسول الله قبل أن يسلبها أهلها ، فإنَّ كتاب الله قد بُدِّل ، وسنة رسول الله قد غيَّرت ، وأحكام الخليفتين قد بُدِّلَت ، فننشُد الله مَنْ قرأ كتابنا من بقيَّة أصحاب رسول الله والتابعين بإحسان إلا أقبل إلينا وأخذ الحقَّ لنا وأعطاناه ، فأقبلوا إلينا إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وأقيموا الحقَّ على المنهاج الواضح الذي فارقتم عليه نبيِّكم وفارقتكم عليه الخلفاء ، غلبنا على حقِّنا ، واستولي على فيثنا ، وحيل بيننا وبين أمرنا ، وكانت الخلافة بعد نبيِّنا خلافة نبوة ورحمة وهي اليوم ملكٌ عضوضٌ مَنْ غلب على شيء أكله^(١) .

٤٠ - كتاب أهل المدينة إلى عثمان :

أخرج الطبري في تاريخه ج ٥ ص ١١٦ من طريق عبدالله بن الزبير عن أبيه قال : كتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة ويحتجُّون ويقسمون له بالله لا يمسون عنه أبداً حتى يقتلوه ، أو يعطيهم ما يلزمه من الله ، فلمَّا خاف القتل شاور نصحاءه وأهل بيته . إلى آخر ما يأتي .

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ٣٢ .



تعلمنا هذه الأحاديث المتضافرة الواردة عن آحاد الصحابة من المهاجرين والأنصار أو عامة الفريقين ، أو عن جامعة الصحابة البالغة مائتين حديثاً أنه لم يشذ عن النعمة على عثمان منهم أحدٌ ما خلا أربعة وهم : زيد بن ثابت ، وحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وأسيد الساعدي . فمن مُجهز عليه إلى محبّد لعمله ، إلى محرّض على قتله ، إلى ناشر لأحداثه ، إلى مؤلّب عليه يسعى في إفساد أمره ، إلى متجاسر عليه بالوقعة فيه ، إلى مُناقذ في فعّاله يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر ، إلى خاذل له بترك نصرته لا يرى هنالك في الناقمين الشائرين عليه منكراً ينهى عنه ، أو في جانب الخليفة حقّاً يتحيّز إليه ، وهم كما مرّ في ص ١٨٦ عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : ما كان الله ليجمعهم على ضلال ، ولا ليضربهم بالعمى . فكان ذلك إجماعاً منهم أثبت من إجماعهم على نصب الخليفة في الصدر الأوّل ، فإن كانت فيه حجة فهي في المقامين إن لم تكن في المقام الثاني أولى بالإتباع . ومن أمعن النظر فيما مرّ ويأتي من النصوص الواردة عن مولانا أمير المؤمنين .

- ٣ - عبد الرحمن بن عوف . أحد العشرة المبشّرة ورجال الشورى .
- ٤ - طلحة بن عبد الله . أحد العشرة المبشّرة .
- ٥ - الزبير بن العوام . أحد العشرة المبشّرة .
- ٦ - عبد الله بن مسعود صاحب سرّ رسول الله ﷺ . «بدريّ» .
- ٧ - عمّار جلدّة ما بين عيني النبيّ ، النازل فيه القرآن «بدريّ» .
- ٨ - المقداد بن أبي الأسود ، الممدوح بلسان النبيّ الطاهر . «بدريّ» .
- ٩ - حجر بن عدي الكوفي الصالح الناسك .
- ١٠ - هاشم المرقال الذي كان من الفضلاء الخيار كما في «الإستيعاب» .
- ١١ - جهجاه بن سعيد الغفاري ، من رجال بيعة الشجرة .
- ١٢ - سهل بن حنيف الأنصاري «بدريّ» .
- ١٣ - رفاعة بن رافع الأنصاري «بدريّ» .
- ١٤ - حجاج بن غزيّة الأنصاري .
- ١٥ - أبو أيوب الأنصاري صاحب منزل رسول الله ﷺ «بدريّ» .
- ١٦ - قيس بن سعد الأنصاري ، أمير الخزرج الصالح «بدريّ» .
- ١٧ - فروة بن عمرو البياضي الأنصاري «بدريّ» .
- ١٨ - محمّد بن عمرو بن حزم الأنصاري «بدريّ» .
- ١٩ - جابر بن عبد الله الأنصاري .
- ٢٠ - جبلة بن عمرو الساعدي الأنصاري «بدريّ» .
- ٢١ - محمّد بن مسلمة الأنصاري «بدريّ» .
- ٢٢ - عبد الله بن عباس حبر الأمة .
- ٢٣ - عمرو بن العاصي .

الإجماع والخليفة ١٩٥

- ٢٤ - عامر بن واثلة أبي الطفيل الكناني الليثي .
- ٢٥ - سعد بن أبي وقاص . أحد العشرة المبشرة .
- ٢٦ - مالك بن الحارث الأشتر . وهل موجودٌ كمالك ؟ قاله أمير المؤمنين .
- ٢٧ - عبدالله بن عكيم .
- ٢٨ - محمد بن أبي حذيفة العبشمي .
- ٢٩ - عمرو بن زرارة بن قيس النخعي .
- ٣٠ - صعصعة بن صوحان ، سيد عبد القيس .
- ٣١ - حكيم بن جبلة العبدي الشهيد يوم الجمل .
- ٣٢ - هشام بن الوليد المخزومي .
- ٣٣ - معاوية بن أبي سفيان .
- ٣٤ - زيد بن صوحان ، من الخيار الأبرار كما في الحديث .
- ٣٥ - عمرو بن الحمق الخزاعي المشرف بدعاء النبي ﷺ .
- ٣٦ - عدي بن حاتم الطائي الصحابي العظيم .
- ٣٧ - عروة بن السعد الصحابي .
- ٣٨ - عبدالرحمن بن حسان العنزي الكوفي .
- ٣٩ - محمد بن أبي بكر بن أبي قحافة . الممدوح بلسان مولانا أمير المؤمنين .
- ٤٠ - كميل بن زياد النخعي .
- ٤١ - عائذ بن حملة الطهوي التميمي .
- ٤٢ - جندب بن الزهير الأزدي .
- ٤٣ - الأرقم بن عبدالله الكندي .

- ٤٤ - شريك بن شداد الحضرمي .
- ٤٥ - قبيصة بن ضبيعة العبسي .
- ٤٦ - كريم بن عفيف الخثعمي العامري .
- ٤٧ - عاصم بن عوف البجلي .
- ٤٨ - ورقاء بن سميّ البجلي .
- ٤٩ - كدام بن حيّان العنزي .
- ٥٠ - صيفي بن فسيل الشيباني .
- ٥١ - محزر بن شهاب التميمي المنقري .
- ٥٢ - عبدالله بن حوّة السعدي التميمي .
- ٥٣ - عتبة بن الأخنس السعدي .
- ٥٤ - سعيد بن نمران الهمداني .
- ٥٥ - ثابت بن قيس النخعي .
- ٥٦ - أصعر بن قيس الحارثي .
- ٥٧ - يزيد بن المكفكف النخعي .
- ٥٨ - الحارث بن عبدالله الأعور الهمداني .
- ٥٩ - الفضل بن العباس الهاشمي .
- ٦٠ - عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي .
- ٦١ - زياد بن النضر الحارثي .
- ٦٢ - عبدالله الأصم العامري .
- ٦٣ - عمرو بن الأهم نزيل الكوفة .
- ٦٤ - ذريح بن عباد العبدي .

الإجماع والخليفة ١٩٧

- ٦٥ - بشر بن شريح القيسي .
 - ٦٦ - سودان بن حمران السكوني .
 - ٦٧ - عبد الرَّحْمَن بن عديس أبي محمَّد البلوي .
 - ٦٨ - عروة بن شسيم ابن البياع الكنانى الليثي .
 - ٦٩ - كنانة بن بشر السكوني التجيبي .
 - ٧٠ - الغافقي بن حرب العكي .
 - ٧١ - كعب بن عبده ، الزاهد الناسك .
 - ٧٢ - مثنى بن مخربة العبدي .
 - ٧٣ - عامر بن بكير بن عبدياليل الليثي الكنانى «بدرى» .
 - ٧٤ - عبيد بن رفاعة بن رافع الزرقى .
 - ٧٥ - عبد الرَّحْمَن بن عبدالله الجمحي .
 - ٧٦ - مسلم بن كريب القابضي الهمداني .
 - ٧٧ - عمرو بن عبيد الحارثي الهمداني .
 - ٧٨ - عمرو بن حزم الأنصاري .
 - ٧٩ - عمير بن ضابىء التميمي البرجمي .
 - ٨٠ - أسلم بن أوس بن بجرة الساعدي .
- إلى نظرائهم ممَّن مرَّ حديثه أو يأتي في هذا الجزء يزداد بصيرةً في انعقاد هذا الإجماع الذي لا محيد عن مؤداه ، ولا منتدح عن الجري معه ، ولا محيص عن أخذه حجة قاطعة ، وكيف لا ؟ وفيهم عُمد الصحابة ودعائمها ، وعظماء الملة وأعضادها ، وذوو الرأي والتقوى والصلاح من البدرين وغيرهم ، وفيهم : أمُّ المؤمنين وغير واحد من العشرة المبشرة ، ورجال الشورى ، فإذا لم يحتج بإجماع مثله لا يحتج بأى إجماع قط ، ولو جاءت عن أحد من هؤلاء كلمة واحدة في حق

أي إنسان مدحاً أو ذمّاً لا تأخذوه حجة دامغة ، فكيف بهم وقد اجتمعوا على كلمة واحدة ؟ .

وبهذه كلّها تظهر قيمة الكلم التافهة التي جاء بها القوم لإغراء الدهماء بالجهل أمثال ما في تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ١٢ من قوله : قال أيوب والدارقطني : من قدّم عليّاً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار . وهذا الكلام حقٌّ وصدقٌ وصحيحٌ ومليح . اهـ . إقرأ واضحك أو إبك . فمن قدّم عثمان على أيّ موحد أسلم وجهه لله وهو مؤمن بعد هذا الإجماع المتسالم عليه فضلاً عن مولى المؤمنين عليّ صلوات الله عليه فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار ، والصحابة الأوّلين والتابعين لهم بإحسان .

﴿لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾^(١) .

٤١ - قصّة الحصار الأوّل ، الإجماع على عثمان من أهل الأمصار :
المدينة ، الكوفة ، البصرة ، مصر :

أخرج البلاذري وغيره بالإسناد : التقى أهل الأمصار الثلاثة : الكوفة والبصرة ومصر في المسجد الحرام قبل مقتل عثمان بعام ، وكان رئيس أهل الكوفة كعب بن عتبة ، ورئيس أهل البصرة المثنى بن مخزبة العبدي ، ورئيس أهل مصر كنانة بن بشر بن عتّاب بن عوف السكوني ثمّ التجيبي ، فتذاكروا سيرة عثمان وتبديله وتركه السوء بما أعطى من نفسه وعاهد الله عليه ، وقالوا : لا يسعنا الرضى بهذا ، فاجتمع رأيهم على أن يرجع كلّ واحد من هؤلاء الثلاثة إلى مصره فيكون رسول من شهد مكة من أهل الخلاف على عثمان إلى من كان على مثل رأيهم من أهل بلده ، وأن يوافوا عثمان في العام المقبل في داره فيستمعوه ، فإن أعتب ، وإلا رأوا رأيهم فيه ففعلوا ذلك .

فلما حضر الوقت خرج الأشتر مع أهل الكوفة إلى المدينة في مائتين ، وقال ابن قتيبة : أقبل الأشتر من الكوفة في ألف رجل في أربع رفاق ، وكان امراؤهم هو

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ١٤٧ .

١٩٩ قصة الحصار الأول

وزيد بن صوحان العبدي ، وزباد بن النضر الحارثي ، وعبدالله بن الأصم العامري ، وعلى الجميع عمرو بن الأهم .

وخرج حكيم بن جبلة العبدي في مائة من أهل البصرة ولحق به بعد ذلك خمسون فكان في مائة وخمسين وفيهم : ذريح بن عبّاد العبدي ، وبشر بن شريح القيسي ، وابن المحرّش - ابن المحترش - وقال ابن خلدون : وكلّهم في مثل عدد أهل مصر في أربع رايات .

وجاء أهل مصر وهم أربع مائة ، ويقال : خمس مائة ، ويقال : سبع مائة ، ويقال : ست مائة ، ويقال : ألف ، وفي شرح ابن أبي الحديد : كانوا ألفين . وكان فيهم : محمّد بن أبي بكر ، وسودان بن حمران السكوني ، وميسرة - ويقال قتيبة - السكوني ، وعمرو بن الحمق الخزاعي وكان من رؤسهم وعليهم أمراء أربعة :

١ - عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي . على رُبع

٢ - عبدالرحمّن بن عديس أبو محمّد البلوي . على رُبع

٣ - عروة بن شبيب بن البياع الكناني الليثي . على رُبع

٤ - كنانة بن بشر السكوني التجيبي . على رُبع

وعليهم جميعاً : الغافقي بن حرب العكي ، وكان يصلي بالناس في أيام الحصار ، قال الطبري : كان جماع أمرهم جميعاً إلى عمرو بن بديل الخزاعي ، وكان من أصحاب النبي ﷺ ، وإلى عبدالرحمّن بن عديس التجيبي .

فلما أتوا المدينة أتوا دار عثمان ، ووثب معهم رجال من أهل المدينة من المهاجرين والأنصار منهم : عمّار بن ياسر العسبي وكان بدرياً ، ورفاعة بن رافع الأنصاري وكان بدرياً ، والحجاج بن غزية وكانت له صحبة ، وعامر بن بكير وكان بدرياً أحد بني كنانة .

وفي كتاب لثائلة امرأة عثمان إلى معاوية في رواية ابن عبد ربّه : وأهل مصر قد أسندوا أمرهم إلى عليّ ومحمد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر وطلحة والزبير

٢٠٠ الغدير ج - ٩

فأمروهم بقتله ، وكان معهم من القبائل خزاعة ، وسعد بن بكر ، وهذيل ، وطوائف من جهينة ومزينة وأنباط يثرب ، وهؤلاء كانوا أشدَّ الناس عليه .

وفي حديث سعيد بن المسيب في الأنساب والعقد الفريد وغيرهما : وقد كانت من عثمان قبلُ هنات إلى عبدالله بن مسعود وأبي ذر وعَمَّار بن ياسر : فكان في قلوب هذيل وبني زهرة وبني غفار وأحلافها من غضب لأبي ذر ما فيها ، وحنقت بنو مخزوم لحال عَمَّار بن ياسر .

وفي لفظ المسعودي : وفي الناس بنو زهرة لأجل عبدالله بن مسعود ، لأنَّه كان من أحلافها ، وهذيل لأنَّه كان منها ، وبنو مخزوم وأحلافها لعَمَّار ، وغفار وأحلافها لأجل أبي ذر ، وتيم بن مرة مع محمَّد بن أبي بكر ، وغير هؤلاء ممَّن لا يحمل ذكره كتابنا . فحسروا عثمان الحصار الأول^(١) .

كتاب المصريين إلى عثمان :

أخرج الطبري في تاريخه ج ٥ ص ١١٦ من طريق عبدالله بن الزبير عن أبيه قال : كتب أهل مصر بالسقيا^(٢) أو بذي خُشب^(٣) إلى عثمان بكتاب فجاء به رجلٌ منهم حتَّى دخل به عليه فلم يردَّ عليه شيئاً فأمر به فأخرج من الدار ، وكان فيما كتبوا إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد : فاعلم أنَّ الله لا يغيِّر ما بقوم حتَّى يغيِّروا ما بأنفسهم ، فالله الله ثمَّ

(١) راجع طبقات ابن سعد ط ليدن ج ٣ ص ٤٩ ، الأنساب للبلاذري ج ٥ ص ٢٦ ، ٥٩ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٣٤ ، المعارف لابن قتيبة ص ٨٤ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٦ ، مروج الذهب ج ١ ص ٤٤١ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٩ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٢٣ ، ١٢٤ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٦٦ ، تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٩٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٠٢ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٥٣ ، الإصابة ج ٢ ص ٤١١ ، الصواعق: ص ٦٩ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠٦ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٥٩ .

(٢) من أسافل أودية تهامة .

(٣) واد على مسيرة ليلة من المدينة كما مرَّ .

عهد الخليفة على نفسه ٢٠١

الله الله ، فإنك على دنيا فاستتم إليها معها آخرة ، ولا تلبس^(١) نصيبك من الآخرة فلا تسوغ لك الدنيا ، واعلم أنا والله لله غضب وفي الله نرضى ، وإننا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتى تأتينا منك توبة مصرحة أو ضلالة مجلحة مبلجة ، فهذه مقاتلتنا لك وقضيتنا إليك والله عذيرنا منك . والسلام .

عهد الخليفة على نفسه أن يعمل بالكتاب والسنة وذلك في سنة

٣٥ هـ :

أخرج البلاذري من رواية أبي مخنف في الأنساب ج ٥ ص ٦٢ : أن المصريين وردوا المدينة فأحاطوا وغيرهم بدار عثمان في المرة الأولى «إلى أن قال» : وأتى المغيرة بن شعبة فقال له : دعني آت القوم فأنظر ما يريدون ، فمضى نحوهم فلما دنا منهم صاحوا به : يا أعور ! وراءك ، يا فاجر ! وراءك ، يا فاسق ! وراءك . فرجع ، ودعا عثمان عمرو بن العاص فقال له : ائت القوم فادعهم إلى كتاب الله والعتبى مما ساءهم . فلما دنا منهم سلم فقالوا لا سلم الله عليك ، إرجع يا عدو الله ! إرجع يا ابن النابغة ! فلست عندنا بأمين ولا مأمون فقال له ابن عمر وغيره : ليس لهم إلا علي بن أبي طالب فلما أتاه قال : يا أبا الحسن ! ائت هؤلاء القوم فادعهم إلى كتاب الله وسنة نبيه . قال : نعم إن أعطيني عهد الله وميثاقه على أنك تفني لهم بكل ما أضمنه عنك ، قال : نعم . فأخذ علي عليه عهد الله وميثاقه على أوكد ما يكون وأغلظ وخرج إلى القوم فقالوا : وراءك . قال : لا ، بل أمامي ، تُعطون كتاب الله وتُعتبون من كل ما سخطتم ، فعرض عليهم ما بذل عثمان ، فقالوا : أتضمن ذلك عنه ؟ قال : نعم . قالوا : رضينا . وأقبل وجوههم وأشرفهم مع علي حتى دخلوا على عثمان وعاتبوه فأعتبهم من كل شيء فقالوا : أكتب بهذا كتاباً فكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من عبدالله عثمان أمير المؤمنين لمن نقم عليه من المؤمنين

(١) كذا ولعله : لا تنس نصيبك ، أخذاً من القرآن الكريم .

والمسلمين ان لكم أن تعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه ، يُعطى المحروم ، ويُؤمن الخائف ، ويُرد المنفي ، ولا تجمر^(١) البعوث ، ويُوفر الفيء ، وعلي بن أبي طالب ضمين المؤمنين والمسلمين على عثمان بالوفاء في هذا الكتاب .

شهد الزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن مالك بن أبي وقاص ، وعبدالله بن عمرو ، وزيد بن ثابت ، وسهل بن حنيف ، وأبو أيوب خالد بن زيد .

وكتب في ذي القعدة سنة خمس وثلاثين . فأخذ كل قوم كتاباً فانصرفوا .

وقال علي بن أبي طالب لعثمان : أخرج فتكلم كلاماً يسمعه الناس ويحملونه عنك وأشهد الله ما في قلبك ، فإن البلاد قد تمخضت عليك ، ولا تأمن أن يأتي ركب آخر من الكوفة أو من البصرة أو من مصر فتقول : يا علي إركب إليهم . فإن لم أفعل قلت : قطع رحمي ، واستخف بحقي ، فخرج عثمان فخطب الناس فأقر بما فعل واستغفر الله منه ، وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من زل فلينب . فأننا أول من اتعظ ، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليردوني برأيهم ، فوالله لو ردني إلى الحق عبد لا تبعته وما عن الله مذهب إلا إليه ، فسر الناس بخطبته واجتمعوا إلى بابيه مبتهجين بما كان منه فخرج إليهم مروان فزبرهم وقال : شامت وجوهكم ما اجتماعكم ؟ أمير المؤمنين مشغول عنكم ، فإن احتاج إلى أحد منكم فسيدهوه فانصرفوا ، وبلغ علياً الخبر فأتى عثمان وهو مغضب فقال : أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلا بإفساد دينك ، وخديعتك عن عقلك ؟ وإنني لأراه سيورك ثم لا يُصدرك ، وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك .

وقالت له امرأته نائلة بنت الفرافصة : قد سمعت قول علي بن أبي طالب في مروان وقد أخبرك أنه غير عائد إليك ، وقد أطعت مروان ولا قدر له عند الناس ولا هيبة ، فبعث إلى علي فلم يأت .

وأخرج ابن سعد من طريق أبي عون قال : سمعت عبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ذكر مروان فقال : قبّحه الله خرج عثمان على الناس فأعطاهم الرضى

(١) تجمر الجيش : تحبس في أرض العدو ولم يقفل .

صورة أخرى من توبة الخليفة ٢٠٣

وبكى على المنبر حتى استهلّت دموعه ، فلم يزل مروان يقتله في الذروة والغارب^(١) حتى لفته عن رأيه ، قال : وجئت إلى عليّ فوجدته بين القبر والمنبر ومعه عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر وهما يقولان : صنع مروان بالناس ؟ قلت : نعم^(٢) .

صورة أخرى من توبة الخليفة :

أخرج الطبري من طريق عليّ بن عمر عن أبيه قال : إن عليّاً جاء عثمان بعد انصراف المصريين فقال له : تكلم كلاماً يسمعه الناس منك ، ويشهدون عليه ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والإنابة ، فإن البلاد قد تمخضت عليك فلا آمن ركباً آخرين يقدمون من الكوفة فتقول : يا عليّ إركب إليهم . ولا أقدر أن أركب إليهم ولا أسمع عذراً . ويقدم ركبٌ آخرون من البصرة فتقول : يا عليّ إركب إليهم . فإن لم أفعل رأيتني قد قطعت رحمك واستخففت بحقك . قال : فخرج عثمان وخطب الخطبة التي نزع فيها وأعطى الناس من نفسه التوبة فقام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال :

أما بعد : أيها الناس فوالله ما عاب من عاب منكم شيئاً أجهله ، وما جئت شيئاً إلّا وأنا أعرفه ، ولكنني متّني نفسي وكذبتني ، وضلّ عني رشدي ، ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : من زلّ فليتب^(٣) ومن أخطأ فليتب ولا يتماد في الهلكة ، إن من تمادى في الجور كان أبعد من الطريق ، فأنا أوّل من اتّعظ ، أستغفر الله عمّا فعلت ، وأتوب إليه ، فمثلي نزع وتاب ، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليروني رأيهم ، فوالله لئن ردّني إلى الحقّ عبداً لأستننّ بسنة العبد ، ولأذلنّ ذلّ العبد ، ولأكوننّ كالمرقوق إن مُلك صبر ، وإن عُتق شكر ، وما عن الله مذهبٌ إلّا إليه ، فلا يعجزن عنكم خياركم أن يدنوا إليّ ، لئن أبت يميني لتتابعني شمالي .

(١) لم يزل يقتل في الذروة والغارب . مثل في المخادعة ، أي يدور من وراء خديعته .
(٢) وأخرج الطبري حديث ابن عون هذا وتبعه ابن الأثير وسيوافيك لفظه ، وأوعز إليه الدميري في حياة الحيوان ج ١ ص ٥٣ .
(٣) كذا في تاريخ الطبري والصحيح ما مرّ في رواية البلاذري : من زل فليتب .

قال : فرق الناس له يومئذٍ وبكى من بكى منهم وقام إليه سعيد بن يزيد فقال : يا أمير المؤمنين ! ليس بواصل لك من ليس معك ، الله الله في نفسك ، فاتمم على ما قلت فلما نزل عثمان وجد في منزله مروان وسعيداً^(١) ونفراً من بني أمية ولم يكونوا شهدوا الخطبة فلما جلس قال مروان : يا أمير المؤمنين ! أتكلّم أم أصمت ؟ فقالت نائلة ابنة الفرافصة امرأة عثمان الكلبية : لا بل اصمت فإنهم والله قاتلوه ومؤتموه ، إنه قد قال مقالة لا ينبغي له أن ينزع عنها . فأقبل عليها مروان فقال : ما أنتِ وذاك ؟ فوالله لقد مات أبوك وما يحسن يتوصّأ . فقالت له : مهلاً يا مروان ! عن ذكر الآباء تخبر عن أبي وهو غائب تكذب عليه ، وأنّ أباك لا يستطيع أن يدفع عنه ، أما والله لولا أنه عمّه وأنه يناله عمّه أخبرتك عنه ما لن أكذب عليه . قال : فأعرض عنها مروان ثم قال : يا أمير المؤمنين ! أتكلّم أم أصمت ؟ قال : بل تكلم . فقال مروان : بأبي أنت وأمي والله لوددت أنّ مقالتك هذه كانت وأنت مُمنع مُنيع فكنت أوّل من رضي بها وأعان عليها لكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطبيين ، وخلف السيل الزبي ، وحين أعطى الخطّة الذليلة الدليل ، والله لإقامة على خطيئة تستغفر الله منها أجمل من توبة تخوف عليها ، وإنّك إن شئت تقرّبت بالتوبة ولم تقرّر بالخطيئة ، وقد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس . فقال عثمان : فاخرج إليهم فكلّمهم فإنّي أستحي أن أكلمهم . قال : فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضاً فقال : ما شأنكم قد اجتمعتم ؟ كأنكم قد جئتم لنهب ، شأهت الوجوه ، كلّ إنسان آخذٌ بأذن صاحبه إلّا من أريد^(٢) جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا اخرجوا عنّا ، أما والله لئن رمتونا ليمرنّ عليكم منّا أمرٌ لا يسركم ولا تحمدوا غبّ رأيكم ، ارجعوا إلى منازلكم ، فإنّا والله ما نحن مغلوبين على ما في أيدينا ، قال : فرجع الناس وخرج بعضهم حتّى أتا عليّاً فأخبره الخبر فجاء عليٌّ ^{عليه السلام} مغضباً حتّى دخل على عثمان فقال : أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلّا بتحرفك^(٣) عن دينك وعن عقلك

(١) هو سعيد بن العاص .

(٢) كذا في تاريخ الطبري وفي الكامل : شأهت الوجوه الى من أريد .

(٣) في لفظ البلاذري : إلّا بإفساد دينك ، وخديعتك عن عقلك . وفي لفظ ابن كثير : إلّا بتحويلك عن دينك وعقلك ، وإن مثلك مثل جمل الظعينة سار حيث يسار به .

صورة أخرى من التوبة ٢٠٥

مثل جَمَلِ الظعينة يُقَاد حيث يسار به ؟ والله ما مروان بذى رأي في دينه ولا نفسه ، وأيم الله إنِّي لأراه سيوردك ثمَّ لا يصدرك ، وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعابتك ، أَذْهَبَتْ شرفك ، وَغُلِبَتْ على أمرِك .

فلَمَّا خرج عليٌّ دخلت عليه نائلة ابنة الفرافصة امرأته فقالت : أتكلّم أو أسكت ؟ فقال : تكلمي . فقالت : قد سمعت قول عليّ لك وإنه ليس يعاودك ؟ وقد أطعت مروان يقودك حيث شاء قال : فما أصنع ؟ قالت : تتقي الله وحده لا شريك له وتتبع سنّة صاحبك من قبلك ، فإنّك متى أطعت مروان قتلك ، ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة ، وإنّما تركك النَّاس لمكان مروان ، فأرسل إلى عليّ فاستصلحه فإنّ له قرابةً منك وهو لا يُعصى . قال : فأرسل عثمان إلى عليّ فأبى أن يأتيه ، وقال : قد أعلمته أنّي لست بعائد . فبلغ مروان مقالة نائلة فيه فجاء إلى عثمان فجلس بين يديه فقال : أتكلّم أو أسكت ؟ فقال : تكلم . فقال : إنّ بنت الفرافصة . فقال عثمان : لا تذكرنّها بحرف فأسوء لك وجهك فهي والله أنصح لي منك . فكفّ مروان^(١) .

صورة أخرى من التوبة :

من طريق أبي عون قال : سمعت عبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث يذكر مروان بن الحكم قال : قَبَّحَ الله مروان ، خرج عثمان إلى الناس فأعطاهم الرضا وبكى على المنبر وبكى الناس حتى نظرت إلى لحية عثمان مُخَضَّلَةً من الدموع وهو يقول : اللهمَّ إنِّي أتوب إليك ، اللهمَّ إنِّي أتوب إليك ، اللهمَّ إنِّي أتوب إليك ، والله لئن ردّني الحقّ إلى أن أكون عبداً قنّاً لأرضينّ به ، إذا دخلت منزلي فادخلوا عليّ ، فوالله لا أحتجب منكم ولأعطينكم ولأزيدنكم على الرضا ، ولأنّحنّ مروان وذويه .

قال : فلَمَّا دخل أمر بالباب ففتح ودخل بيته ودخل عليه مروان فلم يزل يفتله

(١) الأنساب للبلاذري : ج ٥ ص ٦٤ ، ٦٥ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١١ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٦٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٧٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٩٦ ، ٣٩٧ .

في الذروة والغارب حتى فتلته عن رأيه وأزاله عما كان يريد ، فلقد مكث عثمان ثلاثة أيام ما خرج استحياء من الناس ، وخرج مروان إلى الناس فقال : شأته الوجوه إلا من أريد ارجعوا إلى منازلكم ، فإن يكن لأمر المؤمنين حاجة بأحد منكم يرسل إليه وإلا قر في بيته . قال عبدالرحمن : فجئت إلى علي فأجده بين القبر والمنبر وأجد عنده عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر وهما يقولان : صنع مروان بالناس وصنع ، قال : فأقبل علي علي فقال : أحضرت خطبة عثمان ؟ قلت : نعم . قال : أفحضرت مقالة مروان للناس ؟ قلت نعم . قال علي : عياذ الله يا للمسلمين ، إني إن قعدت في بيتي قال لي : تركتني وقرابتي وحقّي ، وإني إن تكلمت فجاء ما يريد يلعب به مروان فصار سيقه له يسوقه حيث شاء بعد كبر السن وصحبة رسول الله ﷺ .

قال عبدالرحمن بن الأسود : فلم يزل حتى جاء رسول عثمان اثنتي فقال علي بصوت مرتفع عال مغضب : قل له : ما أنا بداخل عليك ولا عائد . قال : فانصرف الرسول فلقيت عثمان بعد ذلك بليلتين جائياً فسألت نائلاً غلامه من أين جاء أمير المؤمنين ؟ فقال : كان عند علي ، فقال عبدالرحمن بن الأسود : فغدوت فجلست مع علي عليه السلام فقال لي : جاءني عثمان بارحة فجعل يقول : إني غير عائد وإني فاعل ، قال : فقلت له . بعدما تكلمت به على منبر رسول الله ﷺ وأعطي من نفسك ، ثم دخلت بيتك ، وخرج مروان إلى الناس فشتهم على بابك ويؤذيهم ؟ قال : فرجع وهو يقول : قطعت رحمي وخذلتني وجرأت الناس علي فقلت : والله إني لأذب الناس عنك ، ولكنني كلما جئت بك بهنة أظنها لك رضى جاء بأخرى فسمعت قول مروان علي واستدخلت مروان . قال : ثم انصرف إلى بيته فلم أزل أرى علياً منكباً عنه لا يفعل ما كان يفعل^(١) .

عهد آخر بعد حنث الأول :

أخرج الطبري من طريق عبدالله بن الزبير عن أبيه قال : كتب أهل المدينة

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٢ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٩٦ .

عهد آخر بعد حنث الأول ٢٠٧

إلى عثمان يدعونه إلى التوبة ، ويحتجون ويقسمون له بالله لا يمسون عنه أبداً حتى يقتلوه أو يعطيهم ما يلزمه من حق الله ، فلما خاف القتل شاور نصحاء وأهل بيته فقال لهم : قد صنع القوم ما قد رأيتم فما المخرج ؟ فأشاروا عليه أن يرسل إلى علي بن أبي طالب فيطلب إليه أن يردهم عنه ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتى يأتيه أمداده فقال : إن القوم لن يقبلوا التعليل وهم محملي عهداً وقد كان مني في قدمتهم الأولى ما كان ، فمتى أعطهم ذلك يسألوني الوفاء به . فقال مروان بن الحكم : يا أمير المؤمنين ! مقاربتهم حتى تقوى أمثل من مكائرتهم على القرب ، فأعطهم ما سألوك ، وطاولهم ما طاولوك ، فإنما هم بغوا عليك فلا عهد لهم ، فأرسل إلى علي فدعاه فلما جاءه قال : يا أبا حسن ! إنه قد كان من الناس ما قد رأيت وكان مني ما قد علمت ، ولست آمنهم على قتلي ، فارددهم عني ، فإن لهم الله عز وجل أن أعتبهم من كل ما يكرهون ، وأن أعطيهم الحق من نفسي ومن غيري وإن كان في ذلك سفك دمي ، فقال له علي : الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك ، وإنني لأرى قوماً لا يرضون إلا بالرضا وقد كنت أعطيهم في قدمتهم الأولى عهداً من الله لترجعن عن جميع ما نعموا فرددتهم عنك ، ثم لم تف لهم بشيء من ذلك فلا تغرني هذه المرة من شيء ، فإنني معطيهم عليك الحق . قال : نعم فاعطهم فوالله لأفئن لهم . فخرج علي إلى الناس فقال : أيها الناس إنكم إنما طلبتم الحق فقد أعطيتموه إن عثمان قد زعم أنه منصفكم من نفسه ومن غيره ، وراجع عن جميع ما تكرهون ، فاقبلوا منه ووكدوا عليه . قال الناس : قد قبلنا فاستوثق منه لنا فإننا والله لا نرضى بقول دون فعل . فقال لهم علي : ذلك لكم . ثم دخل عليه فأخبره الخبر ، فقال عثمان : إضرب بيني وبينهم أجلاً يكون لي في مهلة ، فإنني لا أقدر على رد ما كرهوا في يوم واحد ، قال له علي : ما حضر بالمدينة فلا أجل فيه ، وما غاب فأجله وصول أمرك ، قال : نعم ، ولكن أجلي فيما بالمدينة ثلاثة أيام . قال علي : نعم . فخرج إلى الناس فأخبرهم بذلك وكتب بينهم وبين عثمان كتاباً أجله فيه ثلاثاً على أن يرد كل مظلمة ، ويعزل كل عامل كرهوه ، ثم أخذ عليه في الكتاب أعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه من عهد وميثاق وأشهد عليه ناساً من وجوه المهاجرين والأنصار ، فكف المسلمون عنه

ورجعوا إلى أن يفي لهم بما أعطاهم من نفسه ، فجعل يتأهب للقتال ويستعدُّ بالسلاح ، وقد كان اتخذ جنداً عظيماً من رقيق الخمس ، فلما مضت الأيام الثلاثة وهو على حاله لم يغيّر شيئاً ممّا كرهوه ، ولم يعزل عاملاً ، ثار به الناس ، وخرج عمرو بن حزم الأنصاري حتى أتى المصريين وهم بذى خُشب فأخبرهم الخبر وسار معهم حتّى قدموا المدينة فأرسلوا إلى عثمان : ألم نفارقك على أنّك زعمت أنّك تائب من أحداثك ، وراجع عمّا كرهنا منك وأعطينا على ذلك عهد الله وميثاقه ؟ قال : بلى أنا على ذلك . قال فما هذا الكتاب الذي وجدنا مع رسولك ؟ الحديث (١) .

سياسة ضئيلة :

لَمَّا تكلّم عليّ مع المصريين ورَجَّعهم إلى بلادهم ورجع هو إلى المدينة دخل على عثمان وأخبره أنّهم قد رجعوا فمكث عثمان ذلك اليوم حتّى إذا كان الغد جاء مروان فقال له : تكلّم وأعلم النّاس أنّ أهل مصر قد رجعوا ، وأنّ ما بلغهم عن إمامهم كان باطلاً فإنّ خطبتك تسير في البلاد قبل أن يتحلّب الناس عليك من أمصارهم فيأتيك من لا تستطيع دفعه . فأبى عثمان أن يخرج . فلم يزل به مروان حتّى خرج فجلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : أمّا بعد : إنّ هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمرٌ فلمّا تيقنوا أنّه باطلٌ ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم .

فناداه الناس من كلّ ناحية : اتّق الله يا عثمان ! وتب إلى الله . وكان أولّهم عمرو بن العاصي . قال : اتّق الله يا عثمان ! فإنّك قد ركبت نهابير وركبناها معك فتب إلى الله نتب . إلى آخر ما مرّ في هذا الجزء صفحة ١٦٥ .

قصّة الحصار الثاني (٢) :

أخرج البلاذري من طريق أبي مخنف قال : لَمَّا شخص المصريون بعد

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٦ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٧١ ، ٧٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٦ .

(٢) مصادرها : الأنساب ج ٥ ص ٢٦ - ٦٩ ، ٩٥ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٣٣ - ٣٧ ، المعارف لابن قتيبة ص ٨٤ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٦٣ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٩ ، ١٢٠ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٢٣ ، ١٢٥ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٧٠ ، ٧١ ،

٢٠٩ قصة الحصار الثاني

الكتاب الذي كتبه عثمان فصاروا بأيلة^(١) أو بمنزل قبلها رأوا ركباً خلفهم يريد مصر فقالوا له : من أنت ؟ فقال : رسول أمير المؤمنين إلى عبدالله بن سعد ، وأنا غلام أمير المؤمنين . وكان أسود فقال بعضهم لبعض : لو أنزلناه وفتشناه ألا يكون صاحبه قد كتب فينا بشيء ، ففعلوا فلم يجدوا معه شيئاً ، فقال بعضهم لبعض : خلّوا سبيله فقال كنانة بن بشر : أما والله دون أن أنظر في إداوته فلا . فقالوا : سبحان الله أيكون كتاب في ماء ؟ فقال : إن للناس حيلاً . ثم حلّ الإداوة فإذا فيها قارورة مختومة ، أو قال : مضمومة . في جوف القارورة كتاب في أنبوب من رصاص فأخرجه فقرأه فإذا فيه :

أما بعد : فإذا قدم عليك عمرو بن بُديل فاضرب عنقه ، واقطع يدي ابن ، عُديس وكنانة ، وعروة ، ثم دعهم يتشحطون في دمائهم حتى يموتوا ، ثم أوثقهم على جذوع النخل .

فيقال : إن مروان كتب الكتاب بغير علم عثمان ، فلمّا عرفوا ما في الكتاب ، قالوا : عثمان محلّ ، ثم رجعوا على بدّتهم حتى دخلوا المدينة فلقوا عليّاً بالكتاب وكان خاتمه من رصاص ، فدخل به عليٌّ على عثمان فحلف بالله ما هو كتابه ولا يعرفه وقال : أما الخطّ فخطّ كاتبي ، وأما الخاتم فعلى خاتمي ، قال عليٌّ فمن تتهم ؟ قال : أتهمك وأتهم كاتبي . فخرج عليٌّ مغضباً وهو يقول : بل هو أمرك . قال أبو مخنف : وكان خاتم عثمان بدءاً عند حمران بن أبان ثم أخذه مروان حين شخص حمران إلى البصرة فكان معه .

وفي لفظ جُهميم الفهري قال : أنا حاضرٌ أمر عثمان فذكر كلاماً في أمر عمار . فانصرف القوم راضين ثم وجدوا كتاباً إلى عامله على مصر أن يضرب أعناق

شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٥ ، ١٦٦ تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٩٧ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٥٣ ، الصواعق ص ٦٩ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، السيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٥٩ ، واللفظ للبلاذري والطبري .
(١) أيلة بالفتح : مدينة على ساحل بحر القلزم ممّا يلي الشام . وقيل : هي آخر الحجاز وأول الشام

٢١٠ الغدير ج - ٩

رؤساء المصريين ، فرجعوا ودفعوا الكتاب إلى عليّ فأتاه به فحلف له أنّه لم يكتبه ولم يعلم به . فقال له عليّ : فمن تتهم فيه ؟ فقال : أتتهم كاتبي وأتهمك يا عليّ ! لأنّك مُطاع عند القوم ولم تردّهم عني .

وجاء المصريون إلى دار عثمان فأحذقوا بها وقالوا لعثمان وقد أشرف عليهم : يا عثمان ! أهذا كتابك ؟ فجدد وحلف فقالوا : هذا شرّ ، يكتب عنك بما لا تعلمه ، ما مثلك يلي أمور المسلمين ، فاختلع من الخلافة . فقال : ما كنت لأنزع قميصاً قمصنيه الله ، أو قال : سربلنيه الله . وقالت بنو أميّة : يا عليّ أفسدت علينا أمرنا ودسست وألبت ، فقال : يا سفهاء ! إنكم لتعلمون أنّه لا ناقة لي في هذا ولا جمل ، وإنّي رددت أهل مصر عن عثمان ثمّ أصلحت أمره مرّة بعد أخرى . فما حيلتي ؟ وانصرف وهو يقول : اللهمّ إنّي بريء ممّا يقولون ومن دمه إن حدث به حدث .

قال : وكتب عثمان حين حصروه كتاباً قرأه ابن الزبير على الناس يقول فيه : والله ما كتبت الكتاب ولا أمرت به ولا علمت بقصّته وأنتم مُعتَبون من كلّ ما ساءكم ، فأمرّوا على مصركم من أحببتهم ، وهذه مفاتيح بيت مالكم فادفعوها إلى من شئتم ، فقالوا : قد اتهمناك بالكتاب فاعتزلنا .

وأخرج ابن سعد من طريق جابر بن عبد الله الأنصاري قال : إنّ عثمان وجّه إلى المصريين لمّا أقبلوا يريدونه محمّد بن مسلمة في خمسين من الأنصار أنا فيهم فأعطاهم الرضى وانصرفوا فلمّا كانوا ببعض الطريق رأوا جملاً عليه ميسم الصدقة فأخذوه فإذا غلامٌ لعثمان ففتشوه فإذا معه قصبّة من رصاص في جوف إداوة فيها كتابٌ إلى عامل مصر : أن يفعل بفلان كذا ، وبفلان كذا ، فرجع القوم إلى المدينة فأرسل إليهم عثمان محمّد بن مسلمة فلم يرجعوا وحصروه .

صورة أخرى :

عن سعيد بن المسيّب قال : إنّ عثمان لمّا ولي كره ولايته نفرّ من أصحاب رسول الله ﷺ لأنّ عثمان كان يحبّ قومه ، فولي الناس اثنتي عشرة سنة ، وكان كثيراً ما يوليّ بني أميّة ممّن لم يكن له من رسول الله ﷺ صحبة ، وكان يجيء من

صورة أخرى من قصة الحصار ٢١١

أمرائه ما يكره أصحاب محمد ، فكان يُستعتب فيهم فلا يعزلهم ، فلمّا كان في الحجج الآخرة استأثر ببني عمّه فولّاهم وولّى عبدالله بن سعد بن أبي سرح مصر ، فمكث عليها سنين فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه ، وقد كانت من عثمان قبلُ هنات إلى عبدالله بن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر ، فكان في قلوب هُذيل وبني زهرة وبني غفار وأحلافها من غضب لأبي ذر ما فيها ، وحنقت بنو مخزوم لحال عمار بن ياسر ، فلمّا جاء أهل مصر يشكون ابن أبي سرح ، كتب إليه كتاباً يتهدّده فيه ، فأبى أن ينزع عمّا نهاه عثمان عنه وضرب بعض من شكاه إلى عثمان من أهل مصر حتى قتله ، فخرج من أهل مصر سبع مائة رجل إلى المدينة فنزلوا المسجد وشكوا ما صنع بهم ابن أبي سرح في مواقيت الصلاة إلى أصحاب محمد ، فقام طلحة إلى عثمان فكلّمه بكلام شديد ، وأرسلت إليه عائشة رضي الله تعالى عنها تسأله أن ينصفهم من عامله ، ودخل عليه عليّ بن أبي طالب وكان متكلم القوم فقال له : إنّما يسألك القوم رجلاً مكان رجل ، وقد ادّعوا قبّله دماً فاعزله عنهم واقض بينهم ، فإن وجب عليه حقٌّ فانصفهم منه . فقال لهم : اختاروا رجلاً أولّيه عليكم مكانه . فأشار الناس عليهم بمحمد بن أبي بكر الصديق فقالوا : استعمل علينا محمد بن أبي بكر . فكتب عهده وولّاه وجهه معهم عدّة من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بينهم وبين ابن أبي سرح ، فشخص محمد بن أبي بكر وشخصوا جميعاً فلمّا كانوا على مسيرة ثلاث من المدينة إذا هم بغلام أسود على بغير وهو يخبط البعير خبطاً كأنّه رجلٌ يطلب أو يُطلب ، فقال له أصحاب محمد بن أبي بكر : ما قصّتك ؟ وما شأنك ؟ كأنك هاربٌ أو طالبٌ . فقال لهم مرّة : أنا غلام أمير المؤمنين ، وقال أخرى : أنا غلام مروان ، وجّهني إلى عامل مصر برسالة ، قالوا : فمعك كتابٌ ؟ قال : لا . ففتشوه ، فلم يجدوا معه شيئاً وكانت معه إداوة قد يبست فيها شيءٌ يتقلقل فحرّكوه ليخرج فلم يخرج فشقوا الإداوة فإذا فيها كتابٌ من عثمان إلى ابن أبي سرح .

فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والأنصار وغيرهم ثمّ فكّ الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه : إذا أتاك محمد بن أبي بكر وفلان وفلان فاحتل لقتلهم وأبطل كتاب محمد وقرّ على عملك حتى يأتيك رأيي ، واحبس من يجيء إليّ

متظلماً منك إن شاء الله ، فلمّا قرأوا الكتاب فزعوا وغضبوا ورجعوا إلى المدينة وختم محمد بن أبي بكر الكتاب بخواتيم نفر ممّن كان معه ، ودفعه إلى رجل منهم وقدموا المدينة ، فجمعوا عليّاً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان من أصحاب النبي ﷺ ثمّ فكّوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم بقصّة الغلام وأقرأوهم الكتاب ، فلم يبق أحدٌ من أهل المدينة إلّا حنق على عثمان ، وزاد ذلك من كان غضب لابن مسعود وعمّار بن ياسر وأبي ذر حنقاً وغيظاً ، وقام أصحاب النبي ﷺ بمنازلتهم ما منهم أحدٌ إلّا وهو مغتمّ لما في الكتاب .

وحاصر الناس عثمان وأجلب عليه محمد بن أبي بكر ببني تيم وغيرهم ، وأعانه على ذلك طلحة بن عبيدالله ، وكانت عائشة تقرّضه كثيراً ، ودخل عليٌّ وطلحة والزبير وسعد وعمّار في نفر من أصحاب محمد ﷺ كلّهم بدرّي على عثمان ومع عليّ الكتاب والغلام والبغير فقال له عليٌّ : هذا الغلام غلامك ؟ قال : نعم . قال : والبغير بعيرك ؟ قال : نعم . قال : وأنت كتبت هذا الكتاب ؟ قال : لا ، وحلف بالله : ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا علمت شأنه فقال له عليٌّ : أفالخاتم خاتمك ؟ قال : نعم . قال : فكيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك ولا تعلم به ؟ فحلف بالله : ما كتبت الكتاب ولا أمرت به ولا وجّهت هذا الغلام إلى مصر قطّ . وعرفوا أن الخطّ خطّ مروان فسألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى ، وكان مروان عنده في الدار ، فخرج أصحاب محمد ﷺ من عنده غضاباً وعلموا أنّه لا يحلف بباطل إلّا أنّ قوماً قالوا : لن يبرأ عثمان في قلوبنا إلّا أن يدفع إلينا مروان حتى نبثه عن الأمر ونعرف حال الكتاب ، وكيف يؤمر بقتل رجال من أصحاب رسول الله بغير حقّ ؟ فإن يكن عثمان كتبه عزلناه ، وإن يكن مروان كتبه عن لسان عثمان نظرنا ما يكون منّا في أمر مروان ، فلزموا بيوتهم فأبى عثمان أن يخرج مروان .

فحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء فأشرف على الناس فقال : أفيكم عليّ ؟ فقالوا : لا . قال : أفيكم سعد ؟ فقالوا : لا . فسكت ، ثمّ قال ألا أحدٌ يبلغ عليّاً فيسقيناه ماءً ؟ فبلغ ذلك عليّاً فبعث إليه بثلاث قِرب مملوءة ماءً فما كادت تصل إليه وجُرح بسببها عدّة من موالي بني هاشم وبني أميّة حتّى وصلت .

قصة الحصار بلفظ الواقدي ٢١٣

لفظ الواقدي :

من طريق محمد بن مسلمة وقد أسلفنا صدره في ص ١٦٠ - ١٦١ وإليك بقيته : فوجدنا فيه هذا الكتاب فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعد : فإذا قدم عليك عبدالرحمن بن عديس فاجلده مائة ، واحلق رأسه ولحيته ، وأطل حبسه حتى يأتيك أمري ، وعمرو بن الحمق ، فافعل به مثل ذلك ، وسودان بن حمران مثل ذلك ، وعروة بن البياع الليثي مثل ذلك . قال : فقلت : وما يدريك أن عثمان كتب بهذا ؟ قالوا : فيقتات مروان على عثمان بهذا فهذا شر ، فيخرج نفسه من هذا الأمر . ثم قالوا : انطلق معنا إليه فقد كلمنا علياً ووعدنا أن يكلمه إذا صلى الظهر وجئنا سعد بن أبي وقاص فقال : لا أدخل في أمركم ، وجئنا سعيد بن زيد بن عمرو فقال مثل هذا ، فقال محمد : فأين وعدكم علي ؟ قالوا : وعدنا إذا صلى الظهر أن يدخل عليه . قال محمد : فصليت مع علي ، قال : ثم دخلت أنا وعلي عليه فقلنا : إن هؤلاء المصريين بالباب فأذن لهم ، قال : ومروان جالس فقال مروان : دعني جُعلت فداك أكلهم . فقال عثمان : فض الله فاك أخرج عني ، وما كلامك في هذا الأمر ؟ فخرج مروان وأقبل علي عليه قال وقد أنهى المصريون إليه مثل الذي أنهوا إلي ، فجعل علي يُخبره ما وجدوا في كتابهم ، فجعل يُقسم بالله ما كتب ولا علم ولا شور فيه ، فقال محمد بن مسلمة : والله إنه لصادق ، ولكن هذا عمل مروان ، فقال علي : فأدخلهم عليك فليسمعوا عذرك . قال : ثم أقبل عثمان على علي فقال : إن لي قرابة ورحماً والله لو كنت في هذه الحلقة لحللتها عنك ، فخرج إليهم فكلمهم فإنهم يسمعون منك . قال علي : والله ما أنا بفاعل ولكن أدخلهم حتى تعتذر إليهم . قال : فأدخلوا .

قال محمد بن مسلمة : فدخلوا يومئذ فما سلموا عليه بالخلافة فعرفت أنه الشر بعينه قالوا : سلام عليكم ، فقلنا : وعليكم السلام . قال : فتكلم القوم وقد قدموا في كلامهم ابن عديس ، فذكر ما صنع ابن سعد بمصر وذكر تحاملاً منه على المسلمين وأهل الذمة وذكر استئثاراً منه في غنائم المسلمين ، فإذا قيل له في ذلك

قال : هذا كتاب أمير المؤمنين إليّ ، ثمّ ذكروا أشياء ممّا أحدث بالمدينة وما خالف به صاحبيه قال : فرحلنا من مصر ونحن لا نريد إلّا دمك أو تنزع ، فردّنا عليّ ومحمّد بن مسلمة وضمن لنا محمّد النزوع عن كلّ ما تكلمنا فيه ، ثمّ أقبلوا على محمّد بن مسلمة فقالوا : هل قلت ذاك لنا ؟ قال محمّد : فقلت : نعم ، ثمّ رجعنا إلى بلادنا نستظهر بالله عزّ وجلّ عليك ويكون حجّة لنا بعد حجّة ، حتى إذا كنّا بالبُويب^(١) أخذنا غلامك فأخذنا كتابك وخاتمك إلى عبدالله بن سعد تأمره فيه بجلد ظهورنا ، والمثل بنا في أشعارنا ، وطول الحبس لنا ، وهذا كتابك ، قال : فحمد الله عثمان وأثنى عليه ثمّ قال : والله ما كتبت ولا أمرت ولا شوّرت ولا علمت قال : فقلت وعليّ جميعاً : قد صدق . قال : فاستراح إليها عثمان فقال المصريون : فمن كتبه ؟ قال : لا أدري . قال : أفيُجترأ عليك فيُبعث غلامك وجملٌ من صدقات المسلمين ، ويُنقش على خاتمك ، ويُكتب إلى عاملك بهذه الامور العظام وأنت لا تعلم ؟ قال : نعم . قالوا : فليس مثلك يلي ، إخلع نفسك من هذا الأمر كما خلعتك الله منه . قال : لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله عزّ وجلّ . قال : وكثرت الأصوات واللغط فما كنت أظنّ أنّهم يخرجون حتّى يواثبوه قال : وقام عليّ فخرج فلمّا قام عليّ قمت وقال للمصريين : اخرجوا فخرجوا ، ورجعت إلى منزلي ورجع عليّ إلى منزله فما برحوا محاصرته حتّى قتلوه .

وأخرج الطبري من طريق عبدالرحمن بن يسار : إنّ الذي كان معه هذه الرسالة من جهة عثمان إلى مصر أبو الأعور السلمي^(٢) وهو الذي كان يدعوه عليّ أمير المؤمنين عليه السلام في قنوته مع أناس كما مرّ حديثه في ج ٢ ص ١٥٧ ، وذكره ابن أبي الحديد في شرحه ج ١ ص ١٦٥ .

وأخرج من طريق عثمان بن محمّد الأخنسي قال : كان حصر عثمان قبل قدوم أهل مصر فقدم أهل مصر يوم الجمعة وقتلوه في الجمعة الاخرى .

[تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٣٢]

(١) البويب : مدخل أهل الحجاز بمصر .

(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٥ :

الخليفة تَوَّاب عَوَّاد :

أخرج الطبري من طريق سفيان بن أبي العوجاء قال : قدم المصريون القدماء الأولى فكلم عثمان محمد بن مسلمة فخرج في خمسين راكباً من الأنصار فأتوهم بذي خشب فردّهم ورجع القوم حتّى إذا كانوا بالبويب وجدوا غلاماً لعثمان معه كتاب إلى عبد الله بن سعد فكروا وانتهوا إلى المدينة وقد تخلف بها من الناس الأشتر وحكيم بن جبلة فأتوا بالكتاب فأنكر عثمان أن يكون كتبه وقال : هذا مُفْتَعَلٌ . قالوا : فالكتاب كتاب كاتبك ؟ قال : أجل ، ولكنه خرج بغير إذني . قالوا : فالجمل جملك قال : أجل ، ولكنه أخذ بغير علمي . قالوا : ما أنت إلا صادق أو كاذب ، فإن كنت كاذباً فقد استحققت الخلع إما أمرت به من سفك دمانا بغير حقّها ، وإن كنت صادقاً فقد استحققت أن تخلع لضعفك وغفلتك وخبت بطانتك ، لأنّه لا ينبغي لنا أن نترك على رقابنا من يُقطع مثل الأمر دونه لضعفه وغفلته ، وقالوا له : إنك ضربت رجالاً من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم حين يعظونك ويأمرونك بمراجعة الحقّ عندما يستنكرون من أعمالك ، فأقذ من نفسك من ضربته وأنت له ظالمٌ ، فقال : الإمام يُخطئ ويصيب فلا أقيد من نفسي لأنّي لو أقذت كلّ من أصبته بخطأ أتى على نفسي قالوا : إنك قد أحدثت أحداثاً عظماً فاستحققت بها الخلع ، فإذا كلمت فيها أعطيت التوبة ثمّ عدت إليها وإلى مثلها ثمّ قدمنا عليك فأعطيتنا التوبة والرجوع إلى الحقّ ولأما فيك محمد بن مسلمة ، وضمن لنا ماحدث من أمر ، فأخفرت فتيماً منك وقال : لا أدخل في أمره ، فرجعنا أوّل مرّة لنقطع حجّتك ونبلع أقصى الأعذار إليك نستظهر بالله عزّ وجلّ عليك فلحقنا كتاب منك إلى عاملك علينا تأمره فينا بالقتل والقطع والصلب وزعمت أنّه كُتب بغير علمك وهو مع غلامك وعلى جملك وبخطّ كاتبك وعليه خاتمك فقد وقعت عليك بذلك التهمة القبيحة ، مع ما بلونا منك قبل ذلك من الجور في الحكم ، والأثرة في القسم ، والعقوبة للأمر بالتبسط من الناس ، والإظهار للتوبة ثمّ الرجوع إلى الخطيئة ولقد رجعنا عنك وما كان لنا أن نرجع حتّى نغزلك ونستبدل بك من أصحاب رسول الله ﷺ من لم يُحدث مثل ما جرّبنا منك ، ولم يقع عليه من التهمة ما وقع عليك فاردد خلافتنا واعتزل أمرنا ، فإنّ ذلك أسلم لنا منك ، وأسلم لك

منّا ، فقال عثمان : فرغتم من جميع ما تريدون ؟ قالوا : نعم . قال :

الحمد لله وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمّداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، أمّا بعد : فإنكم لم تعدلوا في المنطق ولم تنصفوا في القضاء أمّا قولكم : تخلع نفسك . فلا أنزع قميصاً قمصنيه الله عز وجل وأكرمني به وخصني به على غيري ولكني أتوب وأنزع ولا أعود لشيء عابه المسلمون ، فإنني والله الفقير إلى الله الخائف منه .

قالوا : إنّ هذا لو كان أوّل حدث أحدثته ثمّ ثبت منه ولم تقم عليه لكان علينا أن نقبل منك ، وأن نصرف عنك ولكنه : قد كان منك من الأحداث قبل هذا ما قد علمت ولقد انصرفنا عنك في المرّة الاولى وما نخشى أن تكتب فينا ولا من اعتلت به بما وجدنا في كتابك مع غلامك ، وكيف نقبل توبتك ؟ وقد بلونا منك أنّك لا تُعطي من نفسك التوبة من ذنب إلا عدت إليه ، فلسنا منصرفين حتى نعرلك ونستبدل بك ، فإن حال من معك من قومك وذوي رحمك وأهل الإنقطاع إليك دونك بقتال قاتلناهم حتى نخلص إليك فنقتلك ، أو تلحق أرواحنا بالله .

فقال عثمان : أمّا أن أتبرأ من الإمارة فإن تصلبوني أحب إليّ من أن أتبرأ من أمر الله عز وجل وخلافته . وأمّا قولكم : تقتلون من قاتل دوني . فإنني لا أمر أحداً بقتلكم^(١) فمن قاتل دوني فإنما قاتل بغير أمري ، ولعمري لو كنت أريد قتالكم لقد كنت كتبت إلى الأجناد^(٢) فقادوا الجنود وبعثوا الرجال أو لحقت ببعض أطرافي بمصر أو عراق ، فالله الله في أنفسكم فأبقوا عليها إن لم تُبقوا عليّ : فإنكم مجتلبون بهذا الأمر إن قتلتموني دماً . قال : ثمّ انصرفوا عنه وأذنوه بالحرب وأرسل إلى محمّد بن مسلمة فكلمه أن يردهم فقال : والله لا أكذب الله في سنة مرتين .

[تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٢٠ ، ١٢١]

(١) لم يكن معه هناك غير بني أبيه حتى يأمر أحداً بالقتال وهم ليسوا هناك وقد تحصنوا يوم قتله بكندوج أم حبيبة كما يأتيك حديثه .

(٢) كان يتأهب للقتال ، ويستعد بالسلح ، ويكتب إلى الأجناد ، ويجلب إلى المدينة الجنود المجنّدة من الشام ، وغيرها ، غير أنه كان يغفل الناس بكلماته هذه وستوافيك كتبه .

نظرة في أحاديث الحصارين :

أول ما يقع عليه النظر من هذه الأحاديث أن المجهزين على عثمان هم المهاجرون والأنصار من الصحابة ولم يشذ عنهم إلا أربعة أسلفنا ذكرهم في صفحة ٢٠٦ وهم الذين أصفقوا مع أهل مصر والكوفة والبصرة على مقت الخليفة وقتله بعد أن أعيتهم الحيل ، وأعوزهم السعي في استتابته ، وإكفائه عن الأحداث ، ونزوعه عما هو عليه من الجرائم وإن في المقبلين من تلکم البلاد من عظماء الصحابة ، ومن رجال الفضيلة والفقہ والتقى من التابعين جماعات لا يستهان بعدتهم ، ولا يُغمز في دينهم ، وهم رؤساء هاتيك الجماهير والمؤيدين على عثمان ، فمن الكوفيين :

- ١ - زيد الخير ، له إدراك أثنى عليه النبي الأعظم ، وأنه من الخيار الأبرار .
 - ٢ - مالك بن الحارث الأشتر، له إدراك ، أوقفناك على عظمتة وفضله وموقفه من الإيمان ، ومبلغه من الثقة والصلاح .
 - ٣ - كعب بن عتبة النهدي ، وقد سمعت عن البلاذري أنه كان ناسكاً .
 - ٤ - زياد بن النضر الحارثي ، له إدراك .
 - ٥ - عمرو بن الأهتم ، صحابي خطيب بليغ شريف في قومه ، ترجمه ابن عبد البر في «الإستيعاب» ، وابن الأثير في «أسد الغابة» وابن حجر في «الإصابة» .
- وفي المصريين :**

- ٦ - عمرو بن الحمق الخزاعي ، صحب النبي وحفظ عنه أحاديث ، وحظي بدعائه ﷺ له كما مر تفصيله ص ٦٧ .
- ٧ - عمرو بن بديل الخزاعي ، صحابي عادل مترجم في معاجم الصحابة .
- ٨ - عبدالله بن بديل الخزاعي : قال أبو عمر : كان سيد خراعة وخراعة عيبة رسول الله ﷺ ، وشهد حنيناً والطائف وتبوك ، وكان له قدر وجلالة ، وكان من وجوه الصحابة . راجع الإستيعاب ، وأسد الغابة ، والإصابة .

٢١٨ الغدير ج - ٩

٩ - عبد الرحمن بن عديس أبو محمد البلوي ، صحب النبي وسمع منه ، وكان ممن بايع تحت الشجرة من الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه .

١٠ - محمد بن أبي بكر ، وحسبك فيه ما في الاستيعاب والإصابة من أن علياً «أمير المؤمنين» كان يُثني عليه ويفضله وكانت له عبادة واجتهاد ، وكان من أفضل أهل زمانه .

ورئيس البصريين :

١١ - حكيم بن جبلة العبدي ، قال أبو عمر في «الإستيعاب» : أدرك النبي ﷺ وكان رجلاً صالحاً له دين مطاعاً في قومه . وقال المسعودي في المروج ج ٢ ص ٧ : كان من سادات عبد القيس وزهادها ونساکها . وأثنى عليه مولانا أمير المؤمنين بقوله كما في الكامل ج ٣ ص ٩٦ :

دعا حكيم دعوة سميعة نال بها المنزلة الرفيعة
يالهدف ما نفسي على ربيعه ربعة السامعة المطيعة
قد سبقتني فيهم الوقيعه

وإن ما جرى في غضون تلك المعامع ، وتضاعف ذلك الحوار من أخذ وردّ وهتاف وقول ، كلّها تنم عن صلاح القوم وتقواهم ، وأنهم لم يغضبوا إلا لله ، ولا دعوا إلا إلى أمره ، ولا نهضوا إلا لإقامة الأمت والعوج ، وتقويم دين الله وتنزيهه عن المعرّات والأحداث ، ولم يجلبهم إلى ذلك الموقف مطمع في إمارة ، أو نزاع إلى حكم أو هوى في مال ، ولذلك كان يرضيهم كلّما بيديه الخليفة من النزول على رغباتهم ، والنزوع عن إحداثه ، والإنابة إلى الله ممّا نقموا به عليه ، غير أنه كان يثيرهم في الآونة بعد الاخرى ما كانوا يشاهدونه من المقام على الهنات ، ونقض العهد مرة بعد مرة حتى إذا اطمأنوا إلى أن الرجل غير منكفئ عمّا كان يقترفه ، ولا مطمئن عمّا كان يفعله ، فاطمأنوا إلى بقاء التكليف عليهم بالوثوب ، فوقفوا لإزالة ما رأوه منكراً ذلك الموقف الشديد حتى قضي من الأمر ما كان مقدوراً .

نظرة في أحاديث الحصارين ٢١٩

ولو كان للقوم غاية غير ما وصفناه لما أثنى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام على المصريين منهم بقوله من كتاب كتبه إلى أهل مصر : إلى القوم الذين غضبوا لله حين عُصي في أرضه ، وذهب بحقه ، إلى آخر ما مرّ في صفحة ٩٧ ، ولما كانوا مذكورين في المعاجم والكتب بالثناء الجميل عليهم بعد تلکم المواقف المشهودة ، ولو صدر عن أيّ أحد أقلّ ممّا صدر من أولئك الثائرين على عثمان في حقّ فرد من أفراد المسلمين فضلاً عن الخليفة لعدّ جناية لا تغفر ، وذنباً لا يبرّر ، وسقط صاحبه إلى هوة الضعة ، ولا تبقى له بعد حرمة ولا كرامة ، غير أن

الثاني : من مواقع النظر في الأحاديث المذكورة : إنّ الخليفة كانت عنده جرائم يستنكرها المسلمون وينكرونها عليه وهو يعترف بها فيتوب عنها ، ثمّ يروغ عن التوبة فيعود إليها ، ولا أدري أنّه في أيّ الحالين أصدق ؟ أحين اعترف بالأحداث فتاب ؟ أم حين عبث به مروان فرقى المنبر وقال : إنّ هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمرٌ فلمّا تيقّنوا أنّه باطلٌ ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم ؟

الثالث : إنّ أعطى العهود والمواثيق المؤكّدة على النزوع عمّا كان يرتكبه ممّا ينقمونه عليه وسجّل ذلك في صكوك يبثّها في البلاد بأيدي الناهضين عليه ، إذ كان على علم بأنّ البلاد قد تمخّضت عليه كما مرّ في كلام لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، ثمّ لم يلبث حتى نكثها بعدما ضمن له بالعمل على ذلك الضمان مثل مولانا أمير المؤمنين ومحمّد بن مسلمة ذلك الصحابي العظيم ، وقد شهدت ذلك الضمان أمّةٌ كبيرةٌ من الصحابة ، فكأنّه ما كان يرى للعهد لزوماً ، ولا للضمان حرمة ، ولا للضامين مكانة ، ولا لنكث العهد معرّة ، ولعلّه كان يجد مبرراً لتلكم الفجائع أو الفضائح ، وعلى أيّ فالمسلمون «ويقدمهم الصحابة العدول» لم يرقهم ذلك المبرر ولا اعترفوا به ، فمضوا إلى ما فعلوه قدماً غير متحوّبين ولا متأثمين .

الرابع : إنّ التزامه في كتاب عهده في الحصار الأوّل بالعمل بالكتاب والسنة وهو في حيّز النزوع عمّا كان يرتكبه قبل ذلك ، وقد أعتب بذلك المتجهمين عليه المنكرين على أحداثه المنحازة عنهما ، يرشدنا إلى أنّه كان في أعماله قبل ذلك

الإلتزام محيّد عن الكتاب والسنة ، وحسب أيّ إنسان من الضعة أن تكون أعماله منتثية عنهما .

الخامس : إنّ الطريد ابن الطريد ، أو قل عن لسان النبيّ الأمين^(١) : الوزغ ابن الوزغ ، اللعين ابن اللعين ، مروان بن الحكم كان يؤثّر في نفسيّات الخليفة حتى يحوّل « كما قال مولانا أمير المؤمنين »^(٢) عن دينه وعقله ، ويجعله مثل الظعينة يقاد حيث يسار به . فلم يزل به حتى أربكه عند منتقض العهود ومنتكث المواثيق ، فأورده مورد الهلكة ، وعجيب من الخليفة أن يتأثّر بتسويلات الرجل وهو يعلم محلّه من الدين وموقفه من الإيمان ، ومبوّاه من الصدق والأمانة ، وهو يعلم أنه هو وزبانيته هم الذين جرّوا عليه الويلات وأركبوه النهاير ، وأنّهم سيوردونه ثمّ لا يصدرونه ، يعلم ذلك كلّ وهو بين الناب والمخلب وفي منصم الحياة ، ومع ذلك كلّ لا يزال مقيماً على هاتيك الوسوس المروانيّة ، فيا للعجب !

وأعجب من ذلك أنه مع هذا التأثّر يتخذ نصيح الناصحين له كمولانا أمير المؤمنين عليه السلام وكثير من الصحابة العدول باعتاب الناس ورفض تمويهات مروان الموبقة له ظهريّاً فلا يُعير لهم بعد تمام الحجّة وقطع سبل المعاذير أذنّاً واعية ، وهو يعلم أنّهم لا يعدون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويدعونه إلى ما فيه نجاته ونجاح الأمّة .

(لفت نظر) : وقع في عدّ أيام حصار عثمان خلافاً بين المؤرّخين فقال الواقدي : حاصروه تسعة وأربعين يوماً . وقال الزبير : حاصروه شهرين وعشرين يوماً . وفي رواية : أنّهم حاصروه أربعين ليلة . وقال ابن كثير : استمرّ الحصر أكثر من شهر وقيل : بضعاً وأربعين . وقال الشعبي : كانت مدّته اثنتين وعشرين ليلة . وفي رواية للطبري : كان الحصر أربعين ليلة والنزول سبعين . وفي بعض الروايات : حاصروه عشرين يوماً بعد قضية جهجاه المذكورة ص ١٢٤ إلى أقوال أخرى ، ولعلّ كلّ منها ناظرٌ إلى ناحية من مدّة أيام الحصارين أو مدّة أحدهما ،

(١) راجع ما مرّ في الجزء الثامن ص ٢٦٠ / ط ٢ .

(٢) راجع ما مضى في هذا الجزء : صفحة ٢٠٥ .

كتب عثمان أيام الحصار ٢٢١

ومن مدة نزول المتجمهرين حول داره ، ومن أيام ضاق عليه الخناق ، ومُنِع من إدخال الماء عليه ، وحيل بينه وبين اختلاف الناس إليه ، ومن حصار الثائرين عليه من الأمصار ، ومن إصفاق أهل المدينة معهم على الحصار . إلى تأويلات أخرى يتأتى بها الجمع بين تلكم الأقوال .

كتب عثمان أيام الحصار^(١) :

أخرج الطبري في تاريخه من طريق ابن الكلبي قال : إنما ردَّ أهل مصر إلى عثمان بعد انصرافهم عنه أنه أدركهم غلامٌ لعثمان على جمل له بصحيفة إلى أمير مصر أن يقتل بعضهم وأن يصلب بعضهم فلما أتوا عثمان قالوا : هذا غلامك ؟ قال : غلامي إنطلق بغير علمي ، قالوا : جملك ؟ قال : أخذه من الدار بغير أمري . قالوا : خاتمك ؟ قال : نقش عليه فقال عبدالرحمن بن عديس التجيبي حين أقبل أهل مصر :

أقبلن من بلبس والصعيد ^(٢)	خصوصاً كأمثال القسيّ عود
مُستحقاتٍ حلق الحديد	يطلبن حقَّ الله في الوليد
وعند عثمان وفي سعيد	ياربِّ فارجعنا بما نريد

فلما رأى عثمان ما قد نزل به وما قد انبعث عليه من الناس كتب إلى معاوية بن أبي سفيان وهو بالشام :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد : فإنَّ أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطاعة ونكثوا البيعة ، فابعث إليَّ من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كلِّ صعب وذلول .

(١) الإمامة والسياسة ج ٢ ص ٣٢ ، ٣٣ ، الأنساب ج ٥ ص ٧١ ، ٧٢ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٠٥ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٩ ، تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ١٥٢ ، الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٦٧ ، ٧١ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٥ ، تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٩٤ ، الفتنة الكبرى : ص ٢٢٦ .

(٢) بلبس : بكسر الباء وسكون اللام : مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام . الصعيد : بلاد واسعة كثيرة بمصر يقال : إنها تسعمائة وسبع وخمسون قرية .

فلما جاء معاوية الكتاب تربّص به وكره إظهار مخالفة أصحاب رسول الله ﷺ وقد علم اجتماعهم ، فلما أبطأ أمره على عثمان كتب إلى يزيد بن أسد بن كريز وإلى أهل الشام يستنفرهم ويُعظّم حقّه عليهم ، ويذكر الخلفاء وما أمر الله عزّ وجلّ به من طاعتهم ومناصحتهم ووعدهم أن يجندهم جنداً وبطانة دون الناس ، وذكرهم بلاءه عندهم وصنيعه إليهم ، فإن كان عندكم غياث فالعجل العجل فإنّ القوم معاجلي .

فلما قرىء كتابه عليهم قام يزيد بن أسد بن كريز البجلي ثمّ القسري فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ ذكر عثمان فعظّم حقّه ، وحضّهم على نصره ، وأمرهم بالمسير إليه ، فتابعه ناسٌ كثيرٌ وساروا معه حتّى إذا كانوا بوادي القرى^(١) بلغهم قتل عثمان رضي الله عنه فرجعوا .

وأخرج البلاذري من طريق الشعبي قال : كتب عثمان إلى معاوية : أن أمّديني ، فأمدّه بأربعة آلاف مع يزيد بن أسد بن كريز البجلي ، فتلقاه الناس بمقتل عثمان فرجع من الطريق وقال : لو دخلت المدينة وعثمان حيّ ما تركت بها محتتماً إلّا قتلته ، لأنّ الخاذل والقاتل سواء .

كتابه إلى أهل الشام :

قال ابن قتيبة : وكتب إلى أهل الشام عامّة وإلى معاوية وأهل دمشق خاصّة :
أمّا بعد : فإنّي في قوم طال فيهم مقامي ، واستعجلوا القدر فيّ ، وقد خيّرني بين أن يحملوني على شارف من الإبل الدحيل ، وبين أن أنزع لهم رداء الله الذي كساني ، وبين أن أقيدهم ممّن قتلت ، ومن كان على سلطان يخطيء ويصيب ، فيا غوثاه يا غوثاه ، ولا أمير عليكم دوني ، فالعجل العجل يا معاوية ! وأدرك ثمّ أدرك وما أراك تدرك .

كتابه إلى أهل البصرة :

وكتب إلى عبدالله بن عامر : أن اندب إليّ أهل البصرة - نسخة كتابه إلى

(١) وادي القرى : واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة .

كتب عثمان أيام الحصار ٢٢٣

أهل الشام - فجمع عبدالله بن عامر الناس فقرأ كتابه عليهم ، فقامت خطباء من أهل البصرة يحضونه على نصر عثمان والمسير إليه فيهم : مجاشع بن مسعود السلمي ، وكان أول من تكلم وهو يومئذ سيد قيس بالبصرة ، وقام أيضاً قيس بن الهيثم السلمي ، فخطب وحض الناس على نصر عثمان ، فسارع الناس إلى ذلك ، فاستعمل عليهم عبدالله بن عامر مجاشع بن مسعود فسار بهم حتى إذا نزل الناس الربرة ونزلت مقدمته عند صرار ناحية من المدينة أتاهم قتل عثمان .

وقال البلاذري : وكتب عثمان إلى عبدالله بن عامر بن كريض ومعاوية بن أبي سفيان يُعلمهما أن أهل البغي والعدوان من أهل العراق ومصر والمدينة قد أحاطوا بداره فليس يُرضيهم بزعمهم شيء دون قتله أو يخلع السربال الذي سربله الله إياه ، ويأمرهما بإغاثة رجال ذوي نجدة وبأس ورأي ، لعل الله أن يدفع بهم عنه بأس من يكيده ويريده ، وكان رسوله إلى ابن عامر جُبير بن مُطعم ، وإلى معاوية المسور بن مخزومة الزهري ، فأما ابن عامر فوجه إليه مجاشع بن مسعود السلمي في خمس مائة أعطاهم خمس مائة درهم ، وكان فيمن ندب مع مجاشع زفر بن الحارث على مائة رجل ، وأما معاوية فبعث إليه حبيب بن مسلمة الفهري في ألف فارس ، فقدم حبيب أمامه يزيد بن أسد البجلي جد خالد بن عبدالله بن يزيد القسري من بجيلة ، وبلغ أهل مصر ومن معهم ممن حاصر عثمان ما كتب به إلى ابن عامر ومعاوية فزادهم ذلك شدة عليه وجداً في حصاره وحرصاً على معاجلته بالقتل .

كتابه إلى أهل الأمصار :

أخرج الطبري وغيره وقالوا : كتب عثمان إلى أهل الأمصار يستمذهم :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد : فإن الله عز وجل بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً ، فبلغ عن الله ما أمره به ثم مضى وقد قضى الذي عليه وخلف فينا كتابه فيه حلاله وحرامه ، وبيان الأمور التي قدر فأمضاها على ما أحب العباد وكرهوا ، فكان الخليفة أبو بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه ثم أدخلت في الشورى عن غير علم ولا مسألة عن ملا

من الأمة ، ثم أجمع أهل الشورى عن ملأ منهم ومن الناس على غير طلب مني ولا محبة ، فعملت فيهم ما يعرفون ولا ينكرون ، تابعاً غير مستتب ، متبعاً غير مبتدع ، مقتدياً غير متكلف ، فلما انتهت الامور ، وانتكث الشرُّ بأهله ، بدت ضغائن وأهواء على غير إجماع ولا ترة فيما مضى إلا إمضاء الكتاب ، فطلبوا أمراً وأعلنوا غيره بغير حجة ولا عذر ، فعابوا عليّ أشياء ممّا كانوا يرضون وأشياء عن ملأ من أهل المدينة لا يصلح غيرها ، فصبرت لهم نفسي وكففتها عنهم منذ سنين ، وأنا أرى وأسمع ، فازدادوا على الله عزّ وجلّ جرأة حتى أغاروا علينا في جوار رسول الله ﷺ وحرمة وأرض الهجرة ، وثابت إليهم الأعراب ، فهم كالأحزاب أيام الأحزاب أو من غزانا بأحد إلا ما يظهرون ، فمن قدر على اللحاق بنا فليلحق .

فأتى الكتاب أهل الأمصار فخرجوا على الصعوبة والذلّول ، فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري ، وبعث عبدالله بن سعد معاوية بن خديج السكوني ، وخرج من أهل الكوفة القعقاع بن عمرو . الحديث .

كتابه إلى أهل مكة ومن حضر الموسم سنة ٣٥ :

ذكر ابن قتيبة قال : كتب عثمان كتاباً بعثه مع نافع بن طريف إلى أهل مكة ومن حضر الموسم يستغيثهم فوافي به نافع يوم عرفة بمكة وابن عباس يخطب وهو يومئذ على الناس كان قد استعمله عثمان على الموسم فقام نافع ففتح الكتاب فقرأه فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله عثمان أمير المؤمنين إلى من حضر الحج من المسلمين . أمّا بعد : فإنّي كتبت إليكم كتابي هذا وأنا محصورٌ أشرب من بئر القصر ، ولا أكل من الطعام ما يكفيني ، خيفة أن تنفذ ذخيرتي فأموت جوعاً أنا ومن معي ، لا أدعى إلى توبة أقبلها ، ولا أسمع مني حجة أقولها ، فأنشد الله رجلاً من المسلمين بلغه كتابي إلا قدم عليّ فأخذ الحقّ فيّ ومنعني من الظلم والباطل .

قال : ثم قام ابن عباس فأتى خطبته ولم يعرض لشيء من شأنه .

قال الأميني : هذا ما يمكننا أن نؤمن به من كتاب عثمان إلى الحضور في الموسم وهناك كتاب مفصل إلى الحاج يُنسب إليه يتضمّن آياً من الحكم والموعظة الحسنة يطفح عن جوانبه الورع الشديد في دين الله ، والأخذ بالكتاب والسنة ، والإحتذاء بسيرة الشيخين ، يبعد جدّاً عن نفسيّات عثمان وعمّا عرفته الأمة من تاريخ حياته ، والكتاب أخرجه الطبري في تاريخه ج ٥ ص ١٤٠ - ١٤٣ وراق الدكتور طه حسين ما وجد فيه من المعاني الراقية والجمل الرائقة ، والفصول القيّمة فذكره في ملحق كتابه «الفتنة الكبرى» ص ٢٢٧ - ٢٣١ ذاهلاً عن أنّ الكتاب لم يُروَ إلاّ من طريق ابن أبي سبرة القرشي العامري المدني الوضّاع الكذاب السابق ذكره في سلسلة الوضّاعين في الجزء الخامس ، قال الواقدي : كان كثير الحديث وليس بحجّة ، وقال صالح بن أحمد عن أبيه : كان يضع الحديث . وقال عبدالله بن أحمد عن أبيه : ليس بشيء كان يضع الحديث ويكذب ، وعن ابن معين ليس حديثه بشيء ، ضعيف الحديث ، وقال ابن المديني : كان ضعيفاً في الحديث ، وقال مرة : كان منكر الحديث . وقال الجوزجاني : يضعف حديثه . وقال البخاري : ضعيف . وقال مرة : منكر الحديث . وقال النسائي : متروك الحديث . وقال ابن عدي : عامّة ما يرويه غير محفوظ وهو في جملة من يضع الحديث . وقال ابن حبان : كان ممّن يروي الموضوعات عن الثقات لا يجوز الإحتجاج به . وقال الحاكم أبو عبدالله : يروي الموضوعات عن الأثبات^(١) .

نظرة في الكتب المذكورة :

لقد تضمّنت هذه الكتب أشياء هي كافية في إثارة عواطف المؤمنين على من كتبها ولو لم يكن له سابقة سوء غيرها . منها :

قوله عن المهاجرين والأنصار وليس في المدينة غيرهم : إنّ أهل المدينة قد كفروا ، وأخلفوا الطاعة ، ونكثوا البيعة . وقوله : فهم كالأحزاب أيّام الأحزاب أو من غزانا بأحد . وهو يريد أصحاب محمد ﷺ المشهود لهم جمعاء بالعدالة عند قاطبة أهل السنة ، ولقد صعدوا وصوبوا في إثبات ذلك بما لا مزيد عليه عندهم ،

(١) راجع تاريخ الخطيب ج ١٤ ص ٣٦٧ - ٣٧٢ ، تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٢٧ .

ولا يزالون يحتجّون بأقوالهم وما يُؤثر عنهم من قول أو عمل في أحكام الدين ، كما يحتجّون بما يُؤثر عن رسول الله ﷺ من السنّة ، ثقة بإيمانهم ، وطمأنينة بعدالتهم ، ويرون أنّهم لا ينبسون ببنت شفة ولا يخطون في أمر الدين خطوة إلّا بأثر ثابت عن رسول الله ﷺ مسموع أو منقول ، أو مشاهدة عمل منه ﷺ يطابق ما يرتأونه أو يعملون به ، فهل على مؤمن هذا شأنه قذفٌ أثقل عليه من هذا ؟ أو تشويهٌ أمسُ بكرامته من ذلك ؟ ولعمر الحقّ إنّهُ مَنْ يغضّ عن مثله فلا يستشيرهُ خلوّ عن العاطفة الدينيّة ، خلوّ عن الحماس الإسلامي ، خلوّ عن الشهامة المبدئيّة ، خلوّ عن الغيرة على الحقّ ، خلوّ وخلوّ . ولذلك اشتدّت الصحابة عليه بعد وقوفهم على هذا وأمثاله .

ثمّ إنّهُ ليس لأحد طاعةٌ مفترضةٌ على أعناق المسلمين بعد الله ورسوله إلّا إمام حقّ يعمل بكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ، والمتجمهرون على عثمان وهم الصحابة أجمع كانوا يرون أنّه تخطّاهما ، وأنّ ما كان ينوء به من فعل أو قول قد عديا الحقّ منهما ، فأيّ طاعة واجبة والحال هذه - وحسبان القوم كما ذكرناه - حتى يؤاخذوا على الخلف ؟

والبيعة إنّما لزمّت إن كان صاحبها باقياً على ما بويع عليه ، والقوم إنّما بايعوه على متابعة الكتاب والسنّة والمضيّ على سيرة الشيخين ، وبطبع الحال إنّها تنتكث عند نكوص صاحبها عن الشروط ، وهو الذي نقمه المسلمون على خليفتهم ، فلا موجب لمؤاخذتهم أو منابذتهم ، وها هنا رأى المسلمون أنّ الرجل زاد ضعفاً على أباله ، فهو على أحداثه الممقوتة طفق يستشير الجنود عليهم ، ويعرّضهم على القتل والنهب ، فتداركوا الأمر فأوردوه حياض المنيّة قبل أن يجلب إليهم البليّة ، وتلافوا الأمر قبل أن يمسه الشرّ ، وما بالهم لا تستشيرهم تلكم القذائف ؟ وهم يرون أنّهم هم الذين آووا ونصروا ولم يألوا جهداً في جهاد الكفّار حتى ضرب الدين بجرانه ، فمن العجيب والحالة هذه أن يشبّهوا بالأحزاب والكفرة يوم أحد .

(ومنها) : تلوّنه في باب التوبة التي تظاهر بها على صهوة المنبر بملاً من

الصحابة ، وسجّل ذلك بكتاب شهد عليه عدّة من أعيان الامة وفي مقدّمهم سيّدنا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، وكتب ذلك إلى الأمصار النائية كما تقدّم في صفحة ٢٠١ وهو في كلّ ذلك يعترف بالخطيئة ويلتزم بالإقلاع عنها ، لكنّه سرعان ما نكث التوبة وأبطل المواثيق المؤكّدة بكتبه هذه ، إذ حسب أنّ من يكتب إليهم سينفرون إليه مقانِب وكتائب وهم أولياؤه ومواليه ، فنفى عنه المآثم التي شهد عليها أهل المدينة بل وأهل الأمصار من خيرة الامة ، وهو يريد أن يقلّب عليهم ظهر المجن ، فيؤاخذ وينتقم وكأنّه نسي ذلك كلّهُ حتّى قال في كتابه إلى أهل مكّة : لا أدعى إلى توبة أقبليها ، ولا تُسمع مني حجة أقولها .

يقول له المحامي عن المدنيّين : أو لم تُدع أيّها الخليفة إلى التوبة فتبتّ على الأعواد وعلى رؤوس الأشهاد مرّة بعد أخرى ؟ لكنّهم وجدوك لا تقرّ على قرار ، ولا تستمرّ على مبدأ ، وشاهدوك تتلونّ تلونّ الجرباء^(١) فجزموا بأنّ التوبة لا تُردعك عن الأحداث ، وأنّ النزوع لا يزعك عن الخطايا ، وجئت تماطل القوم بذلك كلّهُ حتّى توافيك جيوشك فتهلك الحرث والنسل ، وتمكن من أهل دار الهجرة مثل يزيد بن كرز الذي يقول : لو دخلت المدينة وعثمان حيّ ما تركت بها محتلماً إلّا قتلته . الخ . . .

عرف القوم أيّها الخليفة نواياك السيّئة فيهم ، وعرفوا إنحرافك عن الطريقة المثلى بإبعاد مروان إياك عنها كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخاطبك : أمّا رضيت من مروان ولا رضي منك إلّا بتحرفك عن دينك وعن عقلك ؟ وإنّ مثلك مثل الطعينة يُقاد حيث يُسار به^(٢) فنهضوا للدفع عنهم وعن بيضة الإسلام من قبل أن يقعوا بين الناب والمخلب ، فوقع ما وقع وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

ولنا هنا مناقشة أخرى في حساب الخليفة فنقول له : ما بالك تكرّر أيّها الخليفة قولك عن الخلافة : إنّها رداء الله الذي كساني . أو أنّها قميص سربليسيه

(١) الحرباء : ضرب من الزحافات تتلون في الشمس ألواناً مختلفة ، يضرب بها المثل في التقلب .

(٢) راجع ما مرّ في صفحة ٢٠٥ ، ٢٠٦ من هذا الجزء .

الله . أو ما يماثل ذلك ؟ تطفح به كتبك أو يطفو على خطبتك ، ويلوكها فمك بين كلمك ، كأنك قد حفظتها كلمة ناجعة لدينك ودنياك ، واتخذتها ورداً لك كأنك تحاذر في تركها النسيان غير أنه عزب عنك محاسبة من تخاطبهم بها إياك ، فما جواب قومك إن قالوا لك ؟ متى سربلك الله بهذا القميص ؟ وقد مات من سربلك ، وانقلب عليك بعد قبل موته وعددته لذلك منافقاً ، وأوصى أن لا تُصلي عليه أنت ، وكان يقول لعلّي أمير المؤمنين خذ سيفك وأخذ سيفي إنه قد خالف ما أعطاني ، وكان يحث الناس عليك ويقول : عاجلوه قبل أن يتمادى في ملكه ، وحلف أن لا يكلمك أبداً ، وقد دخلت عليه عائداً في مرضه فتحول إلى الحائط ولم يكلمك^(١) وهاجرك إلى آخر نفس لفظه . وتبعه على خلافك الباكون من أهل الشورى .

وكلنا نحسب أن نصب الخليفة لا يجب على الله سبحانه إن كنا مقتفين أثر الشيخين وإنما هو مفوض إلى الأمة تختار عليها من شاءت ، وإن حدنا في ذلك من قول الله تعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾^(٢) ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مَوْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(٣) وعن نصوص النبي الأعظم وقد مرّ شرط منها في غضون أجزاء كتابنا هذا .

فهل ترى أيها الخليفة أنه كان يجب على الله سبحانه أن يمضي خيرة الأمة ؟ أكان في رأي الجليل إعواز في تقييض الإمام بنفسه حتى ينتظر في ذلك مشتبك آراء الأمة أو مرتبك أهوائهم فيمضي ما ارتأوه ؟ وبهذه المناسبة تنسب ذلك السربال إليه ؟ لا أظنك أيها الخليفة يسعك أن تقرّ ما استفهمناه ، غير أن آخر دعواك بعد العجز عن الجواب : لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله .

وعلى كلّ لقد أوقفنا موقف الحيرة في أمر هذا السربال ومن حاكه والنول الذي جيّك عليه ، فقد وجدنا أول الخلفاء تسربله بانتخاب غير دستوري ، بانتخاب

(١) راجع ما مرّ في هذا الجزء من حديث عبد الرحمن بن عوف ص ١١١ - ١١٦ .

(٢) سورة ؛ القصص الآية : ٦٧ .

(٣) سورة ؛ الاحزاب الآية : ٣٦ .

جرّ الولايات على الأمة حتّى اليوم ، بانتخاب سوّد صحيفة التاريخ وشوّه سمعة السلف ، وقد تقمّمه ابن أبي قحافة وهو يعلم أنّ في الأمة من محلّه من الخلافة محلّ القطب من الرّحى ، ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير ، كما قاله مولانا أمير المؤمنين ثمّ مضى الأوّل لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطّاب بعده ، فيا عجباً يستقبلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته^(١) فتقمّمه الثاني بالنصّ ممّن قبله وهو يعلم أنّ في الأمة من هو أولى منه كما قال مولانا أمير المؤمنين^(٢) وسربك إياه أيّها الخليفة عبدالرحمن بن عوف وفي لسانه قوله لعليّ : بايع وإلاّ ضربت عنقك ، ولم يكن مع أحد يومئذ سيف غيره ، فخرج عليّ مغضباً فلحقه أصحاب الشورى قائلين : بايع وإلاّ جاهدناك^(٣) . فأبى من هذه السرايل منسوج بيد الحقّ حتّى يصحّ عزوه إليه سبحانه ؟ ولهذا البحث ذيولٌ ضافية حولها أبحاثٌ مترامية الأطراف ، حول خلافة الخلفاء من بني أميّة وغيرهم يشبه بعضها بعضاً ، ولعلّك في غنى عن التبسّط في ذلك والإسترسال حول توثبهم على عرش الإمامة .

نعم : الخلافة التي يصحّ فيها أن يقال : إنّها سربالٌ من الله سبحانه ، هي التي قيّض صاحبها المولى جلّت قدرته ، وبلغ عنه نبيّه الأمين عليه السلام ، هي التي أخبر بها النبيّ الأعظم من أوّل يومه فقال : إنّ الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء^(٤) فهي إمرةٌ إلهيّة لا تتمّ إلاّ بالنصّ وليس لصاحبها أن ينزعها ، هي التي قرنت بولاية الله ورسوله في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٥) وهي التي أكمل الله بها الدّين وأتمّ بها النعمة^(٦) وشتان بينها وبين رجال الانتخاب وإن كان دستورياً ؟

وأما ما ارتآه المتجمهرون وعبثت به الميول والشهوات ، فهي سلطةٌ عاديةٌ

(١) راجع ما أسلفناه في الجزء السابع ص ٩٨

(٢) يأتي حديثه بلفظه .

(٣) الأنساب للبلاذري ج ٥ ص ٢٢ .

(٤) مرّ حديثه في الجزء السابع ص ١٥٥

(٥) راجع ما مضى في الجزء الثاني ص ٤٧ ، والجزء الثالث ص ١٩٨ - ٢١٢

(٦) راجع الجزء الاول من كتابنا هذا ص ٢٧٥ - ٢٨٥

يفوز بها المتغلبون ، ويبد الأُمَّة حلّها وعقدّها ، والغاية منها عند من يحذو حذو الخليفة في جملة من الصولات كلاءة الثغور ، واقتصاص القاتل ، وقطع المتلصص ، إلى آخر ما مرّ تفصيله في الجزء السابع صفحة ١٥٢ - ١٧٣ وليس في عهدة المتسلّ على عرشه تبليغ الأحكام ، وترويض النفوس ، وتهذيب الأخلاق ، وتعليم الملكات الفاضلة ، وتربية الملاء في عالم النشور والإرتقاء ، فإنّ تلکم الغايات في تلکم السلطات تحصل بمن هو خلّو عن ذلك كلّ كما شوهد فيمن فاز بها عن غير نصّ إلهي .

يوم الدار والقتال فيها :

أخرج ابن سعد في طبقاته ج ٥ ص ٢٥ / ط ليدن من طريق أبي حفصة مولى مروان قال : خرج مروان بن الحكم يومئذ يرتجز ويقول : مَنْ يبارز؟ فبرز إليه عروة بن شبيب بن البياح الليثي فضربه على قفاه بالسيف فخرّ لوجهه فقام إليه عبيد بن رفاعه بن رافع الزرقبي بسكين معه ليقطع رأسه فقامت إليه أمّه التي أرضعته وهي فاطمة الثقفيّة وهي جدّة ابراهيم بن العربيّ صاحب اليمامة فقالت : إن كنت تريد قتله ، فقد قتلت ، فما تصنع بلحمه أن تبضعه ؟ فاستحي عبيد بن رفاعه منها فتركه .

وروى عن عيَّاش بن عبَّاس قال : حدّثني من حضر ابن البياح يومئذ يبارز مروان بن الحكم : فكأنني أنظر إلى قبائه قد أدخل طرفيه في منطقتة وتحت القباء الدرّ ، فضرب مروان على قفاه ضربة فقطع علابي رقبته ووقع لوجهه فأرادوا أن يذففوا عليه فقبل : تبضعون اللحم ؟ فترك .

وأخرج البلاذري من طريق خالد بن حرب قال : لجأ بنو أميّة يوم قتل عثمان إلى أمّ حبيبة^(١) فجعلت آل العاص وآل أبي العاص وآل أسيد في كندوج^(٢) وجعلت سائرهم في مكان آخر ، ونظر معاوية يوماً إلى عمرو بن سعيد يختال في

(١) زوجة رسول الله ﷺ .

(٢) كندوج : شبه المخزن في البيت .

يوم الدار والقتال فيه ٢٣١

مشيته فقال : بأبي وأمي أم حبيبة ، ما كان أعلمها بهذا الحيّ حين جعلتك في كندوج ؟ .

قال : ومشى الناس إلى عثمان وتسَلَّقوا عليه من دار بني حزم الأنصاري ، فقاتل دونه ثلاثة من قريش : عبدالله بن وهب بن زمعة بن الأسود^(١) . وعبدالله بن عوف بن السَّبَّاق^(٢) . وعبدالله^(٣) بن عبد الرَّحْمَن بن العوام ، وكان عبدالله بن عبد الرَّحْمَن بن العوام يقول : يا عباد الله ! بيننا وبينكم كتاب الله . فشَدَّ عليه عبد الرَّحْمَن بن عبدالله الجمحي وهو يقول :

لأضربنَّ اليوم بالقِرْضابِ بقية الكفار والأحزاب
ضرب امرئ ليس بذئيرٍ أنت تدعوننا إلى الكتاب ؟
نبذته في سائر الأحقاب

فقتله ، وشَدَّ جماعةً من الناس على عبدالله بن وهب بن زمعة ، وعبدالله بن عوف بن السَّبَّاق ، فقتلوهما في جانب الدار .

جاء مالك الأشتر حتَّى انتهى إلى عثمان فلم ير عنده أحداً فرجع فقال له مسلم بن كريب القابضي من همدان : أيا أشتر ! دعوتنا إلى قتل رجل فأجبتك حتَّى إذا نظرت إليه نكصت عنه على عقبك . فقال له الأشتر : لله أبوك أما تراه ليس له مانع ولا عنه وازع ؟ فلمَّا ذهب لينصرف قال ناتل مولى عثمان : واثكله هذا والله الأشتر الذي سَعَّر البلاد كلّها على أمير المؤمنين ، قتلني الله إن لم أقتله . فشَدَّ في أثره فصاح به عمرو بن عبيد الحارثي من همدان : وراءك الرجل يا أشتر ! فالتفت الأشتر إلى ناتل فضربه بالسيف فأطار يده اليسرى ونادى الأشتر : يا عمرو بن عبيد إليك الرجل فاتبع عمرو ناتلاً فقتله .

-
- (١) قال ابن الأثير في أسد الغابة ج ٣ ص ٢٧٣ ، قتل يوم الجمل أو يوم الدار وقال ابن حجر في الإصابة ج ٢ ص ٣٨١ : قتل يوم الدار .
- (٢) هو عبد الله بن أبي مرة «أبي ميسرة» العبدي قتل مع عثمان كما في الإستيعاب ج ٢ ص ٣ ، والإصابة ج ٢ ص ٣٦٧ .
- (٣) ذكر أبو عمر في الإستيعاب وابن الأثير في أسد الغابة في ترجمة عبد الرَّحْمَن ، وابن حجر في الإصابة ج ٢ ص ٤١٥ : إنّه ممَّن قتل يوم الدار .

وقال مروان في يوم الدار :

وما قلت يوم الدار للقوم : حاجزوا رويداً ولا اختاروا الحياة على القتل
ولكنني قد قلت للقوم : قاتلوا بأسيا فكم لا يوصلن إلى الكهل

وفي رواية أبي مخنف : تهيأ مروان وعدة معه للقتال فنهاهم عثمان فلم يقبلوا
منه وحملوا على من دخل الدار فأخرجوهم . ورُمي عثمان بالحجارة من دار بني
حزم بن زيد الأنصاري ونادوا : لسنا نرميك ، الله يرميك ، فقال : لو رماني الله لم
يخطأني ، وشد المغيرة بن الأحنس بالسيف وهو يقول :

قد علمت جارية عطبول لها وشاح ولها جديل
أنني لمن حاربت ذو تنكيل

فشد عليه رفاعه بن رافع وهو يقول :

قد علمت خوذ صحوب للذيل ترخي قروناً مثل أذنان الخيل
أن لقرني في الوغى مني الويل

فضربه على رأسه بالسيف فقتله . ويقال : بل قتله رجل من عرض الناس ،
وخرج مروان بن الحكم وهو يقول :

قد علمت ذات القرون الميل والكف والأنامل الطفول
أنني أروع أول الرعيل

ثم ضرب عن يمينه وشماله فحمل عليه الحجاج بن غزية وهو يقول :

قد علمت بيضاء حسناء الطلل واضحة اللبتين قعساء الكفل
أنني غداة الروع مقدام بطل

فضربه على عنقه بالسيف فلم يقطع سيفه وخر مروان لوجهه وجاءت فاطمة
بنت شريك الأنصارية من بلي - وهي أم ابراهيم بن عربي الكناني الذي كان
عبد الملك بن مروان ولأه اليمامة وهي التي كانت ربّت مروان - فقامت على رأسه

يوم الدار والقتال فيه ٢٣٣

ثمَّ أمرت به فحمل ، وأدخل بيتاً فيه كُنة^(١) وشدَّ عامر بن بكير الكناني وهو بدرى على سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية فضربه بالسيف على رأسه ، وقامت نائلة بنت الفرافصة على رأسه ثمَّ احتملته فأدخلته بيتاً وأغلقت بابه^(٢) .

وفي رواية الطبري من طريق أبي حفصة مولى مروان : لَمَّا حُصِر عثمان رضي الله عنه شَمَرَتْ معه بنو أمية ، ودخل معه مروان الدار فكنّت معه في الدار ، فأنا والله أنشبت القتال بين الناس رميت من فوق الدار رجلاً من أسلم فقتلته وهو نيار الأسلمي فنشب القتال ، ثمَّ نزلت فاقتتل الناس على الباب ، فأرسلوا إلى عثمان أن أمكنّا من قاتله قال : والله ما أعرف له قاتلاً فباتوا ينحرفون علينا ليلة الجمعة بمثل النيران ، فلَمَّا أصبحوا غدوا فأول من طلع علينا كنانة بن عتاب في يده شعلة من نار على ظهر سطوحنا قد فتح له من دار آل حزم ، ثمَّ دخلت الشعلة على أثره تُنضح بالنفط فقاتلناهم ساعة على الخشب وقد اضطرم الخشب ، فأسمع عثمان يقول لأصحابه : ما بعد الحريق شيء قد احترق الخشب واحترقت الأبواب ومن كانت لي عليه طاعة فليمسك داره ، ثمَّ قال لمروان : إجلس فلا تخرج . فعصاه مروان فقال : والله لا تُقتل ولا يُخلص إليك وأنا أسمع الصوت ثمَّ خرج إلى الناس فقلت : ما لمولاي مترك . فخرجت معه أذب عنه ونحن قليل فأسمع مروان يقول :

قد علمت ذات القرون الميل . والكف والأنامل الطفول
أنني أروع أول الرعيل . بفارِهِ مثل قطا الشليل

وقال أبو بكر بن الحارث : كأنني أنظر إلى عبد الرحمن بن عديس البلوي وهو مسندٌ ظهره إلى مسجد نبي الله ﷺ وعثمان محصورٌ فخرج مروان فقال : مَنْ يبارز ؟ فقال عبد الرحمن بن عديس لفلان بن عروة^(٣) : قم إلى هذا الرجل . فقام

(١) كنة بالضم : جناح يخرج من الحائط . والسقيفة تشع فوق باب الدار : وقيل : هو مخدع أو رف يشرع في البيت .

(٢) الأنساب ج ٥ ص ٧٨ - ٨١ .

(٣) لعل الصحيح : عروة بن شبيب البياح الليثي كما جاء في رواية الطبري في تاريخه ج ٥ ص ١٣٣ ومَرَّ في ص ٢٣٠ من رواية ابن سعد في طبقاته .

٢٣٤ الغدير ج - ٩

إليه غلامٌ شابٌّ طوال فأخذ رفيف الدرع فغرز في منطقته فأعور له عن ساقه فأهوى له مروان وضربه ابن عروة على عنقه ، فكأنني أنظر إليه حين استدار وقام إليه عبيد بن رفاعه الزرقى ليدفد عليه (إلى آخر ما مر عن ابن سعد) .

ومن طريق حسين بن عيسى عن أبيه قال : لَمَّا مضت أيام التشريق أطافوا بدار عثمان رضي الله عنه ، وأبى إلا الإقامة على أمره ، وأرسل إلى حشمه وخاصته فجمعهم فقام رجلٌ من أصحاب النبي ﷺ يقال له : نيار بن عياض وكان شيخاً كبيراً فنادى : يا عثمان ! فأشرف عليه من أعلى داره فناشده الله وذكره الله لما اعتزلهم ، فبينما هو يراجع الكلام إذ رماه رجلٌ من أصحاب عثمان فقتله بسهم ، وزعموا أنَّ الذي رماه كثير بن الصلت الكندي ، فقالوا لعثمان عند ذلك : إُدفع إلينا قاتل نيار بن عياض فلنقتله به . فقال : لم أكن لأقتل رجلاً نصرني وأنتم تريدون قتلي ، فلمَّا رأوا ذلك ثاروا إلى بابه فأحرقوه ، وخرج عليهم مروان بن الحكم من دار عثمان في عصابة ، وخرج سعيد بن العاص في عصابة ، وخرج المغيرة بن الأحنس الثقفي في عصابة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكان الذي حداهم على القتال أنه بلغهم أنَّ مدداً من أهل البصرة قد نزلوا صراراً وهي من المدينة على ليلة ، وأنَّ أهل الشام قد توجهوا مقبلين فقاتلوهم قتالاً شديداً على باب الدار فحمل المغيرة بن الأحنس الثقفي على القوم وهو يقول مرتجزاً :

قد علمت جاريةً عطبولُ لها وشاحٌ ولها حُجول
أنِّي بنصل السيف حنشليل

فحمل عليه عبدالله بن بُديل بن ورقاء الخزاعي وهو يقول :

إن تكُ بالسيف كما تقولُ فاثبت لِقَرْنِ ماجدٍ يصول
بمشرفيَّ حُدُّه مصقول

فضربه عبدالله فقتله ، وحمل رفاعه بن رافع الأنصاري ثمَّ الزُّرقى على مروان ابن الحكم فضربه فصرعه فنزع عنه وهو يرى أنَّه قد قتله ، وجرح عبدالله بن الزبير جراحات وانهزم القوم حتى لجأوا إلى القصر فاعتصموا ببابه فاقتتلوا عليه قتالاً

يوم الدار والقتال فيه ٢٣٥

شديداً فقتل في المعركة على الباب زياد بن نعيم الفهري^(١) في ناس من أصحاب عثمان فلم يزل الناس يقتتلون حتى فتح عمرو بن حزم الأنصاري باب داره وهو إلى جنب دار عثمان بن عفان ثم نادى الناس ، فأقبلوا عليهم من داره فقاتلوهم في جوف الدار حتى انهزموا وخلى لهم عن باب الدار فخرجوا هرباً في طرق المدينة ، وبقي عثمان في أناس من أهل بيته وأصحابه فقتلوا معه وقتل عثمان رضي الله عنه^(٢) .

وفرَّ خالد بن عقبة بن أبي معيط أخو الوليد يوم الدار ، وإليه أشار عبدالرحمن بن سيحان^(٣) بقوله :

يلوموني إن جلت في الدار حاسراً وقد فرَّ منها خالد وهو دارع^(٤)
فإن كان نادى دعوةً فسمعتها فشلت يدي واستكَّ مني المسامع
فقال خالد :

لعمري لقد أبصرتهم فتركهم بعينك إذ ممشاك في الدار واسع^(٥)

وقال أبو عمر : قتل المغيرة بن الأخنس يوم الدار مع عثمان رحمه الله وله يوم الدار أخبار كثيرة ، ومنها : أنه قال لعثمان حين أحرقوا بابه : والله لا قال الناس عنا إننا خذلناك وخرج بسيفه وهو يقول :

لمّا تهدّمت الأبواب واحترقت يُمّت منهنّ باباً غير محترق
حقّاً أقول لعبدالله أمره إن لم تقاتل لدى عثمان فانطلق
والله لا أتركه ما دام بي رمق حتّى يزايل بين الراس والعنق
هو الإمام فلست اليوم خاذله إنّ الفرار عليّ اليوم كالسرق

(١) عدّه من قتلى يوم الدار أبو عمر في الاستيعاب وابن حجر في الإصابة .

(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٢٢ ، ١٢٥ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٧٣ ، ٧٤ .

(٣) كذا في الانساب وفي الاستيعاب والإصابة : أضر بن سحبان .

(٤) في الانساب للبلاذري :

يلوموني في الدار إن غبت عنهم وقد فرَّ عنهم خالد وهو دارع

(٥) الأنساب ج ٥ ص ١١٧ ، الاستيعاب ج ١ ص ١٥٥ ، الإصابة ج ١ ص ١٠٣ ، ٤١٠ .

٢٣٦ الغدير ج - ٩

وحمل على الناس فضربه رجلٌ على ساقه فقطعها ثم قتل . فقال رجلٌ من بني زهرة لطلحة بن عبيد الله : قُتل المغيرة بن الأخنس . فقال : قُتل سيّد حلفاء قريش . راجع «الإستيعاب» ترجمة المغيرة .

وقال ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ١٨٨ : ومن أعيان من قُتل من أصحاب عثمان زياد بن نعيم الفهري ، والمغيرة بن الأخنس بن شريق ، ونيار بن عبد الله الأسلمي ، في أناس وقت المعركة .

قال الأميني : لقد حدثني إلى سرد هذه الأحاديث الدلالة بها منضمّة إلى ما سبقها من الأخبار على أنّه لم يكن مع عثمان من يدافع عنه غير الأمويين ومواليهم وحثالة ممّن كان ينسج على نولهم تجاه هياج المهاجرين والأنصار فقتل من أولئك من قُتل ، وضُمّ إليه كندوج أمّ حبيبة آخرين ، وتفرّق شذاذ منهم هاربين في أزقة المدينة ، فلم يبق إلا الرجل نفسه وأهله حتّى انتهت إليه نوبة القتل من دون أيّ مدافع عنه ، فتحفّظ على هذا فإنّه سوف ينفعل فيما يأتي من البحث عن سلسلة الموضوعات .

(لفت نظر) : عدّ نيار بن عبد الله من أصحاب عثمان كما فعله ابن كثير غلطٌ فاحشٌ دعاه إليه حيّه إكثار عدد المدافعين عن الخليفة المقتولين دونه ، وقد عرفت أنّه كان شيخاً كبيراً حضر ذلك الموقف للنصيحة والموعظة الحسنة لعثمان فقتله مولى مروان بسهم ، فشبّ به القتال ، وطولب عثمان بقاتله ليقصّ منه وامتنع عن دفعه فهاج بذلك غضب الأنصار عليه .

حديث مقتل عثمان إنّ الله وإنّا إليه راجعون :

أخرج الطبري في تاريخه وغيره من طريق يوسف بن عبد الله بن سلام قال : أشرف عثمان على الناس وهو محصورٌ وقد أحاطوا بالدار من كلّ ناحية فقال : أنشدكم بالله جلّ وعزّ هل تعلمون أنكم دعوتم الله عند مُصاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يخير لكم وأن يجمعكم على خيركم ؟ فما ظنكم بالله ؟ أتقولون لم يستجب لهم وهنتم على الله سبحانه ؟ وأنتم يومئذٍ أهل حقّه من خلقه ، وجميع امورك لم تتفرّق . أم تقولون : هان على الله دينه فلم يُبال من

حديث مقتل عثمان ٢٣٧

ولآه ؟ والدين يومئذ يُعبد به الله ولم يتفرّق أهله فتوكلوا ، أو تخذلوا وتعاقبوا ، أم تقولون : لم يكن أخذٌ عن مشورة ؟ وإنّما كابرتم مكابرة ، فوكل الله الأمة إذا عصته ، لم تشاوروا في الإمام ، ولم يجتهدوا في موضع كراهته ، أم تقولون : لم يدر الله ما عاقبة أمري ؟ فكنت في بعض أمري مُحسناً ولأهل الدين رضى فما أحدثت بعد في أمري ما يسخط الله وتسخطون ممّا لم يعلم الله سبحانه يوم اختارني وسرّبني سربال كرامته ، وأنشدكم بالله هل تعلمون لي من سابقة خير وسلف خير قدّمه الله لي ، وأشهدني من حقّه وجهاد عدوّه ؟ حقّ على كلّ من جاء من بعدي أن يعرفوا لي فضلها ، فمهلاً لا تقتلونني فإنّه لا يحلّ إلاّ قتل ثلاثة : رجل زنى بعد إحصانه أو كفر بعد إسلامه ، أو قتل نفساً بغير نفس فيقتل بها ، فإنّكم إن قتلتموني وضعتم السيف على رقابكم ثمّ لم يرفعه الله عنكم إلى يوم القيامة ، ولا تقتلونني فإنّكم إن قتلتموني لم تصلّوا من بعدي جميعاً أبداً ، ولم تقسموا بعدي فيئاً جميعاً أبداً ، ولن يرفع الله عنكم الاختلاف أبداً .

قالوا له : أمّا ما ذكرت من استخارة الله عزّ وجلّ الناس بعد عمر رضي الله عنه فيمن يولّون عليهم ثمّ ولّوك بعد استخارة الله ، فإنّ كلّ ما صنع الله الخيرة ، ولكن الله سبحانه جعل أمرك بليّة ابتلى بها عباده .

وأما ما ذكرت من قدّمك وسبقك مع رسول الله ﷺ فإنّك قد كنت ذا قدّم وسلف وكنت أهلاً للولاية ولكن بدلت بعد ذلك وأحدثت ما قد علمت .

وأما ما ذكرت ممّا يصيبنا إن نحن قتلناك من البلاء فإنّه لا ينبغي ترك إقامة الحقّ عليك مخافة الفتنة عاماً قابلاً .

وأما قولك : إنّ لا يحلّ إلاّ قتل ثلاثة ، فإنّا نجد في كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سمّيت : قتل من سعى في الأرض فساداً ، وقتل من بغى ثمّ قاتل على بغيه ، وقتل من حال دون شيء من الحقّ ومنعه ثمّ قاتل دونه وكابر عليه ، وقد بغيت ، ومنعت الحقّ وحلّت دونه وكابرت عليه ، تأبى أن تقيّد من نفسك من ظلمت عمداً ، وتمسّكت بالإمارة علينا ، وقد جُرت في حكمك وقسمك ، فإن زعمت أنّك لم تكابرنا عليه وإنّ الذين قاموا دونك ومنعوك ممّا إنّما يقاتلون بغير

٢٣٨ الغدير ج - ٩

أمركَ فإنما يقاتلون لتمسكك بالإمارة فلو أنك خلعت نفسك لانصرفوا عن القتال دونك .

قال البلاذري وغيره : لما بلغ أهل مصر ومن معهم ممن حاصر عثمان ما كتب به إلى ابن عامر ومعاوية فزادهم ذلك شدة عليه وجداً في حصاره وحرصاً على معالجته بالقتل .

وكان طلحة قد استولى على أمر الناس في الحصار ، وأمرهم بمنع من يدخل عليه والخروج من عنده ، وأن يدخل إليه الماء ، وأتت أم حبيبة بنت أبي سفيان بإداوة وقد اشتد عليه الحصار فمنعوها من الدخول فقالت : إنه كان المتولي لوصايانا وأمر أيتامنا وأنا أريد مناظرته في ذلك ، فأذنوا لها فأعطته الإداوة .

وقال جبير بن مطعم : حصر عثمان حتى كان لا يشرب إلا من فقير في داره فدخلت على عليّ فقلت : أرضيت بهذا أن يحصر ابن عمّتك حتى والله ما يشرب إلا من فقير في داره ؟ فقال : سبحان الله أو قد بلغوا به هذه الحال ؟ قلت : نعم ، فعمد إلى رويا ماء فأدخلها إليه فسقاه .

ولما وقعت الواقعة ، وقام القتال ، وقُتل في المعركة زياد بن نعيم الفهري في ناس من أصحاب عثمان ، فلم يزل الناس يقتتلون حتى فتح عمرو بن حزم الأنصاري باب داره وهو إلى جنب دار عثمان بن عفان ثم نادى الناس فأقبلوا عليهم من داره فقاتلوهم في جوف الدار حتى انهزموا وخلي لهم عن باب الدار فخرجوا هرباً في طرق المدينة وبقي عثمان في أناس من أهل بيته وأصحابه فقتلوا معه وقتل عثمان رضي الله عنه .

أخرج ابن سعد والطبري من طريق عبدالرحمن بن محمد قال : إنَّ محمد بن أبي بكر تسوّر على عثمان من دار عمرو بن حزم ومعه كنانة بن بشر بن عتاب ، وسودان بن حمران ، وعمرو بن الحمق ، فوجدوا عثمان عند امرأته نائلة وهو يقرأ في المصحف سورة البقرة فتقدمهم محمد بن أبي بكر فأخذ بلحية عثمان فقال : قد أخزأك الله يا نعثل ! فقال عثمان : لست بنعثل ، ولكن عبدالله وأمير المؤمنين . فقال محمد : ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان . فقال عثمان : يا بن أخي ! دع

حديث مقتل عثمان ٢٣٩

عنك لحيتي ، فما كان أبوك ليقبض على ما قبضت عليه فقال محمد : ما أريد بك أشد من قبضي على لحيتك . فقال عثمان : أستنصر الله عليك وأستعين به ثم طعن جبينه بمشقص^(١) في يده .

وفي لفظ البلاذري : تناول عثمان المصحف ووضعه في حجره وقال : عباد الله ! لكم ما فيه ، والعتبي ممّا تكرهون ، اللهم اشهد ، فقال محمد بن أبي بكر : الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ، ثم رفع جماعة قِداح كانت في يده فوجأ بها في خُشُشائه^(٢) حتى وقعت في أوداجه فحزّت ولم تقطع ، فقال : عباد الله ! لا تقتلوني فتندموا وتختلفوا .

وفي لفظ ابن كثير : جاء محمد بن أبي بكر في ثلاثة عشر رجلاً فأخذ بلحيته فعَالَ بها حتى سمعت وقع أضراسه فقال : ما أغنى عنك معاوية ، وما أغنى عنك ابن عامر ، وما أغنت عنك كتبك .

وفي لفظ ابن عساكر : قال محمد بن أبي بكر : على أي دين أنت يا نعثل ؟ قال : على دين الإسلام ، ولست بنعثل ولكني أمير المؤمنين . قال : غيّرت كتاب الله . فقال : كتاب الله بيني وبينكم . فتقدّم إليه وأخذ بلحيته وقال : إنا لا يُقبل منا يوم القيامة أن نقول : ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلّونا السبيل ، وشحطه بيده من البيت إلى باب الدار وهو يقول : يا بن أخي ما كان أبوك ليأخذ بلحيتي .

قال ابن سعد والطبري : ورفع كنانة بن بشر مشاقص كانت في يده فوجأ بها في أصل أذن عثمان فمضت حتى دخلت في حلقه ثم علاه السيف حتى قتله . وفي رواية ابن أبي عون : ضرب كنانة بن بشر التيجيبي جبينه ومقدّم رأسه بعمود حديد خرّ لجنبه ، قال الوليد بن عقبة أو غيره :

علاه بالعمود أخوتجيب فأوهى الرأس منه والجبين^(٣)

(١) المشقص : نصل السهم اذا كان طويلاً غير عريض .

(٢) الخششاء : العظم الدقيق العاري من الشعر الناتئ خلف الاذن .

(٣) من المستغرب جداً أنّ أبا عمر ابن عبد البر ذكر هذا البيت في «الإستيعاب» في ترجمة مولانا أمير المؤمنين بعد ذكر قتله وقال : قال شاعرهم :

علاه بالعمود أخوتجوب فأوهى الرأس منه والجبين

٢٤٠ الغدير ج - ٩

وضربه سودان بن حمران المرادي بعد ما خرّ لجنبه فقتله ، وأما عمرو بن الحمق فوثب علي عثمان فجلس علي صدره وبه رَمَقَ فطعنه تسع طعنات ، وقال : أما ثلاث منهنّ فإنّي طعنتهنّ لله ، وأما ستّ فإنّي طعنت إِيّاهنّ لِمَا كان في صدري عليه .

وأقبل عمير بن ضابئ عليه فكسر ضلعاً من أضلاعه ، وفي الإصابة : لمّا قتل عثمان وثب عمير بن ضابئ عليه فكسر ضلعين من أضلاعه . وقال المسعودي : وكان فيمن مال عليه عمير بن ضابئ البرجمي وخضخض بسيفه في بطنه . وسيوافيك حديث آخر عنه لدة هذا .

وفي لفظ الطبري وابن عبد ربّه وابن كثير : ضربوه علي رأسه ثلاث ضربات ، وطعنوه في صدره ثلاث طعنات ، وضربوه علي مقدّم العين فوق الأنف ضربة أسرع في العظم وقد أئخنوه وبه حياة وهم يريدون قطع رأسه فألقت نائلة وابنة شبيبة بن ربيعة زوجته بنفسهما عليه ، فقال ابن عديس : اتركوه . فتركوه ووطئتا وطئاً شديداً . وفي لفظ ابن كثير : في رواية : إنّ الغافقي بن حرب تقدّم إليه بعد محمّد بن أبي بكر فضربه بحديدة في فيه .

وذكر البلاذري من طريق الحسن عن وثاب وكان مع عثمان يوم الدّار وأصابته طعنتان كأنهما كيّتان قال : بعثني عثمان فدعوت الأشرّ له فقال : يا أشرّ ! ما يريد الناس منّي ؟ قال : يخيرونك أن تخلع لهم أمرهم ، أو تقصّ من نفسك وإلّا فهم قاتلوك . قال : أما الخلع فما كنت لأخلع سربالاً سربلني الله ، وأما القصاص فوالله لقد علمت أنّ صاحبيّ كانا يعاقبان ، وما يقوم بدني للقصاص ، وأما قتلي فوالله لئن قتلتموني لا تتحابون بعدي أبداً ولا تقاتلون عدوّاً جميعاً أبداً .

وقال وثاب : أصابني جراحة فأنا أنزف مرّة وأقوم مرّة ، فقال لي عثمان : هل عندك وضوء ؟ قلت : نعم فتوضّأ ثمّ أخذ المصحف فتحرمّ به من الفسقة فينا هو كذلك إذ جاء رويجل كأنه ذئب فاطّلع ثمّ رجع ، فقلنا لقد ردّهم أمرٌ ونهاهم ، فدخل محمّد بن أبي بكر حتّى جثى علي ركبتيه ، وكان عثمان حسن اللحية ، فجعل يهزّها حتّى سُمع نقيض أضراسه ثمّ قال : ما أغنى عنك معاوية ، ما أغنى عنك ابن عامر ، فقال : يا ابن أخي ! مهلاً فوالله ما كان أبوك ليجلس منّي هذا

تجهيز الخليفة ودفنه ٢٤١

المجلس ، قال : فأشعره وتعاونوا عليه فقتلوه .
وأخرج من طريق ابن سيرين قال : جاء ابنُ بديل إلى عثمان - وكان بينهما
شحناء - ومعه السيف وهو يقول : لأقتلنه ، فقالت له جارية عثمان : لأنت أهون
على الله من ذلك ، فدخل على عثمان فضربه ضربة لا أدري ما أخذت منه .

راجع طبقات ابن سعد ط ليدن ج ٣ ص ٥١ ، أنساب البلاذري ج ٥ ص ٧٢ ،
٨٢ ، ٨٣ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ٩٨ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٣٩ ، تاريخ الطبري ج ٥
ص ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٠ ، مروج الذهب ج ١
ص ٤٤٢ ، الإستيعاب ج ٢ ص ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، تاريخ ابن عساکر ج ٤ ص ٣٧٢ ،
الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٧٢ ، ٧٥ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٦ ، ١٦٨ ،
تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٤٠١ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٧٠ ، تاريخ ابن كثير
ج ٧ ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٥٤ ، مجمع
الزوائد ج ٧ ص ٢٣٢ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٣ ، السيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٥ ،
الإصابة ج ٢ ص ٢١٥ ، إزالة الخفاء ج ٢ ص ٢٣٩ - ٢٤٢ .

تجهيز الخليفة ودفنه

أخرج الطبري من طريق أبي بشير العابدي قال : بُد عثمان رضي الله عنه
ثلاثة أيام لا يُدفن ، ثم إنَّ حكيم بن حزام القرشي ثمَّ أحد بني أسد بن
عبد العزى ، وجُبير بن مطعم كلَّما علياً في دفنه وطلبوا إليه أن يأذن لأهله في
ذلك ، ففعل وأذن لهم عليٌّ ، فلما سُمع بذلك قعدوا له في الطريق بالحجارة ،
وخرج به ناسٌ يسيرون من أهله وهم يريدون به حائطاً بالمدينة يُقال له : حُشٌّ
كوكب^(١) كانت اليهود تدفن فيه موتاهم ، فلما خرج به على الناس رجموا سريره
وهمَّوا بطرحه ، فبلغ ذلك علياً ، فأرسل إليهم يعزم عليهم ليكفَّن عنه ، ففعلوا
فانطلق به حتَّى دفن رضي الله عنه في حشٍّ كوكب ، فلما ظهر معاوية بن أبي
سفيان على الناس أمر بهدم ذلك الحائط حتَّى أفضى به إلى البقيع ، فأمر الناس أن
يدفنوا موتاهم حول قبره حتَّى اتَّصل ذلك بمقابر المسلمين .

(١) قال أبو عمر في «الإستيعاب» وياقوت في «المعجم» والمحب الطبري في «الرياض» : كوكب
رجل من الأنصار ، والحش : البستان .

٢٤٢ الغدير ج - ٩

ومن طريق أبي كرب - وكان عاملاً على بيت مال عثمان - قال : دُفن عثمان رضي الله عنه بين المغرب والعتمة ولم يشهد جنازته إلا مروان بن الحكم وثلاثة من مواليه وابنته الخامسة فناحت ابنته ورفعت صوتها تندبه ، وأخذ الناس الحجارة وقالوا : نعثل نعثل ، وكادت تُرجم ، فقالوا : الحائط الحائط ، فدفن في حائطٍ خارجاً .

ومن طريق عبد الله بن ساعدة قال : لبث عثمان بعدما قتل ليلتين لا يستطيعون دفنه ثم حمّله أربعة : حكيم بن حزام ، وجبير بن مطعم ، ونيار بن مكرم ، وأبو جهم بن حذيفة . فلما وُضع ليصلي عليه جاء نفرٌ من الصحابة يمنعونهم الصلوة عليه فيهم : أسلم بن أوس بن بجرة الساعدي ، وأبو حية المازني في عدّة ومنعوه أن يُدفن بالبقيع فقال أبو جهم : ادفنوه فقد صلى الله عليه وملائكته ، فقالوا : لا والله لا يُدفن في مقابر المسلمين أبداً ، فدفنوه في حشٍّ كوكب ، فلما ملكت بنو أمية أدخلوا ذلك الحشّ في البقيع ، فهو اليوم مقبرة بني أمية .

ومن طريق عبد الله بن موسى المخزومي قال : لما قُتل عثمان رضي الله عنه أرادوا حَزَّ رأسه فوقعت عليه نائلة وأمّ البنين فمنعهم وصحن وضربن الوجوه وخرقن ثيابهنّ ، فقال ابن عديس : اتركوه ، فأخرج عثمان ولم يُغسل إلى البقيع ، وأرادوا أن يصلّوا عليه في موضع الجنائز فأبّت الأنصار ، وأقبل عمير بن ضابئ وعثمان موضوعٌ على باب فنزا عليه فكسر ضلعاً من أضلاعه وقال : سجنّت ضابئاً حتّى مات في السجن .

وأخرج ابن سعد والطبري من طريق مالك بن أبي عامر قال : كنت أحدَ حملة عثمان رضي الله عنه حين قُتل ، حملناه على باب وإنّ رأسه لتقرع الباب لإسراعنا به ، وإنّ بنا من الخوف لأمرأً عظيماً حتّى واريناه في قبره في حشٍّ كوكب .

وأخرج البلاذري من رواية أبي مخنف : إنّ عثمان رضي الله عنه قُتل يوم الجمعة فترك في داره قتيلاً ، فجاء جبير بن مطعم ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ،

٢٤٣ تجهيز الخليفة ودفنه

ومسور بن مخزومة الزهري ، وأبو الجهم بن حذيفة العدوي ليصلوا عليه ويجنوه ، فجاء رجال من الأنصار فقالوا : لا ندعكم تصلون عليه ، فقال أبو الجهم ، ألا تدعوننا نصلي عليه ؟ فقد صلت عليه الملائكة ، فقال الحجاج بن عزيّة : إن كنت كاذباً فأدخلك الله مدخله . قال : نعم حشرنى الله معه ، قال ابن عزيّة : إن الله حاشرك معه ومع الشيطان ، والله إن ترك إلحاقك به لخطأ وعجز . فسكت أبو الجهم ، ثم إن القوم أغفلوا أمر عثمان وشغلوا عنه ، فعاد هؤلاء نفر فصلوا عليه ودفنوه ، وأمهم جبير بن مطعم وحملت أم البنين بنت عيينة بن حصن امرأة عثمان لهم السراج ، وحمل على باب صغير من جريد قد خرجت عنه رجلاه وأخرج حديث منع الصلاة عليه أبو عمر في «الإستيعاب» من طريق هشام بن عروة عن أبيه .

وقال : إنه لقيهم قوم من الأنصار فقاتلوهم حتى طرحوه ، ثم توطأ عمير بن ضابئة بن الحارث بن أوطاة التميمي ثم البرجمي بطنه ، وجعل يقول : ما رأيت كافراً ألين بطناً منه ، وكان أشد الناس على عثمان ، فكان يقول يومئذ : أرني ضابئاً ، أحي لي ضابئاً ليرى ما عليه عثمان من الحال . وقال ابن قتيبة في الشعر والشعراء ص ١٢٨ : جاء عمير بن ضابئة حتى رفعه برجله .

قال البلاذري : ودفن عثمان في حش كوكب وهو نخل لرجل قديم يُقال له : كوكب ، ثم أقبل الناس حين دُفن إلى عليّ فبايعوه وأرادوا دفن عثمان بالبقيع فمنعهم من ذلك قوم فيهم أسلم بن بجرة الساعدي ، ويُقال : جبلة بن عمرو الساعدي ، وقال ابن دأب : صلى عليه مسور بن مخزومة .

وقال المدائني عن الوقاصي عن الزهري : امتنعوا من دفن عثمان فوقفت أم حبيبة بباب المسجد ثم قالت : لتخلن بيننا وبين دفن هذا الرجل أو لأكشفن ستر رسول الله فخلوا بينهم وبين دفنه .

وأخرج من طريق أبي الزناد قال : خرجت نائلة امرأة عثمان ليلة دُفن ومعهما سراج وقد شقت جيها وهي تصيح : واعثماناه ، وا أمير المؤمنيناه ، فقال لها جبير بن مطعم : اطفئي السراج فقد ترين من الباب ، فأطفأت السراج وانتهوا إلى

البقيع ، فصلّى عليه جُبَيْر وخلفه حكيم بن حزام ، وأبو جهم ، ونيار بن مكرم ، ونائلة وأم البنين امرأتاه ونزل في حفرته نيار وأبو جهم وجُبَيْر ، وكان حكيم والامراتان يُدْلُونَهُ عَلَى الرّجال حتّى قُبِرَ وبني عليه وغموا قبره وتفرّقوا . وفي لفظ أبي عمر : فلمّا دفنوه غيّبوا قبره ، وذكره السّمهودي في وفاء الوفاء ج ٢ ص ٩٩ من طريق ابن شبة عن الزهري .

وأخرج ابن الجوزي والمحّب الطبري والهيثمي من طريق عبد الله بن فروخ قال : شهدت عثمان بن عفان دفن في ثيابه بدمائه ولم يُغسَل . وقال المحّب : خرّجه البخاري والبخوي في معجمه . وذكر ابن الأثير في «الكامل» وابن أبي الحديد في الشرح أنّه لم يُغسَل وكفن في ثيابه .

وأخرج أبو عمر في «الإستيعاب» من طريق مالك قال : لمّا قُتل عثمان رضي الله عنه أُلقي على المذبة ثلاثة أيّام فلمّا كان من الليل أتاه اثنا عشر رجلاً^(١) فيهم حويطب بن عبد العزى ، وحكيم بن حزام ، وعبد الله بن الزبير فاحتملوه فلمّا صاروا به إلى المقبرة ليدفنوه ناداهم قومٌ من بني مازن : والله لئن دفتّموه ههنا لنخبرنّ الناس غداً . فاحتملوه وكان على باب وإنّ رأسه على الباب ليقول : طق طق ، حتّى صاروا به إلى حشّ كوكب فاحتفروا له وكانت عائشة بنت عثمان رضي الله عنهما معها مصباحٌ في جرّة ، فلمّا أخرجوه ليدفنوه صاحت فقال لها ابن الزبير : والله لئن لم تسكتي لأضربنّ الذي فيه عيناك فسكتت فدفن .

وذكره المحّب الطبري في «الرياض» نقلاً عن القلعي ، وذكر عن الخجندي أنّه أقام في حشّ كوكب ثلاثاً مطروحاً لا يصلّى عليه .

وذكر الصفدي في تمام المتون ص ٧٩ عن مالك أنّ عثمان أُلقي على المذبة ثلاثة أيّام .

وقال اليعقوبي : أقام ثلاثاً لم يُدفن وحضر دفنه حكيم ، وجُبَيْر ، وحويطب ،

(١) أحاديث الباب مطلقة على أن الذين تولوا اجنانه كانوا أربعة . وقال المحّب الطبري وقد قيل : إن الذين تولوا تجهيزه كانوا خمسة أو ستة . أربعة رجال وامراتان نائلة وام البنين .

تجهيز الخليفة ودفنه ٢٤٥

وعمر بن عثمان ابنه ، ودُفن ليلاً في موضع يُعرف بحشّ كوكب ، وصلى عليه هؤلاء الأربعة وقيل : لم يصل عليه ، وقيل : أحد الأربعة صلى عليه ، فدفن بغير صلاة .

وقال ابن قتيبة : ذكروا أنَّ عبد الرَّحْمَنِ بن الأزهر قال : لم أكن دخلت في شيء من أمر عثمان لا عليه ولا له ، فإني لجالس بفناء داري ليلاً بعدما قتل عثمان بليلة إذ جاءني المنذر بن الزبير فقال : إن أخي يدعوك فقمته إليه فقال لي : إنا أردنا أن ندفن عثمان فهل لك ؟ قلت : والله ما دخلت في شيء من شأنه وما أريد ذلك ، فانصرفت عنه ثم أتبعته ، فإذا هو في نفر فيهم جبير بن مطعم ، وأبو الجهم ، والمسور ، وعبد الرَّحْمَنِ بن أبي بكر ، وعبد الله بن الزبير فاحتملوه على باب وإن رأسه ليقول : طق طق ، فوضعه في موضع الجنائز فقام إليهم رجال من الأنصار فقالوا لهم : لا والله لا تصلّون عليه ، فقال أبو الجهم : ألا تدعون نصلي عليه ؟ فقد صلى الله تعالى عليه وملائكته . فقال له رجل منهم : إن كنت كاذباً فأدخلك الله مدخله ، فقال له : حشرنى الله معه فقال له : إن الله حاشرك مع الشياطين ، والله إن تركناكم به لعجز منا . فقال القوم لأبي الجهم : أسكت عنهم وكفّ فسكت . فاحتملوه ثم انطلقوا مسرعين كأنني أسمع وقع رأسه على اللوح حتى وضعوه في أدنى البقيع فأتاهم جيلة بن عمرو الساعدي من الأنصار فقال : لا والله لا تدفنوه في بقيع رسول الله ولا نترككم تصلّون عليه ، فقال أبو الجهم : إنطلقوا بنا إن لم نصل عليه فقد صلى الله عليه ، فخرجوا ومعهم عائشة بنت عثمان معها مصباح في حق حتى إذا أتوا به جسر^(١) كوكب حفروا له حفرة ثم قاموا يصلّون عليه وأمهم جبير بن مطعم ، ثم دلوه في حفرة فلما رأته ابنته صاحت فقال ابن الزبير : والله لئن لم تسكتي لأضربن الذي فيه عينيك فدفنوه ، ولم يلحدوه بلبن وحثوا عليه التراب حثوا .

وقال ياقوت الحموي : لما قتل عثمان أُلقي في حشّ كوكب ثم دفن في

جنبه .

(١) كذا في النسخة ، والصحيح : حش .

وذكر ابن كثير بعض ما أسلفناه نقلًا عن البلاذري فقال : ثم أخرجوا بعبيد عثمان اللذين قتلا في الدار وهما : صبيح ونجيج رضي الله عنهما فدفنا إلى جانبه بحش كوكب ، وقيل : إن الخوارج لم يمتكنا من دفنهما ، بل جرّوهما بأرجلهما حتى ألقوهما بالبلاط^(١) فأكلتهما الكلاب ، وقد اعتنى معاوية في أيام إمارته بقبر عثمان ، ورفع الجدار بينه وبين البقيع وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حوله .

وذكر الحلبي في السيرة عن ابن ماجشون عن مالك : إن عثمان بعد قتله أُلقي على المزبلة ثلاثة أيام ، وقيل ، أُغلق عليه بابه بعد قتله ثلاثة أيام ، لا يستطيع أحد أن يدفنه (إلى آخر ما مر من حديث مالك) ولما دفنوه عفوا قبره خوفاً عليه أن يُنْبش ، وأما غلاماه اللذان قتلا معه فجرّوهما برجليهما وألقوهما على التلال فأكلتهما الكلاب .

وذكر ابن أبي الحديد وابن الأثير والدميري أنه أقام ثلاثة أيام لم يُدفن ولم يصلّ عليه ، وقيل لم يغسل ولم يكفن ، وقيل : صلّى عليه جبير بم مطعم ودُفن ليلاً .

وذكر السهودي في وفاء الوفا عن عثمان بن محمد الأخنسي عن أمّ حكيمة قالت : كنت مع الأربعة الذين دفنوا عثمان بن عفان : جبير ، حكيم ، أبو جهم ، نيار الأسلمي وحملوه على باب أسمع قرع رأسه على الباب كأنه دابة ويقول : دب دب . حتى جاؤوا به حش كوكب فدفن به ثم هدم عليه الجدار وُصِّلِي عليه هناك .

طبقات ابن سعد ط ليدن ج ٣ ص ٥٥ : أنساب البلاذري ص ٨٣ ، ٨٦ ، ٩٩ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٤٠ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٤٣ ، ١٤٤ ، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٥٣ ، الإستيعاب ج ٢ ص ٤٧٨ ، ٤٧٩ صفة الصفوة ج ١ ص ١١٧ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٧٦ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٣١ ، ١٣٢ ، معجم البلدان ج ٣ ص ٢٨١ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٩٠ ، ١٩١ ، حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٥٤ ، وفاء الوفا للسهودي ج ٢ ص ٩٩ ، السيرة

(١) البلاط من الأرض : وجهها ، أو منتهى الصلب منها . وفي لفظ الحلبي كما يأتي : التلال ولعله الصحيح .

تجهيز الخليفة ودفنه ٢٤٧

الحلبية ج ٢ ص ٨٥ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٥ .

وقال الشاعر المفلق أحمد شوقي بك في دول العرب ص ٤٩ :

مَنْ لَقِيتُ بِالسِّفَا^(١) مَكْفًى مَرَّتْ بِهِ ثَلَاثَةٌ لَمْ يُدْفَنْ
تَعْرِضُهُ نَوَادِبُ أَرَامِلِهِ وَيَشْفُقُ النِّعْشُ وَيَأْبَى حَامِلُهُ
قَدْ حِيلَ بَيْنَ الْأَرْضِ وَابْنِ آدَمَا وَنَوَزَتْ دَارُ الْبَقَاءِ قَادِمَا

قال الأُميني : إِنَّ هُنَا صَحِيفَةً غَامِضَةً أَقْفَ تَجَاهَهَا مَوْقِفُ السَّادِرِ لَا تَطَاوَعُنِي
النَّفْسُ عَلَى الرُّكُونِ إِلَى أَيِّ مَنْ شِئْتِي الْإِحْتِمَالُ لِلَّذِينَ يَخَالِجَانِ فِي الصَّدْرِ ، وَذَلِكَ
أَنْ مَا ارْتَكَبَ مِنَ الْخَلِيفَةِ فِي التَّضْيِيقِ عَلَيْهِ وَقَتْلِهِ بِتَلَكُمِ الصُّورِ الْمَشْدُدَةِ ، ثُمَّ مَا نِيلَ
مِنْهُ بَعْدَ الْقَتْلِ مِنَ الْمَنْعِ عَنْ تَجْهِيزِهِ وَتَغْسِيلِهِ وَدَفْنِهِ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَالْوَقِيعَةِ فِيهِ
بِالسَّبَابِ الْمَقْدُوعِ وَتَحْقِيرِهِ بِرَمِي جَنَازَتِهِ بِالْحِجَارَةِ وَكَسْرِ بَعْضِ أَضْلَاعِهِ ، يَسْتَدْعِي إِمَّا
فَسْقَ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا بَيْنَ مَبَاشَرِ لِهَاتِيكَ الْأَحْوَالِ ، وَبَيْنَ خَاذِلٍ لِلْمُودِي
بِهِ ، وَبَيْنَ مُؤَلَّبٍ عَلَيْهِ ، إِلَى مَثْبُطٍ عَنْهُ ، إِلَى رَاضٍ بِمَا فَعَلُوا ، إِلَى مُحَبِّدٍ لَتَلَكُمِ
الْأَهْوَالِ ، وَكَانَ يَرْنُ فِي مَسَامِعِهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا
وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ .

وما جاء في ذلك من السَّنة أكثر ، وما يؤثر عن نبيِّ العِظْمة ﷺ من وجوب
دَفْنِ مَوْتَى الْمُؤْمِنِينَ وَتَغْسِيلِهِمْ وَتَكْفِينِهِمْ وَالصَّلَاةَ عَلَيْهِمْ ، وَإِنَّ حَرَمَةَ الْمُؤْمِنِ مِيتًا
كَحَرَمَتِهِ حَيًّا ، فَالْقَوْمُ إِنْ كَانُوا مُتَعَمِّدِينَ فِي مَخَالَفَةِ هَذِهِ النُّصُوصِ ، فَهُمْ فَسَاقٌ إِنْ
لَمْ نَقُلْ إِنَّهُمْ مَرَّاقٌ عَنِ الدِّينِ بِخُرُوجِهِمْ عَلَى الْإِمَامِ الْمَفْتَرَضِ طَاعَتَهُ .

أَوْ أَنَّ هَذِهِ الْأَحْوَالَ تَسْتَدْعِي انْحِرَافَ الْخَلِيفَةِ عَنِ الطَّرِيقَةِ الْمَثَلَى ، وَإِنَّ الْقَوْمَ
اعْتَقَدُوا بِخُرُوجِهِ عَنْ مَصَادِيقِ تَلَكُمِ الْأَوَامِرِ وَالْمَنَاهِي الْمَوْكَّدَةِ الَّتِي تَطَابَقَ عَلَيْهَا
الْكِتَابُ وَالسَّنة . وَلَيْسَ مِنَ السَّهْلِ الْهَيِّنِ الْبُخُوعَ إِلَى أَيِّ مِنْ طَرَفِي التَّرِيدِ ! أَمَّا

(١) السفا : الغبار

الصحابة فكَلَّهم عدولٌ عند القوم يركن إليهم ويُحتجُّ بأقوالهم وأفعالهم ويوثق بإيمانهم ، وقد كهربتهم صحبة الرسول ﷺ فأخرج دَرَن نفوسهم ، وكان في المعمعة منهم بقايا العشرة المبشرة كطلحة والزبير ، وطلحة خاصة فظاظات حول ذلك الجلاد ، إلى أناس آخرين من ذوي المآثر نظراء عمّار بن ياسر ، ومالك الأشتر ، وعبد الله بن بُديل ، وكان بين ظهرائهم إمام المسلمين أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وهو المرموق يومئذٍ للخلافة ، وقد انثنت إليه الخناصر ، والأمة أطوع له من الظلّ لذيده . أفتراه والحالة هذه سكت عن تلكم الفظائع وهو مطّل عليها من كُتب وهو أعلم الناس بنواميس الشريعة ، وأهداهم إلى طريقها المهيّج ، وهو يعلم أنَّ من المحذور إرتكابها ؟ لاها الله .

أو أنه عليه السلام أخذ الحياد في ذلك المأزق الحرج وهو مستبيحٌ للحياد أو لما يعملون به ؟ أنا لا أدري .

وليس من المستطاع القول بأنَّ معظم الصحابة ما كانوا عالمين بتلكم الوقائع ، أو أنَّهم ما كانوا يحسبون أنَّ الأمر يبلغ ذلك المبلغ ، أو أنَّهم كانوا غير راضين بهاتيكَ الأحداث ، فإنَّ الواقعة ما كانت مُباغته ولا غيلة حتّى يعزب عن أحد علمها ، فإنَّ الحوار استدام أكثر من شهرين ، وطيلة هذه المدة لم يكن للمتجمهرين طلبه من الخليفة إلّا الإقلاع عن أحداثه ، أو التنازل عن عرش الخلافة ، وكانوا يهدّدونه بالقتل إن لم يخضع لإحدى الطلبتين ، وكانت نعرات القوم في ذلك يتموِّج بها الفضاء ، وعقيرة عثمان في التوبة تارة وعدم التنازل أخرى وتخويفهم بمغبّات القتل ثلاثة تتسرّب في فجوات الجوّ ، فلو كان معظم الصحابة منحازين عن ذلك الرأي لكان في وسعهم تفريق الجمع بالقهر أو الموعظة ، لكن بالرغم عمّا يزعم عليهم لم يؤثّر عن أحد منهم ما يثبت ذلك أو يُقرّبه ، وما أسلفناه من الأحاديث الجمة النامة عن معتقدات الصحابة في الخليفة وفي التوثب عليه تُفند هذه المزعمة الفارغة ، إن لم نقل إنّها تثبت ما يعلمه الكلّ من الإجماع على مقت الخليفة والتصافق على ما نعموا عليه والرضا بما نيل منه ، حتّى إنَّ أحداً لم يرو عنه أنّه ساءه نداء قاتله حين طاف بالمدينة ثلاثاً قائلاً : أنا قاتل نعل^(١) .

(١) الإستيعاب ج ٢ ص ٤٧٨ .

نظرة في تجهيز الخليفة ودفنه ٢٤٩

وأما ثاني الإحتمالين فمن المستصعب أن يبلغ سوء الظن بالخليفة هذا المدى ، وإن كانت الصحابة جزموا بذلك ، والشاهد يرى ما لا يراه الغائب ، وقد أوقفناك على قول السيِّدة عائشة : اقتلوا نعتلاً قتله الله وقد كفر .

وقولها لمروان : وددت والله أنه في غرارة من غرائري هذه وأنِّي طوّقت حمّله حتى ألقيه في البحر .

وقولها لابن عباس : إياك أن تردّ الناس عن هذا الطاغية .

وقول عبد الرّحمن بن عوف للإمام أمير المؤمنين عليه السلام : إذا شئت فخذ سيفك وأخذ سيفي ، إنّه قد خالف ما أعطاني .

وقوله : عاجلوه قبل أن يتمادى في ملكه .

وقوله له : لله عليّ أن لا أكلمك أبداً .

وقول طلحة لمجمع بن جارية لما قال له : أظنكم والله قاتليه : (فإن قُتل فلا ملكٌ مقرب ولا نبيُّ مرسل) .

وقد مرّ أنّ طلحة كان أشدّ الناس على عثمان في قتله يوم الدار : وقتل دون دمه .

وقول الزبير : أقتلوه فقد بدّل دينكم .

وقوله : إن عثمان لجيفة على الصراط غدأ .

وقول عمار يوم صفّين : أمضوا معي عباد الله إلى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم لنفسه ، الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله .

وقوله : ما تركت في نفسي حزة أهمّ إليّ من أن لا نكون نبشنا عثمان من قبره ثمّ أحرقناه بالنار .

وقوله : أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه .

وقوله : والله إن كان إلّا ظالماً لنفسه ، الحاكم بغير ما أنزل الله .

٢٥٠ الغدير ج - ٩

وقوله : إنما قتله الصالحون المنكرون للعدوان الآمرون بالإحسان .

وقول حجر بن عدي وأصحابه : هو أول من جار في الحكم وعمل بغير الحق .

وقول عبد الرحمن العنزي : هو أول من فتح أبواب الظلم ، وأرتج أبواب الحق .

وقول هاشم المرقال : إنما قتله أصحاب محمد وقرءاء الناس حين أحدث أحداثاً وخالف حكم الكتاب ، وأصحاب محمد هم أصحاب الدين ، وأولى بالنظر في أمور المسلمين .

وقول عمرو بن العاص : أنا أبو عبد الله اذا حككت قرحة نكأتها ، إن كنت لأحرّض عليه حتى إني لأحرّض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل .

وقوله له : ركبته بهذه الأمة نهايبر من الأمور فركبوها منك ، وملت بهم فمالوا بك ، إعدل أو اعتزل .

وقوله : أنا عبد الله قتلته وأنا بوادي السباع .

وقول سعد بن أبي وقاص : إنه قُتل بسيف سلته عائشة ، وصقّله طلحة ، وسمّه ابن أبي طالب ، وسكت الزبير وأشار بيده ، وأمسكنا نحن ولو شئنا دفعناه عنه . إلخ .

وقول جهجاه الغفاري : قم يا نعثل ! فانزل عن هذا المنبر ، ندرّعك عباءة ، ولنطرحك في الجامعة ، ولنحملك على شارف من الإبل ثم نطرحك في جبل الدخان .

وقول مالك الأشتر : إلى الخليفة المبتلى الخاطيء الحائد عن سنة نبيّه ، النابذ لحكم القرآن وراء ظهره .

وقول عمرو بن زرارة : إن عثمان قد ترك الحق وهو يعرفه . الخ .

وقول الحجاج بن غزوة الأنصاري : والله لو لم يبق من عمره إلا بين الظهر والعصر لتقرّبنا إلى الله بدمه .

خاتمة البحث عن تجهيز الخليفة ودفنه ٢٥١

وقول قيس بن سعد الأنصاري : أول الناس كان فيه «قتل عثمان» قياماً
عشيرتي ولهم أسوة .

وقول جبلة بن عمرو الأنصاري : يا نعل ! والله لأقتلنك ولأحملنك على
قلوص جرباء ولأخرجنك إلى حرّة النار . وقوله وقد سُئل الكفّ عن عثمان : والله لا
ألقي الله غداً فأقول : إنّنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضللونا السبيل .

وقول محمّد بن أبي بكر له : على أيّ دين أنت يا نعل ؟ غيّرت كتاب الله .
وقوله له : الآن وقد عصيت قبلُ وكنتَ من المفسدين .

وقول الصحابة مجيبين لقوله : لا تقتلونني فإنّه لا يحلُّ إلاّ قتل ثلاثة : إنّنا
نجد في كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سمّيت ، قتل من سعى في الأرض فساداً ،
وقتل من بغى ثمّ قاتل على بغيه ، وقاتل من حال دون شيء من الحقّ ومنعه ثمّ قاتل دونه
وكابر عليه ، وقد بغيت ، ومنعت الحقّ ، وحلت دونه وكابرت عليه . الخ .

وقول عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث من أبيات مرّت ج ٨ ص ٣٣٦
وشبّهته كسرى وقد كان مثله شبيهاً بكسرى هديه وضرائبه
إلى كلمات آخرين محكمات وأخر متشابهات ، يشبه بعضها بعضاً .

إنّ في هذا المأزق الحرج لا بدّ لنا من ركوب إحدى الصعبتين ، والحكم
هو الفطرة السليمة مهما دار الأمر بين تخطئة إنسان واحد محتفّ بالأحداث ، وبين
تضليل آلاف مؤلّفة فيهم الأئمّة والعلماء والحكماء والصالحون وقد ورد في فضلهم
ما ورد كما نرتّيه نحن ، أو أنّ كلهم عدوٌّ يُحتجُّ بأقوالهم وأفعالهم كما يحسبه
أهل السنّة ، وإن كان في البين إجتهاذ كما يحسبونه في أمثال المقام فهو في
الطرفين ، والتحكّم بإصابة إنسان واحد وخطأ تلك الأئمّة الكبيرة في اجتهداها ،
تهوّر بحث ، وتمحّل لا يُصار إليه ، وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ، إنّ الله
يحبّ المقسطين .

سلسلة الموضوعات في قصة الدار وتبرير الخليفة والنظر فيها

١ - قال الطبري في تاريخه ج ٥ ص ٩٨ : فيما كتب به إليّ السري عن شعيب عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسي قال : كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء أمه سوداء فأسلم زمان عثمان ، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم ، فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام ، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام ، فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم فقال لهم فيما يقول : لعجب ممّن يزعم أنّ عيسى يرجع ويكذب بأنّ محمّداً يرجع وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ . فمحمّد أحقّ بالرجوع من عيسى : قال : فقبّل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة فتكلّموا فيها ، ثمّ قال لهم بعد ذلك : إنّّه كان ألف نبيّ ولكلّ نبيّ وصيّ وكان عليّ وصيّ محمّد . ثمّ قال : محمّد خاتم الأنبياء وعليّ خاتم الأوصياء . ثمّ قال بعد ذلك : من أظلم ممّن لم يُجز وصيّة رسول الله ﷺ ووُثب على وصيّ رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمة ثمّ قال لهم بعد ذلك : إنّ عثمان أخذها بغير حقّ وهذا وصيّ رسول الله ﷺ فانهضوا في هذا الأمر فحرّكوه وابدأوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس ، وادعوهم إلى هذا الأمر ، فبثّ دعائه وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه ودعوا في السرّ إلى ما عليه رأيهم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك ، ويكتب أهل كلّ مصر منهم إلى مصر آخر بما يضعون فيقرأ أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم ، حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعةً ، وهم يريدون غير ما يظهرون ، ويُسرّون غير ما يُبدون ، فيقول أهل كلّ مصر : إنّنا لفي عافية ممّا ابتلى به هؤلاء إلّا أهل المدينة فإنّهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا : إنّنا لفي عافية ممّا فيه الناس ، وجامعه محمّد وطلحة من هذا المكان قالوا : فأتوا عثمان فقالوا : يا أمير المؤمنين ! يأتيك عن الناس الذي يأتينا ؟ قال : لا والله ما جاءني إلّا السّلامة . قالوا : فإنّنا قد أتاننا وأخبروه بالذي أسقطوا إليهم ، قال : فأنتم شركائي وشهود المؤمنين فأشيروا

عليّ ، قالوا : نُشير عليك أن تبعث رجالاً ممّن تثق بهم إلى الأمصار حتّى يرجعوا إليك بأخبارهم ، فدعا محمّد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة ، وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة ، وأرسل عمّار بن ياسر إلى مصر ، وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام ، وفرّق رجالاً سواهم فرجعوا جميعاً قبل عمّار فقالوا : أيّها النّاس ما أنكرنا شيئاً ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامّهم ، وقالوا جميعاً : الأمر أمر المسلمين إلّا أنّ أمراءهم يُقسطون بينهم ويقومون عليهم ، واستبطّ النّاس عمّاراً حتّى ظنّوا أنّه قد اغتيل فلم يفجأهم إلّا كتاب من عبد الله بن سعد بن أبي سرح يُخبرهم أنّ عمّاراً قد استماله قومٌ بمصر وقد انقطعوا إليه منهم : عبد الله بن السوداء ، وخالد بن مُلجم ، وسودان بن حمران ، وكنانة بن بشر .

قال الأميني : لو كان ابن سبأ بلغ هذا المبلغ من إلقاء الفتن ، وشقّ عصا المسلمين وقد علم به وبعيثة أمراء الأُمّة وساستها في البلاد ، وانتهى أمره إلى خليفة الوقت ، فلماذا لم يقع عليه الطلب ؟ ولم يبلغه القبض عليه ، والأخذ بتلك الجنّات الخطرة ، والتأديب بالضرب والإهانة ، والزجّ إلى أعماق السجون ؟ ولا آل أمره إلى الإعدام المريح للأُمّة من شرّه وفساده ، كما وقع ذلك كلّه على الصلحاء الأبرار الأمرين بالمعروف والنّاهين عن المنكر ، وهتاف القرآن الكريم يرنّ في مسامع الملأ الديني : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) .

فهلاً اجتاحت الخليفة جرثومة تلكم القلاقل بقتله ؟ وهل كان تجهّمه وغلظته قصراً على الأبرار من أُمّة محمّد ﷺ ؟ ففعل بهم ما فعل ممّا أسلفنا بعضه في هذا الجزء والجزء الثامن .

هب أنّ ابن سبأ هو الذي أمال الأمصار على مناوئة الخليفة فهل كان هو مختلقاً لتلكم الأنباء من دون انطباقها على شيء من أعمال عثمان وولاته ؟ فنهضت

(١) سورة المائدة؛ الآية : ٣٣ .

الأمة وفيهم وجوه المهاجرين والأنصار على لا شيء ؟ أو أن ما كان يقوله قد انطبق على ما كانوا يأتون به من الجرائم والمآثم ، فكانت نهضة الأمة لاكتساحها نهضة دينية يخضع لها كل مسلم ، وإن كان ابن اليهودية خلط نفسه بالناهضين لأي غاية راقته ، وما أكثر الأخلاط في الحركات الصحيحة من غير أن يمس كونهم مع الهائجين بشيء من كرامتهم .

ولو كان ما أنهاه إليهم ابن سبأ عزواً مختلفاً فهلاً - لما قدمت وفود الأمصار المدينة - قال لهم المدنيون : إن الرجل بريء من هذه القذائف والهفات وهو بين ظهرانيتهم يرون ما يفعل ، ويسمعون ما يقول ؟ لكنهم بدلاً عن ذلك أصفقوا مع القادمين ، بل صاروا هم القدوة والأسوة في تلك النهضة ، وكانوا قبل مقدمهم ناقمين عليه .

ونحن والدكتور طه حسين نصافق عند رأيه ههنا حيث قال في كتابه «الفتنة الكبرى» ص ١٣٤ : وأكبر الظن أن عبد الله بن سبأ هذا - إن كان كل ما يروى عنه صحيحاً - إنما قال ما قال ودعا إلى ما دعا إليه بعد أن كانت الفتنة وعظم الخلاف فهو قد استغل الفتنة ولم يثرها ، وأكبر الظن كذلك أن خصوم الشيعة أيام الأمويين والعباسيين قد بالغوا في أمر عبد الله بن سبأ هذا ، ليشككوا في بعض ما نسب من الأحداث إلى عثمان وولاته من ناحية ، وليشنعوا على علي وشيعته من ناحية أخرى ، فيردوا بعض أمور الشيعة إلى يهودي أسلم كيداً للمسلمين ، وما أكثر ما شنع خصوم الشيعة على الشيعة ؟ وما أكثر ما شنع الشيعة على خصومهم في أمر عثمان وفي غير أمر عثمان ؟

فلنقف من هذا كله موقف التحفظ والتحرّج والإحتياط ، ولنكبر المسلمين في صدر الإسلام عن أن يعبث بدينهم وسياساتهم وعقولهم ودولتهم رجل أقبل من صنعاء وكان أبوه يهودياً وكانت أمه سوداء ، وكان هو يهودياً ثم أسلم لا رغباً ولا رهباً ولكن مكرراً وكيداً وخداعاً ، ثم أُتيح له من النجاح ما كان ينبغي ، فحرّض المسلمين على خليفتهم حتى قتلوه ، وفرّقهم بعد ذلك أو قبل ذلك شيعاً وأحزاباً .

هذه كلها أمور لا تستقيم للعقل ، ولا تثبت للنقد ، ولا ينبغي أن تقام عليها

أمور التاريخ ، وإنما الشيء الواضح الذي ليس فيه شك هو أن ظروف الحياة الإسلامية في ذلك الوقت كانت بطبعها تدفع إلى اختلاف الرأي وافتراق الأهواء ونشأة المذاهب السياسية المتباينة ، فالمستمسكون بنصوص القرآن وسنة النبي وسيرة صاحبيه كانوا يرون أموراً تطراً ينكرونها ولا يعرفونها ، ويريدون أن تواجه كما كان عمر يواجهها في حزم وشدة وضبط للنفس وضبط للرعية ، والشباب الناشئون في قريش وغير قريش من أحياء العرب كانوا يستقبلون هذه الأمور الجديدة بنفوس جديدة ، فيها الطمع ، وفيها الطموح ، وفيها الأثرة ، وفيها الأمل البعيد ، وفيها الهمم الذي لا يعرف حداً يقف عنده ، وفيها من أجل هذا كله التنافس والتزاحم لا على المناصب وحدها بل عليها وعلى كل شيء من حولها . وهذه الأمور الجديدة نفسها كانت خليقة أن تدفع الشيوخ والشباب إلى ما دفعوا إليه ، فهذه أقطار واسعة من الأرض تفتح عليهم ، وهذه أموال لا تحصى تجبى لهم من هذه الأقطار ، فأى غرابة في أن يتنافسوا في إدارة هذه الأقطار المفتوحة والانتفاع بهذه الأموال المجموعة ؟ وهذه بلاد أخرى لم تفتح وكل شيء يدعوهم إلى أن يفتحوها كما فتحوا غيرها ، فمالهم لا يستبقون إلى الفتح ؟ وما لهم لا يتنافسون فيما يكسبه الفاتحون من المجد والغنيمة إن كانوا من طلاب الدنيا ، ومن الأجر والمثوبة إن كانوا من طلاب الآخرة ثم مالهم جميعاً لا يختلفون في سياسة هذا الملك الضخم وهذا الثراء العريض ؟ وأى غرابة في أن يندفع الطامعون الطامحون من شباب قريش إلى هذه الأبواب التي فتحت لهم ليلجوا منها إلى المجد والسلطان والثراء ؟ وأى غرابة في أن يهجم بمنافستهم في ذلك شباب الأنصار وشباب الأحياء الأخرى من العرب ؟ وفي أن تمتلئ قلوبهم موجدة وحفيظة وغيظاً إذا رأوا الخليفة يحول بينهم وبين هذه المنافسة ، ويؤثر قريشاً بعظائم الأمور ، ويؤثر بني أمية بأعظم هذه العظائم من الأمور خطراً وأجلها شأنًا .

والشيء الذي ليس فيه شك هو أن عثمان قد ولّى الوليد وسعيداً على الكوفة بعد أن عزل سعداً ، وولّى عبد الله بن عامر على البصرة بعد أن عزل أبا موسى . وجمع الشام كلها لمعاوية وبسط سلطانه عليها إلى أبعد حد ممكن بعد أن كانت الشام ولايات تشارك في إدارتها قريش وغيرها من أحياء العرب ، وولّى عبد الله بن

أبي سرح مصر بعد أن عزل عنها عمرو بن العاص ، وكلّ هؤلاء الولاة من ذوي قرابة عثمان ، منهم أخوه لأُمّه ، ومنهم أخوه في الرضاعة ، ومنهم خاله ، ومنهم من يجتمع معه في نسبه الأدنى إلى أُمّية بن عبد شمس .

كلّ هذه حقائق لا سبيل إلى إنكارها ، وما نعلم أنّ ابن سبأ قد أغرى عثمان بتولية من ولّى وعزل من عزل ، وقد أنكر الناس في جميع العصور على الملوك والقيصرة والولاة والأمراء إيثار ذوي قرابتهم بشؤون الحكم ، وليس المسلمون الذين كانوا رعيةً لعثمان بدعاً من الناس ، فهم قد أنكروا وعرفوا ما ينكر الناس ويعرفون في جميع العصور . إنتهى حرفياً .

على أنّ ما تضمّنته هذه الرواية من بعث عمّار إلى مصر وغيره إلى بقية البلاد ممّا لا يكاد أن يُدعى به ، أو أن يكون له مقيّل من الصحة ، ولم يُذكر في غير هذه الرواية الموضوعة المكذوبة على السنة روايتها المتراوحيين بين زندقة وكذب وجهالة ، فإنّ ما يعطيه النظر في مجموع ما روي حول مشكلة عثمان أنّ عمّاراً ومحمّد بن مسلمة لم يفارقا المدينة طيلة أيامها ومنذ مبادئها إلى غايتها المفضية إلى مقتل عثمان ، وعمّار هو الذي كان في مقدّم الثائرين عليه من أوّل يومه الناقمين على أعماله ، وقد أراد نفيه إلى الربذة منفى أبي ذر بعد وفاته فيه رضوان الله عليهما فمنعته المهاجرون والأنصار كما مرّ حديثه ، وكم وقع عليه في تضاعيف تلكم الأحوال تعذيبٌ وضربٌ وتعنيف ، وكان عثمان يعلم بكراهة عمّار إيّاه منذ يومه الأوّل ، فمتى كان يستنصح عمّاراً حتّى يبعثه إلى البلاد فيحكي له أخبارها ، أو يستميله ابن سبأ وأصحابه ؟ وهذا ممّا لا يعزب علمه عن أيّ باحث كما تنبّه له الدكتور طه حسين في «الفتنة الكبرى» ص ١٢٨ حيث قال : أكاد أقطع بأنّ عمّاراً لم يُرسل إلى مصر ولم يشارك هذين الفتّيين^(١) فيما كانا بسبيله من التحريض وإنّما هي قصّة اخترعها العاذرون لعثمان فيما كان بينه وبين عمّار قبل ذلك أو بعده ممّا سنراه بعد حين . اهـ .

٢ - قال الطبري ص ٩٩ : كتب إليّ السري عن شعيب عن سيف عن محمّد وطلحة وعطية قالوا : كتب عثمان إلى أهل الأمصار :

(١) يعني بهما : محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة .

أما بعد : فَإِنِّي أَخَذَ الْعَمَّالَ بِمُؤَافَاتِي فِي كُلِّ مَوْسَمٍ ، وَقَدْ سَلَّطَتِ الْأُمَّةُ مِنْذُ وَلِيَتْ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَلَا يُرْفَعُ عَلَيَّ شَيْءٌ وَلَا عَلَى أَحَدٍ مِنْ عَمَّالِي إِلَّا أُعْطِيَتْهُ ، وَلَيْسَ لِي وَلِعِيَالِي حَقٌّ قَبْلَ الرِّعْيَةِ إِلَّا مَتْرُوكٌ لَهُمْ ، وَقَدْ رَفَعَ إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنَّ أَقْوَامًا يُشْتَمُونَ ، وَآخَرُونَ يُضْرَبُونَ ، فَيَا مَنْ ضُرِبَ سِرًّا وَشْتَمَ سِرًّا ، مَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَلْيُؤَافِ الْمَوْسِمَ فَلْيَأْخُذْ بِحَقِّهِ حَيْثُ كَانَ مِنْي أَوْ مِنْ عَمَّالِي أَوْ تَصَدَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ .

فَلَمَّا قَرِئَ فِي الْأَمْصَارِ أَبْكَى النَّاسَ وَدَعَا لِعَثْمَانَ وَقَالُوا : إِنَّ الْأُمَّةَ لَتَمَخَّضَ بِشَرِّ ، وَبَعَثَ إِلَى عَمَّالِ الْأَمْصَارِ فَقَدَمُوا عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ ، وَمَعَاوِيَةُ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ ، وَأَدْخَلَ مَعَهُمْ فِي الْمَشُورَةِ سَعِيدًا وَعَمْرًا فَقَالَ : وَيَحْكُمُ مَا هَذِهِ الشَّكَايَةُ وَمَا هَذِهِ الْإِذَاعَةُ ؟ إِنِّي وَاللَّهِ لَخَائِفٌ أَنْ تَكُونُوا مُصَدِّقًا عَلَيْكُمْ وَمَا يُعْصَبُ هَذَا إِلَّا بِي ، فَقَالُوا لَهُ : أَلَمْ تَبْعَثْ ؟ أَلَمْ نَرْجِعْ إِلَيْكَ الْخَبَرَ عَنِ الْقَوْمِ ؟ أَلَمْ يَرْجِعُوا وَلَمْ يَشَافَهُمْ أَحَدٌ بِشَيْءٍ ؟ لَا وَاللَّهِ مَا صَدَقُوا وَلَا بُرُّوا وَلَا نَعْلَمُ لِهَذَا الْأَمْرِ أَصْلًا ، وَلَا كُنْتُ لَتَأْخُذَ بِهِ أَحَدًا فَيَقِيمَكَ عَلَى شَيْءٍ ، وَمَا هِيَ إِلَّا إِذَاعَةٌ لَا يَحِلُّ الْأَخْذَ بِهَا وَلَا الْإِنْتِهَاءَ إِلَيْهَا . قَالَ : فَأَشِيرُوا عَلَيَّ . فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ : هَذَا أَمْرٌ مُصْنُوعٌ يَصْنَعُ فِي السَّرِّ فَيُلْقَى بِهِ غَيْرُ ذِي الْمَعْرِفَةِ فَيُخْبِرُ بِهِ فَيَتَحَدَّثُ بِهِ فِي مَجَالِسِهِمْ ، قَالَ : فَمَا دَوَاءُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : طَلَبُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ ثُمَّ قَتْلُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَخْرُجُ هَذَا مِنْ عِنْدِهِمْ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ : خُذْ مِنَ النَّاسِ الَّذِي عَلَيْهِمْ إِذَا أُعْطِيَتْهُمْ الَّذِي لَهُمْ فَإِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدْعَهُمْ . قَالَ مَعَاوِيَةُ : قَدْ وَلَّيْتَنِي فَوَلَّيْتُ قَوْمًا لَا يَأْتِيكَ عَنْهُمْ إِلَّا الْخَيْرُ وَالرِّجْلَانِ أَعْلَمُ بِنَاحِيَّتَيْهِمَا . قَالَ : فَمَا الرَّأْيُ ؟ قَالَ : حَسَنُ الْأَدَبِ . قَالَ : فَمَا تَرَى يَا عَمْرُو ؟ قَالَ : أَرَى أَنَّكَ قَدْ لَبَّيْتَ لَهُمْ ، وَتَرَخَيْتَ عَنْهُمْ ، وَزَدْتَهُمْ عَلَى مَا كَانَ يَصْنَعُ عَمْرٌ ، فَأَرَى أَنْ تَلْزِمَ طَرِيقَةَ صَاحِبَيْكَ فَتَشْتَدَّ فِي مَوْضِعِ الشَّدَّةِ وَتَلِينُ فِي مَوْضِعِ اللَّيْنِ ، إِنَّ الشَّدَّةَ تَنْبَغِي لِمَنْ لَا يَأْلُو النَّاسَ سِرًّا ، وَاللِّينُ لِمَنْ يَخْلِفُ النَّاسَ بِالنَّصِيحِ ، وَقَدْ فَرَشْتَهُمَا جَمِيعًا اللَّيْنُ ، وَقَامَ عَثْمَانُ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ : كُلُّ مَا أَشْرْتُمْ بِهِ عَلَيَّ قَدْ سَمِعْتُ ، وَلَكُلَّ أَمْرٍ بَابٌ يَوْتِي مِنْهُ ، إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي يُخَافُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ كَائِنٌ ، وَإِنْ بَابُهُ الَّذِي يَغْلُقُ عَلَيْهِ فَيَكْفُكُ بِهِ اللَّيْنُ وَالْمُؤَانَاةُ وَالْمَتَابَعَةُ إِلَّا فِي حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ الَّتِي لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَبَادِيَ بِعَيْبِ أَحَدِهَا ،

فإن سُدَّ شيء فرفق فذاك والله ليفتحنَّ وليست وحد عليّ
حُجَّة حقّ ، وقد علم الله أنّي لم آل الناس خيراً
ولا نفسي ، والله إنّ رحي الفتنة لدائرة ، فطوبى لعثمان إن
مات ولم يحركها فكفوا الناس وهبوا لهم حقوقهم واغفروا لهم ، وإذا تُعوطيت
حقوق الله فلا تدهنوا فيها . فلما نفر عثمان أشخص معاوية وعبد الله بن سعد إلى
المدينة ، ورجع ابن عامر وسعيد معه ، ولما استقلَّ عثمان رجز الحادي :
قد علمت ضوامر المطيّ وضُمّرات عُوج القسيّ
إنّ الأمير بعده عليّ وفي الزبير خلفُ رضيّ
وطلحة الحامي لها وليّ

فقال كعب وهو يسير خلف عثمان : الأمير بعده صاحب البغلة ، وأشار إلى
معاوية .

٣ - (وأخرج ص ١٠١ بالإسناد الشيعي المذكور) :

كان معاوية قد قال لعثمان غداة ودّعه وخرج : يا أمير المؤمنين ! إنطلق معي
إلى الشام قبل أن يهجم عليك من لا قبل لك به ، فإنّ أهل الشام على الأمر لم
يزالوا فقال : أنا لا أبيع جوار رسول الله ﷺ بشيء وإن كان فيه قطع خيط عنقي .
قال : فأبعث إليك جنداً منهم يقيم بين ظهрани أهل المدينة لنائبة إن نابت المدينة
أو إياك . قال : أنا أقر على جيران رسول الله ﷺ الأرزاق بجند مساكنهم وأضيّق
على أهل دار الهجرة والنصرة ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ! لتغتنلن ولتغزين .
قال : حسبي الله ونعم الوكيل . وقال معاوية : يا ايسار الجزور ! وأين ايسار
الجزور ؟ الحديث بطوله .

٤ - (وأخرج ص ١٠٣ بالإسناد الشيعي) :

لما كان في شوال سنة ٣٥ خرج أهل مصر في أربع رفاق على أربعة أمراء
المقل يقول : ستمائة . والمكثر يقول : ألف . على الرفاق عبدالرحمن بن عديس
البلوي . وكنانة بن بشر الليثي . وسودان بن حمران السكوني . وقتيرة بن فلان
السكوني . وعلى القوم جميعاً الغافقي بن حرب العكي . ولم يجترؤوا أن يعلموا
الناس بخروجهم إلى الحرب ، وإنما خرجوا كالحجاج ومعهم ابن السوداء . وخرج

أهل الكوفة في أربع رفاق ، وعلى الرفاق زيد بن صوحان العبدي ، والأشتر النخعي ، وزباد بن النضرة الحارثي ، وعبدالله بن الأصم ، أحد بني عامر بن صعصعة ، وعددهم كعدد أهل مصر وعليهم جميعاً عمرو بن الأصم ، وخرج أهل البصرة في أربع رفاق وعلى الرفاق حكيم بن جبلة العبدي ، وذريح بن عباد العبدي ، وبشر بن شريح الحطيم بن ضبيعة القيسي ، وابن المحرش ابن عبد عمرو الحنفي ، وعددهم كعدد أهل مصر ، وأميرهم جميعاً حرقوص بن زهير السعدي ، سوى من تلاحق بهم من الناس ، فأما أهل مصر فإنهم كانوا يشتهون عليّاً ، وأما أهل البصرة فإنهم كانوا يشتهون طلحة ، وأما أهل الكوفة فإنهم كانوا يشتهون الزبير ، فخرجوا وهم على الخروج جميع وفي الناس شتى لا يشك كل فرقة إلا أن الفلج معها ، وأمرها سيئٌ دون الآخرين ، فخرجوا حتى إذا كانوا من المدينة على ثلاث تقدّم ناسٌ من أهل البصرة فنزلوا ذا حُشب ، وناسٌ من أهل الكوفة فنزلوا الأعوص^(١) وجاءهم ناسٌ من أهل مصر وتركوا عامتهم بذي المروة ، ومشى فيما بين أهل مصر وأهل البصرة زياد بن النضر وعبدالله بن الأصم وقالوا : لا تعجلوا ولا تُعجلونا حتى ندخل لكم المدينة ونرتاد ، فإنه بلغنا أنهم قد عسكروا لنا فوالله إن كان أهل المدينة قد خافونا واستحلّوا قتالنا ولم يعلموا علمنا فهم إذا علموا علمنا أشدّ وإن أمرنا هذا لباطل ، وإن لم يستحلّوا قتالنا ووجدنا الذي بلغنا باطلاً لنرجع إليكم بالخبر ، قالوا : إذهب . فدخل الرجلان فلقيا أزواج النبي ﷺ وعليّاً وطلحة والزبير^(٢) وقالوا : إنما نأتّم هذا البيت ونستعفي هذا الوالي من بعض عمّالنا ، ما جئنا إلا لذلك واستأذننا للناس بالدخول ، فكلّهم أبى ونهى وقال : بيض ما يفرخن . فرجعا إليهم فاجتمع من أهل مصر نفرٌ فأتوا عليّاً ، ومن أهل البصرة نفرٌ فأتوا طلحة ، ومن أهل الكوفة نفرٌ فأتوا الزبير وقال كل فريق منهم : إن بايعوا صاحبنا وإلا كدناهم وفرّقنا جماعتهم ثم كررنا حتى نبغتهم . فأتى المصريون عليّاً وهو في عسكر عند أحجار الزيت^(٣) عليه حُلّة أفوافٍ مُعتمٌ بشقيقة حمراء يمانية

(١) الأعوص موضع عليّ أميال من المدينة يسيرة .

(٢) لا تنس ها هنا ما أسلفنا لك في هذا الجزء من حديث أم المؤمنين وعليّ أمير المؤمنين وطلحة والزبير .

(٣) أحجار الزيت : موضع بالمدينة داخلها قريب من الزوراء .

مقتل السيف ليس عليه قميص ، وقد سرح الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع إليه ،
فالحسن جالس عند عثمان وعلي عند أحجار الزيت فسلم عليه المصريون وعرضوا
له فصاح بهم وأطردهم وقال : لقد علم الصالحون أن جيش ذي المروة وذي خشب
ملعونون على لسان محمد ﷺ فارجعوا لا صحبكم الله ^(١) قالوا : نعم ، فانصرفوا
من عنده على ذلك . وأتى البصريون طلحة وهو في جماعة أخرى إلى جنب علي
وقد أرسل إبنه إلى عثمان فسلم البصريون عليه وعرضوا له فصاح بهم وأطردهم
وقال : لقد علم المؤمنون أن جيش ذي المروة في ذي خشب والأعوص ملعونون
على لسان محمد ﷺ ^(٢) وأتى الكوفيون الزبير وهو في جماعة أخرى وقد سرح إبنه
عبدالله إلى عثمان فسلموا عليه وعرضوا له فصاح بهم وأطردهم وقال : لقد علم
المسلمون أن جيش ذي المروة وذي خشب والأعوص ملعونون على لسان
محمد ﷺ ^(٣) .

فخرج القوم وأروهم أنهم يرجعون فانفثوا عن ذي خشب والأعوص حتى
انتهوا إلى عساكرهم وهي ثلاث مراحل كي يفترق أهل المدينة ثم يكرؤوا راجعين
فافترق أهل المدينة لخروجهم ، فلما بلغ القوم عساكرهم كرؤوا بهم فبغتهم ، فلم
يفجأ أهل المدينة إلا والتكبير في نواحي المدينة ، فنزلوا في مواضع عساكرهم
وأحاطوا بعثمان وقالوا : من كف يده فهو آمن . وصلى عثمان بالناس أياماً ولزموا
بيوتهم ولم يمنعوا أحداً من كلام ، فاتاهم الناس فكلموهم وفيهم علي فقال : ما
ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم ؟ قالوا : أخذنا مع بريد كتاباً بقتلنا ،
وأناهم طلحة فقال البصريون مثل ذلك وأتاهم الزبير فقال الكوفيون والبصريون :
فنحن ننصر إخواننا ونمنعهم جميعاً . كأنما كانوا على ميعاد فقال لهم علي : كيف
علمتم يا أهل الكوفة ! ويا أهل البصرة ! بما لقي أهل مصر وقد سرتهم مراحل ثم
طويتم نحونا ، هذا والله أمر أبرم بالمدينة قالوا : فضعوه على ما شئتم لا حاجة لنا
في هذا الرجل ليعتزلنا وهو في ذلك يصلي بهم وهم يصلون خلفه ويغشى من

(١) راجع ما مضى من حديث علي أمير المؤمنين تعرف جليلة الحال .

(٢) راجع ما مر من حديث طلحة وصولته وجولته في تلك الثورة تعلم صدق الخبر .

(٣) راجع ما أسلفنا من حديث الزبير حتى يتبين لك الرشد من الغي .

شاء عثمان وهم في عينه أدق من التراب ، وكانوا لا يمنعون أحداً من الكلام وكانوا زُمراً بالمدينة يمنعون الناس من الاجتماع . الخ .

قال الأُميني : تُعطي هذه الرواية أنَّ الذي ردَّ الكتاب المقلبة من مصر والبصرة والكوفة هو زعماء جيش أحجار الزيت : أمير المؤمنين عليّ وطلحة والزبير يوم صاحوا بهم وطردهم ورووا رواية اللعن عن النبي ﷺ وفيهم البدريون وغيرهم من أصحاب محمد العدول ، فما تمكّنت الكتائب من دخول المدينة وقد أسلفنا إصفاق المؤرخين على أنهم دخلوها وحاصروا الدار مع المدنيين أربعين يوماً أو أكثر أو أقلّ حتّى توسّل عثمان بعليّ أمير المؤمنين ﷺ ، فكان هو الوسيط بينه وبين القوم ، وجرى هنالك ما مرّ تفصيله من توبة عثمان على صهوة المنبر ، ومن كتاب عهده إلى البلاد على ذلك ، فانكفأت عنه الجماهير الثائرة بعد ضمان عليّ ﷺ ومحمد بن مسلمة بما عهد عثمان على نفسه ، لكنهم ارتجعوا إليه بعدما وقفوا على نكوصه وكتابه المتضمن بقتل من شخص إليه من مصر فوقع الحصار الثاني المفضي إلى الإجهاز عليه ، وأنت إذا عطفت النظرة إلى ما سبق من أخبار الحصارين وأعمال طلحة والزبير فيهما وقبلهما وبعدهما نظرة ممعنة لا تكاد أن تستصحّ دفاعهما عنه في هذا الموقف ، وكان طلحة أشدّ الناس عليه ، حتّى منع من إيصال الماء إليه ، ومن دفنه في مقابر المسلمين ، لكن رواية السوء المتسلسلة في هذه الأحاديث راقهم إخفاء مناوئة القوم لعثمان فاختلقوا له هذه وأمثالها .

٥ - (وأخرج ص ١٢٦ بالإسناد الشعبي) :

آخر خطبة خطبها عثمان رضي الله عنه في جماعة : إنَّ الله عزَّ وجلَّ إنَّما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ولم يعطكموها لتركوا إليها ، إنَّ الدنيا تقنى والآخرة تبقى ، فلا تبترنكم الفانية ، ولا تشغلنكم عن الباقية ، فآثروا ما بقي على ما يفنى ، فإنَّ الدنيا منقطعة ، وإنَّ المصير إلى الله ، اتَّقوا الله جلَّ وعزَّ فإنَّ تقواه جنة من بأسه ووسيلة عنده ، واحذروا من الله الغير . والزموا جماعتكم لا تصيروا أحزاباً ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً .

قالوا : لَمَّا قَضَى عَثْمَانُ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ حَاجَاتِهِ ، وَعَزَمَ لَهُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الصَّبْرِ وَالْإِمْتِنَاعِ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانِ اللَّهِ قَالَ : أَخْرَجُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ فَكُونُوا بِالْبَابِ وَلِيَجَامِعَكُمُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَبَسُوا عَنِّي ، وَأَرْسِلْ إِلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَعَلِيٍّ وَعِدَّةٍ أَنْ ادْنُوا فَاجْتَمِعُوا فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! اجْلِسُوا فَجَلَسُوا جَمِيعاً الْمَحَارِبُ الطَّارِئُ ، وَالْمَسَالِمُ الْمُقِيمُ فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ ! إِنِّي اسْتَدْعَيْتُكُمْ اللَّهَ وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَحْسِنَ عَلَيْكُمْ الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِي ، إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَدْخُلُ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيَّ قَضَاءَهُ ، وَلَا دَعْنُ هَؤُلَاءِ وَرَاءَ بَابِي غَيْرَ مَعْطِيهِمْ شَيْئاً يَتَّخِذُونَهُ عَلَيْكُمْ دَخَلاً فِي دِينِ اللَّهِ أَوْ دُنْيَا حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الصَّانِعُ فِي ذَلِكَ مَا أَحَبَّ ، وَأَمَرَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِالرَّجُوعِ وَأَقْسَمَ عَلَيْهِمْ فَرَجَعُوا إِلَّا الْحَسَنَ وَمُحَمَّدَ وَابْنَ الزُّبَيْرِ وَأَشْبَاهَهُمْ لَهُمْ فَجَلَسُوا بِالْبَابِ عَنْ أَمْرِ آبَائِهِمْ ، وَثَابَ إِلَيْهِمْ نَاسٌ كَثِيرٌ وَلَزِمَ عَثْمَانُ الدَّارَ .

٦ - (وروى ص ١٢٦ بالإسناد الشيعي) :

قالوا : كَانَ الْحَصْرُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَالنَّزُولُ سَبْعِينَ فَلَمَّا مَضَتْ مِنَ الْأَرْبَعِينَ ثَمَانِي عَشْرَةَ قَدِمَ رُكْبَانٌ مِنَ الْوُجُوهِ فَأَخْبَرُوا خَبَرَ مَنْ قَدْ تَهَيَّأَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَفَاقِ حَبِيبٌ مِنَ الشَّامِ ، وَمَعَاوِيَةُ مِنْ مِصْرَ ، وَالْقَعْقَاعُ مِنَ الْكُوفَةِ ، وَمَجَاشِعٌ مِنَ الْبَصْرَةِ ، فَعِنْدَهَا حَالُوا بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَ عَثْمَانَ وَمَنْعُوهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْمَاءَ ، وَقَدْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَيَّ بِالشَّيْءِ مِمَّا يَرِيدُ ، وَطَلَبُوا الْعِلَلَ فَلَمْ تَطْلُعْ عَلَيْهِمْ عِلَّةٌ ، فَعَثَرُوا فِي دَارِهِ بِالْحِجَارَةِ لِيَرْمُوا فَيَقُولُوا : قَتَلْنَا وَذَلِكَ لِيَلَّا فَنَادَاهُمْ : أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ ؟ أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ فِي الدَّارِ غَيْرِي ؟ قَالُوا : لَا وَاللَّهِ مَا رَمِينَاكَ قَالَ : فَمَنْ رَمَانَا ؟ قَالُوا : اللَّهُ . قَالَ : كَذَبْتُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَوْ رَمَانَا لَمْ يَخْطِئْنَا وَأَنْتُمْ تَخْطِئُونَنَا ، وَأَشْرَفَ عَثْمَانُ عَلَى آلِ حِزْمٍ وَهُمْ جِيرَانُهُ فَسَرَحَ ابْنًا لِعَمْرٍو إِلَى عَلِيٍّ بِأَنَّهُمْ قَدْ مَنَعُوا الْمَاءَ فَإِنْ قَدَرْتُمْ أَنْ تَرْسَلُوا إِلَيْنَا شَيْئاً مِنَ الْمَاءِ فَافْعَلُوا وَإِلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَإِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَكَانَ أَوَّلَهُمْ إِنْجَاداً لَهُ عَلِيٌّ وَأُمُّ حَبِيبَةَ ، جَاءَ عَلِيٌّ فِي الْغَلَسِ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّ الَّذِي تَصْنَعُونَ لَا يَشْبَهُ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أَمْرَ الْكَافِرِينَ ، لَا تَقْطَعُوا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الْمَادَّةَ فَإِنَّ الرُّومَ وَفَارِسَ لَتَأْسِرَ فُتُطْعَمَ وَتَسْقَى ، وَمَا تَعْرِضُ لَكُمْ هَذَا الرَّجُلُ ، فَبِمَ تَسْتَحِلُّونَ حَصْرَهُ وَقَتْلَهُ ؟ قَالُوا : لَا وَاللَّهِ وَلَا نَعْمَةَ عَيْنٍ ، لَا

سلسلة الموضوعات والنظر فيها ٢٦٣

نتركه يأكل ولا يشرب ، فرمى بعمامته في الدار بأنّي قد نهضت فيما أنهضتني .
فرجع ، وجاءت أمّ حبيبة على بغلة لها برحالة مشتملة على إداوة فقيل : أمّ المؤمنين أمّ حبيبة ، فضربوا وجه بغلتها فقالت : إنّ وصايا بني أميّة إلى هذا الرجل فأحببت أن ألقاه فأسأله عن ذلك كيلا تهلك أموال أيتام وأرامل . قالوا : كاذبة وأهروا لها وقطعوا جبل البغلة بالسيف فندت بأمّ حبيبة فتلقاها الناس وقد مالت رحالتها فتعلقوا بها وأخذوها وقد كادت تقتل فذهبوا بها إلى بيتها ، وتجهّزت عائشة خارجة إلى الحجّ هاربة ، واستتبت أخاها فأبى فقالت : أما والله لئن استطعت أن يحرمهم الله ما يحاولون لأفعلن . وجاء حنظلة الكاتب حتّى قام على محمّد بن أبي بكر فقال : يا محمّد ! تستتبعك أمّ المؤمنين فلا تتبعها وتدعوك ذؤبان العرب إلى مالا يحلّ فتتبعهم ؟ ما أنت وذاك يا ابن التيميّة ؟ فقال : يا ابن الخثعميّة ! إنّ هذا الأمر إن صار إلى التغالب غلبتك عليه بنو عبد مناف . وانصرف وهو يقول :

عجبٌ لما يخوضُ الناس فيه يرومون الخلافة أن تزولا
ولو زالت لزال الخير عنهم ولاقوا بعدها ذلاً ذليلاً
وكانوا كاليهود أو النصارى سواء كلّهم ضلّوا السبيلاً

ولحق بالكوفة وخرجت عائشة وهي ممتلئة غيظاً على أهل مصر ، وجاءها مروان بن الحَكَم فقال : يا أمّ المؤمنين ! لو أقمت كان أجدر أن يراقبوا هذا الرجل . فقالت : أتريد أن يُصنع بي كما صُنِعَ بأمّ حبيبة ، ثمّ لا أجِد من يمنعني ، لا والله ولا أعير ولا أدري إلى ما يسلم أمر هؤلاء ، وبلغ طلحة والزبير ما لقي عليّ وأمّ حبيبة فلزموا بيوتهم ، وبقي عثمان يسقيه آل حزم في الفضلات عليهم الرقباء ، فأشرف عثمان على الناس فقال : يا عبدالله بن عبّاس ! فدُعي له فقال : إذهب فأنت على الموسم . وكان ممّن لزم الباب فقال : والله يا أمير المؤمنين ! لجهاد هؤلاء أحبُّ إليّ من الحجّ ، فأقسم عليه لينطلقنّ فانطلق ابن عبّاس على الموسم تلك السنة ، ورمى عثمان إلى الزبير بوصيته فانصرف بها ، وفي الزبير اختلاف أدرك مقتله أو خرج قبله ؟ وقال عثمان : يا قوم ! ﴿ لا يجر منكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح ﴾ . الآية . اللهمّ حل بين الأحزاب وبين ما يأملون كما فعل بأشباعهم من قبل .

قال الأميني : هذه الرواية مفتعلة من شيعة عثمان المصطفين في إسنادهما تجاه ما ثبت عن عائشة وطلحة والزبير وغيرهم من جهودهم المتواصلة في التضييق على الرجل ، وإسعار نار الحرب والإجهاز عليه بما أسلفنا في هذا الجزء لكن أكدى الظن ، وأخفق الأمل أن هاتيك الروايات أخرجها الأثبات من حملة التاريخ ، وأصفق عليها المؤرخون وهذه تفرّد بها هؤلاء الوضّاعون ، ومن ذا الذي يعير سمعاً لها بعد الإخبات إلى التاريخ الصحيح ؟ وملاً اذنه هتاف عائشة : اقتلوا نعتلاً قتله الله فقد كفر . إلى كلمات أخرى لها مرّ مجملها في هذا الجزء ص ٢٤٩ وفصلناها في ص ١٠١ - ١١٠ .

وإن تهالك طلحة دون التشديد عليه وقتله بكلّ ما تسنى له ممّا لا يجهره مُلّم بالحديث والتاريخ ، وكان يوم الدار مقنّعا بثوب يرميها بالسهم ، وهو الذي منع منه الماء ، وهو الذي حمل الناس إلى سطح دار ابن حزام فتسوّروا منها دار عثمان ، وهو الذي منعه من أن يدفن في مقابر المسلمين ، وهو الذي أقعد لمجهّزه في الطريق ناساً يرمونهم بالحجارة ، وهو الذي قتله مروان ثمّ قال لأبان بن عثمان : قد كفيّتك بعض قتلة أبيك ، وهو الذي قال فيه وفي صاحبه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : كان طلحة والزبير أهون سيرهما فيه الوجيف ، وأرفق حدائهما العنيف .

ولو كان طلحة كما زعمه الوضّاعون فما معنى هتاف عثمان : اللهم اكفني طلحة بن عبيدالله فإنّه حمل عليّ هؤلاء وألبهم . وقوله : ويلى على ابن الحضرميّة - يعني طلحة - أعطيته كذا وكذا بهاراً ذهباً وهو يروم دمي يحرض على نفسي ، اللهم لا تمتّعه به ولقّه عواقب بغيه .

والى الآن يرنّ في الأسماع قول الزبير يومئذ : اقتلوه فقد بدّل دينكم . وقوله : ما أكره أن يُقتل عثمان ولو بدىء بابني ، إن عثمان لجيفة على الصراط غداً . وقوله لعثمان : إن في مسجد رسول الله ﷺ جماعة يمنعون من ظلمك ، ويأخذونك بالحق . الخ .

والى الآن في صفحات التاريخ قول سعد بن أبي وقاص : قتله سيف سلّته

سلسلة الموضوعات والنظر فيها ٢٦٥

عائشة وشحّذه طلحة ، وسمّهُ عليّ ، قيل : فما حال الزبير ؟ قال : أشار بيده وصمت بلسانه . إلى كلمات آخرين مرّت في هذا الجزء .

ولو كان ابن عباس كما اختلق عليه هؤلاء فلماذا لم يكثر بكتاب عثمان واستغاثته به لما ألقى على الحجيج وهو أميرهم وهو على منصّة الخطابة ، فمضى في خطبته من حيث انقطعت ، ولم يتعرّض لذلك بشيء ، ولا اعتدّ بخطابه حتّى جرى المقدور المحتمّ ؟ ولماذا كان يحاذر بطش معاوية به على مقتل عثمان لما أراد أمير المؤمنين عليه السلام أن يرسله إلى الشام ؟ .

راجع مصادر هذه كلّها فيما مرّ من صفحات هذا الجزء .

٧ - (وأخرج ص ١٢٨ بالإسناد الشيعي) :

قالوا : فلمّا بويح الناس السابقة فقدم بالسلامة فأخبرهم من الموسم أنّهم يريدون جميعاً المصريين وأشياعهم ، وأنّهم يريدون أن يجمعوا ذلك إلى حجّهم ، فلمّا أتاهم ذلك مع ما بلغهم من نفور أهل الأمصار أعلّقهم الشيطان وقالوا : لا يخرجنا ممّا وقعنا فيه إلّا قتل هذا الرجل ، فيشتغل بذلك الناس عنّا ، ولم يبق خصلة يرجون بها النجاة إلّا قتله ، فراموا الباب فمنعهم من ذلك الحسن وابن الزبير ومحمّد بن طلحة ومروان بن الحَكَم وسعيد بن العاص ومن كان من أبناء الصحابة أقام معهم واجتلدوا فناداهم عثمان : الله الله أنتم في حلّ من نصرتي . فأبوا ففتح الباب وخرج ومعه الترس والسيّف لينهّتهم فلمّا رأوه أدبر البصريّون وركبهم هؤلاء ونهّتهم فتراجعوا وعظم على الفريقين وأقسم على الصحابة ليدخلن ، فأبوا أن ينصرفوا فدخلوا فأغلق الباب دون المصريين ، وقد كان المغيرة ابن الأحنس بن شريق فيمن حجّ ثمّ تعجّل في نفر حجّوا معه ، فأدرك عثمان قبل أن يُقتل وشهد المناوشة ودخل الدار فيمن دخل وجلس على الباب من داخل ، وقال : ما عذرنا عند الله إن تركناك ونحن نستطيع ألا ندعهم حتّى نموت ؟ ، فاتخذ عثمان تلك الأيام القرآن نجباً يصليّ وعنده المصحف فإذا أعياء جلس فقرأ فيه ، وكانوا يرون القراءة في المصحف من العبادة ، وكان القوم الذين كفّفهم بينه وبين الباب ، فلمّا بقي المصريّون لا يمنعهم أحدٌ من الباب ولا يقدرّون على الدخول

٢٦٦ الغدير ج - ٩

جاؤوا بنار فأحرقوا الباب والسقيفة ، فتأجج الباب والسقيفة حتى إذا احترق الخشب
خربت السقيفة على الباب ، فثار على أهل الدار وعثمان يصلي حتى منعهم
الدخول ، وكان أول من برز لهم المغيرة بن الأخنس وهو يرتجز :

قد علمت جاريةً عطبول ذات وشاح ولها جديل
أني بنصل السيف خنليل لأمنعن منكم خليلي
بصارم ليس بذئ فلول

وخرج الحسن بن علي وهو يقول :

لا دينهم ديني ولا أنا منهم حتى أسير إلى طمار شمام

وخرج محمد بن طلحة وهو يقول :

أنا ابن من حامى عليه بأحد ورد أحزاباً على رغم معد

وخرج سعيد بن العاص وهو يقول :

صبرنا غداة الدار والموت واقب بأسيفنا دون ابن أروى نضارب
وكنا غداة الروع في الدار نصرة نشافهم بالضرب والموت ثاقب

فكان آخر من خرج عبدالله بن الزبير أمره عثمان أن يصير إلى أبيه في وصية
بما أراد وأمره أن يأتي أهل الدار فيأمرهم بالإنصراف إلى منازلهم فخرج عبدالله بن
الزبير آخرهم فما زال يدعي بها ويحدث الناس عن عثمان بآخر ما مات عليه .

٨ - (وأخرج ص ١٢٩ بالإسناد الشيعي) :

قالوا : وأحرقوا الباب وعثمان في الصلاة وقد افتتح ﴿طه ما أنزلنا عليك
القرآن لتشقى﴾ وكان سريع القراءة فما كرثه ما سمع وما يخطيء وما يتتبع حتى أتى
عليها قبل أن يصلوا إليه ، ثم عاد فجلس إلى عند المصحف وقرأ : ﴿الذين قال لهم
الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ .
وارتجز المغيرة بن الأخنس وهو دون الدار في أصحابه :

قد علمت ذات القرون الميل والحلي والأنامل الطفول

لتصدقن بيعتي خليلي بصارم ذي رونق مصقول
لا أستقيل إن أقلت قبلي

وأقبل أبو هريرة والناس مُحجمون عن الدار إلا أولئك العصبة فدرسوا فاستقبلوا فقام معهم وقال : أنا أسوتكم . وقال : هذا يوم طاب أمضرب - يعني أنه من القتال وطاب وهذه لغة حمير - ونادى : يا قوم ! مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار ، وبادر مروان يومئذ ونادى : رجل رجل . فبرز له رجل من بني ليث يُدعى النباع^(١) فاختلفا ضربتين فضربه مروان أسفل رجله وضربه الآخر على أصل العنق فقلبه فانكب مروان واستلقى فاجتر هذا أصحابه ، واجتر الآخر أصحابه ، فقال المصريون : أما والله لا أن تكونوا حجة علينا في الأمة لقد قتلناكم بعد تحذير فقال المغيرة : من بارز ؟ فبرز له رجل فاجتلدوا وهو يقول :

أضربهم باليابس ضرب غلام بائس من الحياة آيس

فأجابه صاحبه . . . وقال الناس : قُتل المغيرة بن الأخنس فقال الذي قتله : إنا لله فقال له عبدالرحمن بن عديس : مالك ؟ قال : إني أتيت فيما يرى النائم فقتل لي : بشر قاتل المغيرة بن الأخنس بالنار . فابتليت به ، وقتل قباث الكنانى نيار بن عبدالله الأسلمي ، واقتحم الناس الدار من الدور التي حولها حتى ملأوها ، ولا يشعر الذين بالباب ، وأقبلت القبائل على أبنائهم فذهبوا بهم إذ غلبوا على أميرهم وندبوا رجلاً لقتله ، فانتدب له رجل فدخل عليه البيت فقال : اخلعها وندعك . فقال : ويحك والله ما كشفت امرأة في جاهلية ولا إسلام ولا تغنيت ولا تمنيت ولا وضعت يميني على عورتي مذ بايعت رسول الله ﷺ ، ولست خالعا قميصا كسانيه الله عز وجل وأنا على مكاني حتى يُكرم الله أهل السعادة ويُهين أهل الشقاء . فخرج وقالوا : ما صنعت ؟ فقال : علقنا والله ، والله ما ينجيننا من الناس إلا قتله وما يحل لنا قتله ، فأدخلوا عليه رجلاً من بني ليث فقال : ممن الرجل ؟ فقال : ليثي . فقال : لست بصاحبي قال : وكيف ؟ فقال : ألسن الذي دعا لك النبي ﷺ في نفر أن تحفظوا يوم كذا وكذا ؟ قال : بلى . قال : فلن تضيع . فرجع

(١) كذا والصحيح : البباع . وهو عروة بن شبيب الليثي كما مر .

وفارق القوم ، فأدخلوا عليه رجلاً من قريش فقال : يا عثمان ! إني قاتلك . قال : كلاً يا فلان ! لا تقتلني . قال : وكيف ؟ قال : إن رسول الله استغفر لك يوم كذا وكذا فلن تقارف دمًا حراماً ، فاستغفر ورجع وفارق أصحابه ، فأقبل عبدالله بن سلام حتى قام على باب الدار ينهاهم عن قتله ، وقال : يا قوم ! لا تسلوا سيف الله عليكم فوالله إن سللتموه لا تغمدوه ، ويلكم إن سلطانكم اليوم يقوم بالديره فإن قتلتموه لا يقوم إلا بالسيف ، ويلكم إن مدينتكم محفوفة بملائكة الله والله لئن قتلتموه لتتركنها . فقالوا : يا بن اليهودية ! وما أنت وهذا ؟ فرجع عنهم . قالوا : وكان آخر من دخل عليه ممن رجع إلى القوم محمد بن أبي بكر فقال له عثمان : ويلك أعلى الله غضب ؟ هل لي إليك جرمٌ إلا حقّه أخذته منك فنكل ورجع .

قالوا : فلما خرج محمد بن أبي بكر وعرفوا انكساره ثار قتيبة وسودان بن حمران السكونيان والغافقي فضربه الغافقي بحديدة معه وضرب المصحف برجله فاستدار المصحف فاستقر بين يديه وسالت عليه الدماء ، وجاء سودان بن حمران ليضربه فانكبّت عليه نائلة ابنة الفرافصة واتقت السيف بيدها فتعمّدها ونفح أصابعها فأطنّ أصابع يدها وولّت فغمز أوراكاها ، وقال : إنها لكبيرة العجيزة . وضرب عثمان فقتله ، ودخل غلمة لعثمان مع القوم لينصروه ، وقد كان عثمان أعتق من كفّ منهم فلما رأوا سودان قد ضربه أهوى له بعضهم فضرب عنقه فقتله ، ووثب قتيبة على الغلام فقتله ، وانتهبوا ما في البيت وأخرجوا من فيه ثم أغلقوه على ثلاثة قتلى فلما خرجوا إلى الدار وثب غلام لعثمان آخر على قتيبة فقتله ، ودار القوم فأخذوا ما وجدوا حتى تناولوا ما على النساء ، وأخذ رجل ملاءة نائلة والرجل يدعى كلثوم بن تجيب فتنحّت نائلة فقال : ويح أمك من عجيزة ما أنمك ، وبصر به غلام لعثمان فقتله وقتل وتنادى القوم أبصر رجل من صاحبه ، وتنادوا في الدار : أدرکوا بيت المال لا تسبقوا إليه ، وسمع أصحاب بيت المال أصواتهم وليس فيه إلا غرارتان^(١) فقالوا : النجاء فإن القوم إنما يحاولون الدنيا ، فهربوا وأتوا بيت المال فانتهبوه ، وماج الناس فيه ، فالتانىء يسترجع ويبيكي ، والطارىء يفرح ، وندم القوم وكان

(١) ذكره ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ١٨٩ وحرّفه وبذله بقوله : فأخذوا بيت المال وكان فيه شيء كثير جداً .

سلسلة الموضوعات والنظر فيها ٢٦٩

الزبير قد خرج من المدينة فأقام على طريق مكة لئلا يشهد مقتله ، فلما أتاه الخبر بمقتل عثمان وهو بحيث هو قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، رحم الله عثمان وانتصر له . وقيل : إن القوم نادمون . فقال : دبّروا دبّروا ، ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ . الآية . وأتى الخبر طلحة فقال : رحم الله عثمان وانتصر له وللإسلام وقيل له : إن القوم نادمون . فقال : تبّأ لهم وقرأ : ﴿فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون﴾ . وأتى عليّ ف قيل : قُتل عثمان : فقال رحم الله عثمان وخلف علينا بخير . وقيل : ندم القوم . فقرأ : ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر﴾ . الآية . وطلب سعد فإذا هو في حائطه وقد قال : لا أشهد قتله . فلما جاءه قتله قال : فررنا إلى المدينة فديننا وقرأ : ﴿الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ ، اللهم أندمهم ثم خذهم .

٩ - (وأخرج ص ١٣١ بالإسناد الشيعي) :

قال المغيرة بن شعبة لعلّي : إنّ هذا الرجل مقتول وإنّه إنّ قُتل وأنت بالمدينة إتخذوا فيك فاخرج فكن بمكان كذا وكذا ، فإنّك إن فعلت وكنت في غار باليمن طلبك الناس . فأبى وحُصر عثمان إثني وعشرين يوماً ثمّ أحرقوا الباب وفي الدار أناس كثير فيهم عبدالله بن الزبير ومروان فقالوا : إئذن لنا . فقال : إنّ رسول الله ﷺ عهد إليّ عهداً فأنا صابرٌ عليه ، وإنّ القوم لم يحرقوا باب الدار إلّا وهم يطلبون ما هو أعظم منه ، فأخرج على رجل يستقتل ويقاتل ، وخرج الناس كلّهم ودعا بالمصحف يقرأ فيه والحسن عنده فقال : إنّ أباك الآن لفي أمر عظيم ، فأقسمت عليك لمّا خرجت . وأمر عثمان أبا كرب رجلاً من همدان وآخر من الأنصار أن يقوما على باب بيت المال وليس فيه إلّا غرارتان من ورق ، فلما أطفئت النار بعدما ناوشهم ابن الزبير ومروان وتوعدّ محمّد بن أبي بكر ابن الزبير ومروان ، فلما دخل على عثمان هربا ، ودخل محمّد بن أبي بكر على عثمان فأخذ بلحيته فقال : أرسل لحيتي فلم يكن أبوك ليتناولها ، فأرسلها ودخلوا عليه فممنهم من يجئه بعل سيفه وآخر يلكزه وجاءه رجل بمشاقص معه فوجأه في ترقوته ، فسال الدم على المصحف وهم في ذلك يهابون في قتله ، وكان كبيراً وغُشي عليه ودخل آخرون ، فلما رأوه مغشياً عليه جرّوا برجله ، فصاحت نائلة وبناته ، وجاء التجيبي

مخترطاً سيفه ليضعه في بطنه فوقته نائلة فقطع يدها ، واتكأ بالسيف عليه في صدره ، وقتل عثمان رضي الله عنه قبل غروب الشمس ونادى منادٍ : ما يحلّ دمه ويخرج ماله ؟ فانتهبوا كل شيء ، ثم تبادروا بيت المال فألقى الرجلان المفاتيح ونجوا وقالوا : الهرب الهرب ، هذا ما طلب القوم .

١٠ - (وأخرج ص ١٣٥ بالإسناد الشيعي) :

لما حدثت الأحداث بالمدينة خرج منها رجالٌ إلى الأمصار مجاهدين وليدنوا من العرب فمنهم من أتى البصرة ، ومنهم من أتى الكوفة ، ومنهم من أتى الشام . فهجموا جميعاً من أبناء المهاجرين بالأمصار على مثل ما حدث في أبناء المدينة ، إلا ما كان من أبناء الشام فرجعوا جميعاً إلى المدينة إلا من كان بالشام فأخبروا عثمان بخبرهم فقام عثمان في الناس خطيباً فقال :

يا أهل المدينة ! أنتم أصل الإسلام وإنما يفسد الناس بفسادكم ، ويصلحون بصلاحكم ، والله والله والله لا يبلغني عن أحد منكم حدثٌ أحدثه إلا سيّره ، ألا فلا أعرفنّ أحداً عرض دون أولئك بكلام ولا طلب ، فإن من كان قبلكم كانت تُقطع أعضاؤهم دون أن يتكلّم أحدٌ منهم بما عليه ولا له . وجعل عثمان لا يأخذ أحداً منهم على شرٍّ أو شهر سلاح عصاً فما فوقها إلا سيّره . فضجّ أبأؤهم من ذلك حتى بلغه أنهم يقولون : ما أحدث التسيير إلا إن رسول الله ﷺ سيّر الحكم بن أبي العاص فقال : إن الحكم كان مكياً فسيّره رسول الله ﷺ منها إلى الطائف ، ثم رده إلى بلده فرسول الله ﷺ سيّره بذنبه ورسول الله ﷺ رده بعفوه ، وقد سيّره الخليفة من بعده وعمر رضي الله عنه من بعد الخليفة ، وأيم الله لأخذنّ العفو من أخلاقكم ، ولأبذلنّ لكم من خلقي ، وقد دنت أمور ولا أحب أن تحلّ بنا وبكم وأنا على وجل وحذر فاحذروا واعتبروا .

قال الأميني : هذه سلسلة بلاء وحلقة أكاذيب جاء بها أبو جعفر الطبري في تاريخه بإسناد واحد أبطلناه وزيفناه وأوقفناك عليه وعلى ترجمة رجاله في الجزء الثامن ص ١١٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٣٨٥ ، أضف إليها ما ذكره المحبّ الطبري ممّا أسلفنا صدره في هذا الجزء صفحة ٢١٠ من طريق سعيد بن المسيب ممّا اتفق

الرواة والحفاظ والمؤرخون على نقله وجاء بعض بزيادة مفتعلة وتبعه المحب الطبري وإليك نصّها :

ثم بلغ علياً أنهم يريدون قتل عثمان فقال : إنما أردنا منه مروان فأما قتل عثمان فلا ، وقال للحسن والحسين : اذهبا بسيفكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل إليه ، وبعث الزبير ابنه ، وبعث طلحة ابنه ، وبعث عذّة من أصحاب النبي ﷺ أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان ويسألونه إخراج مروان ، فلما رأى الناس ذلك رموا باب عثمان بالسهم حتى خضب الحسن بن عليّ بدمائه وأصاب مروان سهم وهو في الدار وكذلك محمد بن طلحة ، وشجّ قبر مولى عليّ ، ثم إن بعض من حصر عثمان خشي أن يغضب بنو هاشم لأجل الحسن والحسين فتتشر الفتنة ، فأخذ بيد رجلين فقال لهما : إن جاء بنو هاشم فرأوا الدم على وجه الحسن كشفوا الناس عن عثمان وبطل ما تريدون ، ولكن اذهبوا بنا تنسور عليه الدار فنقتله من غير أن يعلم أحد ، فتسوروا من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان ، وما يعلم أحد ممّن كان معه ، لأن كل من كان معه كان فوق البيت ولم يكن معه إلا امرأته فقتلوه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا ، وصرخت امرأته فلم يُسمع صراخها من الجلبة ، فصعدت إلى الناس فقالت : إن أمير المؤمنين قُتل . فدخل عليه الحسن والحسين ومّن كان معهما فوجدوا عثمان مذبحاً فانكبوا عليه يبكون ، ودخل الناس فوجدوا عثمان مقتولاً فبلغ علياً وطلحة والزبير وسعداً ومّن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولاً فاسترجعوا وقال عليّ لابنيه : كيف قُتل أمير المؤمنين وأنتم على الباب ؟ ورفع يده فلطم الحسن وضرب صدر الحسين ، وشتم محمد بن طلحة ، ولعن عبدالله بن الزبير ، وخرج عليّ وهو غضبان فلقية طلحة فقال : مالك يا أبا الحسن ؟ ضربت الحسن والحسين ؟ وكان يرى أنه أعان على قتل عثمان . فقال : عليك كذا وكذا رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بدري لم تقم عليه بيّنة ولا حجة . فقال طلحة : لودفع مروان لم يُقتل . فقال عليّ : لو أخرج إليكم مروان لقتل قبل أن تثبت عليه حكومة . وخرج عليّ فأتى منزله وجاء الناس كلّهم إلى عليّ ليبياعوه ، فقال لهم : ليس هذا إليكم إنما هو إلى أهل بدر

فمن رضي به أهل بدر فهو الخليفة ، فلم يبق أحدٌ من أهل بدر إلا قال : ما نرى أحقَّ لها منك ، فلما رأى عليٌّ ذلك جاء المسجد فصعد المنبر وكان أوَّل من صعد إليه وبايعه طلحة والزبير وسعد وأصحاب محمد ﷺ ، وطلب مروان فهرب وطلب نفرًا من ولد مروان وبني أبي معيط فهربوا^(١) .

وفي لفظ المسعودي في مروج الذهب ج ١ ص ٤٤١ : لما بلغ علياً أنهم يريدون قتله بعث بابنيه الحسن والحسين ومواليه بالسلاح إلى بابهِ لنصرته ، وأمرهم أن يمنعوه منهم ، وبعث الزبير ابنه عبدالله ، وبعث طلحة ابنه محمداً وأكثر أبناء الصحابة أرسلهم آباؤهم اقتداء بمن ذكرنا فصدّوهم عن الدار ، فرمي من وصفنا بالسهم واشتبك القوم وجرح الحسن وشجَّ قنبر وجرح محمد بن طلحة ، فخشي القوم أن يتعصّب بنو هاشم وبنو أمية فتركوا القوم في القتال على الباب ومضى نفرٌ منهم إلى دار قوم من الأنصار فتسوّروا عليها وكان ممّن وصل إليه محمد بن أبي بكر ورجلان آخران وعند عثمان زوجته ، وأهله ومواليه مشاغل بالقتال ، فأخذ محمد بن أبي بكر بلحيته فقال : يا محمد ! والله لو رآك أبوك لساء مكانك . فتراخت يده وخرج عنه إلى الدار ، ودخل رجلاً فوجداه فقتلاه ، وكان المصحف بين يديه يقرأ فيه فصعدت امرأته فصرخت وقالت : قد قتل أمير المؤمنين .

فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما من بني أمية فوجدوه وقد فاضت نفسه رضي الله عنه فبكوا فبلغ ذلك علياً وطلحة والزبير وسعداً وغيرهم من المهاجرين والأنصار فاسترجع القوم ودخل عليّ الدار وهو كالواله الحزين فقال لابنيه : كيف قُتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ؟ ولطم الحسن وضرب الحسين وشتم محمد بن طلحة ولعن عبدالله بن الزبير فقال له طلحة : لا تضرب يا أبا الحسن ! ولا تشتم ولا تلعن ، ولو دفع مروان ما قُتل ، وهرب مروان وغيره من بني أمية وطلبوا ليقتلوا فلم يوجدوا ، وقال عليٌّ لزوجته نائلة بنت الفرافصة : من قتله ؟ وأنت كنت معه . فقالت : دخل إليه رجلاً وقصّت خبر محمد بن أبي بكر ، فلم

(١) الرياض النضرة ج ٢ ص ١٢٥ تاريخ الخلفاء للسيوطي : ص ١٠٨ ، نقلاً عن ابن عساكر ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦١ ، ٢٦٢ ، نقلاً عن الرياض .

سلسلة الموضوعات والنظر فيها ٢٧٣

ينكر ما قالت ، وقال : والله لقد دخلت وأنا أريد قتله فلمّا خاطبني بما قال خرجت ولا أعلم بتخلف الرجلين عني ، والله ما كان لي في قتله سبب ، ولقد قُتل وأنا لا أعلم بقتله .

وروى ابن الجوزي في التبصرة^(١) من طريق ابن عمر قال : جاء عليّ إلى عثمان رضي الله عنهما يوم الدار وقد أغلق الباب ومعه الحسن بن عليّ وعليه سلاحه فقال للحسن : أدخل إلى أمير المؤمنين فأقرئه السّلام وقل له : إنّما جئت لنصرتك فمرني بأمرك . فدخل الحسن ثمّ خرج فقال لأبيه : إنّ أمير المؤمنين يقرئك السّلام ويقول لك : لا حاجة لي بقتال وإهراق الدماء قال : فنزع عليّ عمامة سوداء ورمى بها بين يدي الباب وجعل ينادي : ﴿ذلك ليعلّم أنّي لم أخنه بالغيب وأنّ الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ .

وعن شداد بن أوس - نزيل الشام والمتوفى بها في عهد معاوية - أنّه قال : لمّا اشتدّ الحصار بعثمان رضي الله عنه يوم الدار رأيت عليّاً خارجاً من منزله معتمماً بعمامة رسول الله متقلّداً سيفه وأمامه ابنه الحسن والحسين وعبدالله بن عمر رضي الله عنهم في نفر من المهاجرين والأنصار فحملوا على الناس وفرّقوهم ثمّ دخلوا علي عثمان فقال عليّ : السّلام عليك يا أمير المؤمنين ! إنّ رسول الله ﷺ لم يلحق هذا الأمر حتى ضرب بالمقبل المدبر ، وإنّي والله لا أرى القوم إلّا قاتلوك فمرنا فلنقاتل . فقال عثمان : أنشد الله رجلاً رأى الله عزّ وجلّ عليه حقّاً وأقرّ أنّ لي عليه حقّاً أن يهريق في سببي ملء محجمة من دم أو يهريق دمه فيّ . فأعاد عليّ رضي الله عنه القول فأجاب عثمان بمثل ما أجاب ، فرأيت عليّاً خارجاً من الباب وهو يقول : اللهمّ إنّك تعلم أنّا قد بذلنا المجهود ثمّ دخل المسجد وحضرت الصّلاة فقالوا له : يا أبا الحسن ! تقدّم فصلّ بالناس ، فقال : لا أصليّ بكم والإمام محصورٌ ولكن أصليّ وحدي ، فصلّي وحده وانصرف إلى منزله فلحقه ابنه وقال : والله يا أبت ! قد اقتحموا عليه الدار قال : إنّنا لله وإنّا إليه راجعون ، هم والله قاتلوه ، قالوا : أين هو يا أبا الحسن ؟ قال : في الجنّة والله زلفي ، قالوا : وأين هم يا أبا الحسن ؟ قال : في النّار والله . ثلاثاً .

(١) راجع تلخيصه قرّة العيون المبصرة ج ١ ص ١٨٠ .

الرياض النضرة ج ٢ ص ١٢٧ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٢ .

ومن طريق محمد بن طلحة عن كناسة^(١) مولى صفية : شهدت مقتل عثمان فأخرج من الدار أمامي أربعة من شباب قریش مضرجين بالدم محمولين كانوا يدروون عن عثمان وهم : الحسن بن علي وعبدالله بن الزبير ومحمد بن حاطب ومروان فقلت له : هل تدري محمد بن أبي بكر بشيء من دونه ؟ قال : معاذ الله دخل عليه فقال له عثمان : يا بن أخي ! لست بصاحبي وكلمه بكلام فخرج^(٢) .

في الإسناد كنانة ذكره الأزدي في الضعفاء ، وقال : لا يقوم إسناد حديثه . وقال الترمذي : ليس إسناده بذلك . وقال أيضاً : ليس إسناده بمعروف^(٣) .

وروى البخاري في تاريخه ج ٤ قسم ١ ص ٢٣٧ من طريق كنانة مولى صفية قال : كنت أقود بصفية لترد عن عثمان فلقيتها الأشر فضرب وجه بغلتي حتى قالت : ردوني ولا يفضحني هذا الكلب . وكنت فيمن حمل الحسن جريحاً ، ورأيت قاتل عثمان من أهل مصر يقال له : جبلة .

وقال سعيد المقبري عن أبي هريرة : كنت محصوراً مع عثمان في الدار فرمي رجل منا ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! الآن طاب الضراب قتلوا رجلاً منا . قال : عزمت عليك يا أبا هريرة ! إلا رميت بسيفك ، فلئما تراد نفسي ، وسألني المؤمنين بنفسي اليوم ، قال أبو هريرة : فرميت بسيفي فلا أدري أين هو حتى الساعة^(٤) .

لم أقف على رجال إسناد هذه الاسطورة غير سعيد المقبري ، وهو سعيد بن أبي سعيد أبوسعد المدني ، والمقبري نسبة إلى مقبرة بالمدينة كان مجاوراً لها .

(١) كذا في بعض النسخ والصحيح : كنانة .

(٢) الإستيعاب ج ٢ ، ص ٤٧٨ ، تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٤١ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٤ .

(٣) تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٤٥٠ .

(٤) الإستيعاب ج ٢ ص ٤٧٨ ، تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٤٢ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٣ .

سلسلة الموضوعات والنظر فيها ٢٧٥

قال يعقوب بن شيبه والواقدي وابن حبان : إنه تغير وكبر واختلط قبل موته بأربع سنين . راجع تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٣٨ ، ومتن الرواية أقوى شاهد على اختلاط الرجل ، فإنَّ أولَّ مَنْ رمى يوم الدار هو رجلٌ من أصحاب عثمان رمى نيار بن عياض الأسلمي وكان شيخاً كبيراً فقتله الرجل كما مرَّ في ص ٢٣٣ ومضى في ص ٢٣٢ : إنَّ أبا حفصة مولى مروان هو الذي أنشب القتال ورمى نيار الأسلمي ، ولعلَّكَ تعرف أبا هريرة ومبلغه من الصدق والأمانة على ودائع العلم والدين ، وإن كنت في جهل من هذا فراجع كتاب أبي هريرة لسيدنا الحجَّة شرف الدين العاملي حيَّاه الله وبَيَّاه ، ولعلَّ تقاعد أبي هريرة عن نصرة الإمام أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام في حروبه الدامية كان لأنَّه لم يك يدري أين سيفه .

وعن أشعب بن حنين مولى عثمان : أنَّه كان مع عثمان في الدار فلما حُصر جرَّ مماليكه السيوف فقال لهم عثمان : مَنْ أغمد سيفه فهو حرٌّ . فلما وقعت في أُذني كنت والله أولَّ مَنْ أغمد سيفه ، فأعتقت .

قال الذهبي : هذا الخبر باطلٌ لأنَّه يقتضي أنَّ لأشعب صحبة وليس كذلك .
[لسان الميزان ج ٤ ص ١٢٦]

صورة مفصلة :

عن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه قال : كنَّا مع عثمان رضي الله عنه وهو محصورٌ في الدار فقال : وبمَ يقتلونني ؟ وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يحلُّ دم امرئ مسلم إلَّا بإحدى ثلاث : رجلٌ كفر بعد إسلام ، أو زنى بعد إحصان ، أو قتل نفساً بغير حقٍّ فيقتل بها ، فوالله ما أحببتُ لديني بدلاً منذ هداني الله تعالى ، ولا زينتُ في جاهليَّة ولا إسلام ، ولا قتلتُ نفساً بغير حقٍّ ، فبِمَ يقتلونني ؟ فلما اشتدَّ عطشه أشرف على الناس فقال : أفیکم عليٌّ ؟ فقالوا : لا . فقال : أفیکم سعد ؟ فقالوا : لا . فسكت ثمَّ قال : ألا أحدٌ يبلغ عليّاً فيسقيناه ماءً ؟ فبلغ ذلك عليّاً فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة ماءً فما وصل إليه حتَّى جرح بسببها عدَّة من بني هاشم وبني أمیَّة ، فلما بلغ عليّاً أنَّ عثمان محاصرٌ يراد قتله قام خارجاً من منزله معتملاً بعمامة رسول الله ﷺ متقلداً سيفه وأمامه ابنه الحسن وعبدالله بن عمر في نفر

من الصحابة والمهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ، ودخلوا على عثمان وهو محصورٌ فقال له عليٌّ كرم الله وجهه : السَّلام عليك يا أمير المؤمنين ! إنَّك إمام العامة وقد نزل بك ما ترى ، وإنِّي أعرض عليك خصالاً ثلاثاً اختر إحداهنَّ : إمَّا أن تخرج فتقاتلهم ونحن معك وأنت على الحقِّ وهم على الباطل ، وإمَّا أن تحرق باباً سوى الباب الذي هم عليه فتتركب رواحك وتلحق بمكة فإنَّهم لن يستحلُّوك وأنت بها ، وإمَّا أن تلحق بالشام فإنَّهم أهل الشام وفيهم معاوية . فقال عثمان : أمَّا أن أخرج إلى مكة فإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : يُلحد رجلٌ من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم . فلن أكون أنا . وأمَّا أن ألحق بالشام فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله ﷺ . قال : فأذن لنا أن نقاتلهم ونكشفهم عنك ، قال : فلا أكون أوَّل من يأذن في محاربة أمة محمد ﷺ ، فخرج عليٌّ وهو يسترجع وقال للحسن والحسين : إذهبا بسيفكما حتَّى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل إليه ، وبعث الزبير ابنه ، وبعث طلحة ابنه ، وبعث عذَّة من أصحاب محمد أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان ويسألونه إخراج مروان ، فلمَّا رأى ذلك محمد بن أبي بكر وقد رمى الناس عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بالدماء على بابهِ وغيره ، فخشي محمد بن أبي بكر أن يغضب بنو هاشم لحال الحسن ويكشفوا الناس عن عثمان فأخذ بيد رجلين من أهل مصر فدخلوا من بيت كان بجواره ، لأنَّ كلَّ من كان مع عثمان كانوا فوق البيوت ولم يكن في الدار عند عثمان إلَّا امرأته ، فتقبَّوا الحائط فدخل عليه محمد بن أبي بكر فوجده يتلو القرآن فأخذ بلحيته فقال له عثمان : والله لو رآك أبوك لساء فعلك . فتراخت يده ودخل الرجلان عليه فقتلاه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا ، قيل : جلس عمرو بن الحمق على صدره وضربه حتَّى مات ، ووطأ عمير بن ضابئة على بطنه فكسر له ضلعين من أضلاعه ، وصرخت امرأته فلم يسمع صراخها لما كان حول الدار من الناس وصعدت امرأته فقالت : إنَّ أمير المؤمنين قد قُتل فدخل الناس فوجدوه مذبحاً وانتشر الدم على المصحف على قوله تعالى : ﴿ فسيفكيهم الله وهو السميع العليم ﴾ ، وبلغ الخبر عليّاً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم للخبر الذي أتاهم حتَّى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولاً

نظرة في الموضوعات ٢٧٧

فاسترجعوا ، وقال عليّ لابنيه : كيف قُتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ؟ ورفع بده فلطم الحسن ، وضرب على صدر الحسين ، وشتم محمد بن طلحة ولعن عبدالله بن الزبير، وخرج وهو غضبان حتى أتى منزله ، وجاء الناس يهرعون إليه فقالوا له : نبايعك فمدّ يدك فلا بدّ لنا من أمير . فقال عليّ : والله إنّي لأستحي أن أبايع قوماً قتلوا عثمان ، وإنّي لأستحي من الله تعالى أن أبايع وعثمان لم يُدفن بعد ، فافترقوا ثم رجعوا فسألوه البيعة فقال : اللهم إنّي مشفقٌ ممّا أقدم عليه فقال لهم : ليس ذلك إليكم إنّما ذلك لأهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة ، فلم يبق أحدٌ من أهل بدر حتى أتى عليّاً فقالوا : ما نرى أحداً أحقّ بها منك ، مدّ يدك نبايعك . فبايعوه ، فهرب مروان وولده ، وجاء عليّ وسأل امرأة عثمان فقال لها : من قتل عثمان ؟ قالت : لا أدري دخل عليه محمد بن أبي بكر ومعه رجلان لا أعرفهما ، فدعا محمداً فسأله عمّا ذكرت امرأة عثمان فقال محمد : لم تكذب والله دخلت عليه وأنا أريد قتله فذكر لي أبي فقامت عنه وأنا تائبٌ إلى الله تعالى ، والله ما قتلته ولا أمسكته . فقالت امرأته : صدق ولكنه أدخلهما عليه .

راجع أخبار الدول للقرماني هامش الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٢١٠ - ٢١٣ .

نظرة في الموضوعات :

هذه الموضوعات اختلقت تجاه التاريخ الصحيح المتسالم عليه المأخوذ من مئات الآثار الثابتة المعتضد بعضها ببعض ، فيضادها ما أسلفناه في البحث عن آراء أعظم الصحابة في عثمان وما جرى بينهم وبينه من سيء القول والفعل ، وفيهم بقيّة أصحاب الشورى وغير واحد من العشرة المبشرة وعدّة من البدريين ، وقد جاء فيه ما يربو على مائة وخمسين حديثاً راجع ص ٩٢ - ١٨٦ من هذا الجزء .

وتكذّبها أحاديث جمّة ممّا قدّمنا ذكرها ص ١٨٦ - ١٩٢ من حديث المهاجرين والأنصار وأنهم هم قتلة عثمان .

ومن حديث كتاب أهل المدينة إلى الصحابة في الثغور من أن الرجل أفسد دين محمد فلهموا وأقيموا دين محمد ﷺ .

٢٧٨ الغدير ج - ٩

ومن حديث كتاب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة ويقسمون له بالله إنهم لا يمسون عنه أبداً حتى يقتلوه أو يعطيهم ما يلزمه من الله .

ومن حديث كتاب المهاجرين إلى مصر أن تعالوا إلينا وتداركوا خلافة رسول الله قبل أن يسلبها أهلها ، فإن كتاب الله قد بُدِّل ، وسنة رسوله قد غُيِّرَت . إلى آخر ما مرَّ في ص ١٩٠ - ١٩١ .

ومن حديث الحصار الأول المذكور في صفحة ١٩٨ - ٢٠٨ .

ومن حديث كتاب المصريين إلى عثمان إننا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتى تأتينا منك توبة مصرحة ، أو ضلالة مجلحة مبلجة . إلى آخر ما مرَّ ص ٢٠٠ .

ومن حديث عهد الخليفة على نفسه أن يعمل بالكتاب والسنة سنة ٣٥ كما مرَّ ص ٢٠٠ - ٢٠٢ .

ومن حديث توبته مرة بعد أخرى كما فصلناه ص ٢٠٢ - ٢٠٩ .

ومن حديث الحصار الثاني الذي أسلفناه ص ٢٠٨ - ٢٢٠ .

ومن حديث كتاب عثمان إلى معاوية في أن أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطاعة . إلى آخر ما سبق في صفحة ٢٢٢ .

ومن حديث كتابه إلى الشام عامة : إنني في قوم طال فيهم مقامي واستعجلوا القدر في . وخيروني بين أن يحملوني على شارف من الإبل الدحيل ، وبين أن أنزع لهم رداء الله . إلى آخر ما مرَّ ص ٢٢٢ .

ومن حديث كتابه إلى أهل البصرة المذكور صفحة ٢٢٣ .

ومن حديث كتابه إلى أهل الأمصار مستنجداً يدعوهم إلى الجهاد مع أهل المدينة والحق به لنصره كما مرَّ ص ٢٢٣ .

ومن حديث كتابه إلى أهل مكة ومن حضر الموسم ينشد الله رجلاً من المسلمين بلغه كتابه إلا قدم عليه . الخ .

نظرة في الموضوعات ٢٧٩

ومن حديث يوم الدار والقتال فيه ، وحديث مَنْ قُتل في ذلك المعترك ممّا مضى في ص ٢٣٠ - ٢٣٦ .

ومن حديث مقتل عثمان وتجهيزه ودفنه بحشّ كوكب بدر سلع مقابر اليهود المذكور ص ٢٣٦ - ٢٥٠ .

ومّا ثبت من أحوال هؤلاء الذين زعموا أنّهم بعثوا أبناءهم للدفاع عن عثمان ، وأنّهم لم يفتأوا مناوئين له إلى أن قُتل وبعد مقتله إلى أن قُبر في أشنع الحالات ، أمّا عليّ أمير المؤمنين فمن المتسالم عليه أنّه لم يحضر مقتل الرجل في المدينة فضلاً عن دخوله عليه قبيل ذلك واستثذانه منه للدبّ عنه وبعد مقتله وبكائه عليه وصفعه ودفعه وسبّه ولعنه وحواره حول الواقعة ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٣٠ ردّاً على حديث : الظاهر أنّ هذا ضعيف لأنّ عليّاً لم يكن بالمدينة حين حُصر عثمان ولا شهد قتله .

وقد سأله عثمان أن يخرج إلى ماله بينبع ليقبّل هتف الناس باسمه للخلافة ، وكان ذلك مرّة بعد أخرى وفي إحداها قال لابن عباس : قل له فليخرج إلى ماله بينبع فلا أغتمّ به ولا يغتمّ بي . فأتى ابن عباس عليّاً فأخبره فقال عليه السلام : يابن عباس ! ما يريد عثمان إلّا أن يجعلني جملاً ناضحاً بالغرب أقبل وأدبر ، بعث إليّ أن أخرج ، ثمّ بعث إليّ أن أقدم ، ثمّ هو الآن يبعث إليّ أن أخرج .

وعليّ عليه السلام هو الذي مرّ حديث رأيه في عثمان فراجع حتّى يأتيك اليقين بأنّه صلوات الله عليه لم يكن كالواله الحزين ، ولم يكن ذاهباً عقله يوم الدار ، ولا يقذفه بهذه الفرية الشائنة إلّا من ذهب به الخيلاء ، وتخبطه الشيطان من المسّ ، وخبل حبّ آل أميّة قلبه واختبله ، فلا يبالي بما يقول ، ولا يكثرث لما يتقول .

وأما طلحة فحدث عنه ولا حرج ، كان أشدّ الناس على عثمان نقمة ، وله أيام الحصارين وفي يومي الدار والتجهيز خطوات واسعة ومواقف هائلة خطيرة ثائرة على الرجل كما مرّ تفصيل ذلك كلّّه ، وإن كنت في ريب من ذلك فاسأل عنه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لتسمع منه قوله : والله ما استعجل متجرداً للطلب بدم عثمان إلّا خوفاً من أن يطالب بدمه لأنّه مظنّته ، ولم يكن في القوم أحرص عليه

٢٨٠ الغدير ج - ٩

منه ، فأراد أن يغالط ممّا أجلب فيه ليلبس الأمر ويقع الشكّ . وقوله : لحا الله ابن الصعبة أعطاه عثمان ما أعطاه وفعل به ما فعل . إلى أقواله الأخرى التي أوقفناك عليها .

وسلّ عنه عثمان نفسه وقد مرّت فيه كلماته المعربة عن جليّة الحال ، وسلّ عنه مروان لماذا قتله ؟ وما معنى قوله حين قتله لإبن عثمان : قد كفيّتك بعض قتلة أبيك ؟ وسلّ عنه سعداً ومحمد بن طلحة وغيرهما ممّن مرّ حديثهم .

وأما الزبير فإن سألت عنه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فعلى الخير سقطت قال عليه السلام له : أتطلب مني دم عثمان وأنت قتلتها ؟ سلّط الله على أشدنا عليه اليوم ما يكره ، وقال فيه وفي طلحة : إنهم يطلبون حقّاً هم تركوه ، ودماً هم سفكوه ، فإن كنت شريكهم فيه فإنّ لهم نصيبهم منه ، وإن كان ولّوه دوني فما الطلبة إلّا قبلهم . إلى آخر ما أسلفناه من كلماته عليه السلام .

وقد مرّ قول ابن عباس : أمّا طلحة والزبير فإنهما أجلبا عليه وضيقا خناقه . وقول عمار بن ياسر في خطبة له : إنّ طلحة والزبير كانا أوّل من طعن وآخر من أمر . وقول سعيد بن العاص لمروان : هؤلاء قتلة عثمان معك إنّ هذين الرجلين قتلا عثمان : طلحة والزبير ، وهما يريدان الأمر لأنفسهما ، فلمّا غلبا عليه قالوا : نغسل الدم بالدم والحبوة بالحبوة .

وأما سعد بن أبي وقاص فهو القائل كما مرّ حديثه : وأمسكنا نحن ولو شئنا دفعنا عنه ولكن عثمان غيّر وتغيّر ، وأحسن وأساء ، فإن كنّا أحسنّا فقد أحسنّا ، وإن كنّا أسأنا فنستغفر الله .

وأعطف على هؤلاء بقيّة الصحابة الذين حسب واضعو هذه الروايات أنّهم بعثوا أبناءهم للدفاع عن عثمان ، وقد أسلفنا إجماعهم عدا ثلاثة رجال منهم على مقتته المفضي إلى قتله ، وهل ترى من المعقول أن يمقتة الآباء إلى هذا الحدّ الموصوف ثمّ يبعثوا أبناءهم للمجادة عنه ؟ إنّ هذا إلّا اختلاق .

وهل من المعقول أنّ القوم كانوا يحضون له الولاء ، وحضروا للمناضلة عنه ، فباغتهم الرجالن اللذين أجهزا عليه وفراً ولم يعلم بهما أحدٌ إلى أن أخبرتهم

نظرة في الموضوعات ٢٨١

بهما إبنة الفرافصة ولم تعرفهما هي أيضاً ، وكانت إلى جنب القتل تراهما وتبصر ما ارتكباه منه ؟ .

وهل عرف مختلق الرواية التهافت الشائن بين طرفي ما وضعه من تحريره تقليل عدد المناوئين لعثمان المجهزين عليه حتى كاد أن يخرج الصحابة الآباء منهم والأبناء عن ذلك الجمهور ، ومما عزاها إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من قوله لما انثال إليه القوم ليبياعوه : والله إنني لأستحي أن أبيع قوماً قتلوا عثمان . الخ ؟ وهو نص على أن مبايعة أولئك هم كانوا قتلوا عثمان وهم هم المهاجرون والأنصار الصحابة الأولون الذين جاء عنهم يوم صفين لما طلب معاوية من الإمام عليه السلام قتلة عثمان وأمر عليه السلام بتبرزهم فنهض أكثر من عشرة آلاف قائلين : نحن قتلته ، يقدمهم عمار بن ياسر ، ومالك الأشتر ، ومحمد بن أبي بكر ، وفيهم البدريون ، فهل الكلمة المعزوة إلى الإمام عليه السلام لمبايعة عبارة أخرى عن الرجلين المجهولين اللذين فرّا ولم يعرف أحد خبرهما ؟ أو هما وأخلاق من الناس الذين كانت الصحابة تضادهم في المرمى ؟ وهل في المعقول أن يلهج بهذا إلا معتوه ؟

وهل نحت هذا الإنسان الوضّاع إن صدق في أحلامه عذراً مقبولاً لأولئك الصحابة العدول الذابّين عن عثمان بأنفسهم وأبنائهم الناقمين على من ناوأه في تأخيرهم دفنه ثلاثاً وقد ألقى في المزبلة حتى زُجَّ بجثمانه إلى حشر كوكب ، دير سلع ، مقبرة اليهود ، ورُمي بالحجارة ، وشُيع بالمهانة ، وكُسِر ضلع من أضلاعه ، واودع الجذث بأثيابه من غير غسل ولا كفن ، ولم يشيّه إلا أربعة ، ولم يمكنهم الصلاة عليه ؟ فهل كل هذا مشروع في الإسلام ، والصحابة العدول يرونه ويعتقدونه بأنه خليفة المسلمين ، وأن من قتله ظالم ، ولا ينبسون فيه بنت شفة ، ولا يجرون فيه أحكام الإسلام ؟ أو أنهم ارتكبوا ذلك الحوب الكبير ومم لا يتحوبون متعمدين ؟ معاذ الله من أن يقال ذلك . أو أن هذا الإنسان زحزحته بوادره عن مجاري تلکم الأحكام ، وحالت شوارده بينه وبين حرّمات الله ، وشَرّشت منه جلباب الحرمة والكرامة ومزّقه تمزيقاً ، حتى وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة ؟ .

ومن الكذب الصريح في هذه الروايات عدُّ سعد بن أبي وقاص في الرعيل الأول ممّن بايع عليّاً عليه السلام وهو من المتقاعدين عن بيعته إلى آخر نفس لفظه وهذا

٢٨٢ الغدير ج - ٩

هو المعروف منه والمتسالم عليه عند رواة الحديث ورجال التاريخ ، وقد نحتت يد الإفتعال في ذلك له عذراً أشنع من العمل ، راجع مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١١٦ .

ومن المضحك جداً ما حكاه البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٩٣ عن ابن سيرين من قوله : لقد قُتل عثمان وإنَّ في الدار لسبعمائة منهم الحسن وابن الزبير فلو أذن لهم لأخرجوهم من أقطار المدينة .

وعن الحسن البصري^(١) قال : أتت الأنصار عثمان فقالوا : يا أمير المؤمنين ! ننصر الله مرتين نصرنا رسول الله ﷺ وننصرك . قال : لا حاجة لي في ذلك إرجعوا . قال الحسن : والله لو أرادوا أن يمنعوه بأرديتهم لمنعوه .

أي عذر معقول أو مشروع هذا ؟ يُقتل خليفة المسلمين في عُقر داره بين ظهرائي سبعمائة صحابيٍّ عادل وهم ينظرون إليه ، ومحمد بن أبي بكر قابضٌ على لحيته عال بها حتى سُمع وقع أضراسه ، وشحطه من البيت إلى باب داره ، وعمر بن الحمق يثب ويجلس على صدره ، وعمر بن ضابئ يكسر أضلاعه ، وجبينه موجوءٌ بمشقص كنانة بن بشر ، ورأسه مضروسٌ بعمود التجيبي ، والغافقي يضرب فمه بحديد ، ترد عليه طعنة بعد أخرى حتى أثختته الجراح وبه حياةٌ فأرادوا قطع رأسه فألقت زوجته بنفسهما عليه ، كلُّ هذه بين يدي أولئك المئات العدول أنصار الخليفة غير أنهم ينتظرون حتى اليوم إلى إذن القتل وإلا كانوا أخرجوهم من أقطار المدينة ، ولو أرادوا أن يمنعوه بأرديتهم لمنعوه . أين هذه الاضحوكة من الإسلام والكتاب والسنة والعقل والعاطفة والمنطق والإجماع والتاريخ الصحيح ؟!

نظرة في المؤلفات :

إنَّ ما سطرناه في عثمان إلى هذا الحدِّ أساس ما علّوا عليه بنيان فضله ، وتبرير ساحته عن لوث أفعاله وتروكه ، وتعذيره في النهاير التي ركبها والدفاع عنه ، وقد أوقفناك على الصحيح الثابت ممَّا جاء فيه ، وعلى المزيَّف الباطل ممَّا وضع

(١) راجع إزالة الخفاء ج ٢ ص ٢٤٢ .

له ، ومن جنائيات المؤرخين ضربهم الصفح عن الأوّل ، وركونهم إلى الفريق الثاني من الروايات فبنوا ما شادوه على شفا جُرف هار ، فلم يأت بغيرها أيّ عثمانى في العقيدة ، أمويّ في النزعة ، ضع يدك على أيّ كتاب لأحدهم في التاريخ والحديث مثل تاريخ الامم والملوك للطبري ، والتمهيد للباقلاني ، والكمال لابن الأثير ، والرياض النضرة للمحب الطبري وتاريخ أبي الفدا ، وتاريخ ابن خلدون ، والبداية والنهاية لابن كثير ، والصواعق لابن حجر ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ، وروضة المناظر لابن الشحنة الحنفي ، وتاريخ أخبار الدول للقرماني ، وتاريخ الخميس للديار بكري ، ونزهة المجالس للصفوري ، ونور الأبصار للشبلنجي ، تجده مشحوناً بتلك الموضوعات المسلسلة ، أتوا بها مرسلين إليها إرسال المسلم ، وشوّهوا بها صحيفة التاريخ بعدما سوّدوا صحائفهم ، وموّهوا بها على الحقائق الراهنة .

وجاء بعد هؤلاء المحدثون المتسرّعون وهم يحسبون أنهم يحصون التاريخ والحديث تمحيصاً ، ويحلّلون القضايا والحوادث تحليلاً صحيحاً متجرّدين عن الأهواء والنزعات غير متحيّزين إلى فئة ، ولا جانحين إلى مذهب ، لكنهم بالرغم من هاتيك الدعوى وقعوا في ذلك وهم لا يشعرون ، فحملوا إلينا كلّ تلكم الدسائس في صور مُبهجة رجا أن تنطلي عند الرجرجة الدهماء ، لكن قلم التنقيب أطاق الستار عن تمويههم ، وعرف الملاء الباحث أنهم إنّما ردّوا ما هنالك من بوائق ومخازي ، كما ردّها يوماً بسوءته عمرو .

وأثبتوا فضائل بنيت على أساس منهدم ، وربطوها بعري متفكّكة ، فهلّمّ معي نقرأ صحيفة من «الفتوحات الإسلامية» تأليف مفتي مكّة السيّد أحمد زيني دحلان ممّا ذكره في الجزء الثاني من سيرة الخلفاء الأربعة ص ٣٥٤ - ٥١٧ قال في ص ٤٩٢ تحت عنوان : ذكر ما كان لسيّدنا عثمان من الإقتصاد في الدنيا وحسن السيرة : كان عثمان رضي الله عنه زاهداً في الدنيا ، راغباً في الآخرة ، عادلاً في بيت المال^(١) لا يأخذ لنفسه منه شيئاً^(٢) لأنّه كان غنياً ، وغناه كان مشهوراً من حياة

(١) فلماذا نقم عليه الصحابة أجمع ؟ ولما ذا قتلوا ذلك الزاهد الراغب العادل ؟

(٢) راجع الجزء الثامن ص ٣٣٦ - ٣٣٧

النبي ﷺ وبعد وفاته ، وكان كثير الإنفاق في نهاية الجود والسماحة والبذل في القريب والبعيد^(١) وأنزل الله فيه : ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مِنْهُ وَلَا أَدَّى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢) وقوله تعالى : ﴿أَمِنْ هُوَ قَائِلٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾^(٣) . وقوله تعالى : ﴿رَجُلًا صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾^(٤) .

وكان يخطب الناس وعليه إزارٌ غليظٌ عدنيُّ ثمنه أربعة دراهم^(٥) وكان يطعم الناس طعام الإمارة ويدخل بيته يأكل الخُلّ والزيت ، قال الحسن البصري : دخلت المسجد فإذا أنا بعثمان متكئاً على رداءه فأتاه سقاءان يختصمان إليه فقضى بينهما ، وعن عبدالله بن شداد قال : رأيت عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة وهو يومئذ أمير المؤمنين وعليه ثوبٌ قيمته أربعة دراهم . وسئل الحسن البصري ما كان رداء عثمان ؟ قال : كان قطري . قالوا : كم ثمنه ؟ قال : ثمانية دراهم . وكان رضي الله عنه شديد التواضع ، قال الحسن البصري : رأيت عثمان وهو أمير المؤمنين نائماً في المسجد ورداءه تحت رأسه فيجيء الرجل فيجلس إليه ، ثم يجيء الرجل فيجلس إليه ، فيجلس هو كأنه أحدهم وروى خيثمة قال : رأيت عثمان نائماً في المسجد في ملحفة ليس حوله أحد وهو أمير المؤمنين ، وفي رواية أخرى لخيثمة أيضاً : رأيت عثمان يقيّل في المسجد ويقوم وأثر الحصاة في جنبه فيقول الناس : يا أمير المؤمنين ! وكان يلي وضوءه في الليل بنفسه فقيّل له : لو أمرت بعض الخدم لكفوك ، قال : لا ، الليل لهم يستريحون فيه ، وكان رضي الله عنه يعتق في كل جمعة رقبة منذ أسلم إلا أن لا يجد ذلك تلك الجمعة فيجمعها

(١) لا من كان يمتّ بالبيت الهاشمي ويحمل ولاء العترة كأبي ذر وعمار وابن مسعود ونظرائهم .

(٢) مرّ في الجزء الثامن ص ٨٠ بطلان هذا القول على الله .

(٣) أسلفنا في هذا الجزء في ترجمة عمار القول الصحيح في نزول الآية .

(٤) مرّ في الجزء الثاني ص ٧٠ نزولها في عليّ وحزمة وعبيدة بن الحرث . وأخرج البخاري في صحيحه في التفسير ج ٧ ص ٩١ نزولها في أنس بن النضر وذكر ابن حجر

نزولها في جماعة ولم يذكر فيهم عثمان ، راجع فتح الباري ج ٨ ص ٤٢٠ .

(٥) راجع ما رويناه في الجزء الثامن ص ٣٤٠

في الجمعة الاخرى . قال العلامة ابن حجر في الصواعق : إن جملة ما اعتقه عثمان رضي الله عنه ألفان وأربعمائة . ومن تواضعه : إنه كان يردف غلامه خلفه أيام خلافته ولا يعيب ذلك . وكان يصوم النهار ويقوم الليل إلا هجعة من أوله . وكان يختم القرآن كل ليلة في صلاته . وكان كثيراً ما يختمه في ركعة ، وكان إذا مرَّ على المقبرة يبكي حتى تبطل لحيته ، وكان من العشرة المبشرين بالجنة . ومن أصحاب النبي ﷺ توفي وهو عنهم راضٍ ، وكان من السابقين للإسلام ، فإنه أسلم بعد أبي بكر وعليّ وزيد بن حارثة ، وشهد له النبي ﷺ بالجنة والزهد في الدنيا ، فقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال : رحمك الله يا عثمان ! ما أصبت من الدنيا ولا أصابت منك^(١) وكثرت الفتوحات في زمن خلافته فقد فتح في زمنه أفريقية وسواحل الأردن وساحل الروم واصطخر وفارس وطبرستان وسجستان وغير ذلك ، وكثرت أموال الصحابة في خلافته حتى بيعت جارية بوزنها ، وفرس بمائة ألف ، ونخلة بألف ، وعن الحسن البصري قال : كانت الأرزاق في زمن عثمان وافرًا وكان الخير كثيراً ، وأصاب الناس مجاعة في غزوة تبوك فاشترى طعاماً يصلح العسكر وأخرج أبو يعلى عن جابر عن النبي ﷺ قال : عثمان في الجنة وقال : لكل نبي خليل في الجنة وإن خليلي عثمان بن عفان . وفي رواية : لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان بن عفان . وقال ﷺ : ليدخلن بشفاعة عثمان سبعون ألف كلهم استحقوا النار الجنة بغير حساب . وأخرج أبو يعلى عن أنس رضي الله عنه : أول من هاجر إلى الحبشة بأهله عثمان بن عفان فقال رسول الله ﷺ : صحبهما الله إن عثمان لأول من هاجر إلى الله تعالى بأهله بعد لوفى ، ولما زوج النبي ﷺ بنته أم كلثوم لعثمان قال لها : إن بعلك لأشبه الناس بجذك إبراهيم وأبيك محمد ﷺ . وقال ﷺ : أشدُّ أمتي حياءً عثمان بن عفان . وقال ﷺ : إن الله أوحى إلي أن أزوج كريمتي يعني رقية وأم كلثوم من عثمان . وقال ﷺ : إن عثمان حيي تستحي منه الملائكة ، وقال ﷺ : إنما يشبه عثمان بأبينا إبراهيم . وقال ﷺ : ما زوجت عثمان بأم كلثوم إلا بوحي من السماء . وقال ﷺ لعثمان : يا عثمان ! هذا جبريل يخبرني

(١) هل تؤيد هذه الصحيحة المزعومة وما قبلها سيرة الرجل ؟ ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون .

انَّ الله زَوَّجَكَ أُمَّ كَلثُومَ بِمِثْلِ صَدَاقِ رَقِيَّةَ وَعَلَى مِثْلِ صَحْبَتِهَا ، وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خُبَابٍ قَالَ : شَهِدْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَحُثُّ عَلَى جَيْشِ الْعُسْرَةِ فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! عَلَيَّ مِائَةٌ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ حَضَّ عَلَى الْجَيْشِ فَقَالَ عُثْمَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! عَلَيَّ ثَلَاثُمِائَةٍ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ : مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا فَعَلَ بَعْدَ الْيَوْمِ . وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ : جَاءَ عُثْمَانُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِأَلْفِ دِينَارٍ حِينَ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَنَثَرَهُ فِي حَجَرِهِ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُهَا وَيَقُولُ : مَا ضَرُّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ . وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ حَذِيفَةَ : إِنَّهَا عَشْرَةُ آلَافِ دِينَارٍ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُهَا وَيَقُولُ : غُفِرَ اللَّهُ لَكَ يَا عُثْمَانُ مَا أَسْرَرْتَ وَمَا أَعْلَنْتَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، مَا يُبَالِي عُثْمَانُ مَا عَمِلَ بَعْدَهَا ! وَأَخْرَجَ الْوَاحِدِيُّ : إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ بِسَبَبِ ذَلِكَ فِي حَقِّ عُثْمَانَ : ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنْأً وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ . وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ قَالَ : إِرْتَقَبْتُ النَّبِيَّ ﷺ لَيْلَةً مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى أَنْ طَلَعَ الْفَجْرُ يَدْعُو لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ رَضِيَتْ عَنْهُ فَارْضَ عَنْهُ ، فَمَا زَالَ رَافِعاً يَدَيْهِ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ . وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَطِيَّةٍ قَالَ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : غُفِرَ اللَّهُ لَكَ يَا عُثْمَانُ مَا قَدَّمْتَ وَمَا أَخَّرْتَ وَمَا أَسْرَرْتَ وَمَا أَعْلَنْتَ وَمَا أَخْفَيْتَ وَمَا أَبْدَيْتَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ! الْخ . . .

هذه بلايا تمتتها يد الغلو في الفضائل ، مُنيت بها الأمة ، وطمست تحت أطباقها حقائق العلم والدين ، وانطمست بها أنوار الهداية ، وستعرف أنها روايات مختلفة زيفتها نظارة التنقيب ولا يصح منا شيء ، غير أنَّ المفتي دحلان على مطمار قومه أرسلها لإرسال المسلم ، وموهها على أغرار الملائكة الديني ، ولا يجد عن سردها متدحاً ، ذلك مبلغهم من العلم إن هم إلّا يظنون ، ولا تقف ما ليس لك به علم إنَّ السمع والبصر والفؤاد كلَّ أولئك كان عنه مسؤولاً .

الفتنة الكبرى :

واقراً صحيفة من «الفتنة الكبرى» للدكتور طه حسين قال في بدء كتابه : هذا حديثٌ أريد أن أخلصه للحقِّ ما وسعني إخلاصه للحقِّ وحده ، وأن أتحري فيه

الصواب ما استطعت إلى تحري الصواب سبيلاً ، وأن أحمل نفسي فيه على الإنصاف لا أحيده عنه ولا أمالىء فيه حزباً من أحزاب المسلمين على حزب ، ولا أشايح فيه فريقاً من الذين اختصموا في قضية عثمان دون فريق ، فلست عثمانياً الهوى ، ولست شيعة لعلي ، ولست أفكر في هذه القضية كما كان يفكر فيها الذين حاصر واعثمان واحتملوا معه ثقلها وجنوا معه أو بعده نتائجها .

وأنا أعلم أن الناس ما زالوا ينقسمون في أمر هذه القضية إلى الآن كما كانوا ينقسمون فيها أيام عثمان رحمه الله ، فمنهم العثماني الذي لا يعدل بعثمان أحداً من أصحاب النبي ﷺ بعد الشيخين ، ومنهم الشيعي الذي لا يعدل بعلي رحمه الله بعد النبي أحداً لا يستني الشيخين ولا يكاد يرجو لمكانهما وقاراً ، ومنهم من يتردد بين هذا وذاك يقتصد في عثمانيته شيئاً ، أو يقتصد في تشييعه لعلي شيئاً ، فيعرف لأصحاب النبي مكانتهم ويعرف لأصحاب السابقة منهم سابقتهم ، ثم لا يفضل بعد ذلك أحداً منهم على الآخر يرى أنهم جميعاً قد اجتهدوا ونصحوا لله ولرسوله وللمسلمين ، فأخطأ منهم من أخطأ وأصاب منهم من أصاب ، ولأولئك وهؤلاء أجرهم لأنهم لم يتعمدوا خطيئة ولم يقصدوا إلى إساءة ، وكل هؤلاء إنما يرون آراءهم هذه يستمسكون بها ويدودون عنها ويتفانون في سبيلها ، لأنهم يفكرون في هذه القضية تفكيراً دينياً ، يصدرون فيه عن الإيمان ، ويتغنون به ما يبتغي المؤمن من المحافظة على دينه والإستمسك بيقينه وابتغاء رضوان الله بكل ما يعمل في ذلك أو يقول .

وأنا أريد أن أنظر إلى هذه القضية نظرة خالصة مجردة لا تصدر عن عاطفة ولا هوى ، ولا تتأثر بالإيمان ولا بالدين ، وإنما هي نظرة المؤرخ الذي يجرد نفسه تجريداً كاملاً من النزعات والعواطف والأهواء مهما تختلف مظاهرها ومصادرها وغاياتها الخ . . .

هكذا يحسب الدكتور ويبدي أنه لا يروقه النزول على حكم العاطفة ولا التحيز إلى فئة أو جنوح إلى مذهب ، وقد تجرد فيما كتب عن كل ذلك حتى عن الإيمان والدين ، وزعم أنه قصر نظره في قضايا عثمان على البساطة ليتسنى له

الحكم الطبيعي ، والقول في تلکم الحوادث على الحقائق المحضة ، هكذا يحسب الدكتور ، لكنّه سرعان ما انقلب على عقبه كراً على ما فرّ منه ، فلم يسعه إلاّ الركون إلى العواطف ومتابعة النزعات ، فلم يرتد إلاّ إلى تلکم السفاسف التي اختلقتها سماسرة العثمانيين ، ولم يسرح في مسيره إلاّ مقيداً بسلاسل أساطير الأولين التي سردها الطبري ومن شايعه أو سبقه بتلك الأسانيد الواهية والمتون المزيّفة التي أوقفناك عليها في هذا الجزء وفيما سبقه من الأجزاء ، فلم نجد مائزاً بين هذا الكتاب وبين غيره من الكتب التي حسب الدكتور أنّ مؤلفيها حدث بهم الميول والنزعات ، فما هو إلاّ فتنة كبرى كما سمّاه هو بذلك .

ترى الدكتور يحايد حذراً من أن يحيد عن مهيع الحق ويجور في الحكم ، وزعم الحياد أسلم في اليوم الحاضر كما كان في الأمس الدابر ، فذهب مذهب سعد بن أبي وقاص الحائد في القضية واتّبع أثره ، قال في ديباجة كتابه : عاش قوم من أصحاب النبي حين حدثت هذه القضية وحين اختصم المسلمون حولها أعنف خصومة عرفها تاريخهم فلم يشاركوا فيها ولم يحتملوا من أعبائها قليلاً ولا كثيراً ، وإنما اعتزلوا المختصمين وفرّوا بدينهم إلى الله ، وقال قائلهم سعد بن أبي وقاص رحمه الله : لا أقاتل حتى تأتونني بسيف يعقل ويبصر وينطق فيقول : أصاب هذا وأخطأ ذاك .

فأنا أريد أن أذهب مذهب سعد وأصحابه رحمهم الله ، لا أجادل عن أولئك ولا عن هؤلاء ، وإنما أحاول أن أثبّين لنفسي وأبّين للناس الظروف التي دفعت أولئك وهؤلاء إلى الفتنة ، وما استتبع من الخصومة العنيفة التي فرّقهم وما زالت تفرّقهم إلى الآن ، وستظلّ تفرّقهم في أكبر الظنّ إلى آخر الدهر ، وسيرى الذين يقرأون هذا الحديث أنّ الأمر كان أجلاً من عثمان وعليّ وممن شايعهما وقام من دونهما ، وأنّ غير عثمان ولولي خلافة المسلمين في تلك الظروف التي وليها لتعرض لمثل ما تعرض له من ضروب المحن والفتن ، ومن اختصاص الناس حوله واقتتالهم بعد ذلك فيه . اهـ .

ها هنا نجد الدكتور جارياً على ما عهد إلى نفسه تجرّد عن العواطف ، وجانب المبادئ الدينيّة ، وحاید الدين الحنيف حقاً ، ونظر إلى القضية بالحرية

المحضة ، وحسبها فتنةٌ يحقُّ للعاقل أن يكون فيها كابن لبون لا ظهر له فيركب ولا ضرع فيحلب ، ونعم الرأي هذا لولا الإسلام المقدس ، لولا ما جاء به نبي العظمة ، لولا ما نطق به كتاب الله العزيز ، لولا ما تقتضيه فروض الإنسانية والعواطف البشرية القاضية بخلاف ما ذهب إليه الدكتور ، وإنني لست أقضي العجب منه ، ولست أدري كيف يُقدّس مذهب ابن أبي وقاص ، أيسوغ للباحث المسلم أن يصفح في تلکم القضايا عن حكم الدين المقدس ، ويشدّ عمّا قرره نبي الإسلام ، ويسحق العواطف كلّها حتّى ما يستدعيه الطبع الإنساني والغريزة العادلة في كسح الفساد والتفاني دون صالح المجتمع العام ؟ ألم يكن هنالك كتابٌ ناطقٌ أو سنّةٌ محكمةٌ أو شريعةٌ حاكمةٌ أو عقلٌ سليمٌ يبعث المألّ الدينيّ إلى الدفاع عن كلّ مسلمٍ مُدّت إليه يد الظلم والجور فضلاً عن خليفة الوقت الواجب طاعته ؟

ما الذي أحوج المتمسك بعري الدين الحنيف إلى سيف يعقل ويصبر وينطق والله يقول : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ﴾ ؟ ﴿ أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ ؟ ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ۖ ﴾ .

ما الذي أذهل الدكتور عن قول الصحابيِّ العظيم حذيفة اليماني : لا تضرك الفتنة ما عرفت دينك إنّما الفتنة إذا اشتبه عليك الحقّ والباطل ؟ وكيف يشتهبه الحكم في القضية على المسلم النابه وهي لا تخلو عن وجهين ، فإن عثمان إن كان إماماً عادلاً قائماً بالقسط عاملاً بالكتاب والسنة مرضياً عند الله ؟ فالخروج عليه معلوم الحكم عند جميع فرق المسلمين لا يختلف فيه إثنان ، ولا تشدُّ فئة عن فئة ، وإن لم يكن كذلك وكان كما حسبه أولئك العدول من أصحاب محمد ﷺ ، ومرّت آراؤهم ومعتقداتهم فيه ؟ فالحكم أيضاً بين مبرهن بالكتاب العزيز كما استدلّ بذلك الثائرون عليه لمّا قال لهم : لا تقتلوني فإنّه لا يحلّ إلّا قتل ثلاثة : رجل زنى بعد إحصانه . أو كفر بعد إسلامه ، أو قتل نفساً بغير نفس فيقتل بها . فقالوا : إنّنا نجد في كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سمّيت : قتل من سعى في الأرض فساداً ، وقتل من بغى ، ثمّ قاتل على بغيه ، وقتل من حال دون شيء

من الحق ومنعه ثم قاتل دونه وكابر عليه ، وقد بغيت ، ومنعت الحق ، وحلت دونه وكابرت عليه . الحديث «راجع ص ٢٣٧» .

فنحن لا نعرف وجهاً للحيداد كما ذهب إليه ابن أبي وقاص في القضية وفي المواقف الهائلة بعدها ، فالحياد - وإن راق الدكتور - تقاعد عن حكم الله ، وتقاعس عن الواجب الديني ، وخروج عما قرّره الحنفية البيضاء ، نعم : الحيداد حيلة أولئك المتشاكسين المتقاعدين عن بيعة إمام المتقين أمير المؤمنين ، المتقاعسين عن نصرته ، المتحايدين عن حكم الكتاب والسنة في حروبه ومغازيه ، عذر تترس به سعد بن أبي وقاص وعبدالله بن عمر وأبو هريرة وأبو موسى الأشعري ومحمد بن مسلمة السابقون الأولون من رجال الحيداد الزائف ، ﴿والإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره﴾ .

كتاب عثمان بن عفان :

وأعطف على كتاب عثمان بن عفان للمدرس في كلية اللغة العربية بمصر الأستاذ صادق إبراهيم عرجون نظرة ممعنة حيث يقول في فاتحته : فهذا طراز من البحث في سيرة ثالث الراشدين «عثمان» رضي الله عنه ، صوّرت به حياته صورة لا أعيذها من إجمال غير مجحف بحق ، ولا أعرضها عن تفصيل يظهر حجة أو يدفع شبهة .

وقد احتفلت فيه بتحقيق ما احتفّ بهذه السيرة الأسيفة من عوامل اجتماعية وسياسية ، دفعت المجتمع الإسلامي دفعا عاصفاً إلى أخطر انقلاب عرفه التاريخ في الإسلام .

وسيرة عثمان رضي الله عنه حرية بالبحث الممحص الهادئ ، ليكشف منها ما سترته الأفايص العابثة من فضائل ، وما شوّهته الروايات الغالطة من محاسن ، ويصحح ما غالطت بينها من حقائق ، ويضيف ما بهرجه المتقولون من أكاذيب مزورة وحكايات باطلة .

وقد حاولت جهدي أن أتبع الخطوط الأصيلة في حياة عثمان رضي الله عنه ، فلا عمتُ بينها حتى ارتسمت منها هذه الصورة التي أرجو أن تكون لبنة بين

نظرة في كتاب عثمان بن عفان ٢٩١

لبنات متساندة في دراسة حياة رجالات الإسلام ، وسير أبطاله الغر الميامين ، تبصرة وذكرى للمؤمنين والله ولي التوفيق . اهـ .

ثم ألق نظرة أخرى على مواضيع كتابه تجدها غير منطبقة على ما يقول في شيء منها ، وإنما هي نعرات طائفية ممقوتة ، وفضائل مفتعلة دسّتها يد الغلو فيها ، وسفاسف موضوعة حبّدت الشهوات اختلاقها ، كلّ أساطير السلف بزخرف القول ، وزخرف أباطيل الأولين بالبيان المزور ، لم نجد له فحصاً عن حال الأسانيد ، وتهافت المتون ، وفقه الحديث ، وطرق مواضيع مهمة من فقه عثمان وأغاليطه وأحداثه وهو يروقه التقصي عنها فلم يتقصّ إلا بالتافهات لا سيّما في المسائل الفقهية التي هو بمجنب عنها ، فنحت لها أعداراً باردة ، أو أنها أعظم من تلكم المآثم ، فلنمرّ عليها كراماً . وما ظنك بكتاب يكون من مصادره كتاب فجر الإسلام لأحمد أمين ذلك المتحدلق المختلق ، وكتاب الخصري ذلك الأمويّ المباهت ، ومحاضرات كرد علي العثماني الشاميّ المناويء لأهل بيت الوحي ، وأمثال هذه من كتب السلف والخلف ممّا لا يعرّج عليه ؟ وفيه الخلط والخبط ، وضوضاء الدجالين ، ولغط المستأجرين .

ومن أعجب ما رأيت قوله ص ٤١ من الكتاب تحت عنوان «الكذب على ذلك رسول الله» : وفي هذه المرحلة من تاريخ الإسلام بُدئت أكاذيب الفرق والأحزاب فيما يكيد به بعضها لبعض ، حتى أخذت تلك الأكاذيب صورة الحجاج بأحاديث يتقولها زعماء الفرق ورؤساء الأحزاب على سيّدنا رسول الله ﷺ ، وقد كثر من هذه الأكاذيب ما زعموه كان في حقّ الأئمة والخلفاء ، وقالت كلّ شيعة فيمن شايسته وفي منافسيه عندها ما شاء لها الهوى ، وتجاذب هذا النوع طرفي الإفراط والتفريط مدحاً وذمّاً ، واختلاقاً وتقوّلًا ، حتى غشّى سير هؤلاء الأجلّاء بغشاء من الغموض حجب الحقائق عن كثير من الناظرين .

وليس بأقلّ خطراً من ذلك ما اقترفوه في جنب القرآن الكريم من تأويلات محرّفة لآيات الله تعالى عن مواضعها ، ومن هنا وهناك تألفت سلسلة الموضوعات والخرافات والأساطير التي ابتلي بها المسلمون ، وانتشرت بينهم التلبيسات الملتوية

والشبه الغامضة ، فشوّهت جمال الشريعة المطهّرة ، وحُشي بها كثيرٌ من كتب المؤلّفين المتقدّمين والمتأخرين ، حتّى أصبحت وبالأعلى الدين ، وشرّاً على المسلمين ، وحائلاً دون نهضتهم وتقدّمهم ، وسلاحاً في أيدي خصوم الإسلام ، وعائقاً عن الوصول إلى كثير من الحقائق التاريخية والعلمية والدينية ، ولولا توفيق الله تعالى رحمةً بهذه الأمة ، ورعايةً لهذا الدين الكريم ، لطائفة من أئمة المسلمين المصطفين الأخيار ، انتهضوا لنقد الأسانيد وتنقيح الروايات ، وبهرجة الزائف منها ، وحظر الرواية عن كلّ صاحب بدعة في الإسلام ، لما بقيت للإسلام صورته النيرة التي جاء بها القرآن الحكيم ، وأداها رسول الله ﷺ إلى أصحابه نقيّة صافية .

هذه نفثات الأستاذ الصادق ، وهذه حسرته وزفراته المتصاعدة وراء ضياع التاريخ الإسلامي ، وراء طمس الحقائق تحت أطباق الظلمات ، وراء تشويه الأساطير والمخاريق والأباطيل جمال الشريعة المطهّرة ، ولعمر الحقّ لقد أحسن وأجاد ، والرائد لا يكذب ، غير أنّ المنسكين هو من أسراء تلکم السلاسل المتسلسلة من الموضوعات والخرافات التي ابتلي بها المسلمون ، وعاقته الأغشية المدلهمة عن الوصول إلى الحقائق التاريخية والعلمية والدينية ، وثبطته التلبسات الملتوية عن نيل الصحيح الناصع من التاريخ والحديث ، فما أصاب من الحقّ نيلاً ، وما أسعفته فكرته هذه على الطامات ولا قدر شعرة ، وما أوضحت له سبل النجاح ، وما هدته إلى المهيع اللائح ، فليته ثمّ ليته كان يأخذ بأقوال أولئك الأئمة المصطفين الأخيار في نقد الأسانيد في الجرح والتعديل ، وكان يعمل بها ويتخذها دستوراً لنفسه ، مقياساً فيما سطره من الأكاذيب والأفالك ، وليته كان يرحم هذه الأمة ، ويرعى هذا الدين الكريم مثلما هم رحموا ورعوا ، وما زرّف في تأليفه ، وما أعاد لأساطير الأولين الخلقة جدّتها بعد ألف وثلاثمائة عامٍ من عمرها .

وهل هو بعدما وقف على هذا الجزء ووجد كتابه مؤلّفاً من سلسلة بلايا وحلقة أباطيل زيّفها أولئك الأئمة الذين هو اصطفاهم واختارهم وأثنى عليهم يقرع سنّ الندم ويتبع سنن الحقّ اللاحب ؟ أو أنّه يلج فيما سودّ به صحائف كتابه أو صحيفة تاريخه ويتمادى في عيه وليّه ؟ وما التوفيق إلّا بالله .

نظرة في إنصاف عثمان ٢٩٣

كتاب إنصاف عثمان تأليف الاستاذ محمد أحمد جاد المولى بك :

هذا الكتاب أهدع من السراب ، صفر من شواهد الإنصاف ، شرحه الاستاذ من سلسلة أخبار مدسوسة وروايات مختلقة ، وإن درس هو بزعمه تاريخ عثمان دراسة الحذر منها فقال في ديباجته ص ٤ : درسنا تاريخ عثمان وعصره والثورة عليه دراسة الحذر من الأخبار المدسوسة ، اليقظ لمواطن العبرة ، المرجع كل حدث إلى بواعثه الأصلية وإن رانت عليها الشبهات .

ولم نكتف بما قال المؤرخون ، بل مددنا بصرنا إلى أبعد من ذلك ، فحللنا شخصيته ، وبيّنا مالها من صلة بالثورة عليه ، ودرسنا حال المسلمين وقد نعموا بالراحة والثراء وانساحوا في الأصقاع يخالطون الأعاجم ويصهرون إليهم ويتخلقون بعاداتهم ، وحال قريش وما انتابها من تفرق وتنازع على الرئاسة ، وبيّنا صلة ذلك بالتجني على الخليفة ، وجلونا الفتنة التي أرثها في الأمصار أعداء عثمان وأعداء الإسلام ، ونخلنا ذلك كله وصفيّناه ، واستخلصنا منه الأسباب الصريحة للفتنة .

ولم نغفل أن نعرض لما أخذ على عثمان ، ولا أن نتصف له حيث يستحق الإنصاف .

ومن حق عثمان أن تُخصّص لدراسته ودراسة عصره عشرات الكتب ، فإنه الخليفة المهضوم الحق ، المظلوم في الحكم عليه ، على ماله من سابقة وفضل وإصلاحات ، وعصره عصر انتقال واضطراب وثورات سياسية واجتماعية .

ونحن وإن بالغنا في الإحاطة وتوفي الزلل عرضة للتقصير ، ولكننا اجتهدنا رأينا ، فنرجو أن نكون قد وفّقنا لإبراز صورة واضحة لهذه الحقبة من تاريخ المسلمين ففيها عِظَاتٌ وعبر . والله المستعان . اهـ .

هذه لفاظته ، وهذا حسن طويته وحرصه على النجاح ، غير أنك تجده في جمعه وتأليفه كحاطب ليل رَزَم في حزمته كل رطب ويابس ، وجاء يخبط خبط عشواء من دون أي فحص وتنقيب ، لا يفقه ولا ينقّه ، لا يستصحب دراية في الحديث توقفه على الصحيح الثابت ، وتعرّفه الزائف البهرج ، ولا بصيرة تميّز له

الحو من اللو ، ولا علماً ناجعاً يجعجه ويهديه إلى الفوز والنجاح ، ولا فقهاً ينجيه من غمرات تلکم المعارك الوبيلة ، ولا تثباً يرشده إلى ما يُنقذه من تلکم التلبسات الملتوية ، جوّل في مضمار تلکم الطامات التي جاء بها الطبري وغيره وحسبها اصولاً مُسلمة ، وأسند في آرائه إلى فضائل مفتعلة نتاج أيدي الأمويين نسباً ونزعة ، ومن المأسوف عليه جدّاً أنّه أكدى وإن اجتهد رأيه ، ولم يظفر بأمله وإن بالغ في الإحاطة بزعمه ، وأبرز لهذه الحقبة من تاريخ المسلمين صورة معقّدة معضلة تخلو عن كلّ عظة وعبرة .

بسط القول في عبدالله بن سبأ وعزا إليه كلّ تلکم المعامع والثورات ، وحسبه مأدّة الفكرة الناقمة على الخليفة وأساسها الوحيد في البلاد ، ورأى معظم الصحابة أتباع نعرات ذلك المبتدع العاشم ، وطوع تلبس ذلك اليهوديّ المهتوك ، قال في ص ٤٢ عند ذلك يجد ابن سبأ منفذاً إلى هذا الشيخ الزاهد (يعني أبا ذر) في عرض الدنيا فينشر آراءه في مجلسه ويغريه بالحكومة ويحرّضه على الأغنياء ، وصار يقول له : يا أبا ذر ! ألا تعجب لمعاوية يقول : المال مال الله ، ألا كلّ شيء لله ؟ كأنّه يريد أن يحتجّه دون المسلمين ويمحو إسم المسلمين . ظلّ أبو ذر يدعو إلى الاشتراكية المتطرّفة بإرغام الأغنياء أن يساعدوا الفقراء ويتركوا أموالهم لهم ، واتخذ برّ الإسلام بالفقراء سبيلاً إلى ذهاب المال من أربابه ، وما قصد الإسلام هذا بل كما قال الله تعالى : ﴿والذين في أموالهم حقّ معلوم للسائل والمحروم﴾ زيادة على الزكاة الشرعيّة. الخ . . .

وقال في ص ٦١ : أمّا عمّار فقد توجّه إلى مصر وكان حاكمها مبغضاً من المصريين لا يجدون حرجاً في رمية بكلّ نقيصة ، واستطاع أتباع ابن سبأ بحذقهم ومهارتهم في ذلك المكفهر أن يخدعوه بزخرف القول وزوره ، وكان مع هذا في نفس عمّار شيء من عثمان لأنّه نفذ فيه حكم الله لمّا تقاذف هو والعبّاس بن عتبة بن أبي لهب ، ولهذا لم يعد إلى الخليفة ، ولم يطلعه على شيء ممّا رأى ، ومال إلى اتباع ابن سبأ . اهـ .

هذه صفحة من تلك الصورة الواضحة التي وُفق الاستاذ لإبرازها ، هذه هي

نظرة في انصاف عثمان ٢٩٥

الغاية المتوخاة التي بزعمه فيها عِظَات وعِبر ، هل يدري القارىء عن أيّ أبي ذر وعَمَّار يحدث هذا الثرثار المجازف ؟ حتى لا يبالى بما يقول ولا يكثرث لما أسرف فيهما من القول ، ولست أدري لماذا اقتحم الرجل في هذه الأبحاث الغامضة الخطرة التي يتيه فيها الناقد البصر ؟ لماذا اقتحم فيها مع ضؤولة رأيه وجهله بأحوال الرجال ومقادير أفاذا الأمة ، وعدم عرفانه نفسيّات خيرة البشر وصلحاء الصحابة ومبلغهم من الدين ؟ لماذا اقتحم فيها مع بُعده عن دراية الحديث ، وعلم الدين ، وفقه التاريخ ؟

تراه تشزّر وتعباً للدفاع عمّن شغفه حبّه بكل ما تيسّر له ولو بالوقعية في عدول الصحابة أو في الصحابة العدول ، وقد بينّا في الجزء الثامن ص ٤٠٣ حديث الرجل في أبي ذر وأنه موضوعٌ عنعنه أناس لا يعول عليهم عند مهرة الفنّ ، وفصلنا القول في هذا الجزء في حديث عَمَّار وأنه قطّ لم يتوجّه إلى مصر ، وإنّ ما ركن إليه الاستاذ لا يصحّ إسناده ، ونحاشي عَمَّاراً عن أن يحمل ضغينة على أحد لإفناذه حكم الله فيه ، وهل الاستاذ طبّق المفصل في رأيه هذا وبين يديه الذكر الحكيم والآية النازلة في عَمَّار ؟ وفي صفحات الكتب قول رسول الله ﷺ : ملئ عَمَّار إيماناً إلى أحمص قدميه . وقوله : إنّ عَمَّاراً مع الحقّ والحقّ معه ، يدور عَمَّار مع الحقّ أينما دار . وقوله : ما خيّر عَمَّار بين أمرين إلّا اختار أرشدهما . إلى أحاديث أخرى مرّت في هذا الجزء ص ٣٨ - ٤٦ تضادّ تلكم الخزعبلات .

وللأستاذ في تبرير الخليفة كلماتٌ ضخمة موجزةٌ في طيّها دسائس مطمورة ، وتمويهٌ على الحقائق التاريخية ، يتلقّاها الدهماء بالقبول ولا يرى عن الصفح عنها مندوحة قال في ص ٣٥ : من المسلّم به أنّ الوليد هذا عُيّن سنة ٢٥ هجرية وهي السنة الاولى من حكم عثمان ، وقد أجمع الناقدون والمؤرّخون على أنّه لم يقع منه خلال الست سنوات الاولى ما يسوّغ توجيه النقد إليه ، إذ كانوا يرون رائده تحرّي المصلحة العامة ، وإسناد المناصب إلى الجديرين بها لا فرق بين قريب وبعيد .

ا هـ .

دعوى الإجماع والاتّفاق والإصفاق المكذوبة سيرةً مطّردة عند القوم جيلاً بعد جيل سلفاً وخلفاً ، وكتب الفقه والكلام والحديث والتاريخ مشحونة بهذه السيرة

٢٩٦ الغدير ج - ٩

الممقوتة ومن أمعن النظر في كتاب المحلّي لابن حزم ، وكتابه الفصل في الملل والنحل ، ومنهاج السنّة لابن تيمية ، والبداية والنهاية لابن كثير ، يجد مئات من الإجماعات المدّعاة المشمجة ، والاستاذ اقتفى إثر أولئك الأماناء على ودائع العلم والدين وحذا حذوهم ، كأنّه لم يكُ يحسب أن يأتي عليه يوم يناقشه قلم التنقيب الحساب ، أو أنّه غير مكترث لأيّ تبعه ومعبّة .

أنّى من المتسالم عليه تولية الوليد سنة ٢٥ وإن هو إلّا قول سيف بن عمر كما نصّ عليه الطبري في تاريخه ج ٧ ص ٤٧ وزيّفه ، وعزاه ابن الأثير في الكامل إلى البعض ، وقد عرفناك سيّفاً في الجزء الثامن ص ١١١ وأنه : ضعيف متروك ، ساقط ، وضاع ، اتهم بالزندقة . فالمعتمد عند المؤرّخين أن تولية الوليد كانت سنة ٢٦ .

ثمّ أنّى يصحّ كون السنة الـ ٢٥ هي السنة الاولى من حكم عثمان ، وإنّما توفي عمر في أواخر ذي الحجة سنة ٢٣ وبويع عثمان بعد ثلاثة أيّام من موت عمر ، فالسنة الاولى من حكم عثمان هي ٢٤ .

وأين وأنّى يسع لنا قد أو مؤرّخ فضلاً عن إجماع الناقدين والمؤرّخين أن يحسب صفو الجوّ من بوائق عثمان وبوادره ونوادره خلال الستّ سنوات الاولى ، وهذه صفحات تاريخه في تلكم السنين مسوّدةً بهنات وهنات ، بل التاريخ سجّل له من أوّل يوم تسنّم عرش الخلافة ، وقام نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه ، صرعةً وعثرةً لا تُستقال ، منها :

١ - أبطل القصاص لّمّا استخلف ولم يقعد عبيدالله بن عمر وقد أتى عظيماً وقتل الهرمزان والجفينة وإبنة أبي لؤلؤة ، وأجمع رأي المهاجرين والأنصار علي كلمة واحدة يشجّعون عثمان على قتل ابن عمر أخذاً بالكتاب والسنّة ، غير أنّ عمرو بن العاص فلته عن رأيه ، فذهب دم أولئك الأبرياء هدرًا . وكانت أوّل قارورة كُسرت في الإسلام بيد عثمان يوم ولي الأمر .

٢ - لّمّا استخلف صعد المنبر وجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه رسول الله ﷺ ولم يجلس أبو بكر وعمر فيه ، جلس أبو بكر دونه بمراقبة ،

نظرة في انصاف عثمان ٢٩٧

وجلس عمر دون أبي بكر بمرقاة ، فتكلم الناس في ذلك فقال بعضهم : اليوم ولد الشر^(١) .

٣ - ردّ الحَكَم بن أبي العاص طريد النبيّ الأقدس ولعيّنه إلى المدينة لمّا ولي الخلافة ، وبقي فيها حتّى لعق لسانه ، وهذا الإيواء ممّا نُقم به على عثمان كما مرّ حديثه في ج ٨ ص ٢٨٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠٤

٤ - ولّى الوليد بن عقبة سنة ٢٦ ، ٢٥ وعزل سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المبشّرة ، وكان هذا في طليعة ما نقوموا على عثمان^(٢) ثم وقع ما وقع من الوليد من شرب الخمر وتقاعد الخليفة عن حدّه . راجع الجزء الثامن ص ١٥١ - ١٥٦

٥ - هبته الوليد ما استقرض عبدالله بن مسعود من مال المسلمين لمّا قدم الوليد الكوفة وكان ابن مسعود على بيت المال ، حتّى نقم الخليفة على ابن مسعود وعزله وحبس عطائه أربع سنين إلى أن مات سنة ٣٢ وجرى بينه وبين الخليفة ما مرّ حديثه في هذا الجزء ، وهذا ممّا أخذت الأمة خليفتهم به .

٦ - زاد الأذان الثالث في اوليات خلافته كما في تاريخ ابن كثير ، وقد فصلنا القول في أحوالته هذه في الجزء الثامن ص ١٥٦ - ١٦١

٧ - وسّع المسجد الحرام سنة ٢٦ وابتاع من قوم منازلهم ، وأبوا آخرون فهدم عليهم ودفع الأثمان في بيت المال فصاحوا بعثمان فأمر بهم للحبس وقال : ما جرّأكم عليّ إلّا حلمي . راجع الجزء الثامن ص ١٦١

٨ - أعطى خمس الغنائم في غزوة أفرقيّة الثانية مروان بن الحكم وهو من عمدة مآثم الخليفة ، وكان ذلك سنة ٢٧ من الهجرة الشريفة . راجع ج ٨ ص ٣٢٦ - ٣٣٠

٩ - حجّ سنة ٢٩ وأتمّ الصّلاة في مكان القصر في عامه هذا كما في تاريخ

(١) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ١٤٠ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٤٨ .

(٢) دول الإسلام ج ١ ص ٩ ، البداية والنهاية ج ٧ ص ١٥١ .

٢٩٨ الغدير ج - ٩

ابن كثير ج ٧ ص ١٥٤ ، وهذه الاحدوثة مرّت على تفصيلها في ج ٨ ص ١٢٧
١٥١ .

١٠ - أعطى خمس أفريقيّة عبدالله بن سعد بن أبي سرح في غزوتها الاولى .
راجع الجزء الثامن ص ٣٢٦

إلى بوادر وعثرات أخرى صدرت من الخليفة خلال الست سنوات الاولى كلّ
منها يسوّغ توجيه النقد إليه ، وكان من أوّل يومه مهما قرع سمعه نقدُ ناقد أو نصّح
ناصح لا يصيخ إليه ، بل كان يؤاخذ من أغمز فيه ، ويسومه سوء العذاب ، وكان
يُلقي العرى إلى بني أميّة في البلاد ، ويفوّض إليهم مقاليد الامور ، ويحسبه العلاج
الوحيد في حلّ تلكم المشاكل ، وتقصير خطى أولئك الناقدين الأمرين بالمعروف
والناهي عن المنكر ، حتى تمخّضت عليه البلاد ووغرت القلوب ، واتّسع الخرق
على الراقع .

وفي ظنيّ الغالب أنّ تقدّم ثقافة مصر اليوم هو الذي بعث أساذتها إلى
الإكثار في التّأليف حول عثمان وتدعيم فضائله وفواضله ، وشططوا في إطرائه
وبالغوا في الذّب عنه بتلفيق الكلام وتزويره ، وتسطير الحدد من القول ، وسرد
المبوّق البهرج ، وذلك روماً لتقدّيس ساحتهم عمّا اقترفته أيدي سلفهم الشّائر
المتجمهر على الخليفة ، إذ حسبوه وصمةً شوّهت سمات الخلف منهم والسلف ،
وسوّدت صحيفة تاريخ مصر والمصريّين ، فهل يتأتّى أمل الخلف بهذه الكُتبيات
المزخرفة ؟ لعلّه يتأتّى مثلما رام السلف تحقّق توبتهم بالحوبة ، لا يعلمون الكتاب
إلاّ أمانيّ وإن هم إلاّ يظنون .

نظرة في كتب أخرى :

وقسّ على هذه الكتب كتاب تاريخ الخلفاء تأليف الاستاذ عبدالوهاب النّجار
المشحونة صفحاته بمرمّعات الرواية وسقطات التاريخ . وكتاب عثمان للاستاذ عمر
أبي نصر ، ليس فيه إلاّ أنّه أعاد لما سبق إليه الشيخ محمّد الخضري من نفسيّاته
الأمويّة جدّتها ، فما ينقمة الباحث من مواضيع جارٍ فيما بهرجه اللاحق في كتابه .
وكتاب تاريخ الخلفاء الراشدين للاستاذ السيّد علي فكري وهو الجزء الثالث

نظرة في الكتب والمؤلفات ٢٩٩

من كتابه «أحسن القصص» وهذا أهدأ ما أُلّف في الموضوع ، ينم عن سلامة نفس المؤلف ونزاهة قلمه ، وهو وإن أُلّفه من تلکم السلاسل الويلة من الموضوعات ، غير أنه لا يتطرق إلى الأبحاث الخطرة ، ولا يقتحم المعارك المدلهمة ، ممّا نُقم به على الخليفة من الطامات والأحداث ، وما قيل في براءته عن لوثها ، وكأنه ترجم لخليفة خضعت الرقاب لعظمته ، وتسالمت الأمة عليه من جميع نواحيه ، ولم يطرق سمعه ما هنالك من حوارٍ وأخذٍ وردٍّ ، ونقدٍ ودفاعٍ ، وكأنّ ما سطره في فضل الخليفة ، وكرم طباعه ، وسلامة نفسه ، اصولٌ موضوعة لا يتوجّه إليها غمزٌ ولا انتقاد ، وستعرف حالها ومحلّها من الإعتبار ، فلا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيه .

ذكر السيّد الاستاذ ما جاء في مناقب عثمان من الحديث المختلق من دون أيّ بحث وتنقيب ، من دون أيّ نقض وإبرام ، إلى أن تخلّص من البحث عنه بقوله في ص ١٦٣ : بعد أن فتح المسلمون تلك الأقاليم واطمأنوا وكثرت عندهم الخيرات والأموال ، أخذوا ينقمون على الخليفة حيث رأى من الصالح للامة عزل بعض الولاة فعزلهم ، وولّى من فيه الكفاية من أقاربه وذوي رحمه ، فظنّ الناس به ظنوناً هو بريء منها ، وفشت الفتنة واستفحل أمرها ، حتى حضرت وفودٌ من الكوفة والبصرة ومصر في وقت واحد طالبين تولية غير عثمان ، أو عزل من ولاهم على الأمصار .

وأخيراً استقرّ الحال على إجابتهما لما طلبوا من عزل بعض العمال ، وعلى ذلك اختار أهل مصر أن يولي عليهم محمّد بن أبي بكر الصديق ، فكتب عثمان لهم بذلك عهداً ورحلوا من المدينة مع واليهم الجديد ، وبينما هم ذاهبون رأوا عبداً من عبيد الخليفة على راحلة من إبله يستحثّها فأوقفوه وفَتّشوه ، فوجدوا معه كتاباً مختوماً بختم الخليفة لعبدالله بن أبي سرح مضمونه :

إذا قدم عليك ابن أبي بكر ومن معه فاحتلّ في قتلهم .

فأخذوا الكتاب ورجعوا إلى المدينة ، وأطلعوا الخليفة عليه فأقسم لهم أنّه ما فعل ولا أمر ولا علم فقالوا : هذا أشدّ ، يؤخذ خاتمك ، وبغير من إبلك ، وعبداً

٣٠٠ الغدير ج - ٩

من عبيدك وأنت لا تعلم ، ما أنت إلا مغلوبٌ على أمرِك . طلبوا منه الاعتزال ، أو تسليم الكاتب فأبى ، فأجمعوا على محاصرته ، فحاصروه في داره ومنعوا عنه الزاد والماء أياماً عديدة . وهاجت الثَّوار ، وكثر القيل والقال ، فطلب منه بعض الصحابة الإذن بالمدافعة عنه فلم يقبل ، ولم يأذن لأحد حتى أنه قال لعبيده الذين هبوا للدفاع عنه : مَنْ أغمد منكم سيفه فهو حرٌّ . استسلاماً للقضاء ، فتسلَّق بعض الأشرار الدار ، ودخلوا عليه وقتلوه ، والمصحف بين يديه يتلوه فيه سورة البقرة فنزلت قطرة من دمه على : فسيفكهم الله وكان يومئذٍ صائماً . ا هـ .

ولعلَّ الاستاذ بعد الوقوف على هذا الجزء من كتابنا ينتبه لمواقع النظر في تأليفه فيميِّز الحيَّ من الميت ، ويعرف الصحيح من المعلوم ، ويتَّبَع الحقَّ والحقُّ أحقُّ أن يتَّبَع .

وفي مقدِّم هؤلاء الأساتذة استاذ تاريخ الامم الإسلامية بالجامعة المصرية ووكيل مدرسة القضاء الشرعيَّ الشيخ محمد الخضري صاحب المحاضرات ، وقد قدَّمنا في الجزء الثالث ص ٣٠٧ - ٣٢٤ شيئاً ممَّا يرجع إليه وإلى كتابه ، وعرفناك موقفه من الدجل والجناية على التاريخ الصحيح ، وبُعده عن أدب الدين ، عن أدب العلم ، عن أدب الإنسانية ، وأنَّ كتابه علبه السفساف ، وعيبة السقطات ، وصحائفه مشحونة بالكاذب والأفائك والنسب المفتعلة ، والآراء الساقطة ، فإن كان الإسلام هذا تاريخه فعلى الإسلام السلام .

عهد النبيِّ الأقدس (ص) إلى عثمان :

١ - أخرج إمام الحنابلة أحمد في المسند ج ٦ ص ٨٦ ، ١٤٩ قال حدَّثنا أبو المغيرة «الحمصي» حدَّثنا الوليد بن سليمان «الدمشقي» حدَّثني ربيعة بن يزيد «الدمشقي» عن عبد الله بن عامر «الدمشقي» عن النعمان بن بشير «قاضي دمشق» عن عائشة رضي الله عنها قالت : أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان فأقبل عليه رسول الله ﷺ فلما رأينا إقبال رسول الله ﷺ على عثمان ! أقبلت إحسانا على الاخرى فكان من آخر كلمته أن ضرب منكبه وقال : يا عثمان ! إنَّ الله عسى أن يلبسك قميصاً فإن أَرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني . ثلاثاً .

عهد النبي (ص) إلى عثمان ٣٠١

فقلت لها : يا أم المؤمنين ؟ فأين كان هذا عنك ؟ قالت : نسيته والله ، ما ذكرته .
قال : فأخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرضَ بالذي أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين : أن اكتبني إليَّ به ، فكتبت إليه به كتاباً .

رجال الإسناد كلهم شاميون عثمانيون وفي مقدمهم النعمان بن بشير الخارج على إمام زمانه ومحاربه تحت راية الفئة الباغية ، وجاء فيه عن قيس بن سعد الأنصاري الصحابي العظيم : إنه ضالٌّ مضلٌّ . ومتن الرواية كما يأتي بيانه يُكذِّب نفسها .

٢ - أخرج أحمد في المسند ج ٦ ص ١١٤ من طريق محمد بن كناسة الأسدي أبي يحيى عن إسحاق بن سعيد الأموي حفيد العاص عن أبيه سعيد ابن عم عثمان الذي كان بدمشق قال : بلغني أنَّ عائشة قالت : ما أسمعُ رسول الله إلا مرةً فإنَّ عثمان جاءه في نحر الظهيرة فظننت أنه جاءه في أمر النساء ، فحملتني الغيرة على أن أصغيت إليه فسمعتة يقول : إنَّ الله ملبسك قميصاً تريدك أمِّي على خلعه فلا تخلعه . فلما رأيت عثمان يبذل لهم ما سألوه إلا خلعه علمت أنه عهد من رسول الله ﷺ الذي عهد إليه .

عمد رجال الإسناد أمويون أبناء بيت عثمان بني أبيه ينتهي إلى عائشة وقد أوقفناك على حديثها في هذا الجزء ، وهو مع ذلك مرسل لا يُعلم من بلغه سعيد بن العاص ولعله أحد الكذابين الوضاعين .

٣ - أخرج الطبراني عن مطلب بن شبيب الأزدي عن عبد الله بن صالح عن الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف قال : كنّا عند شفى الأصبحي فقال : حدّثنا عبد الله بن عمر قال : التفت رسول الله فقال : يا عثمان ! إنَّ الله كساك قميصاً فأرداك النَّاس على خلعه فلا تخلعه ، فوالله لئن خلعتة لا ترى الجنة حتّى يلج الجمل في سمّ الخياط .

ذكره ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٢٠٨ فقال : وقد رواه أبو يعلى من طريق عبد الله بن عمر عن أخته حفصة أم المؤمنين . وفي سياق متنه غرابة والله أعلم .

رجال الإسناد :

١ - عبدالله بن صالح أبو صالح المصري كاتب الليث ، قال أحمد : كان أول أمره متماسكاً ثم فسد بآخره وليس هو بشيء . وقال عبدالله بن أحمد : سمعت أبي ذكره يوماً فذمه وكرهه . وقال صالح بن محمد : كان ابن معين يوثقه وعندي أنه كان يكذب في الحديث . وقال ابن المديني : ضربت على حديثه وما أروي عنه شيئاً . وقال أحمد بن صالح : متهم ليس بشيء . وقال النسائي : ليس بثقة ، وقال أبو زرعة : كذاب . وقال أبو حاتم : الأحاديث التي أخرجها أبو صالح في آخر عمره فأنكروها عليه أرى أن هذا مما افتعل خالد بن نجيع وكان أبو صالح يصحبه . الخ . وقال أبو أحمد الحاكم : ذاهب الحديث . وقال ابن حبان : منكر الحديث جداً يروي عن الأثبات ما ليس من حديث الثقات ، وكان صدوقاً في نفسه وإنما وقعت المناكير في حديثه من قبل جارٍ له كان يضع الحديث على شيخ عبدالله بن صالح ويكتب بخط يشبه خط عبدالله ويرميه في داره بين كتبه فيتوهم عبدالله أنه خطه فيحدث به .

[تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٥٦ - ٢٦٠]

٢ - سعيد بن أبي هلال المصري قال أحمد : ما أدري أي شيء يخلط في الأحاديث وقال ابن حزم : ليس بالقوي . وقال ابن حجر : لعله اعتمد على قول الإمام أحمد فيه .

[تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٩٥]

٣ - ربيعة بن سيف الإسكندراني . قال ابن حبان : يخطيء كثيراً . وقال ابن يونس : في حديثه مناكير . وقال البخاري : روى أحاديث لا يتابع عليها . وقال النسائي : ضعيف .

[تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٥٦]

٤ - أخرج أحمد من طريق سنان بن هارون عن كليب بن وائل عن ابن عمر قال . ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقال : يُقتل فيها هذا المقنع يومئذ مظلوماً فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان .

[تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٠٨]

عهد النبي (ص) إلى عثمان ٣٠٣

سنان بن هارون كوفي ، قال النسائي : ضعيف . وقال الساجي : ضعيف منكر الأحاديث . وقال ابن حبان : منكر الحديث جداً يروي المناكير عن المشاهير^(١) وكليب بن وائل ضعفه أبو زرعة كما في تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٤٤٧ .

٥ - أخرج أحمد في المسند ج ٢ ص ٣٤٥ من طريق موسى بن عقبة قال : حدثني جدي أبو أمي أبو حبيبة أنه دخل الدار وعثمان محصور فيها ، وأنه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان في الكلام فأذن له ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنكم تلقون بعدي فتنة واختلافاً - أو قال : إختلافاً وفتنة - فقال له قائل من الناس : فمن لنا يا رسول الله ؟ قال : عليكم بالأمين وأصحابه . وهو يشير إلى عثمان بذلك . وذكره ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٢٠٩ فقال : تفرد به أحمد وإسناده جيد حسن ولم يخرجوه من هذا الوجه .

نحن لا نعرف جودة هذا الإسناد وحسنه وفيه جد أم موسى وهو نكرة لا يُعرف ولا يوجد له قط ذكر في المعاجم . وهل من المعقول عزو هذه الرواية إلى رسول الله ﷺ وهو جدّ عليهم بأن أصحاب عثمان هم : مروان ومن يشاكله في العيث والفساد جشوة بني أمية ، حثالة أمته ﷺ ؟ أفمن الجائز أن يوصي رسول الله ﷺ أمته باتباع أولئك الخابليين خلاف وجوه صحابته وعدولهم المتجمهرين على عثمان ؟ حاشا نبي العظمة عن هذه الأفائك .

٦ - أخرج الترمذي عن طريق سعيد الجريري^(٢) عن عبدالله بن شقيق عن عبدالله بن حوالة قال : قال رسول الله ﷺ : كيف أنت وفتنة تكون في أقطار الأرض ؟ قلت : ما خار الله لي ورسوله . قال : إتبع هذا الرجل فإنه يومئذ ومن أتبعه على الحق قال : فاتبعته فأخذت بمنكبه فقتلته فقلت : هذا يا رسول الله ؟ فقال : نعم . فإذا هو عثمان بن عفان .

(١) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٢٤٣ .

(٢) زاد ابن كثير ها هنا في الإسناد : عبدالله بن سفيان .

وأخرجه أحمد في المسند ج ٤ ص ١٠٩ من طريق سعيد الجريري بالإسناد المذكور ولفظه : كيف تفعل في فتنة تخرج في أطراف الأرض كأنها صياصي بقر ؟ قلت : لا أدري ما خار الله لي ورسوله ، قال : وكيف تفعل في أخرى تخرج بعدها كان الأولى فيها انتفاحة أرنب ؟ قلت : لا أدري ما خار الله لي ورسوله ، قال : اتبعوا هذا . قال : ورجلٌ مقفًى حينئذٍ قال : فانطلقت فسعيت وأخذت بمكبيه فأقبلت بوجهه إلى رسول الله ﷺ فقلت : هذا ؟ قال : نعم . قال : وإذا هو عثمان بن عفان رضي الله عنه .

قال الأميني : ستوافيك ترجمة سعيد الجريري في حديث ٢٥ من مناقب عثمان وأن روايته لا تصح لاختلاله ثلاث سنين . وأما عبدالله بن شقيق المنتهي إليه أسانيد الرواية فهو من تابعي أهل البصرة قال ابن سعد في الطبقات : كان عثمانياً وكان ثقة . وقال يحيى بن سعيد : كان سليمان التيمي سيء الرأي في عبدالله . وقال أحمد بن حنبل ثقة وكان يحمل على علي . وقال ابن معين : ثقة من خيار المسلمين ، وقال ابن خراش : كان ثقة وكان عثمانياً يبغض علياً^(١) .

ألا تعجب من توثيق الحفاظ هذا الرجل المتحامل على علي أمير المؤمنين ومبغضه وعدّه من خيار المسلمين وبين أيدينا قول رسول الله ﷺ الصحيح الثابت : لا يحب علياً منافق ولا يبغضه مؤمن ، ولا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق ، وقول علي أمير المؤمنين الوارد في الصحيح : والذي فلق الحبة أوبراً النسمة إنه لعهد النبي الأمي إلي أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق . وقوله : لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني ، ولو صبيت الدنيا بجملتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني . الحديث . وثبت عن غير واحد من الصحابة قولهم : ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغض علي بن أبي طالب^(٢) .

(١) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٥٤ .

(٢) راجع ما أسلفناه في الجزء الثالث ص ٢٢٩ - ٢٣٤

محل من أبغض علياً من الثقة ٣٠٥

وجاء في الصحيح مرفوعاً : لو أن رجلاً صفن بين الركن والمقام فصلّى وصام ثم لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار^(١) .

وفي حديث : لو أن عبداً عبد الله سبعة آلاف سنة ثم أتى الله عز وجل ببغض علي جاحداً لحقه ناكثاً لولايته لأتعتس الله خيره وجدع أنفه .

وفي حديث : لو أن عبداً عبد الله عز وجل مثل ما قام نوح في قومه وكان له مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ومد في عمره حتى حج ألف عام على قدميه ثم قُتل بين الصفا والمروة مظلوماً ثم لم يُوالك يا علي ! لم يشم رائحة الجنة ولم يدخلها .

وفي حديث : لو أن عبداً من عباد الله عز وجل عبد الله ألف عام بين الركن والمقام ثم لقي الله عز وجل مبغضاً لعلي وعترتي أكبه الله على منخره يوم القيامة في نار جهنم .

وفي حديث : يا علي ! لو أن أمتي صاموا حتى يكونوا كالحنايا وصلّوا حتى يكونوا كالأوتار ثم أبغضوك لأكبهم الله في النار^(٢) .

وفي الصحيح على شرط الشيخين مرفوعاً : من أحب علياً فقد أحبني ومن أبغض علياً فقد أبغضني^(٣) .

وفي المستدرک على الصحيحين للحاكم ج ٣ ص ١٣٥ مرفوعاً : يا علي طوبى لمن أحببك وصدق فيك ، وويل لمن أبغضك وكذب فيك .

وفي حديث مرفوعاً : أرسل رسول الله الأنصار فأتوه فقال لهم : يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعده أبداً ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : هذا علي فأحبّوه بحبي ، وأكرموا بكرامتي ، فإن جبريل أمرني بالذي

(١) راجع ما مر في الجزء الثاني ص ٣٤٩

(٢) مرّت هذه الأحاديث بمصادرها في الجزء الثاني ص ٣٤٩ .

(٣) المستدرک للحاكم ج ٣ ص ١٣٠ .

٣٠٦ الغدير ج - ٩

قلت لكم من الله عز وجل^(١) .

وفي حديث مرفوعاً : إنّ علياً راية الهدى ، وإمام أوليائي ، ونور من أطاعني ، وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين ، من أحبه أحبني ، ومن أبغضه أبغضني^(٢) .

وفي مرفوع : ألا من أبغض هذا (يعني علياً) فقد أبغض الله ورسوله ، ومن أحب هذا فقد أحب الله ورسوله .

وفي حديث مرفوعاً : هذا جبريل يخبرني : إنّ السعيد حق السعيد من أحب علياً في حياته وبعد موته ، وإنّ الشقيّ كلّ الشقيّ من أبغض علياً في حياته وبعد موته .

إلى أحاديث مرّت في الجزء الثالث ص ٤٧

وقبل هذه كلّها قوله تعالى : ﴿قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى﴾ . وقوله : ﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصّالحات سيجعل لهم الرحمن وداً﴾ . وقوله : ﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصّالحات أولئك هم خير البرية﴾ . راجع الجزء الثاني فيما ورد في هذه الآيات الكريمة .

ولا تنسَ دعاء النبيّ الأعظم يوم الغدير في ذلك المحتشد الرحيب بقوله : اللهمّ والِ مَنْ والاه ، وعادِ مَنْ عاداه ، اللهمّ من أحبه من الناس فكن له حبيباً ، ومن أبغضه فكن له مبغضاً .

وفي لفظ : اللهمّ والِ مَنْ والاه ، وعادِ مَنْ عاداه ، وانصر من نصره ، وأعن من أعانه ، وأحبّ مَنْ أحبه .

وفي لفظ : اللهمّ والِ مَنْ والاه ، وعادِ مَنْ عاداه ، وأحبّ مَنْ أحبه ، وأبغض مَنْ أبغضه ، وانصر مَنْ نصره ، واخذل من خذله .

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ج ١ ص ٦٣ .

(٢) حلية الأولياء ج ١ ص ٦٧ .

عهد النبي (ص) إلى عثمان ٣٠٧

وفي لفظ : اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وأحب من أحبه ، وأبغض من أبغضه ، وانصر من نصره ، وأعز من أعزه ، وأعن من أعانه .
وهناك ألفاظ أخرى مرّت في الجزء الأول من كتابنا هذا .

فعبدالله بن شقيق أخذاً بمجامع تلکم النصوص شهادة الله ورسوله ، منافق شقيّ عدو الله ورسوله يبغضه المولى سبحانه ، لا خير فيه ولا في حديثه ، لا يُقبل ولا يُصدّق في روايته ، أتعس الله خيره وجدع أنفه ، وأكبّه على منخره يوم القيامة في نار جهنّم . دع الحفاظ يقولون : ثقة من خيار المسلمين .

٧ - أخرج أحمد في المسند ج ٥ ص ٣٣ ، ٣٥ من طريق عبدالله بن شقيق البصري قال : حدّثني هرم بن الحارث وأسامة بن خزيم عن مرّة البهزي قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ في طريق من طرق المدينة فقال : كيف تصنعون في فتنة تثور في أقطار الأرض كأنها صياصي بقر ؟ قالوا : نصنع ماذا يا رسول الله ؟ قال : عليكم هذا وأصحابه - أو : اتبعوا هذا وأصحابه - قال : فأسرعت حتى عييت فأدركت الرجل فقلت : هذا يا رسول الله ؟ قال : هذا . فإذا هو عثمان بن عفان . فقال : هذا وأصحابه .

عرفت عبدالله بن شقيق وأنه منافق لا يؤخذ بحديثه ولا يُعوّل عليه إن صدّقنا النبيّ الأقدس فيما جاء به .

٨ - أخرج أحمد في المسند ج ٦ ص ٧٥ من طريق فرج بن فضالة بإسناده عن عائشة قالت : كنت عند النبيّ ﷺ فقال : يا عائشة ! لو كان عندنا من يُحدّثنا . قالت قلت : يا رسول الله ! ألا أبعث إلى أبي بكر ؟ فسكت . ثمّ قال : لو كان عندنا من يُحدّثنا . فقلت : ألا أبعث إلى عمر . فسكت . قالت : ثمّ دعا وصيفاً بين يديه فسأره فذهب قالت : فإذا عثمان يستأذن فأذن له فدخل فناجاه النبيّ ﷺ طويلاً ثمّ قال : يا عثمان ! إنّ الله عزّ وجلّ ممّصك قميصاً فإن أرادك المنافقون على أن تخلعه فلا تخلعه لهم ولا كرامة يقولها له مرّتين أو ثلاثاً . وأخرجه الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ١٠٠ من طريق فرج بن فضالة وقال : هذا حديث صحيح عالي الإسناد ولم يخرجاه . وعقبه الذهبي في تلخيصه فقال : أنّى له الصّحة ومداره على

٣٠٨ الغدير ج - ٩

فرج بن فضالة ؟ .

أقول : فرج بن فضالة متفق على ضعفه وعدم الاحتجاج به وستوافيك ترجمته في الحديث الـ ١٧ من مناقب عثمان في هذا الجزء إن شاء الله .

وأخرج أحمد في مسنده ج ٦ ص ٥٢ من طريق قيس بن أبي حازم عن أبي سهلة مولى عثمان عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : ادعوا لي بعض أصحابي . قلت : أبو بكر ؟ قال : لا . قلت : عمر . قال : لا . قلت : ابن عمك علي ؟ قال : لا . قلت : عثمان ! قال : نعم فلما جاء قال : تنحي . جعل يسأره ولون عثمان يتغير فلما كان يوم الدار وحُصر فيها قلنا : يا أمير المؤمنين ! ألا تقاتل ؟ قال : لا إن رسول الله ﷺ عهد إليّ عهداً وإنني صابر نفسي عليه .

وأخرجه أبو نعيم في الحلية ج ١ ص ٥٨ ، والحاكم في المستدرک ج ٣ ص ٩٩ ، وأبو عمر في الاستيعاب ج ٢ ص ٤٧٧ ، وذكره ابن كثير في تاريخه ج ٦ ص ٢٠٥ نقلاً عن أحمد والأسانيد كلها تنتهي إلى قيس بن أبي حازم قالوا : كان يحمل على عليّ عليه السلام ، وقال ابن حجر : والمشهور عنه أنه كان يقدم عثمان ولذلك تجنب كثير من قدماء الكوفيين الرواية عنه ، وكبر قيس حتى جاوز المائة بسنين كثيرة حتى خرف وذهب عقله .

[تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٨٨]

لنا أن نوافق الكوفيين على تجنب الرواية عن قيس المتحامل على مولانا أمير المؤمنين إن اتبعنا الرسول الأمين في النصوص المذكورة قبيل هذا ص ٣٠٤ - ٣٠٦ ولا يسوغ لأي باحث أن يعول على رواية منافق شقي خرف وذهب عقله ، وقد مر عن ابن أبي الحديد في صفحة ٩٦ من هذا الجزء قوله : وقد طعن مشايخنا المتكلمون في قيس وقالوا : إنه فاسق ولا تقبل روايته . الخ .

٩ - أخرج ابن عدي عن أبي يعلى عن المقدمي محمد بن أبي بكر عن أبي معشر يوسف بن يزيد البراء البصري عن إبراهيم بن عمر بن أبان بن عثمان عن أبيه عثمان : إن النبي ﷺ أسر إليه أنه يُقتل ظلماً^(١) .

(١) لسان الميزان ج ٤ ص ٢٨٢ .

نظرة في أحاديث العهد ٣٠٩

زيّفه ابن عدي كما في الميزان وعدّه من أحاديث عمر بن أبان التي كلّها غير محفوظة ، وأبان بن عثمان لم يسمع من أبيه كما قاله أحمد بن حنبل فكيف بعمر بن أبان ، وسنوقف على ترجمة أبي معشر وإبراهيم بن عمر في المنقبة الثالثة من مناقب عثمان وأنهما لا يعوّل عليهما ولا يصحّ حديثهما .

١٠ - ذكر الذهبي في الميزان ج ١ ص ٣٠٠ من طريق أنس مرفوعاً : يا عثمان ! إنك ستلي الخلافة من بعدي وسيريدك المنافقون على خلعتها فلا تخلعها ، وصم ذلك اليوم تفطر عندي .
قال الذهبي : في سنده خالد بن أبي الرحال الأنصاري عنده عجائب ، قال ابن حبان : لا يجوز الاحتجاج به . وفي لسان الميزان ج ٦ ص ٧٩٤ قال : أبو حاتم : ليس بالقوي .

نظرة في أحاديث العهد :

هذه سلسلة روايات أصفق على وضعها دجالون تتراوح أسانيدُها بين أمويّ وشاميّ وبصريّ ، وبين عثمانيّ متحامل على سيّد العترة ، وبين أناس آخرين من ضعيف إلى كذاب إلى متروك إلى ساقط . على أن متونها أكثر عللاً من أسانيدِها فإنّ الخضوع لصحّتها يستدعي الوقعة في الصحابة كلّهم لأنّ المنصوص عليه في غير واحد منها : أنّ الذين أجلبوا على عثمان وأرادوا خلعه أناسٌ منافقون ، وفي بعضها : فإنّ عثمان يومئذ وأصحابه على الحقّ ، وعليكم بالأمين وأصحابه . وقد علمت أنّ المتجمهرين عليه هم الصحابة كلّهم المهاجرون منهم والأنصار ما خلا ثلاثة : زيد بن ثابت ، حسان بن ثابت ، اسيد الساعدي . أو : هم وكعب بن مالك . وأناسٌ من زعانفة الأمويّين ، وأين هذا من الاعتقاد بعدلتهم جمعاء كما عند القوم ؟ ومن الخضوع لجلالة كثيرين منهم الذين علمت منهم نواياهم الصالحة ، وأعمالهم البارة ، والنصوص النبويّة الصادرة فيهم ، وثناء الله تعالى عليهم في كتابه الكريم كما عند الأمة أجمع ؟ .

ثم إنّ عثمان وإن كان يتظاهر بامتثال الأمر الموجود في هذه الروايات وغيرها بالصبر وعدم القتال غير أنّ عمله كان مبانياً لذلك لمكاتبته إلى الأوساط الإسلاميّة يستجلب منها الجيوش لمقاتلة أهل

٣١٠ الغدير ج - ٩

المدينة ، ويرى قتالهم قتال الأحزاب يوم بدر ، وينصُّ على أنَّ القوم قد كفروا ، فلو اتَّصلت به كتائب الأمداد يومئذٍ لألقحها حرباً زبوناً وفتنةً عمياء ، وإنَّما كان ينكص عن النضال لإعواز الناصر لإصفاق الصحابة عليه عدا أولئك الثلاثة وما كانوا يغنون عنه شيئاً ، ولا سيما حسان بن ثابت الذي لم يكن يجسر أن يأخذ سلب القتل الذي قتلته امرأة^(١) .

على أنَّه لم يتقاعد عن المقاتلة أيضاً بمن كان معه من حثالة بني أمية فقد بذلوا كلَّ ما حووه من بسالة وشجاعة ، غير أنَّ القضاء الحاتم أخزاهم وحال بينهم وبين النجاح إلى أن لجأوا إلى أمِّ حبيبة فجعلتهم في كندوج ثمَّ خرجوا من المدينة هاربين .

ثمَّ هَبَّ أنَّ عائشة كانت نسيت ما روته حين ألَّبت الجماهير على عثمان وأمرت بقتله وسمَّته نعتلاً كافراً فهل بقيَّة الرواة وهم : عبدالله بن عمر وأبو هريرة ومرة البهزي وعبدالله بن حوالة وأبو سهلة وأنس أصفقوا معها على النسيان ؟ أو أنَّهم ما كانوا يروونها يومئذٍ ثمَّ اقتضت الظروف أن يرووها ؟ أو أنَّها اختلقت بعدهم على ألسنتهم ؟ .

ولو كان لهذه الكلمات المعزوة إلى رسول الله ﷺ - من قوله : عليكم بالأمين وأصحابه ، وقوله : اتَّبِعُوا هَذَا وَأَصْحَابَهُ ، وقوله : اتَّبِعْ هَذَا الرَّجُلَ فَإِنَّهُ يَوْمئِذٍ وَمَنْ اتَّبَعَهُ عَلَى الْحَقِّ - مقيلاً من الصَّحَّة لاستدعى أن يفيضها على الصحابة كلَّهم لأنَّ قضيتَها أنَّ تلك الفتنة الموعود بها من الفتن المضلَّة ، وأنَّ عثمان عندئذٍ في جانب الحقِّ ، وما كان الرسول ﷺ بالذي يشحَّ على أمته بالإرشاد إلى ما فيه هدايتهم وصلاحهم الديني ، وهو مقيضٌ لذلك ومبعوثٌ لأجله ، فلماذا لم يروها غير هؤلاء ؟ ولا عرفها غيرهم ولو بوساطتهم ؟ وكان إلقاؤها عليهم مسارةً لا يطلع عليها أحدٌ ؟ ولماذا ترك هؤلاء الإحتجاج بها يوم الدار ؟ وفي القوم وهم الأكثرون من إن يسمع بها لا يتباطأ عن الخضوع للأمر النبوي المطاع ، أفلم يدبِّروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين ؟ إن هذا إلّا اختلاق .

(١) راجع الجزء الثاني من كتابنا هذا ص ٨٦

نظرة في مناقب عثمان الواردة في الصحاح والمسانيد

إلى هنا سبرنا صحيفة من حياة عثمان ولا أدري أهى ببضاء أم غيرها ؟! لكن الباحث الممعن فيها يوقفه التنقيب على نفسياته ومقداره ، والغاية من هذا الإسهاب أن نجعل نتيجة هذا الخوض والبحث مقياساً في أمره نردُّ إليه كل ما يؤثر في حقّه فإن ساوى المقياس أثبتناه ، وإن طال أو قصر عنه عرفنا أنّه من الغلوّ في الفضائل .

وما سردنا إلى هنا من دعارة في الخلق ، وعرامة في الطباع ، وعرامة في الشكيمة وشرّة في الغرائز ، وفظاظة في الأعمال ، وتعسف في الحكم ، واتّباع للشهوات ، وميل عن الحقّ ، ودناءة في النفس ، وسقطة في الرأي ، وسرف في القول ، إلى الكثير المتوفر من أمثال هذه ممّا لا تحمد فعليته ولا عقابه ، لا يدع الباحث أن يخضع لشيء ممّا قيل أو تقوّل فيه من الفضل قويت أسانيده أو وهنت .

كما أنّ آراء الصحابة الأوّلين التي زفناها إلى مناظرِك في هذا الجزء من صفحة ٩٢ - ١٩٧ لا تدع مجالاً للبحث عن صحّة تلكم المفتعلات فضلاً عن إثباتها ، وإنّك تجد في مرسلها أو مسنديها لفائف من زبانية الميول والأهواء من بصريّ أو شاميّ أنهوا أسانيدهم في الغالب إلى موالى عثمان أو إلى رجال بيته الساقط ، وذلك ممّا يُعطي أنّها من صنائع معاوية للخليفة المقتول الذي اتّخذ أمره سلماً إلى ما كان يبتغيه من المرتقى ، وكان معاوية يهب القناطير المقنطرة لوضع الأحاديث في فضائل أبناء بيته الشجرة المنعوتة في القرآن ، من بني أميّة عامّة ، ومن آل أبي العاص خاصّة ، أضف إلى ذلك ما يكتنف أغلب تلك المتون من الموهنات التي لا يقاومها أيّ تمحّل في تصحيحها ، وإليك نبذة من تلكم الموضوعات :

١ - أخرج مسلم وأحمد من طريق عُقيل الأمويّ عن الليث العثماني عن يحيى بن سعيد الأمويّ عن سعيد بن العاص ابن عمّ عثمان عن عائشة وعثمان قالا : إنّ أبا بكر استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشه لابس مرط عائشة فأذن لأبي بكر وهو كذلك ففضى إليه حاجته ثمّ انصرف ، ثمّ استأذن عمر

فأذن له وهو على تلك الحال ففضى إليه حاجته ثم انصرف ، قال عثمان : ثم استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة : إجمعي عليك ثيابك . ففضيت إليه حاجتي . ثم انصرفت ، فقالت عائشة : يا رسول الله ؟ مالي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما فزعت لعثمان ؟ قال رسول الله ﷺ : إن عثمان رجل حيي^(١) ولأني خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إلي في حاجته^(٢) .

٢ - أخرج مسلم وغيره من طريق عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ مضطجعا في بيتي كاشفاً عن فخذه وساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث ، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه ، فلما خرج قالت عائشة رضي الله عنها : دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله ، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ، ثم دخل عثمان فجلس وسوى ثيابك ؟ فقال : ألا أستحيي من رجل تستحي منه الملائكة^(٣) .

وأخرج البخاري في مناقب عثمان حديثاً وقال في ذيله : زاد عاصم إن النبي ﷺ كان قاعداً في مكان فيه ماء قد كشف عن ركبتيه أو ركبته فلما دخل عثمان غطّاها . قال ابن حجر في فتح الباري ج ٧ ص ٤٣ : قال ابن التين : أنكر الداودي هذه الرواية وقال : هذه الرواية ليست من هذا الحديث بل دخل لرواتها حديث في حديث ، وإنما ذلك الحديث : إن أبا بكر أتى النبي ﷺ وهو في بيته قد انكشف فحذه فجلس أبو بكر ثم دخل عمر ثم دخل عثمان فغطّاها . الحديث .

قال الأميني : الحياء هو انقباض النفس عما لا يلائم خطة الشرف من الناحية الدينية أو الإنسانية ، وأصله فطري للإنسان ، وكماله اكتسابي يتأتى بالإيمان ، فهو يتدرج في الرقي بتدرج الإيمان والمعرفة ، فتنتهي إلى ملكة راسخة تأبى لصاحبهما التورط في المخازي كلها ، فيكون بها الإنسان محدوداً في أفعاله وتروكه وشهواته وميوله وتنسبط تلكم الحدود على الأعضاء والجوارح وعلى النفس والعقل ، فلا

(١) حيي كغني : ذو حياء . وفي شرح مسلم : أي كثير الحياء .

(٢) صحيح مسلم ج ٧ ص ١١٧ ، مسند أحمد ج ١ ص ٧١ وج ٦ : ص ١٥٥ ، ١٦٧ .

(٣) مسند أحمد ج ٦ ص ٦٢ ، صحيح مسلم ج ٧ ص ١١٦ ، مصابيح السنة ج ٢ ص ٢٧٣ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ٨٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٠٢ .

نظرة في ملكة الحياء ٣١٣

يسع أياً منها الخروج عن حدّه ، قال رسول الله ﷺ : الإستحياء من الله حقّ الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى^(١) فكلّ عمل خارج عن حدود الدين والإنسانية منافٍ للحياء ، وهو الرادع الوحيد عن الفحشاء والمنكر ، وعن كلّ ما يلوّث ذيل الإنسانية والعفة والإيمان من صغيرة أو كبيرة ، ومن لم يستح فله أن يفعل ما يشاء ، وجاء في الحديث النبويّ على المحدث به وآله السّلام : إذا لم تستح فاصنع - فافعل - ما شئت^(٢) .

وعلى هذا فكلّ من الفحش والبذاء والكذب والخيانة والغدر والمكر ونقض العهد والتخلّع والمجون وما يجري مجراها أضدادٌ للحياء ، وقد وقع التقابل بينها وبينه في لسان المشرّع الأعظم منها قوله ﷺ : الحياء من الإيمان والإيمان في الجنّة ، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار^(٣) .

وقوله ﷺ : الحياء والعِي من الإيمان وهما يقربان من الجنّة ويباعدان من النّار ، والفحش والبذاء من الشيطان وهما يقربان من النّار ويباعدان من الجنّة ، أخرجه الطبراني كما في الترغيب والترهيب ج ٣ ص ١٦٥ .

وقوله ﷺ : يا عائشة ! لو كان الحياء رجلاً كان رجلاً صالحاً ، ولو كان الفحش رجلاً كان رجلاً سوء . رواه الطبراني وأبو الشيخ كما في الترغيب والترهيب ج ٣ ص ١٦٦ .

وقوله ﷺ : ما كان الفحش في شيء إلّا شانه ، وما كان الحياء في شيء إلّا زانه أخرجه ابن ماجّة في سننه ج ٢ ص ٥٤٦ ، والترمذي في الصحيح .

وقوله ﷺ : إنّ الله عزّ وجلّ إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياء ، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلّا مقيتاً ممقّتا ، فإذا لم تلقه إلّا مقيتاً ممقّتا نزعته منه

(١) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح ، والمنذري في الترغيب والترهيب ج ٣ ص ١٦٦ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب من صحيحه .

(٣) قال المنذري في الترغيب والترهيب ج ٣ ص ١٦٥ : أخرجه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، والترمذي ، وابن حبان في صحيحه ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

٣١٤ الغدير ج - ٩

الأمانة ، فإذا نزع من الأمانة لم تلقه إلّا خائناً مخوناً ، فإذا لم تلقه إلّا خائناً مخوناً نزع من الرحمة ، فإذا نزع من الرحمة لم تلقه إلّا رجيماً ملعناً ، فإذا لم تلقه إلّا رجيماً ملعناً نزع من ربة الإسلام .

أخرجه ابن ماجة كما في الترغيب والترهيب ج ٢ ص ١٦٧ .

وقال عليه السلام : الحياء لا يأتي إلّا بخير^(١) وقال المناوي في شرحه في فيض القدير ج ٣ ص ٤٢٧ : لأنّ من استحيا من الناس أن يروه يأتي بقبيح دعاه ذلك إلى أن يكون حياؤه من ربه أشدّ فلا يضيع فريضة ، ولا يرتكب خطيئة ، قال ابن عربي : الحياء أن لا يفعل الإنسان ما يخجله إذا عرف منه أنّه فعله ، والمؤمن يعلم بأنّ الله يرى كلّ ما يفعله ، فيلزمه الحياء منه لعلمه بذلك ، وبأنّه لا بدّ أن يقرّره يوم القيامة على ما عمله فيخجل فيؤدّيه إلى ترك ما يخجل منه ، وذلك هو الحياء فمن ثمّ لا يأتي إلّا بخير .

وقال : حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح ، ويمنع من التقصير في حقّ الغير ، وقال بعض الحكماء : من كسا^(٢) الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه .

إذن هلمّ معي لنسبر حياة الخليفة - عثمان - علّنا نجد فيها ما يصحّ للبرهنة على ثبوت هذه الملكة له إن لم يُكفّثنا الأياس منها بخفيّ حنين ، فأرجع البصر كرتين فيما سردناه من أفعال الخليفة وتروكه ومحاوراته وأقواله ، ثمّ انظر هل تجد في شيء منها ما يدعم هذه الدعوى له فضلاً عن أن يكون أحيى الناس ، أو أشدّ الأمانة حياءً ، أو تستحيي منه الملائكة ؟

أيصلح شاهداً لذلك قوله لمولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : والله ما أنت عندي أفضل من مروان ؟ هلاّ ان يعلم أنّ الله عدّ عليّاً في كتابه نفس النبيّ الأقدس وقد طهره بنصّ الذكر الحكيم ، ومروان طريد ابن طريد ، وزغ ابن وزغ ، لعين ابن لعين ؟ راجع الجزء الثامن ص ٣٠٦

(١) أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجة والمنذري .

(٢) لعل الصحيح : من كسا الحياء ثوبه .

نظرة في شواهد حياة عثمان ٣١٥

أو اتَّهامه ذلك الإمام الطاهر سيّد العترة بكتاب كتبه هو في قتل محمّد بن أبي بكر وأصحابه وتعذيبهم وتنكيلهم ، فينكر ما كتب ويقول له عليه السلام : أتَهمك وأتَهم كاتبِي مروان ؟ .

أو قوله للإمام عليه السلام : لئن بقيت لا أعدم طاعياً يتخذك سُلماً وعضداً ويعدّك كهفاً وملجأً ؟ أو قوله له عليه السلام : لَمَّا كَلَّمَهُ فِي أَمْرِ عَمَّارٍ وَفِيهِ إِيَّاهُ : أَنْتَ أَحَقُّ بِالْغَنِيِّ مِنْهُ ؟ .

أو قوله لأصحابه مروان ومن كان على شاكلته يستشيرهم في أمر أبي ذر : أشيروا عليّ في هذا الشيخ الكذاب إمّا أن أضربه أو أحبسه أو أقتله ؟ وملاً مسامع الصحابة قوله عليه السلام : ما أَظَلَّتِ الْخَضِرَاءُ ، وما أَقَلَّتِ الْغُبَرَاءُ على ذي لهجة أصدق من أبي ذر إلى كلمات أخرى له عليه السلام في الشّاء عليه ، راجع الجزء الثامن ص ٣٦٣

أو قوله لعَمَّارٍ لَمَّا سَمِعَ مِنْهُ - رَحِمَ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ مِنْ كُلِّ أَنْفُسِنَا - : يَا عَاضُ أَيْرَ أَبِيهِ أَتَرَانِي نَدِمْتُ عَلَى تَسْيِيرِهِ ؟ وَأَمْرٍ فَدَفَعَ فِي قَفَاهُ ، وَعَمَّارٌ كَمَا عَرَفْتَهُ فِي هَذَا الْجُزْءِ ص ٣٨ إلى ٤٦ جلد ما بين عيني رسول الله وأنفه ، وهو الطيّب المطيب ، ملئاً إيماناً من قرنه إلى قدمه ، اختلط الإيمان بلحمه ودمه ، يدور مع الحقّ حيث دار ، وقد جاء الشّاء عليه في الذكر الحكيم .

إذا كان حقّاً ما يدّعيه عثمان لنفسه^(١) من أنّه لم يمسّ فرجه بيمينه منذ بايع رسول الله عليه السلام تشريعاً ليد النبيّ الكريمة ؟ فليت شعري لماذا طفق يلوك بلسانه إسم أير ياسر أبي عَمَّارٍ ؟ وطالما لهج بأحاديث النبوة به ، ورتّل كتاب الله ترتيلاً ، أما كان عليه أن يكفّ لسانه عن البذاءة كرامةً للكتاب والسنة ، كما ادّعى كلاءة نفسه عن مسّ فرجه كرامةً ليد النبوة ؟ إن لم يُداهمنا هنالك من يُنكر دعواه في اليد قياساً على ما شوهد منه في اللسان مرّة بعد أخرى .

أيصلح شاهداً لذلك قوله على صهوة المنبر بين ملأ المسلمين في ابن مسعود

(١) يأتي حديثه بتمامه .

٣١٦ الغدير ج - ٩

لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ : أَلَا إِنَّهُ قَدْ قَدِمْتَ عَلَيْكُمْ دُوبِيَّةَ سُوءٍ مِنْ يَمَشِي عَلَى طَعَامِهِ يَقِيءُ وَيَسْلِحُ ؟ وَابْنُ مَسْعُودٍ أَحَدَ الَّذِينَ أَطْرَاهِمُ الْكِتَابَ الْعَزِيزُ ، وَكَانَ أَشْبَهَ النَّاسِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَدِيًّا وَدَلًّا وَسَمْتًا . رَاجِعْ مَا مَرَّ فِي هَذَا الْجُزْءِ ص ٢٠ - ٢٥ .

أَوْ قَوْلُهُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ : إِنَّكَ مُنَافِقٌ^(١) ؟ وَهُوَ أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشَّرَةِ فِيمَا يَحْسِبُونَ .

أَوْ قَوْلُهُ لَصَعْصَعَةَ بْنِ صُوحَانَ : الْبَجْبَاجُ النَّفَّاجُ ؟ وَهُوَ ذَلِكَ السَّيِّدُ الْخَطِيبُ الْفَصِيحُ الدِّينُ كَمَا مَرَّ فِي ٦٣ جُزْءٍ .

أَوْ شَتْمُهُ الْمَغِيرَةَ بْنِ الْوَلِيدِ الْمَخْزُومِي لَمَّا دَافَعَ عَنْ عَمَّارٍ حِينَمَا ضَرَبَهُ عُثْمَانُ حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ ؟

أَوْ قَوْلُهُ فِي كِتَابِهِ إِلَى مُعَاوِيَةَ : إِنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ قَدْ كَفَرُوا ؟ أَوْ قَوْلُهُ فِي كِتَابٍ آخَرَ لَهُ : فَهَمُّ كَالْأَحْزَابِ أَيَّامَ الْأَحْزَابِ أَوْ مِنْ غَزَانَا بِأَحَدٍ ؟ وَهُوَ يُرِيدُ الْأَنْصَارَ الَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا ، وَالْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ صَدَّقُوا وَاتَّبَعُوا ، وَهُمْ الَّذِينَ يَحْسَبُ اتِّبَاعُ الْخَلِيفَةِ أَنَّ كُلَّهُمْ عَدُولٌ ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ مَتَخَلِّفٌ عَنِ النِّقْمَةِ عَلَيْهِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ حَفِظَ التَّارِيخُ تَرْجُمَةَ حَيَاتِهِمُ الْمَوْصُومَةِ .

أَوْ قَوْلُهُ فِي كِتَابِهِ إِلَى الْأَشْثَرِ وَأَصْحَابِهِ : إِنِّي قَدْ سَيَّرْتُكُمْ إِلَى حِمَصٍ ، فَإِنَّكُمْ لَسْتُمْ تَأْلُونَ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ شَرًّا .

أَوْ قَوْلُهُ الْمَائِنُ عَلَى مَنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ كَانَ بَلْغُهُمْ عَنْ إِمَامِهِمْ أَمْرٌ فَلَمَّا تَبَيَّنُوا أَنَّهُ بَاطِلٌ مَا بَلْغُهُمْ عَنْهُ رَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ ؟ يَقُولُ ذَلِكَ بَعْدَمَا عَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَعْمَلَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَكَتَبَ بِهَذَا كِتَابًا وَشَهِدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ بَعْدَمَا اعْتَرَفَ بِهِنَاتِهِ بَيْنَ الْمَلَأِ وَأَظْهَرَ النَّدَامَةَ مِنْهَا وَتَابَ عَنْهَا وَلِذَلِكَ كُلُّهُ رَجَعَ الْمَصْرِيُّونَ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الثَّائِرِينَ عَلَيْهِ إِلَى بِلَادِهِمْ ، وَكَانَ يَحْنُثُ عَهْدَهُ وَيَنْقُضُ تَوْبَتَهُ بِتَلْبِيسِ أَبِي السَّيْتَةِ مَرْوَانَ وَنَظَرَاتِهِ ، فَهَلْ يَفْعَلُ مِثْلَ هَذَا مَنْ تَرَدَّى بِأَبْرَادِ الْحَيَاءِ ؟

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٧ ، الصواعق : ص ٦٨ .

نظرة في شواهد حياء عثمان ٣١٧

أو مفارفته ليلة وفاة أم كلثوم كريمة النبي الأقدس ؟ وكان ذلك ممقوتاً جداً
لرسول الله ﷺ حتى أنه ألمح إليه بقوله : هل فيكم من أحد لم يقارف الليلة ؟
فمنعه بذلك عن دفن حبيبته ، وألصق به هوان الأبد .

أو تربّعه على صهوة منبر رسول الله ﷺ لما استخلف ؟ وكان أبو بكر
يجلس دون مقامه ﷺ بمرقاة ثم عمر دونه بمرقاة ، وكان من حق عثمان الذي
كان أشد حياءً من صاحبيه أن لا يطاء ذلك المرتقى ، وأن يتبع ولا أقل سيرة
الشيخين في الحياء والأدب ، لكنّه

أو مخالفته الكتاب والسنة ؟ كما كتب المهاجرون الأولون وبقية الشورى إلى
من بمصر من الصحابة والتابعين : أن تعالوا إلينا وتداركوا خلافة رسول الله قبل أن
يسلبها أهلها فإن كتاب الله قد بُدّل ، وسنة رسوله قد غيّرت^(١) . وكتبوا إلى
الصحابة في الثغور : إن دين محمد قد أفسده من خلفكم وترك ، فاهلموا فأقيموا
دين محمد ﷺ ورفعت عائشة نعل رسول الله ﷺ وهي تقول : تركت سنة رسول
الله صاحب هذا النعل . وتقول : ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم وهذا شعره وثوبه ونعله
لم يبيل بعد . وتقول : عثمان قد أبلى سنة رسول الله . وتقول : اقتلوا نعلًا قتل
الله نعلًا إنّه قد كفر . إلى كلمات أخرى لها ولغيرها في مخالفة الرجل الكتاب
والسنة .

أو إعرابه عن تلکم الآراء الشاذة عن الكتاب والسنة في الصلاة والصّلات
والصدقات والأخماس والزكوات والحجّ والنكاح والحدود والديات بلهجة شديدة
بمثل قوله : هذا رأي رأيته . وقوله : لناخذن حاجتنا من هذا الفيء وإن رغمت
أنوف أقوام هذا مال الله أعطيه من شئت وأمنعه من شئت فأرغم الله أنف من رغم .
فقال له عليّ إذن تُمنع من ذلك ويحال بينك وبينه . وقال عمار : أشهد الله إن أنفي
أول راغم من ذلك . أو قال : أنا والله أول من رغم أنفه من ذلك . راجع صفحة
٢٩ من هذا الجزء .

(١) راجع ما مرّص ١٩٢ من هذا الجزء .

أو حثّه الناس على الأخذ بتلكم الآراء المنتثية عن ناموس الإسلام المقدّس حتى قال له أمير المؤمنين لما قال له عثمان : لا تراني أنهي الناس عن شيء وتفعله أنت ؟ لم أكن لأدع سنة رسول الله ﷺ لقول أحد من الناس ؟ أو قال له : لم أكن لأدع قول رسول الله ﷺ لقولك . وكاد أمير المؤمنين يقتل من جرّاء تلك الاحدوثة ، مرّ حديثه في ج ٦ ص ٢٦١ وج ٨ ص ١٦٢

وقد فتح بذلك باب الجرأة على الله والتقوّل عليه بمصراعيه فجاء بعده معاوية ومروان وأبناء أبيه الآخرون يلعبون بدين الله لعبة الصبيان بالدّوامة^(١) .

أو إيواؤه عبيد الله بن عمر لما قتل نفوساً أبرياء ولم يقتصّ منه ونقم عليه بذلك جلّ الصحابة - لو لم نقل كلّهم - ممّن يؤّبه به ويرأيه ١٩

أو تعطيله الحدّ على الوليد بن عقبة لرحمه وقربته منه وقد شرب الخمر وقاء في محراب المسجد الأعظم بالكوفة ، حتّى وقع التّحاور والتّحارش بين المسلمين ، واحتدم الحوار والمكالمة وتضاربوا بالنعال ؟ مرّ في الجزء الثامن ص ١٥١ - ١٥٥ .

أو تسليطه بني أميّة رجال العيث والفساد أبناء الشجرة الملعونة في القرآن على رقاب الناس ونواميس الإسلام المقدّسة وتوطيده لهم الملك العضوض ؟ وتأسيسه بهم حكومة أمويّة غاشمة في الحواضر الإسلاميّة ؟ كما فصلّنا القول فيه في الجزء الثامن ص ٣٣٦ - ٣٧٠

أو رده إلى المدينة وإيواؤه عمّه وأبناءؤه وكان قد طردهم رسول الله ﷺ تنزيهاً لتلك الأرض المقدّسة من أولئك الأدناس الأرجاس ؟ .

أو تفويضه الصالح العام إلى مروان المهتوك ؟ وتطوّره في سياسة العباد بتقلّباته ؟ كأنّ بيده مقاليد أمور الأمّة حتّى قال له مولانا أمير المؤمنين : أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلّا بتحويلك عن دينك وعقلك مثل جمل الظعينة يُقاد

(١) لعبة من خشب يلف الصبيّ عليها خيطاً ثمّ ينقضه بسرعة فتدوم أي تدور على الأرض . وفي اللغة الدارجة : مرصع . وشاخة .

نظرة في شواهد حياء عثمان ٣١٩

حيث يُسار به ؟ وقال : ما رضيت من مروان ولا رضي منك إلا بإفساد دينك وخديعتك عن عقلك ، وإنِّي لأراه سيورك ثم لا يُصدرك .

أو كتابه إلى ولاته في قتل صلحاء الأئمة وحبسهم وتنكيلهم وتعذيبهم ؟ .

أو تسييره عباد الله الصالحين من الصحابة الأولين والتابعين لهم بإحسان من معتقل إلى معتقل ، ونفيهم عن عقر دورهم من المدينة والبصرة والكوفة ، وإيذائهم بكل ما يمكنه من ضرب ووقعة وتنكيل ؟

مشردين نفوا عن عقر دارهم كأنهم قد جنوا ما ليس يغتفر حتى هلك في تسييره سيّد غفار أبو ذر الصديق المصدق بعدما تسلخ لحوم أفخاذه من الجهد في تسييره .

هذه نبذة يسيرة قرأناها في صحيفة حياء الخليفة ليعطي الباحث الممعن فيها للنصفة حقها ، فيصدق السائل في جوابه ، فهل يجد في شيء منها دلالة على تلفح الرجل بشيء من أبراد الحياء ؟ أو يجدها أدلة واضحة على فقدته لهاتيئك الملكة الفاضلة ؟ ويجده متردياً بضد هذه الغريزة في كل تلكم الأحوال ؟ وعلى هذه فقس ما سواها .

على أن أبا بكر كان أولى بالإستحياء منه إن صحَّ ما مرَّ في الجزء السابع ص ٢٨٠ من رواية استحياء الله منه ، وتكذيبه نبيه استحياءً من أبي بكر (١) ؟ فكيف لم يهتش عليه السلام له ولم يُبال به ويهتش لعثمان .

لنا كربة ثانية لرواية الحياء من ناحية أخرى فإنَّ مختلق هذه الأفئكة أعشاه الحب المعمي والمصم حيث أراد إثبات فضيلة رابية للخليفة ذاهلاً أو متذاهلاً عن أن لازم ذلك سلب تلك الفضيلة عن نبي الإسلام عليه السلام - والعياذ بالله - حيث نسب إليه عليه السلام الكشف عن أفخاذه بمنتدى من صحابته غير مكترث لحضورهم حتى إذا جاء الذي تستحي منه الملائكة فاستحي منه وسترها ، ونحن نقول أولاً : إن هذا

(١) من المخازي المفصلة كما مرَّ تفصيله .

٣٢٠ الغدير ج - ٩

الفعل ممّالاً يرتكبه عظماء الناس ورجال الامم وإنما تجيء بمثله الطبقات الواطئة من أذئاب الأعراب ، فنبئ العظمة الذي يهزأ بالطود في وقاره ، ويؤزري بالبحر في معارفه ، وكان كما وصفه أبو سعيد الخدري ، أشدّ حياءً من العذراء في خدرها^(١) وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه . وقد أدّبه الله تعالى فلم يدع فيه من شائنة ، وهذّبه حتى استعظم خلقه الكريم بقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ، لا يستسيغ ذولب مؤمن به وبفضله أن يعزو إليه مثل هذا التخلّع الشائن .

على أن الشريعة التي صدع بها جعلت الأفخاذ عورة وأمرت بسترها ، أخرج أحمد إمام الحنابلة في مسنده ج ٥ ص ٢٩٠ بالإسناد عن محمد بن جحش ختن النبي ﷺ : إن النبي ﷺ مرّ على معمر بفناء المسجد محتبياً كاشفاً عن طرف فخذه فقال له النبي ﷺ : خمر فخذك يا معمر ! فإن الفخذ عورة .

وفي لفظ بإسناد آخر من طريق ابن جحش قال : مرّ النبي ﷺ وأنا معه على معمر وفخذه مكشوفان ، فقال : يا معمر ! غطّ فخذك فإن الفخذ عورة .

وأخرجه البخاري بهذا الطريق وطريقي إبن عباس وجرهد في صحيحه باب ما يذكر في الفخذ ج ١ ص ١٣٨ ثم ذكر من طريقي أنس أن النبي ﷺ حسر عن فخذه ، فقال : حديث أنس أسند ، وحديث جرهد أحوط ، وأخرجه من طريق ابن جحش في تاريخه ج ١ «قسم» ١ ص ١٢ ، وأخرجه البيهقي في سننه ج ٢ ص ٢٢٨ ، والحاكم في المستدرک ج ٤ ص ١٨٠ .

قال إبن حجر في الإصابة ج ٣ ص ٤٤٨ : أخرجه أحمد والحاكم وصحّحه ، وأخرجه ابن قانع من وجه آخر عن الأعرج عن معمر أن النبي ﷺ مرّ به وهو كاشف عن فخذه . الحديث .

وقال العسقلاني في فتح الباري ج ١ ص ٣٨٠ : رجاله رجال الصحيح غير أبي كثير فقد روى عنه جماعة لكن لم أجد فيه تصريحاً بتعديل ، وقد أخرج ابن قانع هذا الحديث من طريقه أيضاً . ووقع لي حديث محمد بن جحش مسلسلاً

(١) أخرجه الشيخان البخاري في صحيحه باب صفة النبي ج ٥ ص ٢٠٣ ، ومسلم في صحيحه ج ٧ ص ٧٨ .

السنة في ستر الفخذ ٣٢١

بالمحمّدين من ابتدائه إلى انتهائه وقد أُمليته في الأربعين المتباينة .

وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٢ ص ٥٢ عن أحمد والطبراني في الكبير فقال : رجال أحمد ثقات .

٢ - عن عليّ رضي الله عنه مرفوعاً : لا تُبرز فخذك - فخذيك - ولا تنظر إلى فخذ حيّ ولا ميتٍ أخرجه البيهقي في سننه ج ٢ ص ٢٢٨ ، والحاكم في المستدرک ج ٤ ص ١٨٠ والبزار كما في نيل الأوطار ج ٢ ص ٤٨ .

٣ - عن جرهد الأسلمي قال : مرّ رسول الله ﷺ وعليّ بردة وقد انكشفت فخذني وقال : غطّ فخذك فإنّ الفخذ عورة .

أخرجه البخاري في صحيحه كما سمعت تعليقا ، ورواه مالك في الموطأ وأبو داود وأحمد والترمذي وقال : حسن . وذكره القسطلاني في إرشاد الساري عن مالك والترمذي فقال : وصحّحه ابن حبان ، وذكر الشوكاني في نيل الأوطار ج ٢ ص ٥٠ تصحيح ابن حبان إياه ، وأخرجه البيهقي في سننه ج ٢ ص ٢٢٨ من طريقين ، والحاكم في المستدرک ج ٤ ص ١٨٠ .

٤ - عن ابن عباس : مرّ رسول الله ﷺ على رجل وفخذه خارجة . فقال : غطّ فخذيك ، فإنّ فخذ الرجل من عورته .

أخرجه البخاري تعليقا كما مرّ ، ورواه الترمذي وأحمد في مسنده ج ١ ص ٢٧٥ ، والبيهقي في سننه ج ٢ ص ٢٢٨ فقال : قال الشيخ : وهذه (١) أسانيد صحيحة يُحتجُّ بها ، وأخرجه الحاكم في المستدرک ج ٤ ص ١٨١ .

٥ - أخرج الدارقطني في سننه من طريق عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ مروا صبيانكم بالصلاة في سبع سنين واضربوهم عليها في عشر ، وفرّقوا بينهم في المضاجع ، وإذا زوج أحدكم أمته عبده أو أجيره فلا ينظر إلى ما دون السرّة وفوق الركبة ، فإنّ ما تحت السرّة إلى الركبة من العورة .

(١) يعني أسانيد حديث ابن جحش وجرهد وابن عباس

٣٢٢ الغدير ج - ٩

وأخرجه أحمد في مسنده ج ٢ ص ١٨٧ ولفظه : فلا ينظرون إلى شيء من عورته فإنما أسفل من سرته إلى ركبتيه من عورته . وذكره الزيلعي في نصب الراية ج ١ ص ٢٩٦ نقلاً عن الدارقطني وأبي داود وأحمد والعقيلي فقال : وله طريق آخر عند ابن عدي في الكامل . وأخرجه البيهقي في سننه ج ٢ ص ٢٢٩ من أربعة طرق ، وذكره القسطلاني في إرشاد الساري ج ١ ص ٣٨٩ .

٦ - أخرج الدارقطني في سننه ص ٨٥ ، والبيهقي في سننه ج ٢ ص ٢٢٩ من طريق أبي أيوب مرفوعاً : ما فوق الركبتين من العورة وما أسفل من السرة من العورة .

وذكره الزيلعي في نصب الراية ج ١ ص ٢٩٧ .

هذه الأحاديث أخذها الأعلام أئمة الفقه والفتيا وذهبوا إلى أن الفخذ عورة وهو رأي أكثر العلماء كما قال النووي^(١) والجمهور كما قاله القسطلاني والشوكاني^(٢) قال ابن رشد في بداية المجتهد ج ١ ص ١١١ : ذهب مالك والشافعي إلى أن حدَّ العورة من الرجل ما بين السرة إلى الركبة وكذلك قال أبو حنيفة . وقال قوم : العورة هما السوءتان فقط من الرجل ، وسبب الخلاف في ذلك أن ثران متعارضان كلاهما ثابت ، أحدهما حديث جرهد : أن النبي ﷺ قال : الفخذ عورة . والثاني : حديث أنس أن النبي ﷺ حسر عن فخذه وهو جالس مع أصحابه . ثم ذكر قول البخاري المذكور .

وقال القسطلاني في إرشاد الساري ج ١ ص ٣٨٩ : قال الجمهور من التابعين وأبو حنيفة ومالك في أصح أقواله ، والشافعي وأحمد في أصح روايته ، وأبو يوسف ومحمد : الفخذ عورة . وذهب ابن أبي ذئب وداود وأحمد في إحدى روايته والاصطخري من الشافعية وابن حزم إلى أنه ليس بعورة .

وفي الفقه على المذاهب الأربعة ج ١ ص ١٤٢ : أمّا عورة الرجل خارج الصلاة فهي ما بين سرته وركبته فيحلُّ النظر إلى ما عدا ذلك من بدنه مطلقاً عند

(١) فتح الباري ج ١ ص ٣٨٢ ، نيل الأوطار ج ٢ ص ٤٩ .

(٢) إرشاد الساري ج ١ ص ٣٨٩ ، نيل الأوطار ج ٢ ص ٥٠ .

نظرة في حديث الفخذ المروي في الصحيحين ٣٢٣

أمن الفتنة . وفيه : قال المالكية والشافعية : إن عورة الرجل خارج الصلاة تختلف باختلاف الناظر إليه فبالنسبة للمحارم والرجال هي ما بين سرتيه وركبته ، وبالنسبة للأجنبية منه هي جميع بدنه ، إلا أن المالكية استثنوا الوجه والأطراف وهي الرأس واليدان والرجلان فيجوز للأجنبية النظر إليها عند أمن التلذذ ، وإلا منع ، خلافاً للشافعية فإنهم قالوا : يحرم النظر إلى ذلك مطلقاً .

وقال الشوكاني في نيل الأوطار ج ٢ ص ٤٩ بعد ذكر حديث علي أمير المؤمنين المذكور مرفوعاً ، والحديث يدل على أن الفخذ عورة ، وقد ذهب إلى ذلك العترة والشافعي وأبو حنيفة ، قال النووي : ذهب أكثر العلماء إلى أن الفخذ عورة وعن أحمد ومالك في رواية : العورة القبل والدبر فقط «إلى أن قال :» والحق أن الفخذ من العورة ، وحديث علي هذا وإن كان غير متهض على الاستقلال ففي الباب من الأحاديث ما يصلح للاحتجاج به على المطلوب . وقال بعد ذكر حديث جرهد : الحديث من أدلة القائلين بأن الفخذ عورة وهم الجمهور . اهـ .

هب أن النهي عن كشف الأفخاذ تنزيهي إلا أنه لا شك في أن سترها أدب من آداب الشريعة ، ومن لوازم الوقار ، ومقارنات الأبهة ، ورسول الله ﷺ أولى برعاية هذا الأدب الذي صدع به هو ، قال ابن رشد في تمهيدات المدونة الكبرى ج ١ ص ١١٠ : والذي أقول به إن ما روي عن النبي عليه الصلاة والسلام في الفخذ ليس باختلاف تعارض ومعناه أنه ليس بعورة يجب سترها فرضاً كالقبل والدبر وأنه عورة يجب سترها في مكارم الأخلاق ومحاسنها ، فلا ينبغي التهاون بذلك في المحافل والجماعات ولا عند ذوي الأقدار والهيئات ، فعلى هذا تستعمل الآثار كلها واستعمالها كلها أولى من أطراح بعضها . اهـ .

فعلى كلا التقديرين نحاشي نبي العظمة والجلال أن يكشف عن فخذه في الملأ غير مكرث للحضور - وهو أشد حياءً من العذراء - ولا يأبه بهم حتى أن يأتي رضيع ثدي الحياء ، وربيب بيت القداسة ، وليد آل أمية ، أشد الأمة حياءً ، وقد قتلته أفعاله النائية عن تلك الملكة الفاضلة .

ولا يهولنك وجود الرواية في الصحيحين فإنهما كما قلنا عنهما علتنا السفاسف وعيبتا السقطات وفيهما من المخازي والمخاريق ما شوّه سمعة التأليف ،

وفت في عضد علم الحديث ، ولعلنا سوف ندعم ما ادّعيناه بالبرهنة الصادقة إن شاء الله تعالى ، وليتھما اقتصرنا من الخزاية على رواية كشف الفخذ فحسب ولم يُخرجنا تعرّبه ﷺ بين الناس ، أخرج البخاري في صحيحه باب بنیان الکعبة ج ٦ ص ١٣ ، ومسلم في صحيحه ج ١ ص ١٨٤ من طريق جابر بن عبد الله قال : لَمَّا بُنِيت الکعبة ذهب النبی ﷺ وعبّاس ينقلان حجارة ، فقال العباس للنبي ﷺ : إجعل إزارك على عاتقك يقيك من الحجارة . ففعل ، فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ، ثم قام فقال : إزاري إزاري فشُدَّ عليه إزاره .

وفي لفظ لمسلم : إن رسول الله ﷺ كان ينقل معهم الحجارة للکعبة وعليه إزاره ، فقال له العباس عمّه : يا بن أخي ! لو حللت إزارك فجعلته على منكبك دون الحجارة . قال : فحلّه فجعله على منكبيه فسقط مغشياً عليه ، قال : فما روي بعد ذلك اليوم عرياناً .

وفي قصّة لابن هشام في السيرة ج ١ ص ١٩٧ قال : كان رسول الله ﷺ فيما ذكر لي ، يُحدّث عمّا كان يحفظه به في صغره وأمر جاهليّته أنّه قال : لقد رأيتني في غلمان قریش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان ، كلنا قد تعرّى وأخذ إزاره فجعله على رقبتة يحمل عليه الحجارة ، فإني لأقبل معهم كذلك وأدبر ، إذ لکمني لا کم ما أراه لکمة وجیعة ثمّ قال : شدّ عليك إزارك ، قال : فأخذته وشدّته عليّ ، ثمّ جعلت أحمل الحجارة على رقبتی ، وإزاري عليّ من بين أصحابي .

هلمّوا معي أيّها المسلمون جميعاً نسائل هذين الرجلين - صاحبي الصحيحين - أهذا جزاء نبيّ العظمة على جهوده ؟ وحقّ شكره على إصلاحه ؟ أهذا من إكباره وتعظيمه ؟ أصحيح أن محمداً ﷺ كان يمشي بين ملأ العمال عارياً قد نضا عنه ثيابه ، وألقى عنه إزاره ، غير ساتر عن الحضور عورته ؟ وكان عمره ﷺ يومئذٍ خمساً وثلاثين سنة كما قال ابن إسحاق (١) .

(١) راجع سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٠٩ ، الروض الأنف ج ١ ص ١٢٧ ، عيون الأثر ج ١ ص ٥١ ، وما في فتح الباري ج ٧ ص ٥ نقلاً عن ابن إسحاق أن عمره كان خمساً وعشرين سنة فغير صحيح والذي صحّ عنه خمس وثلاثون .

نظرة في تافه جاء في الصحيحين ٣٢٥

هب أن رواة السوء أخرجوه لغاية مستهدفة لكن ما المبرر للرجلين أن يستصحاها ويثبتاه في صحيحهما كأثر ثابت ؟ من أنه عليه السلام كان أشد حياء من العذراء^(١) ؟ وهل تجد في العذراء من يستبيح هذه الخلاعة ؟ لاها الله ، لاها الله .

أو يحسبان صاحب هذا المجنون غير نبي الإسلام الذي نهى جرهداً ومعمرأ عن كشف فخذيهما لأنهما عورة ؟ أو ينهى عليه السلام عن كشف الفخذ يوماً ويكشف هو عما فوقها يوماً آخر ؟ أو من الهين أن نعتقد أن الفخذ عورة لكن ما يعلوها من السوء ليس بعورة ؟ .

هلم معي نعطف النظرة بين ما أثبتته الصحيحان على رسول الله عليه السلام وبين ما جاء به أحمد في مسنده ج ١ ص ٧٤ عن الحسن البصري أنه ذكر عثمان وشدة حيائه فقال : إن كان ليكون في البيت والباب عليه مغلق فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء يمنع الحياء أن يقيم صلبه^(٢) انظر إلى حياء نبي العصمة والقداسة ، وحياء وليد الشجرة الملعونة في القرآن ، وشتان بينهما ؟ .

أو ليس هذا النبي الأعظم هو الذي سأله معاوية بن حيدة فقال له : يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر ؟ قال عليه السلام : إحفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك . قال : فإذا كان القوم بعضهم في بعض ؟ قال : إن استطعت أن لا يراها أحد فلا يرينها . قال : فإذا كان أحدنا خالياً ؟ قال فالله تبارك وتعالى أحق أن يستحيا منه^(٣) .

لقد أغرق عليه السلام نزعاً في ستر العورة حتى أنه لم يرض بكشفها والمرء خال حياء من الله تعالى ، واستدل به من قال : إن التعري في الخلاء غير جائز مطلقاً^(٤)

(١) راجع ما مر في هذا الجزء صفحة ٣١٩ .

(٢) وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ج ١ ص ١١٧ ، والمحب الطبري في الرياض ج ٢ ص ٨٨ .

(٣) قال ابن تيمية في المنتقى : رواه الخمسة إلا النسائي . نيل الأوطار ج ٢ ص ٤٧ .

(٤) راجع نيل الأوطار ج ٢ ص ٤٧ .

لكن مَنْ عذيري من صاحبي الصحيحين حيث يحسبان أنه ﷺ كشفها بملاً من الأَشْهاد؟ والله من فوقهم رقيب. وعلى فرضه - وهو فرض محال - فأين الحياء المربي على حياء العذراء؟ وأين الحياء من الله؟ غفرانك اللهم هذا بهتانٌ عظيم .

هل يحسب الشيخان أن ذلك الحياء فاجأه ﷺ بعد هذه الوقائع أو الفظائع ، وما كان غريزة فيه منذ صبيغ في بوتقة القداسة؟ إن كانا يزعمان ذلك ، فبئس ما زعما ، وإن الحق الثابت أنه ﷺ كان نبياً وآدم بين الروح والجسد^(١) وقد اكتنفته الغرائز الكريمة كلها منذ ذلك العهد المتقادم ، شرع سواء في ذلك وهو في عالم الأنوار ، أو : في عالم الأجنّة ، وفي أدوار كونه رضيعاً وطفلاً ويافعاً وغلماً وكهلاً وشيخاً ، ﷺ يوم وُلد ويوم مات ويوم يُبعث حيّاً .

أو ليس مسلم هو الذي يروي من طريق المسور بن مخرمة أنه قال : أقبلت بحجر ثقيل أحمله وعليّ إزارٌ خفيفٌ فأنحلتُ إزارِي ومني الحجر لم استطع أن أمنعه حتّى بلغت به إلى موضعه ، فقال رسول الله ﷺ : إرجع إلى إزارك فخذهُ ولا تمشوا عراة^(٢) .

أفمن المستطاع أن يقال : إنّه ﷺ ينهى مسوراً عن المشي عارياً ويزجره عن حمل الحجر كذلك ويرتكب هو ما نهى عنه؟ إنَّ هذا لشيء عجاب .

وأعجب منه أنه ﷺ كان يرى أن المشرك إذا شاهد الناظر المحترم لم يكشف عن عورته فكيف هو بنفسه ، جاء في السير في قصّة الغار : إنَّ رجلاً كشف عن فرجه وجلس يبول فقال أبو بكر : قد رأنا يا رسول الله ! قال : لو رأنا لم يكشف عن فرجه .

[فتح الباري ج ٧ ص ٩]

(١) لهذا الحديث عدّة ألفاظ من طريق ميسرة وأبي هريرة وابن سارية وابن عباس وأبي الجداء ، وأخرجه ابن سعد ، وأحمد بن حنبل ، والبخاري في التاريخ ، والبغوي ، وابن السكن ، والطبراني ، وأبو نعيم في الحلية والدلائل ، وصحّحه الحاكم ، والترمذي حسنه وصححه ، وابن حبان في صحيحه ، وابن عساكر ، وابن قانع ، والدارمي في السنن ، راجع كشف الخفا للعجلوني ج ٢ ص ١٢٩ ، والجامع الكبير كما في ترتيبه ج ٦ .

(٢) صحيح مسلم ج ١ ص ١٠٥ : وفي ط مشكول ج ١ ص ١٧٤ .

وأعجب من الكلُّ أنه عليه السلام كان يرى لعورة الصغير حرمة كما جاء في صحيح أخرجه الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ٢٥٧ من طريق محمد بن عياض قال : رُفعت إلى رسول الله ﷺ في صغري وعليَّ خرقة وقد كشفت عورتني فقال : غطوا حرمة عورته فإنَّ حرمة عورة الصغير كحرمة عورة الكبير ، ولا ينظر الله إلى كاشف عورة .

وأُتني يصحُّ حديث الشيخين إنَّ صحَّ ما مرَّ عن ابن هشام ص ٢٨٦ من قصَّة لعبه عليه السلام مع الغلمان في صغره وقد حلَّ إزاره وجعله على رقبتة ، إذ لکمه لا کُم فأروعه ، وهتف بقوله : شدَّ عليك إزارك ؟ أبعد تلکم اللکمة وذلك الهتاف عاد عليه السلام إلى ما نُهي عنه لمَّا کبر وبلغ مبلغ الرجال ؟

وكيف يتفق حديث الشيخين مع ما أخرجه البزار من طريق ابن عباس قال : كان ﷺ يغتسل وراء الحجرات وما رأى أحد عورته قط ، وقال : إسناده حسن^(١) .

وأبلغ من ذلك ما رواه القاضي عياض في الشفاج ١ ص ٩١ عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما رأيت فرج رسول الله ﷺ قط .

كوني أنت يا أم المؤمنين حكماً عدلاً بيننا وبين رُواة السفاسف ، واحكمي قسطاً فيمن يعزو إلى بعلک المقدَّس ممَّا يُربي بنفسه عنه كلَّ سافل ساقط ، ويقولون : إنَّ رجلاً لم يرَ عورته قطُّ أحدٌ حتَّى حليلته ، وأنت من أطلع النَّاس على خلواته وسرَّياته كان يحمل الحجر بين العمَّال عارياً وقد حلَّ إزاره وجعله على منكبيه .

أيُّهما صحيحٌ عنک يا أم المؤمنين ممَّا أسندوه إليك ؟ أحديثك هذا ؟ أم ما حدَّثت به - إن كنت حدَّثت به - من حديث عثمان مشفوعاً بما ثبت عن بعلک عليه السلام من أنَّ الفخذ عورة ؟ .

وكأني بأُم المؤمنين تقول : حسبك أيُّها السائل لقد مُنيت بالكذابة كما مُني بها بعلي عليه السلام قبلي ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولوا إلاَّ كذباً .

(١) راجع فتح الباري ج ٦ ص ٤٥٠ ، شرح المواهب للزرقاني ج ٤ ص ٢٨٤ .

وسيعلم المبطلون غبّ ما فرطوا في جنب رسول الله ﷺ غلوّاً في فضائل أناس آخرين ، ونعم الحكم الله غداً والخصيم محمد ﷺ .

ليت شعري هل كانت عائشة تعتقد باستقرار ملكة الحياء في عثمان في كلّ تلك المدة التي روت عن اولياتها حديث الفخذين ، وطفقت في أخرياتها تثير الناس على عثمان وتقول فيه تلکم الکلم القارصة الفضة التي أسلفناها في هذا الجزء صفحة ١٠١ - ١١١ ولم تفتأ حتى أوردته حياض المنيّة ، وهل كانت ترى استمرار حياء الملائكة منه طيلة ما بين الحديثين ؟! أو أنها ترتئي انفصام عراه بتقطع حلقات ما أثبتت له من ملكة الحياء ؟ ولذلك قلبت عليه ظهر المجن ، فإن كان الأوّل فما المبرر للهجاته الأخيرة ؟ وإن كان غيره ، فالحديث باطل أيضاً لأنّ تبجيل عالم الملكوت لا يكون إلّا على حقيقة مستوعبة لمدة حياة الإنسان كلّها ، والتظاهر بالفضل المنصرم لا حقيقة له تكبرها الملائكة وتستحي من جهتها ، هذا إن لم تُعد أمّ المؤمنين علينا جوابها الأوّل مرّة أخرى من أنها مُنيت بالكذابة كما أنّه جوابها المطّرد في كلّ ما يروى عنها من فضل عثمان وأنّ كلّها من ولائد عهد معاوية المحشور بالأكاذيب والمفتريات طمعاً في رضائحه .

٣ - أخرج الطبراني من حديث أبي معشر البراء البصري عن إبراهيم بن عمر بن أبان بن عثمان عن أبيه عمر بن أبان عن أبيه عثمان بن عفان قال : سمعت عبدالله بن عمر يقول : بينما رسول الله ﷺ جالسٌ وعائشة وراءه إذ استأذن أبو بكر فدخل ، ثمّ استأذن عمر فدخل ، ثمّ استأذن سعد بن مالك فدخل ، ثمّ استأذن عثمان بن عفان فدخل ورسول الله ﷺ يتحدّث كاشفاً عن ركبته فردّ ثوبته على ركبته حين استأذن عثمان وقال لامرأته : استأخري فتحدّثوا ساعة ثمّ خرجوا فقالت عائشة : يا نبيّ الله دخل أبي وأصحابه فلم تصلح ثوبك على ركبتك ولم تؤخّرني عنك ؟ فقال النبيّ ﷺ : ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة ؟ والذي نفسي بيده إنّ الملائكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله ، ولو دخل وأنت قريبٌ مني لم يتحدّث ، ولم يرفع رأسه حتى يخرج .

ذكره ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٢٠٣ فقال : هذا حديثٌ غريبٌ وفي سنده ضعفٌ وأوعز الذهبي إليه في الميزان ج ٢ ص ٢٥٠ فقال : قال البخاري : في

حديث عمر بن أبان نظر .

قال الأميني : هذه الرواية لدة ما أسلفناه من مسلم وأحمد مشفوعاً بتفنيده وإبطاله ونزيدك ها هنا : إنَّ البراء أبا معشر البصري ضَعَفَه ابن معين ، وقال أبو داود : ليس بذلك^(١) وفيها ابراهيم بن عمر بصريٍّ أمويٌّ حفيد الممدوح قال أبو حاتم : ضعيف الحديث . وقال ابن أبي حاتم : ترك أبو زرعة حديثه فلم يقرأه علينا . وقال ابن حبان : لا يحتجَّ بخبره إذا انفرد^(٢) وقال ابن عدي : حدَّثنا أبو يعلى عن المقدمي عن أبي معشر عن ابراهيم بن عمر بن أبان بأحاديث كلها غير محفوظة منها : إنَّ النبيَّ ﷺ أسرَّ إلى عثمان أنه يقتل ظلماً^(٣) .

٤ - أخرج الطبراني من طريق أبي مروان محمد بن عثمان الأموي العثماني عن أبيه عثمان بن خالد حفيد عثمان بن عفان عن مالك عن أبي الزناد (مولي بنت عثمان) عن الأعرج عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال : عثمان حيٌّ تستحي منه الملائكة^(٤) .

قال الأميني : في الإسناد أبو مروان محمد قال صالح الأسدي : يروي عن أبيه المناكير ، وقال ابن حبان : يخطيء ويخالف^(٥) .

وفيه عثمان بن خالد قال البخاري : عنده مناكير . وقال النسائي : ليس بثقة . وقال العقيلي : الغالب على حديثه الوهم . وقال أبو أحمد : منكر الحديث : وقال ابن عدي : أحاديثه كلها غير محفوظة . وقال الساجي : عنده مناكير غير معروفة . وقال الحاكم وأبو نعيم : حدَّث عن مالك وغيره بأحاديث موضوعة^(٦) وقال ابن حبان : يروي المقلوبات عن الثقات لا يجوز الاحتجاج به^(٧) ، وقال السندي في شرح سنن ابن ماجه ج ١ ص ٥٣ في حديث

(١) تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٤٣٠ .

(٢) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٤ ، لسان الميزان ج ١ ص ٨٦ .

(٣) لسان الميزان ج ٤ ص ٢٨٢ .

(٤) تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٠٣ .

(٥) تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣٣٦ .

(٦) روايته هذه عن مالك من تلكم الموضوعات .

(٧) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١١٤ .

٣٣٠ الغدير ج - ٩

يأتي : إسناده ضعيف فيه عثمان بن خالد وهو ضعيف باتفاقهم .

وقد فصلنا القول قبيل هذا في حياء الرجل بما لا مزيد عليه وبذلك تعلم أن الحديث باطل وإن صح إسناده فكيف به وإسناده أوهن من منه .

٥ - أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص ٥٦ من طريق هشيم أبي نصر التمار عن الكوثر بن حكيم عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : أشدُّ أمتي حياءً عثمان بن عفان .

قال الأميني : تغمرني الحيرة في حياء أمة محمد ﷺ ومبلغها منه بعد أن كان عثمان أشدها حياءً وبين يديك أفعاله وتروكه ، فعلى الأمة العفا إن صدقت الأحلام . نعم : هذا لا يكون ، ونبيُّ العظمة لا يسرف في القول ، ولا يجازف في الإطراء ، والإسناد باطل لا يعول عليه لمكان كوثر بن حكيم قال أبو زرعة : ضعيف . وقال يحيى بن معين : ليس بشيء . وقال أحمد بن حنبل : أحاديثه بواطيل ليس بشيء . وقال الدارقطني وغيره : مجهول . وقال أبو طالب : سألت أحمد عنه فقال : ليس هو من عيالنا ، وكان أحمد إذا لم يرو عن رجل قال : ليس هو من عيالنا متروك الحديث وقال : ضعيف منكر الحديث . وقال الجوزجاني : لا يحلُّ كتابة حديثه عندي لأنه متروك . وقال ابن عدي : عامة ما يرويه غير محفوظة . وقال ابن أبي حاتم عن أبيه : ضعيف الحديث . قلت : هو متروك ؟ قال : لا ، ولا أعلم له حديثاً مستقيماً وهو ليس بشيء . وقال ابن أبي شيبة : منكر الحديث . وقال أبو الفتح والساجي : ضعيف . وقال البرقاني والدارقطني : متروك الحديث . وذكره العقيلي والدولابي وابن الجارود وابن شاهين في الضعفاء . ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣٥٩ ، لسان الميزان ج ٤ ص ٤٩١ .

٦ - أخرج أبو نعيم في الحلية ج ١ ص ٥٦ من طريق زكريا بن يحيى المقرئ (٢) عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : عثمان أحبُّ أمتي وأكرمها .

قال الأميني : ما خطر أمة محمد ﷺ إن كان أحياءها وأكرمها قتيل الصحابة العدول إثر هناته وموبقاته ، وليد الشجرة الملعونة في القرآن ، وليد أبي العاص

سيرة الوضاعين في التقول ٣٣١

وقد صحَّ عنه عليه السلام في ولده قوله : إذا بلغوا ثلاثين رجلاً اتَّخذوا مال الله دولاً ، وعباده خولاً ، ودينه دخلاً . وقد كان بلاغهم ثلاثين يوم عثمان وهو أحدهم ورأسهم ، وأسلفنا في ذلك قول أبي ذر الناظر إليه وإليهم من كُتب . فهل يثمر الشوك العنب ؟ لاها الله .

أيحسب الباحث أنَّ النبيَّ عليه السلام أسرَّ بهذه المنقبة الرابية إلى ابن عمر فحسب من بين الصحابة ؟ أم أعلن بها في ملأ من أصحابه وكان في الأذان وقر ؟ أم سمعوها ونسوها من يومهم الأوَّل ؟ أم حفظوها ونبذوها وراء ظهورهم يوم تركوا جثمان أحيى الأُمَّة وأكرمها منبوذاً ثلاثة أيام في مزبلة من غير دفن ؟ ثمَّ دفنه عدَّة أناس ليلاً وما أمكنهم تغسيله وتكفينه وتجهيزه والصَّلَاة عليه ، دُفن في مقبرة اليهود بعدما رُجم سريه وكُسِر ضلعٌ من أضلاعه ، وعُفي قبره خوفاً عليه من النُش .

على أنَّ الإسناد لا يصحُّ لمكان زكريا بن يحيى وهو ضعيفٌ وشيخه يخطئ في الإسناد والمتن وقد أخطأ في أحاديث كثيرة ، وغرائب حديثه وما ينفرد به كثيرٌ . راجع تاريخ الخطيب البغدادي وميزان الاعتدال ولسانه .

٧ - أخرج ابن عساكر في ترجمة عثمان من طريق أبي هريرة مرفوعاً : الحياء من الإيمان وأحيى أُمِّي عثمان .

ضعفه السيوطي في الجامع الصغير وأقره المناوي راجع فيض القدير ج ٣ ص ٤٢٩ .

لفت نظر : يُعطينا سبر التاريخ والحديث خُبراً بأنَّ السيرة المطَّردة لرجال الوضع والإختلاق في شنشنة التقول والإفتعال في الفضائل هي العناية الخاصَّة بالملكات التي كان يفقدها الممدوح رأساً . والمبالغة والإكثار في كلِّ غريزة ثبت خلافها ممَّا عُلِم من تاريخ حياة الرجل ومن سيرته الثابتة المشهورة ، فنجدهم يبالغون في شجاعة أبي بكر بما لا مزيد عليه حتى حسبوه أشجع الصحابة ، وقد شهد مشاهد النبيَّ عليه السلام كلها وما سلَّ فيها سيفاً ، ولا نزل في معترك قتال ، ولا تقدَّم لبراز أيِّ مجالد ، وما رُئي قطَّ مناضلاً ، وما شوهد يوماً في ميادين الحراب منازل ، فأكثرُوا القول فيها وجأؤوا بأحاديث خرافة في شجاعته رجاء أن يثبت له منها

شيءٌ تجاه تلك الدراية الثابتة بالمحسوس المشاهد^(١) .

وبالغون في زهده وتقواه وجعلوا كبده مشوية من خوف الله والدخان يتصاعد من فمه إلى السماء مهما تنفّس ، ولم يثبت له ميزٌ في العبادة ولم يُرو عنه الإكثار من الصّوم والصّلاة ومن كلّ ما يقربّه إلى الله زلفى^(٢) .

وبالغون في علم عمر وجعلوه أعلم الصحابة في يومه على الإطلاق وأفقههم في دين الله ، وحابوه تسعة أعشار العلم ، راجحاً علمه علم أهل الأرض ، علم أحياء العرب في كفة الميزان ، وجاؤوا فيه بكثير لذة هذه الخرافات^(٣) والرجل قد ألهاه الصّفق بالسّواق عن علم الكتاب والسنة ، وكلّ الناس أفقه منه حتّى ربّات الحجال أخذاً بقوله وهو الصادق المصدّق فيه^(٤) .

وبالغون في إنكاره الباطل وبغضه الغناء ونكيره الشديد عليه ، وقد ثبت من شكيمته أنّه كان يتعاطاه ويجوّزه^(٥) .

ولمّا وجدوا أنّ التاريخ الصحيح وما ثبت من سيرة عثمان ينفي عنه ملكة الحياء ويُمثّله للمجتمع بما يضادّها ، نسجوا له هذا النسج المبرم ، وأتوا بالمخازي ووضعت يد الإفتعال فيها ما سمعت من الأفائك ، حتّى جعلوه أشدّ أمة محمّد حياء وأحياءها وأكرمها ، حياءً تستحي منه الملائكة . فحياء عثمان كشجاعة أبي بكر وعلم عمر سالبة بانتفاء موضوعاتها ، وهي فيهم تضاهي أمانة معاوية وعلمه الواردين فيما يُعزى إليه ﷺ من قوله : كاد أن يبعث معاوية نبياً من كثرة علمه واثمّانه على كلام ربّي . وقوله : الأمناء سبعة : اللوح والقلم وإسرافيل وميكائيل وجبريل ومحمّد ومعاوية^(٦) .

(١) راجع ما أسلفناه في الجزء السابع ص ٢٢٧ - ٢٤٤

(٢) راجع ما أسلفناه في الجزء السابع ص ٢٤٧ - ٢٥٠

(٣) راجع ما مرّ في الجزء السادس ص ١٠٧ ، ٣٨٧ ، والجزء الثامن ص ٨٧ .

(٤) راجع ما أسلفناه في الجزء السادس من «نوادير الأثر في علم عمر» .

(٥) راجع ما مرّ في الجزء الثامن ص ٨٩ - ١٠٨ ، ١١٣ ، ١٢٢ - ١٢٤

(٦) راجع الجزء الخامس من الغدير ص ٣٧٤

مناقب عثمان والنظر فيها ٣٣٣

ويعرب عن أمانة معاوية ومبلغه من هذه الملكة الفاضلة ما رواه أبو بكر الهذلي قال : إنَّ أبا الأسود الدؤلي كان يُحدِّث معاوية يوماً فتحرك فضرط فقال لمعاوية استرها عليّ . فقال : نعم . فلما خرج حدَّث بها معاوية عمرو بن العاص ومروان بن الحَكَم ، فلما غدا عليه أبو الأسود قال عمرو : ما فعلت ضرطتك يا أبا الأسود بالأمس ؟ قال : ذهبت كما تذهب الريح مقبلة ومدبرة من شيخ ألان الدهر أعصابه ولحمه عن إمساكها ، وكلَّ أجوف ضرط . ثمَّ أقبل على معاوية فقال : إنَّ امرأً ضعفت أمانته ومروءته عن كتمان ضرطة لحقيق بأن لا يؤمِّن على أمور المسلمين .

الأغاني ج ١١ ص ١١٣ ، حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٣٥١ .
محاضرات الرَّاغب ج ٢ ص ١٢٥ .

٨ - أخرج الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ١٠٢ من طريق الدارمي عن سعيد بن عبد الله الجرجسي عن محمد بن حرب عن الزبيدي عن الزهري عن عمرو بن أبان بن عثمان (الممدوح) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ أري الليلة رجلاً صالحاً أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ ونيط عمر بأبي بكر ونيط عثمان بعمر . فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا : أمَّا الرجل الصالح فرسول الله ، وأمَّا ما ذكر من نوط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذي بعث الله به نبيّه ﷺ .

قال الحاكم : قال الدارمي : سمعت يحيى بن معين يقول : محمد بن حرب يسند هذا الحديث والناس يحدِّثون به عن الزهري مرسلًا إنما هو عمرو بن أبان ولم يكن لأبان بن عثمان إِبْنٌ يقال له عمرو .

قال الأُميني : ألا تعجب من رؤياً رآها رسول الله ﷺ وحدَّث بها في ملأ الصحابة ولم يسمعها منه ﷺ إلا جابر بن عبد الله وهو لم يرتب عليها أي أثر عمليّ ، ولم يروها عنه إلا حفيد عثمان عمرو بن أبان الذي لم يكن له وجود ، أو اختلف في أنه كان أو لم يكن ؟ نعم : ينبغي حقاً أن يكون مستدرک الصحيحين أمثال هذه التافهات .

٣٣٤ الغدير ج - ٩

٩ - أخرج ابن ماجة في سننه ج ١ ص ٥٣ عن أبي مروان محمد بن عثمان الأموي العثماني عن أبيه عثمان بن خالد حفيد عثمان بن عفان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه (مولى عائشة بنت عثمان) عن الأعرج عن أبي هريرة إن رسول الله ﷺ قال: لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان بن عفان .

رجال الإسناد :

١ - أبو مروان مرّ الإيعاز إليه ص ٣٢٩ .

٢ - عثمان بن خالد ، أسلفنا في هذا الجزء ص ٣٢٩ كلمات الحفاظ فيه وأنه ليس بثقة ، وأحاديثه كلّها غير محفوظة ، وحدّث بأحاديث موضوعة لا يجوز الإحتجاج به . ورواه الترمذي من طريق طلحة بن عبيد الله وقال : غريب ليس إسناده بالقويّ وهو منقطع .

٣ - عبد الرحمن بن أبي الزناد ، قال يحيى بن معين : ليس ممّن يحتجّ به أصحاب الحديث ليس بشيء . وقال ابن صالح وغيره عن ابن معين : ضعيف . وقال الدوري عن ابن معين : لا يحتجّ بحديثه . وقال صالح بن أحمد عن أبيه : مضطرب الحديث . وعن ابن المديني : كان عند أصحابنا ضعيفاً . وقال النسائي : لا يُحتجّ بحديثه . وقال ابن سعد : كان كثير الحديث وكان يضعف لروايته عن أبيه .

[تهذيب التهذيب ج ٦ ص ١٧١]

وبع ذلك كلّه فإنّي أستغرب هذه الرفاقة وأنّ الرجل بماذا اختصّ بها وحصل عليها من دون الصحابة المقدّمين ذوي الفضائل والمآثر ، وفي مقدّمهم صنوه ﷺ أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه وهو نفسه في الذكر الحكيم ، وأخوه المخصوص به في حديث المواخاة المعربة عن المجانسة بينهما في النفسيات ، وهو الذابّ الوحيد عنه في حروبه ومغازيه ، ومثله الأعلى في العصمة والقداسة بصريح آية التطهير ، وباب مدينة علمه في الحديث المتواتر .

فبماذا اختصّ عثمان بهذه الرفاقة دون عليّ أمير المؤمنين ؟ ألمشاكلته مع صاحب الرسالة العظمى في النسب أو الحسب في العلم والتقوى والملكات

مناقب عثمان والنظر فيها ٣٣٥

الفاضلة ؟ أو لاتباعه ما جاء به ﷺ من كتاب أو سنة ؟ وأنت متى استشففت ما تلونه في هذا الكتاب من موارد الخليفة ومصادره ، وأخذه وردّه ، وأفعاله وتركه ، تعلم مَبَوَّاه من كلّ هاتيك الفضائل وتجد من المستحيل ما أثبتته له هذه الرواية الواهية بإسنادها الساقط ، تعالى نبيّ العظمة عن ذلك علوّاً كبيراً .

ولست أدري لماذا ردّ الله دعاء نبيّه الأعظم في أبي بكر الوارد فيما أخرجه ابن عدي من طريق الزبير بن العوام قال : قال رسول الله ﷺ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ جعلت أبا بكر رفيقي في الغار فاجعله رفيقي في الجنّة^(١) .

نعم : هذا كحديث ابن ماجة هما سواسية في البطلان ، في إسناده محمّد بن الوليد القلانسي البغدادي . كَذَابٌ يضع الحديث كما مرّ في سلسلة الكذّابين ج ٥ ص ٣٢٣ ، ومصعب بن سعيد يحدث عن الثقات بالمناكير ويصحّف ، وكان مدلّساً لا يدري ما يقول وستوافيك ترجمته ، وعيسى بن يونس مجهول لا يعرف .

١٠ - أخرج الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ٩٧ من طريق عبيد الله بن عمرو القواريري البصري عن القاسم بن الحکم بن أوس الأنصاري عن أبي عبادة الزرقعي عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : شهدت عثمان يوم حصر في موضع الجنائز فقال : أنشدك الله يا طلحة ! أنذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في مكان كذا وكذا وليس معه من أصحابه غيري وغيرك فقال لك : يا طلحة ! إنه ليس من نبيّ إلّا وله رفيق من أمته معه في الجنّة وإنّ عثمان رفيقي ومعني في الجنّة ؟ فقال طلحة : اللهم نعم . قال : ثمّ انصرف طلحة .

وفي لفظ أحمد في مسنده ج ١ ص ٧٤ بالإسناد نفسه عن أسلم قال : شهدت عثمان رضي الله عنه يوم حُوصِر في موضع الجنائز ولو ألقى حجرٌ لم يقع إلّا على رأس رجل فرأيت عثمان رضي الله عنه أشرف من الخوخة التي تلي مقام جبريل عليه السلام فقال : أيّها الناس أفيكم طلحة ؟ فسكتوا . ثمّ قال : أيّها الناس أفيكم طلحة ؟ فسكتوا . ثمّ قال : يا أيّها الناس أفيكم طلحة ؟ فقال طلحة بن

(١) لسان الميزان ج ٥ ص ٤١٨ .

عبيد الله فقال له عثمان رضي الله عنه : ألا أراك ههنا ما كنت أرى أنك تكون في جماعة تسمع ندائي آخر ثلاث مرّات ثم لا تجيبني أنشدك الله يا طلحة ! تذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في موضع كذا كذا ليس معه أحد من أصحابه غيري وغيرك ؟ قال : نعم . فقال لك رسول الله ﷺ : يا طلحة ! إنه ليس من نبي إلاّ ومعه من أصحابه رفيق من أمته معه في الجنة ، وإن عثمان بن عفان رضي الله عنه هذا يعنيني رفيقي معي في الجنة ؟ قال طلحة : اللهم نعم . ثم انصرف .

صححه الحاكم وعقبه الذهبي فقال : قلت : قاسم هذا قال البخاري : لا يصح حديثه . وقال أبو حاتم : مجهول . وذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣١٢ وحكى عن البخاري وأبي حاتم ما ذكره الذهبي .

وفي الإسناد عبيد الله القواريري روى عنه البخاري خمسة أحاديث فحسب ، ومسلم أربعين حديثاً^(١) وقد سمع منه أحمد بن يحيى مائة ألف حديث^(٢) فما حُكم ذلك الحوش الحائش ممّا جاء به القواريري بعدما لم يأخذ البخاري ومسلم منه إلاّ عدّة أحاديث وضرباً عن كلّ ذلك صفحاً ؟ ومن المستبعد جداً عدم وقوفهما عليها .

وفيه : أبو عباد الزرقعي عيسى بن عبدالرحمن الأنصاري قال أبو زرعة : ليس بالقوي . وقال أبو حاتم : منكر الحديث ضعيف الحديث شبيه بالمتروك لا أعلمه روى عن الزهري حديثاً صحيحاً . وقال البخاري والنسائي : منكر الحديث . وقال ابن حبان : يروي المناكير عن المشاهير فاستحقّ الترك . وقال العقيلي : مضطرب الحديث . وقال الأزدي : منكر الحديث مجهول . وقال ابن عدي : عامّة ما يرويه لا يُتابع عليه . وقال ابن حبان أيضاً : لا ينبغي أن يحتجّ بما انفرد به^(٣) .

قال الأميني : ولا يكاد يصحّ انصراف طلحة مع إصراره الثابت في التشديد على عثمان إلى آخر نفس لفظه الرجل ، ولم يقنعه الإجهاز عليه حتّى أنه منعه عن الدفن في مقابر المسلمين ، وجعل ناساً هناك أكرمهم كميناً ورموا حملة جنازته

(١) ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤١ .

(٢) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤١ .

(٣) تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٢١٨ ، لسان الميزان ج ٤ ص ٤٠٠ .

مناقب عثمان والنظر فيها ٣٣٧

بالحجارة وصاحوا : نعتل نعتل . وقال طلحة : يُدفن بدير «سُلع» يعني مقابر اليهود ، ولذلك قال مروان لما قتل طلحة لأبى بن عثمان : قد كفيتك بعض قتلة أبيك ، ومروان كان شاهداً عليه من كُتب^(١) .

ومن العجيب أنَّ هذه المناشدة كانت في ذلك المحتشد الرحيب بمسمع من أولئك الجَمِّ الغفير وكان لو ألقى الحجر لم يقع إلّا على رأس رجل لكنها لم تكفىء أحداً منهم ، فهل كانوا معترفين بها معرضين عنها ؟ فأين العدالة المزعومة فيهم ؟ أو أنَّهم عرفوا بطلانها وما صدّقوا الرجلين في دعواهما فتركوها في مدحرة الإعراض ؟ أو لم تكن هنالك مناشدة قط ؟ وهو أقرب الوجوه إلى الحق .

ولو فرضنا أنَّها أكفأت طلحة كما يحسبه مختلق هذه الرواية فإنه لم يكن إلّا إكفاءً وقتياً ثم راجع طلحة رشده فعرف أنَّها حجة داحضة فاستمرَّ على ما ثار له ، وثبت عنه من الثبات على عمله وتضييقه .

هذه غاية ما يمكن أن يقال متى تجشّمنا لوضع هذه المزعومة في بقعة الإمكان ، ومن المستصعب ذلك أو المتعذّر ، وقد أسلفنا أنَّ الرفاقة المزعومة ليس من السهل تصديقها لعدم المجانسة بين الرفيقيْن قطّ ولو كان من جهة .

والرفاقة كالأخوة والصحبة - المنبئة ثلاثتها عن التجانس في الخل والمزايا - نخصّ بعليّ أمير المؤمنين عليه السلام كما جاء مرفوعاً : يا عليّ أنت أخي وصاحبي ورفيقي في الجنة^(٢) وهذا التخصّص تعاضده البرهنة الثابتة ، ويؤيّد بالإعتبار .

١١ - أخرج أبو يعلى وأبو نعيم وابن عساكر في تاريخه ج ٧ ص ٦٥ ، والحاكم في المستدرک ج ٣ ص ٩٧ من طريق شيبان بن فروخ عن طلحة بن زيد الدمشقي عن عبيدة^(٣) بن حسان عن عطاء الكيخاراني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : بينما نحن في بيت ابن حشفة في نفر من المهاجرين فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص

(١) راجع ما مرّ في هذا الجزء ص ١١٦ - ١٢٦ .

(٢) تاريخ الخطيب ج ١٢ ص ٢٦٨ .

(٣) في النسخة ها هنا وفيما يأتي : عبيد . والصحيح ما ذكرناه .

٣٣٨ الغدير ج - ٩

رضي الله عنهم فقال رسول الله ﷺ : لينهض كل رجل منكم إلى كُفَّته فنهض النبي ﷺ إلى عثمان فاعتنقه وقال : أنت وليي في الدنيا والآخرة .

صحَّحه الحاكم وعقبه الذهبي في تلخيصه وقال : قلت : بل ضعيف فيه طلحة بن زيد وهو واهٍ عن عبيدة بن حسان شويخ مقلٌ عن عطاء . وقال السيوطي في اللآلي ج ١ ص ٣١٧ : موضوع ، طلحة لا يحتجُّ به ، وعبيدة يروي الموضوعات عن الثقات . اهـ .

وذكره المحبُّ الطبري في رياضه النضرة ج ٢ ص ١٠١ ، وابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٢١٢ ساكتين عمَّا في إسناده من الغمز شأنهما في فضائل مَنْ يحبَّانه ويواليانه ، ولا يخفى عليهما قول أحمد : طلحة بن زيد ليس بذاك قد حدَّث بأحاديث مناكير . وقوله : ليس بشيء كان يضع الحديث لا يعجبني حديثه . وقول البخاري والنسائي : منكر الحديث . وقول النسائي أيضاً : ليس بثقة متروك . وقول صالح بن محمَّد : لا يكتب حديثه . وقول ابن حبان : منكر الحديث لا يحلُّ الإحتجاج بخبره . وقول الدارقطني والبرقاني : ضعيف . وقول أبي نعيم : حدَّث بالمناكير لا شيء . وقول الأجري عن أبي داود : يضع الحديث . ونسبة ابن المدائني آياه إلى وضع الحديث . وقول الساجي : منكر الحديث^(١) .

كما لا يخفى على الرجلين رأي الحفاظ في عبيدة بن حسان قال أبو حاتم : منكر الحديث . وقال ابن حبان : يروي الموضوعات عن الثقات . وقال الدارقطني : ضعيف .

[لسان الميزان ج ٤ ص ١٢٥]

والغربة في هذه المماثلة والولاية المنبعثة عنها في الدنيا والآخرة ، وهي ليست بأقلَّ من الرفاقة التي أسلفنا القول فيها قبيل هذا ، وإنَّ من المؤسف جدًّا المقارنة بين رسول العظمة وبين من لم يقم الصحابة الأولون - كلهم فيما يرتأون - له وزناً ، ولا رأوا لحياته قيمة ، ولا حسبوا لتسُّمه عرش الخلافة مؤهلاً ، فلم يزل

(١) تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٦٥ ، تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٦ ، اللآلي المصنوعة ج ١ ص ٨١ ، ٣١٧ .

مناقب عثمان والنظر فيها ٣٣٩

ممقوتاً عندهم حتى كبت به بطنته ، وأجهز عليه عمله ، كما قاله مولانا أمير المؤمنين^(١) ولم يفتأ الصحابة مصرّين على مقتله حتى أوردوه حياض المنية ، ولم تبرح أعماله مؤكدة لعقائد الملائ الديني في همزه ولمزه حتى وقع من الأمر ما وقع .

ولا يسع قطّ لعارف عرفان وجه المكافأة بين نبيّ العظمة وبين عثمان ، فإنّها إن كانت من ناحية النسب ، فأنى هي ؟ هذا من شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، وذلك من شجرة ملعونة في القرآن .

وإن كانت من حيث الحسب ، ففرّق بينهما فيه بُعد المشرقين ولا حرج ، هذا حسيبٌ . وذلك مُقشَّب الحسب ؟ وإن كانت من جهة الملكات الفاضلة والنفسيات الكريمة ، فالمشاكلة منتفية وهما طرفا نقيض ، هذا ناصح الجيب ، واري الزند^(٢) على خلق عظيم ، والآخر يحمل منها بين جنبيه ما عرفناك حديثه .

ونحن إن أخذنا ما جاء به القوم من قضايا الملكات فالبون بينهما شاسع أيضاً ، فالنبيُّ الأقدس مثلاً عندهم كما مرّ كان يكشف في الملائ عن ركبتيه وعن فخذيه وعمّا هو بينهما وبين سرّته ولم يكن يبالي . وعثمان إن كان ليكون في البيت والباب عليه مغلقٌ ، فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء ، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه ، كما مرّ في حديث الحسن ص ٣٢٦ .

وإن فرضت المشاكلة من جانب الأخذ بالدين والعمل بما فيه من أفعال أو تروك ، فالتباين بينهما ظاهرٌ وأيّ تباين ، ﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ، ورجلاً مسلماً لرجل هل يستويان مثلاً﴾ ؟^(٣) هذا رسول التوحيد أسلم وجهه لله وهو محسن ، يعبد ربّه مخلصاً له الدين تحت راية لا إله إلا الله ، وقُرط أذنه قوله تعالى : ﴿قل الله ثمّ ذرهم﴾ ، وورد لسانه : ﴿وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت﴾ . وأمّا عثمان فهو أسير هوى مروان ومعاوية وسعيد ومن شاكلهم من أبناء

(١) راجع ما أسلفناه في الجزء السابع ص ٩٨

(٢) رجل ناصح الجيب أي صادق أمين ، نقي القلب لا غش فيه . ويقال . واري الزند . في المبالغة في الكرم والخصال المحمودّة .

(٣) سورة الزمر ؛ الآية : ٢٨ .

٣٤٠ الغدير ج - ٩

بيته ، يسير مع ميولهم وشهواتهم ، حتى قال مولانا أمير المؤمنين : ما رضيت من مروان ولا رضي منك إلا بتحويلك عن دينك وعقلك ، وإنّ مثلك مثل جمل الظعينة سار حيث يُسار به^(١) قدم ربّه وقد خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، كسب سيئة وأحاطت به خطيئته .

إيه إيه يا نبيّ العظمة أنزلك الدهر ثمّ أنزلك حتّى جعلك كفو عثمان بعدما اختارك ربّك واصطفاك من بريته وجعلك لسان صدق نبياً ، هذا جزاؤك من أمتك جزاء سنمار ، ﴿وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون﴾ .

لفت نظر :

وضعت يد الأمانة الخائنة على ودائع الإسلام المقدّس هذه الرواية تجاه ما صحّ عن النبيّ الأقدس في صنوه الطاهر أمير المؤمنين في حديث طويل عن ابن عباس من قوله ﷺ لعليّ عليه السلام : أنت ولي في الدنيا والآخرة .

أخرجه أحمد في مسنده ج ١ ص ٣٣١ بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات كما مرّ الإيعاز إليه في الجزء الأوّل ص ٧٥ ، وفي الجزء الثالث ص ٢٤٥ رجاله :

١ - يحيى بن حمّاد أبو بكر البصري ، أحد رجال الصحيحين ، وثّقه ابن سعد وأبو حاتم وابن حبان والعجلي .

٢ - أبو عوانة الوضّاح اليشكري ، من رجال الصحيحين . وثّقه أبو زرعة وأبو حاتم وأحمد وابن حبان وابن سعد والعجلي وابن شاهين . وقال ابن عبد البر : أجمعوا على أنّه ثقة ثبت حجة .

٣ - أبو بلج يحيى بن سليم الواسطي . وثّقه ابن معين وابن سعد والنسائي والدارقطني وابن حبان وأبو الفتح الأزدي .

٤ - عمرو بن ميمون أبو عبدالله الكوفي ، أدرك الجاهليّة ولم يلق

(١) راجع ما مرّ في هذا الجزء ص ٢٠٥ .

منقبة صحيحة لأمر المؤمنين ٣٤١

النبي ﷺ وثقه العجلي وابن معين والنسائي وغيرهم . عن ابن عباس .

وأخرجه جمع من الحفاظ وذكره غير واحد من المؤلفين ومنهم .

١ - الحافظ أبو عبد الرحمن النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ في الخصائص ص ٧ .

٢ - الحافظ أبو القاسم الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠ كما في الفرائد والمجمع وغيرهما .

٣ - الحافظ أبو يعلى النيسابوري المتوفى سنة ٣٧٤ كما في البداية والنهاية .

٤ - الحافظ أبو عبد الله الحاكم المتوفى سنة ٤٠٥ في المستدرک ج ٣ ص ١٣٢ وصححه .

٥ - الحافظ أبو بكر البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ كما في المناقب للخوارزمي .

٦ - أخطب خوارزم أبو المؤيد المتوفى سنة ٥٦٨ في المناقب ص ٧٥ .

٧ - الحافظ أبو القاسم ابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ في الأربعين الطوال والموافقات .

٨ - الحافظ أبو عبد الله الكنجي المتوفى سنة ٦٥٨ في كفاية الطالب ص ١١٥ .

٩ - الحافظ المحب الطبري المتوفى سنة ٦٩٤ في الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٣ ، ذخائر العقبى ص ٨٧ .

١٠ - شيخ الإسلام الحموي المتوفى سنة ٧٢٢ في فرائد السمطين .

١١ - الحافظ ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ في البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٣٧ .

١٢ - الحافظ أبو الحسن الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧ في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٨ وصححه من طريق أحمد .

٣٤٢ الغدير ج - ٩

١٣ - الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ في الإصابة ج ٢ ص ٥٠٩ .

١٤ - أبو حامد محمود الصالحاني كما في (توضيح الدلائل) لشهاب الدين أحمد .

١٥ - السيد شهاب الدين أحمد في (توضيح الدلائل على ترجيح الفضائل) .

١٦ - الشيخ أحمد بن الفضل باكثير المتوفى سنة ١٠٤٢ في وسيلة المآل .

١٧ - ميرزا محمد البدخشاني المتوفى سنة ١١٢٣ في نزل الأبرار ص ١٦ ومفتاح النجا .

١٨ - شاه ولي الله الهندي المتوفى سنة ١١٢٦ في إزالة الخفاج ٢ ص ٢٦١ .

١٩ - الأمير محمد بن اسماعيل اليمني الصنعاني في الروضة الندية .

٢٠ - المولوي ولي الله الهندي المتوفى سنة ١٢٧٠ في مرآة المؤمنين . وغيرهم .

هذا ما صحَّ عن النبي الأعظم من قوله : أنت وليي في الدنيا والآخرة . فبذل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم .

١٢ - أخرج البزار من طريق خارجة بن مصعب عن عبدالله بن عبيد الحميري البصري عن أبيه قال : كنت عند عثمان حين حُصر فقال : ها هنا طلحة ؟ فقال طلحة : نعم . فقال : أنشدتك الله أما علمت أنا كنا عند رسول الله ﷺ فقال : ليأخذ كل رجل منكم بيد جلسه فأخذت بيد فلان ، وأخذ فلان بيد فلان ، حتى أخذ كل رجل بيد صاحبه وأخذ رسول الله ﷺ بيدي وقال : هذا جليسي في الدنيا ووليي في الآخرة ؟ قال : اللهم نعم .

وذكره ابن حجر في فتح الباري ج ٥ ص ٣١٥ عن ابن منده من طريق عبيد الحميري المذكور ساكتاً عما في إسناده من العلة ، كأنه ليس هو الذي حكى لكم الآراء الواردة في جرح خارجة بن مصعب عن الحفاظ وأئمة الجرح والتعديل قال

مناقب عثمان والنظر فيها ٣٤٣

في تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٧٨ : قال الأثرم عن أحمد : لا يكتب حديثه . وقال عبدالله بن أحمد : نهاني أبي أن أكتب عنه شيئاً من الحديث . وقال الدوري ومعاوية وعباس عن ابن نمير : ليس بثقة ، ليس بشيء ، كذاب ، ضعيف . وقال ابن معين : ليس بشيء . وقال يحيى بن يحيى : يدلس وقال النسائي : متروك الأحاديث ، ليس بثقة ، ضعيف . وقال ابن سعد : إتقى الناس حديثه فتركوه . وقال ابن خراش وأبو أحمد : متروك الحديث . وقال الدارقطني : ضعيف . وقال يعقوب : ضعيف الحديث عند جميع أصحابنا . وقال ابن المديني : هو عندنا ضعيف . وقال أبو داود : ضعيف ليس بشيء . وقال ابن حبان : وقع في حديثه الموضوعات عن الأثبات لا يجوز الاحتجاج بخبره . وذكره ابن الجارود والعقيلي وابن السكن وأبوزرعة وأبو العرب وغيرهم في الضعفاء .

وقال السيوطي في اللآلي ج ١ ص ٣١٧ : قال ابن حبان : خارجة يدلس عن الكذابين ووقع في حديثه الموضوعات .

ولعلنا أوقفناك على مقياس صحيح في أمثال هذه الرواية في ذيل الروايتين اللتين تُشبهانها قُبيل هذا ، فإنك إذن لا تجد مقيلاً لها من الصحة والإعتبار نظراً إلى متنها قبل أن تقف على ضعف إسنادها ، فدعها ومُرَّ بها كريماً ، وذُر الوضّاعين في غلوائهم يرمون القول على عواهنه .

ولو كان طلحة سمع هذه المزعة منه عليه السلام واعترف بها يوم الحصار في ملأ الصحابة لما كان يأخذ بخناق الرجل ويشدُّ عليه ، وما كان يشير عليه نقع الفتن حتّى يورده مورد المنية ، ولم يك يمنع عنه إيصال الماء إليه ، ولم يرض بإنهاء أمره إلى القتل الذريع ، ولم يُرضه دفنه في مقابر اليهود .

لو كان طلحة يعرف شيئاً من هذه الرواية لما استسهل ركوب ذلك المركب الصعب الجموح وهو صحابيٌّ عادلٌ أحد العشرة المبشرة كما يحسبون .

١٣ - أخرج ابن ماجة في سننه ج ١ ص ٥٣ عن أبي مروان محمد بن عثمان الأموي العثماني عن أبيه عثمان بن خالد حفيد عثمان بن عفان عن عبدالرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة : إنَّ النبي ﷺ لقي عثمان عند باب

٣٤٤ الغدير ج - ٩

المسجد فقال : يا عثمان ! هذا جبريل أخبرني أن الله قد زوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية على مثل صحبتها . ورواه ابن عساكر كما في تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢١١ .

قال الأميني : أسلفنا فيما مرّ صفحة ٣٢٩ أن محمّد بن عثمان يخطيء ويخالف ويروي عن أبيه مناكير ، وإنّ أباه ليس بثقة وأحاديثه غير محفوظة ، وإنّه حدّث بأحاديث موضوعة لا يجوز الإحتجاج به ، ومرّ في صفحة ٣٤٣ أن عبد الرحمن بن أبي الزناد : ليس ممّن يحتجّ به أصحاب الحديث ، وأنّه ضعيف مضطرب الحديث لا يحتجّ بحديثه ، عليك مراجعة ما فصلناه في الجزء الثامن ص ٢٧٤ - ٢٧٧

١٤ - أخرج ابن عدي قال : حدّثنا محمّد بن داود بن دينار حدّثنا أحمد بن محمّد بن حباب البصري حدّثنا عمرو بن فائد البصري عن موسى بن سيار البصري عن الحسن البصري عن أنس مرفوعاً : إنّ الله تعالى سيفاً مغموداً في غمده ما دام عثمان بن عفّان حيّاً ، فإذا قُتل جُرد ذلك السيف فلم يُغمَد إلى يوم القيامة . ورواه ابن عساكر بالإسناد .

قال السيوطي في اللآلي ج ١ ص ٣١٦ : موضوع آفته عمرو بن فائد ، وشيخه كذاب أيضاً .

قال الأميني : ألا تعجب من السيوطي ؟ يحكم ها هنا على الرواية بالوضع ويكذّب راويه ويذكرها في تاريخ الخلفاء ص ١١٠ في عدّ فضائل عثمان ويقتصر على قوله : تفرد به عمرو بن فائد وله مناكير . نعم هكذا يموّهون على الحقائق ويغرون الناس بالجهل ، كان على الرجل أن يلغيها عن سياق عدّ الفضائل - التي من طبعها أن يحتجّ بها - بعدما رآها موضوعة رواها كذاب عن كذاب ، غير أنّه لو اقتصر على ما يحتجّ به في باب الفضائل ، وألغى ما لا يصحّ منها سنداً أو متناً ، لما يجد هو وغيره فضيلة قطّ لعثمان ، وهذا ممّا لا يروقه هو ولا يحبّذه قومه .

وللدارقطني ، وابن المديني ، والعقيلي ، وابن عدي ، والنسائي ،

مناقب عثمان والنظر فيها ٣٤٥

والذهبي ، كلمات في جرح عمرو بن فائد وبطلان حديثه . راجع لسان الميزان ج ٤ ص ٣٧٢ .

وليحيى القَطَّان ، وأبي حاتم ، وابن عدي ، وابن معين ، والذهبي ، أقوال في تفنيد موسى بن سيار البصري وتكذيبه وبطلان حديثه . راجع ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢١١ ، ولسان الميزان ج ٦ ص ١٢٠ .

وفي الإسناد محمَّد بن داود الفارسي ، قال الذهبي في الميزان ج ٣ ص ٥٤ : من شيوخ ابن عدي ذكره فقال : كان يكذب . وذكر ابن حجر في اللسان ج ٥ ص ١٦١ حديثاً في فضل عليٍّ أمير المؤمنين فقال : هو من وضع محمَّد بن داود بن دينار .

هذا شأن هذه المكذوبة غير أنَّ أناساً من الغالين في الفضائل كالسيوطي والقرماني^(١) وأحمد زيني دحلان^(٢) إتخذوها حجة عند ذكرهم فضائل عثمان مرسلين آياها إرسال المسلّم شأنهم في الموضوعات المفتعلة في الشئ على رجالاتهم .

١٥ - وأخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٠٣ من طريق أحمد بن كامل القاضي عن أحمد بن محمَّد بن عبد الحميد الجعفي عن الفضل بن جبير الوراق عن خالد بن عبد الله الطحان المزني عن عطاء بن السائب عن سعد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت قاعداً عند النبي ﷺ إذ أقبل عثمان بن عفان رضي الله عنه فلمّا دنا منه قال : يا عثمان ! تُقتل وأنت تقرأ سورة البقرة فتقع قطرة من دمك على ﴿فسيكفيهم الله وهو السميع العليم﴾ وتبعث يوم القيامة أميراً على كلِّ مخذول يغبطك أهل الشرق والغرب ، وتشفع في عدد ربيعة ومضر .

قال الأميني : سكت الحاكم عن صحّة الحديث وأنصف الذهبي فقال في تلخيصه : كذبٌ بحت ، وفي الإسناد أحمد بن محمَّد بن عبد الحميد الجعفي وهو المتهم به . اهـ .

(١) في أخبار الدول هامش الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٢١٤ .

(٢) في الفتوحات الإسلامية ج ٢ ص ٤٩٨ .

وشيوخ الجعفي أيضاً لا يتابع على حديثه كما قاله العقيلي وحكاه عنه الذهبي في الميزان وابن حجر في لسانه ج ٤ ص ٤٣٨ .

إنَّ ممَّا يُقضى منه العجب أنَّ أحداً من الصحابة العدول لم يسمع هذا الحديث عن النبي ﷺ ، كأنَّ المجلس الذي ألقى ﷺ فيه هذه الكلمة كان خلواً عنهم جميعاً ومن العجيب أيضاً أنَّه لم يروه أحدٌ منهم لصاحبه - إن كان سمعه أحدٌ - حتَّى تتداوله الألسن فعسى أن يكون رادعاً عن التجمهر على عثمان والإتفاق على نبذه والجرأة على قتله ، نعم : لم يسمعه أحدٌ منه ﷺ عدا ابن عباس الذي كان صبيّاً في عهد النبوة لم يبلغ الحلم وقد توفي ﷺ وابن عباس ابن ثلاثة عشر سنة كما قاله الواقدي والزبير وصحَّحه أبو عمر في «الإستيعاب» أو عشر سنين كما روي عن ابن عباس نفسه من وجوه^(١) أو أكثر منها ، وربما يُشكُّ في أنَّه هل كان يحسن التحمُّل عندئذٍ أو لا؟ ولعلَّه هو أيضاً كان شاكاً في تحمُّله هذا الحديث حيث جاءته استغاثة عثمان^(٢) وهو يخطب الحاجَّ يوم عرفة فتلاها نافع بن طريف فلمَّا أتمَّها مضى ابن عباس في خطبته غير مكترث لاستغاثة الخليفة وهو بين الناب والمخلب ، على حين أنَّه كان منصوباً من قبله لإمارة الحاجَّ ، فلم يعرض لشيء من شأنه ولا للزوم الدفاع عنه ، وما ذلك إلَّا لإصفاقه مع المجهزين عليه في الرأي وإلَّا لكان من واجبه الحثُّ على الذبِّ عنه ، وبيان وجوب إغاثته ، وملاً سمعه هذا الحديث الذي عُزي إليه وملاً فيه روايته - وحاشاه عن روايته - وكأنَّ الحضرة النبوية نصب عينيه يتلقَّى فيه الرواية ، وهو الذي يقتضيه عدله وتقواه .

وهناك شاهدٌ آخر لعدم إخبائه إلى مضمون هذه الرواية وهو أنَّه لمَّا بعثه عثمان أميراً على الحاجَّ لقيته عائشة في بعض المنازل فقالت له : يا ابن عباس ! إنَّ الله قد آتاك عقلاً وفهماً وبياناً فأياك أن تردَّ الناس عن هذا الطاغية^(٣) تعني عثمان ، فلم يُبد ابن عباس لها تجاه تلك الشدة تجهماً ولا قولاً ليناً كمن يوافقها على النزعة ، كما ردَّ عليها في حثها على عدم التخذيل عن طلحة وجنوحها إلى توليِّه

(١) راجع مسند أحمد ج ١ ص ٢٥٣ ، الإستيعاب ج ١ ص ٣٧٢ .

(٢) راجع ما مضى في هذا الجزء صفحة ١٦٣ - ٢٢٢ .

(٣) راجع ما مرَّ في هذا الجزء صفحة ١٠٢ .

مناقب عثمان والنظر فيها ٣٤٧

الأمر ، فلو كان ابن عباس يعرف في شأن عثمان شيئاً من هذه الرواية لرواه لها واتَّخذها مستنداً في الدفاع عنه ، فجامع القول إنَّ الحبر لم يسمع ممَّا تُقُول عليه شيئاً ، وإنَّما هو من مواليد العهد الأمويِّ بعد عهد ابن عباس .

وليس من المستسهل الكشف عن إمارة المخذولين يوم القيامة ، كما أنَّ من المستصعب جدّاً عرفان أعيانهم وأشخاصهم ، أفهيم أولئك الصفوة الأبرار من الصحابة والتابعين أمثال أبي ذر وعَمَّار وابن مسعود ومالك الأشتر وزيد وصعصعة إِبني صوحان وكعب بن عبدة وعامر بن قيس وآخرين من صلحاء المدينة والكوفة والبصرة الذين خذلهم عثمان وأبناء بيته ؟ .

ولعلَّ في المخذولين الحَكَم ومروان وآلهما وعبدالله بن أبي سرح وأبا سفيان وولده وأضرابهم الذين خذلهم الإسلام وآواهم عثمان وعزَّروهم وسلَّطهم على صلحاء الأمة من الصحابة الأولين والتابعين لهم بإحسان .

ونحن على يقين من أنَّ الشفاعة المزعومة التي لا تصدِّقها سيرة عثمان ولا تساعدُها البرهنة ويضادُّها نداء الكتاب الكريم إن حَقَّقَتْ تُدْنَس ساحة الجَنَّة المقدَّسة بإدخال عثمان أرجاس آل أُمِّيَّة فيها كما يعرب عنه قوله الثابت المذكور في الجزء الثامن ص ٣٤٠ : لو أنَّ بيدي مفاتيح الجَنَّة لأعطيتهَا بني أُمِّيَّة حتَّى يدخلوا من عند آخرهم .

١٦ - أخرج الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ١٠٣ عن عبدالله بن إسحاق بن ابراهيم العدل^(١) عن يحيى بن أبي طالب عن بشار بن موسى الخفاف البصري عن الحاطبي عبد الرَّحْمَنِ^(٢) بن محمَّد عن أبيه عن جدِّه قال : لمَّا كان يوم الجمل خرجت أنظر في القتلى قال : فقام عليٌّ والحسن بن عليٍّ وعمَّار بن ياسر ومحمَّد بن أبي بكر وزيد بن صوحان يدورون في القتلى قال : فأبصر الحسن بن عليٍّ قتيلاً مكبواً على وجهه فقلَّبه على قفاه ثمَّ صرخ ثمَّ قال : إنا لله وإنا إليه راجعون فرخُ قریش والله . فقال أبوه : مَنْ هو يا بُنيَّ قال : محمَّد بن طلحة بن

(١) كذا في النسخ والصحيح : المعدل .

(٢) كذا في النسخ والصحيح : عبد الرَّحْمَنِ بن عثمان بن محمد .

٣٤٨ الغدير ج - ٩

عبيدالله . فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أما والله لقد كان شاباً صالحاً ثم قعد كثيراً حزينا فقال له الحسن : يا أبت ! قد كنت أنهاك عن هذا المسير فغلبك على رأيك فلان وفلان . قال : قد كان ذاك يا بُني ! ولوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة . قال محمد بن حاطب : فقممت فقلت : يا أمير المؤمنين ! إنا قادمون المدينة والناس سائلونا عن عثمان فماذا نقول فيه ؟ قال : فتكلم عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر فقاما وقالوا فقال لهما علي ، يا عمار ويا محمد ! تقولان : إن عثمان استأثر وأساء الأثرة وعاقبتم والله فأسأتم العقوبة ، وستقدمون على حكم عدل يحكم بينكم ثم قال : يا محمد بن حاطب ! إذا قدمت المدينة وسئلت عن عثمان فقل : كان والله من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين وعلى الله فليتوكل المؤمنون .

قال الأميني : سكت الحاكم عما في إسناد هذه الكذوبة من العلل ولم يصححه ولم ينبس فيه بكلمة غمز ولا تصحيح ، واكتفى الذهبي فيه بقوله : بشار بن موسى وإنا ونحن نقول :

عبدالله بن إسحاق بن إبراهيم . قال الدارقطني فيه لين ، وذكره بذلك الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٩ ص ٤١٤ .

ويحيى بن أبي طالب قال فيه موسى بن هارون : أشهد أنه يكذب عني . وقال مسلمة بن قاسم : تكلم فيه الناس .

[لسان الميزان ج ٦ ص ٢٦٢]

وبشار بن موسى البصري ، قال ابن معين : ليس بثقة . وقال : إنه من الدجالين . وقال أبو حفص : ضعيف الحديث . وقال البخاري : منكر الحديث وقد رأيت وكتبت عنه وترك حديثه . وقال أبو داود : ضعيف . وقال النسائي : ليس بثقة . وقال أبو زرعة : ضعيف . وقال أبو أحمد الحاكم : ليس بالقوي عندهم . وذكر عند الفضل بن سهل فأساء القول فيه^(١) .

(١) تاريخ الخطيب ج ٧ ص ١١٩ ، تهذيب التهذيب ج ١ ص ١٤٤٠ .

وعبد الرحمن الحاطبي ضعفه أبو حاتم الرازي كما في ميزان الاعتدال للذهبي . ووالده عثمان لم أقف على ثناء عليه في معاجم التراجم .

فأي عبدة بما يرويه أو يرثيه أمثال هؤلاء الدجالين ؟ على أن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام كان على بصيرة من مسيره إلى حروبه كلها ومنقلبه عنها وفي جميع ما ارتكبه فيها أو تركه ، وكل ذلك كان بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد منه إليه عليه السلام ، وقد عُدَّ ذلك من فضائله ، وكان عليه السلام يحث أصحابه على مناصرته يومئذ كما مر تفصيله في الجزء الثالث ص ٢٣٦ - ٢٤٥ وكان صلى الله عليه وسلم يقول : سيكون بعدي قومٌ يقاتلون علياً على الله جهادهم فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه ، فمن لم يستطع بلسانه فبقلمه ، ليس وراء ذلك بشيء ^(١) . وكان أبو أيوب الأنصاري وغيره من الصحابة يقول : عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقاتل مع علي الناكثين ^(٢) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر أم المؤمنين عائشة عن ذلك التبرج تبرج الجاهلية الاولى ويقول لها : يا حميراء ! كأنني بك تنبحك كلاب الحوالب تقتاتلن علياً وأنت له ظالمة ^(٣) وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم كما مر في ج ٣ ص ٢٤١ قوله للزبير : إنك تقاتل علياً وأنت ظالم له .

فكان مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه مندفعاً إلى ما ناء به من أعباء تلکم الحروب بالأمر النبوي ، ولم يكن قط قد غلب على رأيه فلان وفلان ، ولم يكن الإمام المجتبي المعصوم عن كل زلة وهفوة بالذي ينهى أباه عما أمر به جدّه الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، ولا أمير المؤمنين عليه السلام بالذي يندم على ما نهض به من قم جذور الفساد وقلع جذومه ، ولو سوغنا عليه الندم في هذه لسوغنا عليه فيما قتله في مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم من أشيع الكفر وزبانية الشرك والإلحاد ، فإذا كان سلام الله عليه في المقامين جميعاً منبعثاً بباعث إلهي ومصلحة

(١) راجع الجزء الثالث ص ٢٤٠

(٢) راجع الجزء الثالث ص ٢٤٢ ، ٢٤٥

(٣) راجع الجزء الثالث ص ٢٣٨

٣٥٠ الغدير ج - ٩

دينية من استئصال شأفة العيث وقطع جرائم الإلحاد ، فلا يطرق ساحته المقدسة
الندم في أي من الحاليين .

وأي صلاح في محمد بن طلحة ؟ وقد شهر سيفه يحارب إمام المسلمين وقد
أمر بنصرته والجهاد معه ، فحاله حال أبيه في الزيغ والنكوص عن السنن اللاحب .
هذه حقيقة الأمر لكن مهملة الخلاف الوضاعين شأوا أن يختلقوا ما يبرر أعمال
الوائبين مع اليهود فقالوا ، ولكن أين ؟ وأنى ؟ ...

وكيف يصح عن مولانا أمير المؤمنين ما اختلقوا عليه من قوله لمحمد بن
حاطب ، وقد صدر عنه من فعل وقول قبل هذا الموقف وبعده ما يُعرب عن رأيه في
عثمان ، ولا يصدق الخبر الخبر ، راجع ما مر في هذا الجزء ص ٩٢ - ١٠٠ ، وفي
الجزء الثامن ص ٣٣٥ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، وفي الجزء السابع
ص ٩٨

وهل تساعد سيرة الرجل أن يراه أمير المؤمنين من الذين ﴿آمنوا وعملوا
الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا﴾ . الآية . وهي التي أركبته النهاير ،
وسقته كأس المنية ، والصحابة الأولون وفي مقدمهم سيدنا الإمام عليه السلام كانوا
مطبقين عن النكير والنعمة عليها ، ولأجلها تمخضت البلاد عليه ، وهي التي
أقعدت الصحابة عن نصرته والذب عنه ، وهي التي زحزحت الأمة الصالحة عن
تجهيزه وتكفينه والصلاة عليه ، وهي التي دفنته في مقابر اليهود بعدما بقي جثمانه
في مزبلة أياماً وليالي تمر به عواصف الذل والهوان والملا الديني ينظر إليه من
كثب ، والناس قد بايعوا أمير المؤمنين علياً عليه السلام ويده مقاليد الأمور يُسمع قوله
ويُطاع ، وهو الذي يتحمس لأمر ما ، يراه الناس هيئاً وهو عنده عظيم ، فيعاتب
أصحابه ويقول في خطبته له : لقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة
المسلمة والآخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقُلْبها وقلائدها وورعائها^(١) ما تمتنع منه
إلا بالإسترجاع والإسترحام ثم انصرفوا وافرين ، ما نال رجلاً منهم كلم ، ولا أريق
لهم دم ، فلو أن إمرأ مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً بل كان به

(١) القلب : السوار . الرعاث جمع رعدة بالفتح : القرط .

مناقب عثمان والنظر فيها ٣٥١

عندي جديراً^(١) هذا أمير المؤمنين وهذا مبلغ غيرته على الإسلام وأهله ولكن :
 وابن عفان حوله لم يجهز ه ولا كف عنه كفاً أذاها
 لست أدري أكان ذلك مقتاً من عليّ ؟ أم عفة ونزاهة ؟
 فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله . ولئن اتبعت
 أهواءهم بعدما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق .

١٧ - أخرج ابن أبي الدنيا من طريق فرج بن فضالة الدمشقي عن مروان بن
 أبي أمية عن عبد الله بن سلام قال : أتيت عثمان لأسلم عليه وهو محصور فدخلت
 عليه فقال : مرحباً بأخي ، مرحباً بأخي ، رأيت رسول الله ﷺ الليلة في هذه
 الخوخة - قال : وخوخة في البيت - فقال : يا عثمان ! حصروك ؟ قلت : نعم .
 قال : عطشوك ؟ قلت : نعم ، فأدلى دلواً فيه ماء فشربت حتى رويت حتى إنني
 لأجد برده بين ثديي وبين كتفي وقال لي : إن شئت نصرت عليهم ، وإن شئت
 أفطرت عندنا ، فاخترت أن أفطر عنده ، فقتل ذلك اليوم^(٢) .

قال الأُميني : هذه السفسطة من آفات فرج بن فضالة الدمشقي قال أحمد :
 يحدث عن الثقات أحاديث مناكير . وقال ابن معين : ضعيف الحديث . وقال ابن
 المديني : ضعيف لا أحدث عنه . وقال البخاري ومسلم : منكر الحديث . وقال
 النسائي : ضعيف . وقال أبو حاتم : لا يحتج به . وقال أبو أحمد : حديثه ليس
 بالقائم . وقال الدارقطني : ضعيف الحديث . وذكر البرقاني حديثاً للدارقطني من
 طريق فرج بن فضالة فقال الدارقطني : هذا باطل . فقال البرقاني : من جهة
 الفرّج ؟ قال : نعم . وقال عبد الرحمن بن مهدي : حدث بأحاديث منكّرة
 مقلوبة . وقال الساجي : ضعيف الحديث . وقال الخطيب : لا يغتر أحدٌ بالحكاية
 المروية في توثيقه عن ابن مهدي فإنّها من رواية سليمان بن أحمد وهو الواسطي وهو
 كذاب ، وقد قال البخاري : تركه ابن مهدي . وقال ابن حبان : فرج بن فضالة

(١) نهج البلاغة ج ١ ص ٦٩ .

(٢) الأنساب للبلاذري ج ٥ ص ٨٢ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٨٢ ، الرياض النضرة ج ٢
 ص ١٢٧ .

يقلّب الأسانيد ويلزق المتون الواهية بالأسانيد الصحيحة لا يحلّ الاحتجاج به .
وقال الحاكم : هو ممّن لا يُحتجّ به^(١) .

هذا فرج بن فضالة وأما شيخه مروان فلست أدري أيّ هيّ بن بيّ هو^(٢) لم أفق في المعاجم على ترجمته ولم أجد له ذكرًا لا في مشايخ ابن فضالة ولا فيمن يروي عن ابن سلام ، ولعلّه لم يولد بعدوكم في سلسلة أسانيد الفضائل أمثاله من أناس لا تعرفهم أم الدنيا ، وما صوّروهم قلم التصوير ، وإنّما اختلق أسماءهم الغلوّ في الفضائل .

ولست أدري هل أسرّ عثمان بهذه المكرمة إلى ابن سلام فحسب ؟ أو أخبر بها هو أو ابن سلام جمهور الصحابة فوجدوها رؤياً لا تنهض للحجّة ، أو بلغتهم حينما مسّ الحزام الطبيين ، وبلغ السيل الزبي ، واتّسع الخرق على الراقع ، حينما فاتت الخليفة نهزة الحجاج ، وتمّت عليه الحجّة وأصبح محجوجاً ، والأمة مجتمعة على مقتته ، وقطع أصول حياته وهي لا تجتمع على خطأ .

وفي الرواية موقع نظر أيضاً من ناحية صوم عثمان عند من أرّخ قتله بثاني أيام التشريق - كما في رواية أبي عثمان النهدي في أنساب البلاذري ج ٥ ص ٨٦ ، وقد رواه الواقدي أيضاً ، واختاره المبرّد في «الكامل» ج ٢ ص ٢٤١ ، وذكره أبو عمر في «الإستيعاب» ج ٢ ص ٤٧٧ ، وابن الجوزي في صفة الصفوة ج ١ ص ١١٧ ، وابن حجر الهيتمي في الصواعق ص ٦٦ ، والعسقلاني في تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٤١ ، والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ١٠٩ والدياربكري في تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٥٨ ، ٢٦٤ ، ومن مؤلّفي اليوم الأستاذ علي فكري في أحسن القصص ج ٣ ص ١٦٤ - وذلك أنّ الصوم في أيام التشريق محظور عند القوم ، وهو قول أبي حنيفة والشافعي وعند مالك لغير المتمتّع^(٣) وقال ابن العماد الحنبلي في الشذرات ج ١ ص ٤١ : قوله : قال لي النبي ﷺ : وتفطر عندنا . معناه أول شيء تستعمله

(١) تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٢٦٠ - ٢٦٢ .

(٢) يقال : هيّ بن بيّ أو هيّان بن بيان : أي مجهول لا يعرف هو ولا أبوه .

(٣) المحلى لابن حزم ج ٧ ص ٢٨ ، نيل الأوطار ج ٤ ص ٣٥٣ .

على الرقيق يكون عندنا لا أنه فطر صائم إذ لم يكن يومئذ صائماً ، فإن يوم قتله كان ثاني أيام الشريق ولا يجوز صومه . ا هـ .

وهذا التأويل يخالف ما أثنى به المؤرخون على عثمان من أنه كان يوم قتله صائماً ، وهو من المتسالم عليه عند القوم سلفاً وخلفاً حتى اليوم كما ذكره الأستاذ علي فكري في أحسن القصص ج ٣ ص ١٦٤ . ويضاد أيضاً صريح ما أخرجه ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ١٨٢ من طريق ابن عمر عن عثمان قال : رأيت النبي ﷺ في المنام فقال : يا عثمان ! أفطر عندنا . فأصبح صائماً وقتل من يومه .

وكذلك لا يلتزم هو وما أخرجه الهيثم بن كليب بالإسناد عن نائلة بنت الفرافصة «امراة عثمان» قالت : لما حصر عثمان ظلّ اليوم الذي كان فيه قتله صائماً ، فلما كان عند إفطاره سألهم الماء العذب فأبوا عليه ، وقالوا : دونك ذلك الركي - وركي في الدار الذي يلقي فيه التّن - قالت : فلم يفطر فرأيت جاراً على أحاجير متواصلة - وذلك في السحر - فسألت الماء العذب . فأعطوني كوزاً من ماء فأتيته فقلت : هذا ماء عذب أتيتك به ، قالت : فنظر فإذا الفجر قد طلع فقال : إنني أصبحت صائماً ، قالت فقلت : ومن أين ولم أر أحداً أذاك بطعام ولا شراب ؟ فقال : إنني رأيت رسول الله ﷺ اطلع عليّ من هذا السقف ومعه دلو من ماء فقال : إشرب يا عثمان ! فشربت حتى رويت ثم قال : ازداد فشربت حتى نهلت ، ثم قال : أما إن القوم سينكرون عليك فإن قاتلتهم ظفرت ، وإن تركتهم أفطرت عندنا . قالت : فدخلوا عليه من يومه فقتلوه^(١) .

نعم : إن الحديثين لا يعول عليهما أيضاً لما في إسنادهما من داعية إلى الإرجاء يبغض أهل بيت نبيّه ، ومن مجهول منكر لا يُعرف ، ومن متحامل على أمير المؤمنين من الفئة الباغية ، فالحديثان كرواية ابن أبي الدنيا باطلان ، وما ذهب إليه القوم من أن الرجل كان يوم قتله صائماً منقبة مفتعلة لا تصحّ لاستنادهم فيها إلى تلکم الأباطيل التي اختلقتها يد الغلو في الفضائل .

١٨ - أخرج الحاكم وابن عساكر وغيرهما من طريق محمد بن يونس الكديمي

(١) تاريخ ابن كثير البداية والنهاية ج ٧ ص ١٨٣ .

أبي العباس البصري ، عن هارون بن اسماعيل الخزّاز أبي الحسن البصري ، عن قرّة بن خالد السدوسي البصري ، قال : سمع الحسن البصري عن قيس بن عباد البصري قال : شهدت عليّاً رضي الله عنه يوم الجمل يقول كذا : اللَّهُمَّ إِنِّي أBRأ إليك من دم عثمان ، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان وأنكرت نفسي وأرادوني على البيعة فقلت : والله إِنِّي لأستحي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال له رسول الله ﷺ : ألا أستحي ممّن تستحي منه الملائكة . وَإِنِّي لأستحي من الله أن أبايع وعثمان قتيلٌ على الأرض لم يُدفن بعدُ ، فانصرفوا فلما دُفن رجع الناس إليّ فسألوني البيعة فقلت : اللَّهُمَّ إِنِّي مشفقٌ لما أقدم عليه ثم جاءت عزيمة فبايعت فلقد قالوا : يا أمير المؤمنين ! فكأنّما صدع قلبي ، فقلت : اللَّهُمَّ خذ مِنِّي لعثمان حتّى ترضى . وفي لفظ ابن كثير : فلما قالوا : أمير المؤمنين . كان صدع قلبي وأمسكت (١) .

قال الأميني : ألا تعجب من الحاكم يذكر مثل هذه الأضحوة ويعدها ممّا استدرك به على الصّحّاحين ويمرّ بما فيها من اللغو كريماً ، ولعلّ الذّهبي عرف بطلانها غير أنّه لمّا وجدها في منقبة عثمان سكت عنها نهائياً ولم يُلخصها ولم ينس فيها بنت شفة ، ويدّخر ما في علبة علمه أو في كنانة جهله إلى تزيف حديث «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» وأمثاله من الصحيح الوارد في فضائل مولانا أمير المؤمنين فيجابها بكلّ جلبة ولغط ، ولا تقصر عن أشواطهما خطي ابن كثير في تاريخه فيستند إليها مستدلاً على ما يرومه من دحض الحقّ وترصيف الباطل ، ونحن أسلفنا في الجزء الخامس ص ٣٢٤ في سلسلة الكذابين والوضّاعين نزراً من أقوال الحفاظ في جرح محمّد بن يونس الكديمي وأنّه كان يضع الحديث على النبي ﷺ وقد وضع أكثر من ألف حديث وها هنا نبسط القول فيها :

قال الآجري : سمعت أبا داود ابن الأشعث يتكلّم في محمّد بن سنان وفي محمّد بن يونس يطلق فيهما الكذب . وقال ابن التّمّار : ما أظهر أبو داود السجستاني تكذيب أحد إلّا في رجلين : الكديمي وغلّام خليل . وقال أبو سهل

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٠٣ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٩٣ .

الْقَطَّانُ : كان موسى بن هارون ينهى النَّاسَ عن السماع من الكديمي ويقول : قد تقرب إليَّ بأنِّي كتبت عن أبيك في مجلس محمد بن القاسم الأسدي وما حدثت أبي قطُّ عن محمد بن القاسم الأسدي . وعن موسى بن هارون أنَّه كان يقول - وهو متعلِّقٌ بأستار الكعبة - : اللهمَّ إني أشهدك أنَّ الكديمي كذابٌ يضع الحديث . وقال الشاذكوني : الكديمي وأخو الكديمي وابن الكديمي بيت الكذب . وقال أبو بكر الهاشمي : كنَّا يوماً عند القاسم المطرِّز وكان يقرأ علينا مسند أبي هريرة فمرَّ في كتابه حديث عن الكديمي فامتنع عن قراءته فقام إليه محمد بن عبد الجبار - وكان قد أكثر عن الكديمي - فقال : أيُّها الشيخ أحبُّ أن تقرأه فأبى وقال : أنا أحاسبه بين يدي الله يوم القيامة وأقول : إنَّ هذا كان يكذب على رسول الله ﷺ وعلى العلماء . وقال الدارقطني : الكديمي يُتهم بوضع الحديث وقال : ما أحسن القول فيه إلَّا من لم يخبر حاله ، وقال ابن حبان : كان يضع الحديث لعلَّه قد وضع على الثقات أكثر من ألف حديث . وقال ابن عدي : قد أُتهم بالوضع وأدعى الرواية عمَّن لم يرههم ، ترك عامَّة مشايخنا الرواية عنه ، ومن حدَّث عنه نسبه إلى جدِّه لثلاثاً يُعرف^(١) وقال ابن عدي أيضاً : روى الكديمي عن أبي هريرة عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر حديثاً باطلاً ، وكان مع وضعه الحديث وأدعائه ما لم يسمع علَّقَ لنفسه شيوخاً . وكان ابن صاعد وعبدالله بن محمد لا يمتنعان من الرواية عن كلِّ ضعيف كتب عنه إلَّا عن الكديمي فإنَّهما كانا لا يرويان عنه لكثرة مناكيره ، ولو ذكرت كلَّما أنكر عليه وأدعاه ووضعه لطلال ذلك . وقال الحاكم أبو أحمد : الكديمي ذاهب الحديث تركه ابن صاعد وابن عقدة وسمع منه خزيمة ولم يحدث عنه ، وقد حفظ فيه سوء القول عن غير واحد من أئمَّة الحديث^(٢) .

وذكر السيوطي في اللآلي المصنوعة عدَّة أحاديث في شتَّى الأبحاث من طريق الكديمي فحكى فيها عن الحفاظ الحكم بوضعها وقولهم : إنَّ آفتها الكديمي وإنَّه كذابٌ وضاع . وكأنَّه نسي كلَّ ما ذكره هنالك فأورد هذه الأكذوبة في

(١) كما أن الحاكم يعرفه بالقرشي ولم يذكر نسبته إلى الكديم لثلاثاً يعرف .

(٢) راجع تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٥٣٩ ، والمصادر التي مرت في ج ٥ ص ٣٢٤

تاريخ الخلفاء ص ١١٠ محذوفة الإسناد وقال : أخرجه الحاكم وصححه . ألم تكن تلك الأقوال الجارحة في الكديمي نصب عينه عند فضائل عثمان ؟ أم أن فضائل الرجل لها حساب آخر يسوِّغ الغلو فيها كل كذب واختلاق ؟ على أن الحاكم سكت عن هذه الأكذوبة ولم يُصحِّحها فنسبة التصحيح إليه لمحض إخراجها إياها في مستدرك الصحيحين وإلا فلا صراحة فيه بالتصحيح .

وبعد هذه كلها فإنَّ المعلوم من نظرية مولانا أمير المؤمنين في عثمان كآراء بقية الصحابة فيه يفند نسبة هذه الأقاويل المختلفة إليه ، أليس من المضحك ما ينسب إليه صلوات الله عليه من قول : ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان . الخ ؟ ليته ^{اللفظ} بدل هذه الكلمة كان يخطو خطوة في التحفظ على حرمة الرجل وكرامته ، ويأمر ولده وذويه بتجهيزه وتكفينه والصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين ، وليته كان يقيم له مأتماً ويؤبِّنه ويذكره بالخير بعدما تسنم منصبة الخلافة ، أو كان يحضر عند تربته ويقوم على قبره ويقرأ له الفاتحة ويأتي بسنة الله التي جاءت في زيارة قبور المسلمين ، وأي مسلم لم تكن له معازم واجبة المراجعة (١) ؟ .

وليته كان يسكت عنه يوم قام به وقعد^(٢) وقال على رؤوس الأشهاد : قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثله ومعتله ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع ، إلى أن انتكث فتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته .

وقال في اليوم الثاني من بيعته في خطبة له : ألا إنَّ كلَّ قطعة أقطعها عثمان ، وكلَّ مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال ، فإنَّ الحقَّ القديم لا يبطله شيء ولو وجدته قد تزوج به النساء ، وفرَّق في البلدان ، لرددته إلى حاله . الخ .

وليته كان لم يجابهه بقوله : ما رضيت من مروان ولا رضي منك إلا بتحرّفك

(١) يقال : له معازم واجبة المراجعة . أي حقوقاً مستعظمة .

(٢) يقال : قام به وقعد : أي نشر عنه أخبار السوء .

مناقب عثمان والنظر فيها ٣٥٧

عن دينك وعقلك ، وإنَّ مثلكَ مَثَلُ الظعينة سار حيث يُسار به .
 وليته كان لم يكتب إلى المصريين بقوله : إلى القوم الذين غضبوا لله حين
 عُصي في أرضه وذُهب بحقّه ، فضرب الجور سرادقه على البرِّ والفاجر ، والمقيم
 والطاعن ، فلا معروف يُستراح إليه ، ولا منكر يتناهى عنه .
 وليته كان لم يقل : ما أحببت قتله ولا كرهته ، ولا أمرت به ولا نهيت عنه .
 أو كان لم يقل : ما أمرت ولا نهيت ، ولا سرّني ولا ساءني .
 وليته كان لم يخطب بقوله : من نصره لا يستطيع أن يقول : خذله من أنا
 خيرٌ منه ، ومن خذله لا يستطيع أن يقول : نصره من هو خيرٌ مني .
 وليته كان لم ينفر أصحابه إلى قتال طالبي دم عثمان بقوله على صهوة
 المنبر : يا أبناء المهاجرين انفروا إلى مَنْ يقاتل على دم حمّال الخطايا . الخ .
 وليته لما قال له حبيب وشرحبيل : أتشهد أنَّ عثمان قُتلَ مظلوماً . كان لم
 يجب بقوله : لا أقول بذلك^(١) وليته وليته . . .

والعجب كلّ العجب من قول عليّ صلوات الله عليه «فلما قالوا : أمير
 المؤمنين صدع قلبي» لماذا صدع قلبه صلوات الله عليه ولم تكن لهذه التسمية
 جدّة ؟ وإنّما سمّاه رسول الله ﷺ بذلك وحكاه عن الله تعالى وعن جبرائيل عليه السلام
 وما صدع قلبه يوم ذاك ، فعليّ من أوّل يومه هو أمير المؤمنين بنصّ من الصادع
 الأمين ، وما أنزل الله آية فيها يا أيّها الذين آمنوا إلّا وعليّ رأسها وأميرها^(٢) .

١٩ - أخرج ابن سعد في الطبقات ج ٣ ص ٤٧/ ط ليدن عن محمّد بن عمر
 عن عمرو بن عبد الله بن عنبسة بن عمرو بن عثمان عن محمّد بن عبد الله بن عمرو بن
 عثمان عن ابن لبيبة قال : إنّ عثمان بن عفّان لما حُصِرَ أشرف عليهم من كوة في
 الطمار فقال : أفيكم طلحة ؟ قالوا : نعم . قال : أنشدك الله هل تعلم أنّه لما آخى

(١) راجع ما مرّ في ج ٧ ص ٩٨ ، وج ٨ ص ٣٣٥ ، وج ٩ ص ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٧ ،
 ٢٠٥ ، ٢٠٧ .

(٢) راجع ما أسلفناه في الجزء الثامن ص ١١٥ ، ١١٧

٣٥٨ الغدير ج - ٩

رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار آخى بينه وبين نفسه ؟ فقال طلحة : اللهم نعم . ف قيل لطلحة في ذلك فقال : نشدني وأمر رأيت له ألا أشهد به ؟
رجال الإسناد :

١ - محمد بن عمر . هو الواقدي ، راجع ترجمته في ميزان الاعتدال ج ٣ ص ١١٠ .

٢ - عمرو بن عبدالله الأموي حفيد عثمان ، لم أجد له ذكراً في المعاجم ، ولعل فيه تدليس .

٣ - محمد بن عبدالله الأموي حفيد عثمان ، قال البخاري : عنده عجائب ، وقال ابن الجارود : لا يكاد يتابع على حديثه . وقال النسائي مرة : ثقة . وأخرى : ليس بالقوي . راجع تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٢٦٨ .

٤ - ابن لبيبة ويقال : ابن أبي لبيبة محمد بن عبدالرحمن . قال ابن معين : ليس حديثه بشيء . وقال الدارقطني : ضعيف . وقال آخر : ليس بالقوي^(١) على أن ابن لبيبة لم يشهد حصر عثمان ولم يرو عن صحابيٍّ فحديثه عن عثمان وعليٍّ وسعد مرسلٌ ، يروي عن سعيد بن المسيّب وعبدالله بن عمرو بن عثمان وطبقتهما ، فالرواية مرسلّة ، وابن سعد جدٌ عليم بأن مثل هذه المفتعلة لا يخفى بطلانها على أيٍّ أحده سواء أُرسله أو أسنده .

وهلّا يعلم مفتعل هذه الاضحوكة أن أئمة الحديث وحفاظه ورجال التاريخ أصفقت على أن رسول الله ﷺ لم يتخذ لنفسه أحداً يوم المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار إلا ابن عمّه عليّ بن أبي طالب ؟ وهذا الذي يقتضيه الاعتبار بعدما نصّ الكتاب العزيز على أن عليّاً سلام الله عليه نفس النبيّ الأقدس . وإنهما من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وإن ولاية عليٍّ مقرونة بولاية الله ورسوله^(٢) .

(١) ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٨٩ ، تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣٠١ .

(٢) راجع ما مرّ في ج ٢ ص ٦٥ ، وج ٣ ص ١٩٨ - ٢١٠ .

مناقب عثمان والنظر فيها ٣٥٩

وبعد ما ثبت أنه سلام الله عليه صنو النبي الأعظم في الفضائل ، وشاكلته في النفسيات ، ورديفه في الملكات الفاضلة ، ونظيره من أمته كما جاء عنه عليه السلام (١) وهو منه عليه السلام بمنزله رأسه من بدنه نصاً منه عليه السلام (٢) وهو منه عليه السلام بمنزله من ربّه كما ورد عن أبي بكر مرفوعاً (٣) وهما من شجرة واحدة وسائر الناس من شجر شتى كما روي عنه عليه السلام (٤) وهو الذي ثبت فيه قوله عليه السلام : أنت مني وأنا منك (٥) وهو الذي أنزله عليه السلام من نفسه بمنزلة هارون من موسى ولم يستثن له ممّا اختصّه الله به إلا النبوة (٦) .

لقد أدّينا البحث عن حديث المؤاخاة حقّه في الجزء الثالث ص ١٤٨ - ١٦٤ وذكرنا هنالك خمسين حديثاً ممّا وقفنا عليه من أحاديث الإخاء الثابت بين النبي الأعظم وأخيه أمير المؤمنين ، وقد صحّ عنه عليه السلام قوله : أنت أخي في الدنيا والآخرة . من طريق عمر وأنس وابن أبي أوفى وابن عباس ومحدّوج بن زيد الذهلي وجابر بن عبدالله وعامر بن ربيعة وأبي ذر وغيرهم .

إنّما فدحت هذه المأثرة أهل الأهواء كبقية مآثر الإمام صلوات الله عليه فوضعوا تجاهها أكذوبة في أبي بكر وأنّه هو أخو رسول الله عليه السلام (٧) وأخرى في عثمان وأنّ رسول الله عليه السلام أخى بينه وبين نفسه . وثالثة في عليّ عليه السلام أنّ النبي ﷺ أخى بينه وبين عثمان (٨) ورواة السوء يعلمون أنّ رسول الله عليه السلام أخى

(١) الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٤ .

(٢) تاريخ الخطيب البغدادي ج ٧ ص ١٢ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٢ ، مصباح الظلام للدمياطي ج ٢ ص ٥٦ .

(٣) الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٣ .

(٤) سيوافيك حديثه إن شاء الله تعالى بالفاظه ومصادره .

(٥) صحيح البخاري كتاب المناقب ج ٥ ص ٢١٩ ، مسند أحمد ج ٥ ص ٢٠٤ ، ٣٥٦ ،

صحيح الترمذي في المناقب ج ٢ ص ٢١٣ ، خصائص النسائي ص ٢٠ ، ٢٤ ، ٣٦ ،

تاريخ الخطيب ج ٤ ص ١٤٠ ، وراجع ما مضى في الجزء السادس ص ٣٩٤ - ٤٠٨

(٦) حديث المنزلة أخرجه أئمة الحديث بطرق صحيحة في الصحاح والمسانيد .

(٧) راجع ج ٣ من كتابنا هذا ص ١٤٨ ، والإصابة ج ١ ص ٣٥ وضعفه .

(٨) الرياض النضرة ج ١ ص ١٧ .

٣٦٠ الغدير ج - ٩

بين أبي بكر وبين عمر في المؤاخاة الاولى بمكة^(١) وبينه وبين خارجة بن زيد الأنصاري في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار بالمدينة^(٢) وآخر بين عثمان وبين عبد الله بن مسعود في المؤاخاة بمكة^(٣) وبينه وبين أوس بن ثابت يوم المؤاخاة بالمدينة^(٤).

فإن قط لا يُنشد بالمكذوب ، وطلحة لا يدعي رؤية ما لم يره ، ولا يشهد بخلاف ما شاهده وعيانه ، إن كانا من عدول الصحابة صدقاً ، ومن المبشرين بالجنة حقاً ، وأنت تعرف حكم هذه الدعاوي من الصحيح الثابت عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان يقول : أنا عبدالله وأخو رسوله لا يقولها أحدٌ غيري إلا كذاب . قال ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣٣٥ : وقد جاء من غير وجه . وقال ابن حجر : رويناه من وجوه^(٥) وكان قول أمير المؤمنين هذا أخذاً بما قال له رسول الله ﷺ من قوله : أنت أخي وأنا أخوك فإن ناكرك أحد - وفي لفظ : فإن حاجك أحد - فقل : أنا عبدالله وأخو رسول الله لا يدعيها بعدك إلا كذاب^(٦) .

وأول من فتح باب التجري بمصراعيه على هذه الفضيلة الرابية هو عمر بن الخطاب يوم قادوا صاحب الفضيلة إلى البيعة كما يُقاد الجمل المخشوش ، وقال : إن أنا لم أفعل فمه ؟ قالوا : إذن والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك . قال :

(١) راجع تاريخ ابن عساکر ج ٦ ص ٩٠ ، اسد الغابة ج ٢ ص ٢٢١ ، عيون الأثر ج ١ ص ١٩٩ ، الرياض النضرة ج ١ ص ١٥ ، ١٧ ، فتح الباري ج ٧ ص ٢١٧ .

(٢) راجع سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٢٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ٢٢٦ ، عيون الأثر ج ١ ص ٢٠١ ، الرياض النضرة ج ١ ص ١٦ ، فتح الباري ج ٧ ص ٢١٦ ، ٢١٨ .

(٣) راجع تاريخ ابن عساکر ج ٦ ص ٩٠ ، عيون الأثر ج ١ ص ١٩٩ ، الرياض النضرة ج ١ ص ١٥ ، ١٧ ، فتح الباري ج ٧ ص ٢١٨ .

(٤) راجع سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٢٥ ، تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ٢٢٧ ، عيون الأثر ج ١ ص ٢٠١ ، الرياض النضرة ج ١ ص ٦١ .

(٥) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٣٧ ، وراجع ج ٣ من كتابنا هذا ص ١٥٩ .

(٦) راجع ما أسلفناه في الجزء الثالث ص ١٥٢

مناقب عثمان والنظر فيها ٣٦١

إذن تقتلون عبدالله وأخا رسوله . قال عمر : أما عبدالله فنعم وأما أخو رسوله فلا^(١) .

أنا لست أخدش العواطف بالإعراب عن حكم إنكار عمر الأخوة الثابتة بتلكم النصوص الصريحة الأكيدة وقد سمعها هو من الصّادع الكريم في ذلك اليوم المشهود غير أنني جدّ عليم بأنّ حجاج مولانا أمير المؤمنين كان أخذاً بما مرّ قبيل هذا عن رسول الله ﷺ من قوله : فإن ناكرك أحد فقل : أنا عبدالله وأخو رسول الله . وهل قرع هذا سمع عمر أيضاً وجابهه مع ذلك بالشدة في النكير عليه ؟ أنا لا أدري ، «فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ، وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً ، وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحبّ المقسطين»^(٢) .

٢٠ - أخرج ابن عدي من طريق مصعب بن سعيد المصيصي عن عيسى بن يونس عن وائل بن داود عن البهيّ عن الزبير رضي الله عنه مرفوعاً : لا يُقتل قرشيّ بعد اليوم صبراً إلّا قاتل عثمان فإن لم يفعلوا فابشروا بذبح مثل ذبح الشاة .

قل الأميني : ذكره الذهبي في الميزان ج ٣ ص ١٧٣ مع حديثين من طريق مصعب بن سعيد فقال : ما هذه إلّا مناكير وبلايا .

وقال ابن عدي : يحدث مصعب عن الثقات بالمناكير ويصحّف وهو حرّاني^(٣) نزل المصيصية^(٤) وله غير ما ذكر والضعف على رواياته بيّن . وقال ابن حبان : كان مدلساً . وقال صالح بن جزرة : شيخٌ ضريّر لا يدري ما يقول^(٥) .

وفي الإسناد عيسى بن يونس قال الدارقطني : مجهولٌ . والبهيّ هو عبدالله أبو محمّد مولى مصعب بن الزبير ولا يصحّ روايته عن الزبير بل يروي عن عبدالله بن

(١) راجع ما مضى في الجزء السابع : ص ١٠٤ .

(٢) سورة المائدة ؛ الآية : ٤٢ .

(٣) حران : قرية من قرى حلب .

(٤) مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم .

(٥) لسان الميزان ج ٦ ص ٤٣ .

الزبير ، وقال أبو حاتم في العلل : لا يحتجُّ بالبهِّي وهو مضطرب الحديث .

٢١ - أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص ٥٧ من طريق حامد بن آدم المروزي عن عبدالله بن المبارك عن سفيان عن عثمان بن غياث البصري عن أبي عثمان النهدي عن أبي موسى الأشعري قال : كنت مع رسول الله ﷺ في حائط من تلك الحوائط إذ جاء رجلٌ فاستفتح الباب فقال : افتح له وبشره بالجنة على بلوى نصيبه . فإذا هو عثمان فأخبرته فقال : الله المستعان .

قال الأُميني : هلَّا يعرف أبو نعيم مفتعل هذه الاكذوبة حامد بن آدم ؟ أو يعرفه بعُجره وبُجره غير أنَّ الغلوَّ في الفضائل يسوِّغ له ولقومه رواية كلِّ كذب مختلق في فضائل المستخلفين بالانتخاب الدستوري الذي لم تره عين الدنيا صحيحاً قط .

أنِّي يخفى على مثل أبي نعيم أنَّ حامد بن آدم كذَّب به الجوزجاني وابن عدي ، وعدَّه أحمد بن علي السليماني فيمن اشتهر بوضع الحديث . وقال أبو داود السبكي : قلت لابن معين : عندنا شيخٌ يقال له : حامد بن آدم . الخ . فقال : هذا كذابٌ لعنه الله ^(١) .

على أنَّ عثمان لو كان مبشراً بالجنة ومصدقاً بوعد النبي الأقدس لما كان في نفسه خيفة من أن يكون هو ذلك الملحد بمكة الذي أخبر ﷺ بأنَّ عليه عذاب نصف أهل الأرض كما مرَّ في صحيحة أحمد . وأعجب من هذا مهزأة جاء بها الخطيب ألا وهي :

٢٢ - أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٨ ص ١٥٧ من طريق الحسين بن حميد بن موسى العكي قال : حدثنا حماد بن المبارك البغدادي قال : حدثنا اسماعيل بن أمية عن ابن جريج عن عطاء عن جابر قال : ما صعد النبي ﷺ المنبر قط إلا قال : عثمان في الجنة . قال : قال الدارقطني : كذا قال حماد بن المبارك عن عبدالله بن ميمون عن اسماعيل بن أمية عن ابن جريج ، وهذا الحديث

(١) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٠٨ ، لسان الميزان ج ٢ ص ١٦٣ .

مناقب عثمان والنظر فيها ٣٦٣

إنَّما يُعرف من رواية اسماعيل بن يحيى بن عبيدالله التيمي عن ابن جريج والله أعلم . وقال الذهبي في الميزان ج ١ ص ٢٨١ : خبرٌ غير صحيح . راجع لسان الميزان ج ٢ ص ٣٥٣ .

قال الأُميني : لا تعجب من الخطيب يذكر مثل هذه السفسطة بهذا الإسناد الوعر ولم ينسب ببنت شفة ، ولم يُعرب عن حال رجاله عادته في فضائل كلٍّ من أعماء حُبِّه وأصمِّه ، وأنت تجد نقضه وإبرامه ، وجرحه وتعديله ، وتصويبه وتصعيده في مناقب آل الله صلوات الله عليهم .

أُخفى على مثل الخطيب قول مسلمة بن قاسم في الحسين العُكي : إنَّه مجهول ؟ أم لا يهَمُّه وجود حمّاد بن المبارك في الإسناد ؟ وهو المجهول الذي لا يُعرف^(١) أم عزب عنه قول البخاري في عبدالله بن ميمون : إنَّه ذاهب الحديث ؟ وقول أبي زرعة : إنَّه واهي الحديث ؟ وقول أبي حاتم والترمذي : إنَّه منكر الحديث ؟ وقول ابن عدي : إنَّ عامَّة ما يرويه لا يُتابع عليه ؟ وقول النسائي : إنَّه ضعيفٌ ؟ وقول أبي حاتم أيضاً : يروي عن الأثبات الملققات ، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد ؟ وقول الحاكم : إنَّه يروي أحاديث موضوعة ؟ وقول أبي نعيم : إنَّه روى المناكير^(٢) ؟ .

أم لا يروق الخطيب الجرح في اسماعيل بن أُمِّة العبشمي الأموي وهو ابن عمِّ عثمان وقد جاء بالرواية مختلفة في ابن عمِّه الخليفة ؟ أم لا يَنبُه ما حكاه عن الدارقطني إلى أنَّ اسماعيل لا يروي عن ابن جريج ؟ وإنَّما الراوي اسماعيل بن يحيى التيمي . أم أراد حفظ سمعة الصديق أبي بكر في حفيده اسماعيل بن يحيى التيمي^(٣) والستر على قول صالح بن جزرة فيه : إنَّه كان يضع الحديث . وقول الأزدي : إنَّه ركنٌ من أركان الكذب لا تحلُّ الرواية عنه . وقول أبي علي

(١) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٨١ ، لسان الميزان ج ٢ ص ٣٥٣ .

(٢) تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٤٩ .

(٣) إسماعيل بن يحيى بن عبيدالله بن طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة .

النيسابوري والدارقطني والحاكم إنه كذاب . وقول الحاكم : روى أحاديث موضوعة . وقول الدارقطني : إنه كان يكذب على مالك والثوري وغيرهما . وقول ابن حبان : إنه كان يروي الموضوعات عن الثقات لا تحل الرواية عنه بحال^(١) ؟ .

نعم : هذه كلها بين يدي الخطيب غير أن الغلو في الفضائل أبكمه فبكم^(٢) وذكر الذهبي هذه الرواية في «ميزان الاعتدال» في ترجمة حماد بن المبارك ، وقال : خبر غير صحيح .

ولو كان لهذا الخيال مقلد من الصحة لاستدعى أن يكون ما اختلق فيه من كون عثمان في الجنة أهم ما صدع به رسول الله ﷺ من المعارف والأحكام والحكم فإننا لم نجد ولا وجد واجداً شيئاً منها يهتم ﷺ له هذا الإهتمام ويصدع به على كل منبر صعد ، نعم كان يكرر بعض ما يصدع به في عدة مقامات للكشف عن أهميته غير أنها مما تعدّه الأنامل ، حتى أن الصلاة التي هي عماد الدين لم يكررها هذا التكرار الممل .

وليت شعري هل كون عثمان في الجنة من أصول الدين وأسس الإسلام التي لا تتم الشريعة إلا بها فطفق ﷺ يبالغ في تبليغه هذه المبالغة في كل حين ؟ فهل هو حكم شرعي ؟ أو حكمة بالغة ؟ أو ملكة فاضلة ؟ أو ناموس إلهي يستحق هذا التأكيد والإصرار ؟

ثم لو كان عثمان من المؤمنين لكفاه تشير الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الجمّة لهم بالجنة ، فما الحاجة إلى هذا التهالك في تخصيصه بالذكر تهالكاً لم يشاهد له نظير في شيء مما بلغه ﷺ عن ربه ؟

على أنه لو كان ﷺ مرتكباً ذلك لوجب أن يسمعه منه جميع الصحابة حتى من حظي بالإصاحبة إلى قبله ولو مرة واحدة طيلة حياته ، ووجب أن يتواتر الحديث منه ﷺ فلا يختص بعزوه المختلق جابر ، ولم يك يسنده عنه أناس دجالون ،

(١) ميزان الاعتدال ج ١ ص ١١٧ ، لسان الميزان ج ١ ص ٤٤٢ .

(٢) بكم بكامة : سكت تعمداً .

وإنَّ من أهمِّ تلكم المنابر منبر يوم الغدير وقد حضره مائة ألف أو يزيدون ، فهل سمع أحدٌ من أحدهم من الأعلالي والساقة يحدث أنَّه عليه السلام هتف عليه بأنَّ عثمان في الجنة ؟ وهذه خطب النبي الأعظم هل تجد في شيء منها عمّا تقولوه حسيساً أو تسمع منه ركزاً ؟ وهل هؤلاء الصحابة ألبالغون مئآت الألوف الذين سمعوا هذا المقال ووعوه تركوه وراء ظهورهم يوم الدار ؟ يوم قالوا له : والله أحلَّ الله دمك^(١) يوم كتبوا إليه يدعونه إلى التوبة وحاجّوه وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يمسكون عنه أبداً حتّى يقتلوه^(٢) يوم سلّم عليهم فما سمع أحدٌ من النَّاس يرُدُّ عليه ، وكان فيهم من عمَد الصحابة من فيهم^(٣) يوم رفعت أمهم عقيرتها وهي تقول : اقتلوا نعتلاً قتله الله فقد كفر ، إلى أيّام قصصنا عليك حوادثها ، أو أنهم كلّهم نسوه فنالوا من الرجل ما نالوا ؟ وهل حصل لهم مُذكّرٌ من عند أنفسهم فلم يوافقوه على السماع ؟ أو لم يعيروا له أذنًا مُصغية ؟ هذا وهم عدول ، وإنَّ ممن سمع بطبع الحال هاتيك الكلمة نفس عثمان فلماذا كان يخاف من القفول إلى مكّة حذار أن يكون هو الذي سمع فيه عن رسول الله عليه السلام ما مرَّ من أنَّه يُلحد بمكّة رجلٌ عليه عذاب نصف أهل الأرض ؟

٢٣ - ذكر ابن كثير في تاريخه عند عدِّ مناقب عثمان عن اسماعيل بن عبد الملك عن عبدالله بن أبي مليكة عن عائشة قالت : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله رافعاً يديه حتّى يبدو ضبعيه إلّا لعثمان بن عفّان إذا دعا له .

قال الأميني : حذف ابن كثير وغيره ممّن ذكر هذه المهزأة إسنادها وأرسلوها إرسال المسلّم ذاهلين عن أنَّ في ذكر اسماعيل بن عبد الملك كفاية من عرفان بقيّة رجاله قال ابن عمّار وأبو داود : ضعيف . وقال ابن الجارود وابن معين والنسائي وأبو حاتم : ليس بالقوي . وقال عبدالرحمن بن مهدي : أضرب على حديثه . وقال الفلاس وأبو موسى : كان عبدالرحمن ويحيى لا يحدثان عنه . وقال ابن

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٠ .

(٢) راجع ما مرَّ في هذا الجزء ص ١٩٢ .

(٣) راجع ما أسلفناه في حديث طلحة بن عبيدالله ص ١٢١

حَبَّان : كان يقلِّب ما يروي (١) .

وأنا لا أدري أن عائشة متى روت هذه الرواية ، قبل تكفيرها الرجل وتأليب الناس عليه ، ثم نسيتها ؟ وسرعان ما تنسى أم المؤمنين ما حفظته كما نسيت أقوال رسول الله ﷺ لها في مناوئة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وعن كلاب الحوَّاب ونباحها ، أم أنها روتها حين كانت تثير العواطف على عثمان وترهج عليه نقع الحروب حتى أوردته موارد الهلكة ؟ فاعجب إذن بالمناقضة بين روايتها وعملها دواليك وهي صحابيَّة عادلة أم الصحابة العدول كما يزعمون .

أم أنها أسندتها بعد تلکم المعامع ؟ بعد أن سؤل لها الناكثان النهضة للطلب بثاراته . فخرجوا يجرّان حرمة رسول الله ﷺ كما تُجرُّ الأمة عند شرائها متوجهين بها إلى البصرة ، فحبسا نساءهما في بيوتهما ، وأبرزوا حبيس رسول الله ﷺ عن خدرها (٢) فثارت لتتدارك ذلك الحوب بما هو أكبر منه ، فخالفت القرآن الكريم فيما خصّ زوجات النبي ﷺ بقوله : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ فكان من استقرارها في بيتها أن ركبت الجمل وقادت العساكر ، وباشرت الحرب بنفسها ، وعاشرت الرجال الأجانب ، ونبذت الكتاب وراء ظهرها ، ولم ترع لبعْلِها حرمة ولا كرامة .

وخالفت رسول الله ﷺ في نواحيه المتعاقبة عن خصوص موقف الجمل كما مرّت في الجزء الثالث ص ٢٣٧ - ٢٤٠ ، وعن مطلق مناوئة أمير المؤمنين عليه السلام ومحاربه فيما روي عنه عليه السلام مستفيضاً كما أسلفنا نزرأ منه في ج ١ ص ٣٩١ ، ٣٩٢ وج ٢ ص ٣٤٨ - ٣٥١ ، وج ٣ ص ٤٧ ، ٢٣٠ - ٢٣٦ وج ٤ ص ٣٦٢ - ٣٦٥

نعم خالفت رسول الله ﷺ في وصاياه المؤكدة بوصيه الطاهر حتّى جاء في حديث معمر : عائشة كانت لا تطيب نفساً لعلّي بخير . وفي حديث آخر : لكنّها لا

(١) تهذيب التهذيب ج ١ ص ٣١٦ .

(٢) راجع ما مضى في هذا الجزء ص ١١٧ .

مناقب عثمان والنظر فيها ٣٦٧

تقدر على أن تذكره بخير (١).

والحديث صحيح رجاله كلهم ثقات أخرجه أحمد في مسنده ج ٦ ص ٢٢٨ من طريق معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عتبة أن عائشة أخبرته قالت : أول ما اشتكى رسول الله ﷺ في بيت ميمونة فاستأذن أزواجه أن يمرض في بيتها فأذن له قالت : فخرج ويد له على الفضل بن عباس ، ويد على رجل آخر ، وهو يخط برجليه في الأرض . قال عبيد الله فحدثت به ابن عباس فقال : أتدرون من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة ؟ هو علي ، ولكن عائشة لا تطيب له نفساً .

وأخرجه البخاري في صحيحه في باب حد المريض أن يشهد الجماعة ، غير أنه حذف منه قول ابن عباس : «ولكن عائشة لا تطيب له نفساً» وهذا شأن البخاري في كل ما لا يروقه .

نعم عائشة لا تقدر أن تسمي علياً وتذكره بخير ، غير أنها كانت تصيخ إلى من نال من علي عليه السلام وتأنس بالوقعة فيه ولا تنهى عنها كما في صحيحة رجالها كلهم ثقات أخرجه أحمد في مسنده ج ٦ ص ١١٣ من طريق عطاء بن يسار قال : جاء رجل فوق في علي وفي عمار رضي الله تعالى عنهما عند عائشة فقالت : أما علي فلست قائلة لك فيه شيئاً ، وأما عمار فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يخير بين أمرين إلا اختار أرحدهما .

لِمَ يا أمّاه لست قائلة شيئاً في علي ؟ أما سمعت أذاك من بعلك حديثاً واحداً في فضله مثل ما سمعت في عمار ؟ أما تجددين في كتاب الله ممّا نزل في علي ما يعادل حديثك في عمار ؟ وفضل علي عليه السلام على عمار كما قال حذيفة اليماني : فوالله لعلي أفضل من عمار أبعد ما بين التراب والسحاب ، وإنّ عماراً من الأخيار (٢) .

لِمَ يا أمّاه لا تكرهين أن يُقذع عندك علي عليه السلام ، وأنت التي كنت كارهة أن

(١) فتح الباري ج ٢ ص ١٢٣ .

(٢) أخرجه ابن عساكر كما في كنز العمال ج ٧ ص ٧٣ .

٣٦٨ الغدير ج - ٩

يُسَبِّ عندك حسان بن ثابت ؟ وقد أخبر بذلك عروة قال : كانت عائشة تكره أن يُسَبِّ عندها حسان وتقول : إنه الذي قال :

فلان أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء^(١)

أما كانت عندك لمواقف عليّ المشكورة في مغازي رسول الله ﷺ ولميئته على فراشه ليلة هجرته من مكة وقد باهى الله به ملائكته ، قيمة وكرامة مقدار بيت شعر لحسان ؟ وحسان أنت أدري به مني . أي يا أمّاه ؟ ششنة أعرفها من أخزم .

ومن رشحات ما كانت تحمله أم المؤمنين بين جنبها من الضغينة على أول المسلمين وأولاهم بهم من أنفسهم قولها يوم سمعت بيعة الناس له : لوددت أن السماء انطبقت على الأرض إن تمّ هذا .

وخالفت العقيدة الراسخة من حرمة قتال خليفة الوقت ، ولتيني علمت ماذا يكون جواب أم المؤمنين لو أضيف السؤال عن خطيئتها أيهما أعظم ؟ إجهازها على عثمان أم محاربتها الإمام أمير المؤمنين علياً عليه السلام ؟ غير أنها اليوم وقد كشف عنها الغطاء تجيب بأن الخطيئة كانت واحدة مرتكزة على سنام الجمل وتحت أستار الهودج ، وهل كانت روايتها هذه لتبرير عملها الأخير ؟ وقد جعلتها معذرة لها في ثورتها أو أنها اختلقت عليها فأخرجتها رواة السفاسف أو حملة الأضغان على البيت النبوي الطاهر ، أو سماسرة البيت الأموي الذين حاولوا نشر الفضيلة لهم ولو بالأفالك ؟

وكانت أم المؤمنين عالمة جداً بأن قتل عثمان كان هيئاً عند الله ورسوله في جنب خروجها من عقر دارها كما قال لها جارية بن قدامة السعدي الصحابي : يا أم المؤمنين ! والله لقتل عثمان بن عفان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون غرضة للسلاح ، إنه قد كان لك من الله سترٌ وحرمة ، فهتكت سترك ، وأبحت حرمتك ، إنه من رأى قتالك فإنه يرى قتلك ، إن كنت أتيتنا طائعة ، فارجعي إلى منزلك ، وإن كنت أتيتنا مستكرهة ، فاستعيني بالناس^(٢) .

(١) راجع مسند أحمد ج ٦ ص ١٩٧ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٧٦ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٩٠ .

مناقب عثمان والنظر فيها ٣٦٩

ثم هل كان رسول الله ﷺ يدعو لعثمان بالثبات على الحق من اتباع الكتاب والسنة؟ فلماذا لم يستجب ذلك الدعاء فخالفهما؟ وظهر ذلك منه حتى عرفته عامة الصحابة فأنكروه عليه حتى قتلوه .

أو أنه كان يدعو له بالتوفيق للتوبة؟ فلماذا لم يوفق؟ فكلما تاب رجع ، وكلما عهد حنث ، حتى عرف ذلك الثائرون عليه فلم يجدوا بداً من إعدامه .

أو أنه كان يدعو له بالمغفرة وإن لم تكن توبته نصوحاً؟ فذلك إغراء بالجهل ، وترخيص في المعصية ، وهو محال على النبي ﷺ .

أو أنه كان يدعو له بدفع عادية الناس عنه على ما هو عليه من طاعة أو معصية؟ فهبني قلت : إنه جائز لكن الدعاء لم يستجب ، وما غناء بقاء رجل هو هكذا سالماً؟ وهو لا يقتض أثره في صلاح ، ولا يقتضي في طاعة ، ولا يتبع في خير ، وإنما تورث سلامته تجريباً على المعاصي وولعاً بالميول والشهوات .

أو أنه كان يدعو له باليسار والثروة ليرغد عيشه ويرغد عيش من لف لفه واحتف به ولو كان بالأثرة لنفسه وذويه على المسلمين عامة متعدياً حدود الله المأثورة في الأموال والصدقات؟ فهل الدعاء لمثل هذا جائز في الشريعة؟ وهل يستسيغ العقل السليم الدعاء للحصول على المآثم؟

أو أنه كان يدعو له بنيل الخلافة؟ وهذا إن صحّ قد استجيب غير أن النبي الأعظم ﷺ كان بوسع علم النبوة بصيراً بما يؤول إليه أمر الرجل وينوء به مما لا تحمده شريعة أو عقيدة ، ولا يستتبع خلافته إلا وهناً في الدين ، وذهاباً لأبهة الإمامة ، وقلقاً في مستوى الإسلام وعاصمة النبوة ، وتعكيراً لصفو الألفة بين أفراد المسلمين ، وفتناً في عضدهم ، وهواناً على صلحاء الأمة في الحواضر الإسلامية ، وتعطيلاً للأحكام ، وتعدياً للحدود ، ومن يتعدّ حدود الله فاولئك هم الظالمون ، وكل هذه مما عرفته منه الصحابة فتألبوا عليه ، فما كان حاجة النبي ﷺ في خليفة هو هكذا؟ .

هذه محتملات الدعاء المزعوم ، ولنا هنا مسألة أخرى عن السبب الموجب لهذا الدعاء أولاً وعن ظرفه ثانياً ، أهل كان الموجب له أعماله السابقة

٣٧٠ الغدير ج - ٩

على الدعاء ؟ أو ما ارتكبه في أخريات أيامه ؟ فجرَّ على نفسه ومن اكتنفه الويلات من جرَّائه ، أمَّا الأخيرة فقد عرفت أنَّها لا تنهض موجباً لذلك ، وأمَّا سوابقه فسل عنه يوم بدر وتخلَّفه عنه وكان يُعَيَّر بذلك طيلة حياته ، ووقع فيه عبدالرحمن بن عوف لذلك في أخريات خلافته بملأ من الناس فأُنْهَى إليه ذلك الوليد بن عتبة السكير الفاسق بلسان الوحي المبين^(١) هنالك نحت له عذراً من تمرير رقية بنت النبي ﷺ^(٢) لكن الصحابة ما كانوا يعرفون ذلك العذر المفتعل حتَّى أولى الناس به أخوه بالمؤاخاة بمكة عبدالرحمن بن عوف ، ولو كان ما يقوله صحيحاً لعرفوه وهو بين ظهرانيتهم غير متأتى عنهم .

وسل عنه يوم أحد وفراره من الزحف وقد نزل فيه وفيمن فرَّ قوله تعالى « في سورة آل عمران ؛ الآية : ١٥٥ » : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾ الآية^(٣) .

وسل عنه ليلة وفاة أم كلثوم واقتراه الذنب فيها ، وهتك رسول الله ﷺ حرمة في صبيحتها بملأ من الصحابة بحرمانه من دفنها وهي زوجته وهو أحق الناس بدفنها ، راجع ما أسلفناه في الجزء الثامن ص ٢٧٥

وسل عنه ايواؤه عبدالله بن أبي سرح وقد ارتدَّ عن الإسلام ولحق بالمشرّكين فأهدر رسول الله ﷺ دمه يوم الفتح وأمر بقتله ولو وُجد تحت أستار الكعبة ، لكنّه فرَّ إلى أخيه من الرضاة «عثمان» فأواه وغيَّبه ، وكان من واجبه قتله أينما وجده ، لكنه بدلاً عن ذلك أتى به إلى رسول الله ﷺ فاستأمنه له فصمت رسول الله ﷺ طويلاً رجاء أن يقتله أحد من الحضور لأنّه ما كان يروقه ﷺ إسعافه ولا يرى لحياة ابن أبي سرح قيمة . راجع ما أسلفناه في الجزء الثامن ص ٣٢٧

وسل عنه ايواؤه ابن عمّه المشرك معاوية بن المغيرة بن أبي العاص يوم حمراء

(١) مرّ تفصيل ذلك في ج ٨ ص ٣٢١ - ٣١٣

(٢) راجع مسند أحمد ج ١ ص ٦٨ ، ٧٥ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ٩٧ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٠٦ .

(٣) راجع مسند أحمد ج ١ ص ٦٨ ، تفسير القرطبي ج ٤ ص ٢٤٥ ، تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤١٩ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ٩٧ ، تفسير الخازن ج ١ ص ٣٠٧ .

مناقب عثمان والنظر فيها ٣٧١

الأسد لَمَّا ظفر به رسول الله ﷺ في خروجه منها فأمر بضرب عنقه صبراً فلجأ إلى عثمان فاستأمن له رسول الله ﷺ فأمنه على أنه إن وُجد بعد ثلاث قتل فأقام بعد ثلاث وتوارى فبعث عثمان بن عفان بن ياسر وزيد بن حارثة وقال : إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا فوجداه فقتلاه^(١) .

وما أشبه فعلته هذه بآيائه الحكم وابنه مروان في خلافته وهما طريدا رسول الله ولعيناه^(٢) ؟ فأمره سواسية في المبدأ والمنتهى .

هذا كل ما علمناه من سوابق الرجل ولواحقه ، وشيء منها لا يصلح أن يكون باعثاً للحب والدعاء ، كما أن شيئاً منها لا يترك للدعاء المزعوم ظرفاً يستساغ له الدعاء فيه ، فزبدة المخض أنه من مخلق الدور الأموي الذي لم يأل العبشيون فيه جهداً في وضع الفضائل أو الرذائل .

نعم ذكروا له عثمان دعوات عديدة لعثمان عند تجهيزه جيش العسرة ، ولعل المتهاك في حب عثمان ينحته موجباً لتلك الدعوات ، والباحث جدٌ خبير بأنه لا يعدو شيئاً منها وهنٌ في الإسناد لضعف في رجاله أو إرسال فيه ، على اضطراب الروايات في كيفية التجهيز وكمية ما أنفقته يده فيه ، اضطراباً لا يعدوه الحكم بالبطلان في جميعها :

قال ابن هشام في السيرة ج ٤ ص ١٧٢ : أنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحدٌ مثلها . حدثني من أثق به أن عثمان بن عفان أنفق في جيش العسرة في غزوة تبوك ألف دينار . إلى آخر ما يأتي من حديثه .

وأخذ الطبري الجملة الاولى من قول ابن هشام وترك حديثه .

وعند الكلبي مرسلًا كما في أسباب النزول للواحدي ٦١ جهَّز بألف بعير بأقتابها وأحلاسها .

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٥٧ ، تاريخ ابن كثير ج ٤ ص ٥١ ، عيون الأثر لابن سيد الناس

ج ٢ ص ٣٧ ، ٣٨ ، شرح الأشعر على بهجة المحافل ج ١ ص ٢١٣ .

(٢) راجع ترجمة الحكم وابنه مروان في الجزء الثامن من كتابنا هذا .

٣٧٢ الغدير ج

وعند قتادة مرسلًا : حمل على ألف بعير وسبعين فرسًا .
وعند البلاذري بإسناد ضعيف مرسل : جهّزهم بسبعين ألفًا .
وعند الطبراني بإسناد ضعيف : مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها ومائتا أوقية الذهب .

وعند أبي يعلى بسند ضعيف : جاء بسبعمائة أوقية ذهب .
وعند ابن عدي بسند واهٍ ضعيف جدًا : جاء بعشرة آلاف دينار .
وعند أبي نعيم بإسنادين باطلين : جاء بألف دينار .
وعند أحمد وأبي نعيم بإسناد معلول : ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها .
وعند ابن عساكر مرسلًا : جهّز ثلث ذلك الجيش مؤنتهم .
وعند ابن الأثير ما ذكره الطبري وزاد عليه : قيل كانت ثلاثمائة بعير ودينار .

وعند عماد الدين العامري دعوى مجرّدة : أنفق ألف دينار ، وحمل تسعمائة وخمسين بعيرًا ، وخمسين فرسًا .

وعند الحلبي صاحب السيرة قولًا بلا دليل : جهّز عشرة آلاف دينار غير الخيل وهي تسعمائة بعير ومائة فرس والزاد وما يتعلّق بذلك حتى ما تربع الأسقية .

وعند بعض كما في السيرة الحلبيّة : أعطى ثلاث مائة بعير بأحلاسها وأقت وخمسين فرسًا .

وفي رواية عند الحلبي : جاء بعشرة آلاف دينار إلى رسول الله فصبّت يديه . فقال : لعلّ هذه العشرة آلاف غير التي جهّز بها العشرة آلاف إنسان .
فترى كلّ واحد يكلّ ويزن ما أنفقه الرجل في جيش العسرة بكيلة مرّة وميزان كرامته ، وما تستدعيه سعة صدره ، ورحب ذات يده .

على أنّ هناك أناسًا آخرين شاركوا من جهّز الجيش وأربوا ، فلا أدري الموجب لاختصاص عثمان بتلكم الأدعية دونهم ؟ فمن أولئك المجّهّـ

مناقب عثمان والنظر فيها ٣٧٣

العباس بن عبدالمطلب فإنه حمل مالا يقال إنه تسعون ألفاً^(١) وقال عليه السلام : العباس عم نبيكم أجود قریش كفاً وأحناه عليها . وفي حديث : أوصلها لها «مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣٢٨» وأول من حمل ماله كله هو أبو بكر على زعم القوم فإنه جاء بماله كله فقال له رسول الله ﷺ : هل أبقيت شيئاً ؟ قال : الله ورسوله^(٢) .

وهب أن ما حملة أبو بكر كان نزرأ يسيراً لكنه أنفق بكل ماله إن صدق الحديث وكمال الجود بذل الموجود . فما الذي أرجأه من الخطوة بالدعاء له ورسول الله ﷺ يراه أمن الناس عليه بماله ؟ وقد جاء عنه عليه السلام فيما رواه أحمد في مسنده ج ١ ص ٢٧٠ قوله : ليس أحد أمن علي في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة .

على أن طبع الحال يستدعي أن يكون هناك منفقون آخرون لأن عدد الجيش كان ثلاثين ألفاً وعشرة آلاف فرس وإثنا عشر ألف بعير عند كثير من المؤرخين ، وعند أبي زرعة كانوا سبعين ألفاً ، وفي رواية أربعين ألفاً^(٣) وما ذكره من النفقات لعثمان وغيره لا تفي بتجهيز هذا الجيش اللجب ، فلماذا حرم أولئك كلهم من الدعاء وحظي به عثمان فحسب ؟ أنا أنبئك لماذا ، وجد عثمان بعدما خذل وقُتل أنصاراً ينحتون له الفضائل ، وتصرمت أيام أولئك من غير نصير مفتعل .

وإليك جملة مما روي في الباب وافية للنهوض بإثبات بطلان ما يُهتف به من المبالغة في أمر التجهيز المذكور، منها :

٢٤ - أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص ٥٩ من طريق حبيب بن أبي حبيب أبي محمد البصري - كاتب مالك - عن مالك عن نافع عن ابن عمر قال : لما جهز النبي ﷺ جيش العسرة جاء عثمان بألف دينار فصّبها في حجر النبي ﷺ

(١) إمتاع المقرئ ص ٤٤٦ .

(٢) تاريخ ابن عسكرج ص ١١٠ ، شرح المواهب للزرقاني ج ٣ ص ٦٤ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٤٥ .

(٣) طبقات ابن سعد رقم التسلسل ٦٨٣ ، تاريخ ابن عسكرج ج ١ ص ١١١ ، إمتاع المقرئ ص ٦٥٠ ، فتح الباري ج ٨ ص ٩٣ ، المواهب اللدنية ج ١ ص ١٧٣ ، إرشاد الساري ج ٦ ص ٤٣٨ ، شرح بهجة المحافل ج ٢ ص ٣٠ .

فقال النبي ﷺ : اللَّهُمَّ لا تنس لعثمان ، ما على عثمان ما عمل بعد هذا .

قال الأميني : أتخفى على مثل الحافظ أبي نعيم أقوال أئمة الفن من قومه في حبيب كاتب مالك ؟ قال عبدالله بن أحمد - إمام الحنابلة - عن أبيه إنه قال : حبيب ليس بثقة قدم علينا رجل أحسبه قال من خراسان كتب عنه كتاباً . إلى أن قال : قال أبي : كان يكذب ، ولم يكن أبي يوثقه ولا يرضاه وأثنى عليه شراً وسوءاً .

وقال أبو داود : كان من أكذب الناس كان يضع الحديث . وقال أبو حاتم : متروك الحديث روى عن ابن أخي الزهري أحاديث موضوعة . وقال النسائي والأزدي ، متروك الحديث ، وقال ابن حبان : كان يُدخل على الشيوخ الثقات ما ليس من حديثهم . وقال : أحاديثه كلها موضوعة وذكر له عدّة أحاديث عن هشام بن سعد وغيره وقال : كلها موضوعة ، وعامة حديثه موضوع المتن ، مقلوب الإسناد ، ولا يحتشم حبيب في وضع الحديث على الثقات ، وأمره بين في الكذب . وقال أبو أحمد الحاكم : ذاهب الحديث . وقال سهل بن عسكر : كتبنا عنه عشرين حديثاً وعرضناها على ابن المديني فقال : هذا كله كذب ، وقال النسائي : متروك أحاديثه كلها موضوعة عن مالك وغيره^(١) .

وأخرجه أحمد من طريق ضمرة بن ربيعة الدمشقي الرملي ، قال الساجي : صدوق يهيم عنده مناكير ، وجاء ضمرة عن الثوري عن ابن دينار عن ابن عمر بحديث فأنكره أحمد وردّه ردّاً شديداً ، وقال : لو قال رجل إن هذا كذب لَمَا كان مخطئاً .

وأخرجه الترمذي وقال : لا يتابع ضمرة عليه وهو خطأ عند أهل الحديث . راجع تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٤٦١ . (ومنها) :

٢٥ - أخرج أحمد في مسنده ج ١ ص ٧٤ من طريق محمد بن أبي بكر المقدمي البصري عن محمد بن عبدالله الأنصاري البصري عن هلال بن حق

(١) راجع ميزان الاعتدال ج ١ ص ٢١٠ ، تذكرة الموضوعات للمقدسي ص ٩٠ ، مجمع الزوائد للهيتمي ج ٩ ص ٧٤ ، تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٨١ ، السلاي المصنوعة ج ١ ص ٨ ، ٢٣٠ ، خلاصة الكمال ص ٦٠ ، أسنى المطالب ص ٢١٦ .

مناقب عثمان والنظر فيها ٣٧٥

البصري عن سعيد الجريري^(١) البصري عن ثمامة القشيري قال : شهدت الدار يوم أصيب عثمان رضي الله عنه فطلع عليهم إطلاعة فقال : أدعوا لي صاحبكم اللذين^(٢) ألباكم عليّ فدُعيا له فقال : نشدكما الله أعلمان أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة ضاق المسجد بأهله فقال : من يشتري هذه البقعة من خالص ماله ؟ فيكون فيها كالمسلمين وله خيرٌ منها في الجنة . فاشتريتها من خالص مالي فجعلتها بين المسلمين ؟ وأنتم تمنعوني أن أصلي فيه ركعتين . ثم قال : أنشدكم الله أعلمون أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة لم يكن فيها بئرٌ يستعذب منه إلا رومة فقال رسول الله ﷺ : من يشتريها من خالص ماله فيكون دلوه فيها كدلي المسلمين ؟ وله خيرٌ منها في الجنة . فاشتريتها من خالص مالي ؟ فأنتم تمنعوني أن أشرب منها . ثم قال هل تعلمون أني صاحب جيش العسرة؟ قالوا: اللهم نعم .

وذكره البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٥ ، ٦ من طريق يحيى بن أبي الحجاج البصري عن سعيد الجريري وزاد : فأنشدكما الله هل تعلمان أني جهّزت جيش العسرة من مالي ؟ قالا : اللهم نعم . قال : أنشدكما الله هل تعلمان أن رسول الله ﷺ كان بشير ، أو قال : بحرّاء . فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته إلى الحضيض فركضه برجله فقال : أسكن فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد ؟ قالا : اللهم نعم .

وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ج ٦ ص ١٦٨ من طريق يحيى بن أبي الحجاج عن الجريري عن ثمامة .

رجال الإسناد :

١ - محمد بن عبد الله الأنصاري : قال العقيلي : منكر الحديث . وقال أبو أحمد الحاكم : روى يحيى بن خذام عنه عن مالك بن دينار أحاديث منكراً والله أعلم الحمل فيه عليه أو على يحيى . وقال ابن حبان : منكر الحديث جداً يروي

(١) الجريري بضم الجيم وفتح الراء نسبة إلى جرير بن عباد .

(٢) يعني طلحة والزبير ، وقعت التسمية في غير واحد من أحاديث المناشدة وكلها أكاذيب .

٣٧٦ الغدير ج - ٩

عن الثقات ما ليس من حديثهم ، لا يجوز الاحتجاج به وقال ابن طاهر : كذاب . وقال الحاكم النيسابوري : يروي أحاديث موضوعة . وقال أبو الفضل الهروي : ضعيف . وقال الأزدي : منكر الحديث جداً روى عن مالك بن دينار أحاديث معاضيل .

[تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٢٥٦]

لا يحسب الباحث أن محمد بن عبدالله الأنصاري هذا هو عبدالله البصري محمد بن عبدالله بن المثنى فإنه يروي عن سعيد الجريري بلا واسطة كما في تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٦ وج ٩ ص ٢٧٤ والذي يروي عنه بالواسطة هو هذا الأنصاري المترجم له .

٢ - سعيد أبو مسعود الجريري وهو وإن كان ثقة في نفسه لكنه لا تصح روايته لاختلاطه ثلاث سنين من عمره ، قال أبو حاتم : تغير حفظه قبل موته فمن كتب عنه قديماً فهو صالح . وقال يزيد بن هارون ربما ابتلانا الجريري وكان قد أنكر . وقال ابن معين عن ابن عدي : لا نكذب الله سمعنا من الجريري وهو مختلط . وقال ابن حبان : اختلط قبل أن يموت بثلاث سنين . وقال يحيى بن سعيد لعيسى بن يونس : أسمعت من الجريري ؟ قال : نعم . قال : لا ترو عنه ، يعني لأنه سمع منه بعد اختلاطه . وقال ابن سعد : كان ثقة إن شاء الله إلا أنه اختلط آخر عمره .

[تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٦]

٣ - يحيى بن أبي الحجاج البصري في طريق البلاذري . قال النسائي وابن معين : ابن أبي الحجاج ليس بشيء . وقال أبو حاتم : ليس بالقوي . ونحن لو غاضينا العثمانيين على صحة هذه الرواية وأمثالها فإنها تعود وبالأعلى عثمان أكثر منها منقبة فإن في صريحها أن الرجلين وهما من العشرة المبشرة ومن الستة أصحاب الشورى وفي الجبهة والسنام من الصحابة العدول «عند القوم» إعترافاً له بما استشهدا لكنهما لم يابها بما حاوله عثمان من مفاد الرواية فاستمرا على التأليب عليه والضغط والتشديد ، فهل هو مجابهة منهما لما ثبت عن الرسول ﷺ «ويرد عدلهما وكونهما من العشرة» أو أنهما علما أن الشيء حدث بعده شيء أزاح موضوعه ؟ وإنما كان قول رسول الله ﷺ في مرحلة الإقتضاء من

مناقب عثمان والنظر فيها ٣٧٧

آثار تلکم الأعمال الطبیعیة إذا استمر صاحبها على ما هو عليه في هاتيك الأحوال ، ولم يحدث موانع فإنَّهما كانا يرتثيان حدوث موانع هنالك سالبة لأثر الإقتضاء . وبهذا الإعتقاد مضياً مصرّين على ما ارتكبه من أمر الخليفة ، وهما يريانه حائداً عن الصراط السوي .

ولعلَّ عثمان نفسه ما كان جازماً ببقاء تلکم الآثار التي كان نوه بها النبي الأعظم ﷺ نظراً منه لما أحدث بعد ذلك من الحوادث ، ولذلك كان يحاذر أن يكون هو الرجل الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ من أنَّه يلحد بمكة رجل عليه نصف عذاب أهل الأرض كما مرَّ حديثه الصحيح في ص ١٨١ من هذا الجزء .

ويشبه طلحة والزبير بلى وعثمان نفسه بقيّة الصحابة المجهزين عليه فيما بيّناه من الإعتقاد في حقّ الرجل . فراجع ما قدّمناه من أقوالهم وأعمالهم المذكورة في الجزء الثامن وفي هذا الجزء ص ٩٢ - ١٩٢ ، ولا تنس قولهم له في مناشدته المذكورة في ص ٢٣٦ : وأما ما ذكرت من قدّمك وسبقك مع رسول الله فإنّك قد كنت ذا قدم وسلف وكنت أهلاً للولاية ، ولكن : بدّلت بعد ذلك وأحدثت ما قد علمت .

وقولهم له : وأما قولك : إنّه لا يحلُّ إلّا قتل ثلاثة فإنّا نجد في كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سمّيت : قتل من سعى في الأرض فساداً ، وقتل من بغى ثمّ قاتل على بغيه ، وقتل من حال دون شيء من الحقّ ومنعه ثمّ قاتل دونه وكابر عليه ، وقد بغيت ، ومنعت الحقّ ، وحلت دونه ، وكابرت عليه . الخ .

ونظير هذه الأقوال الكثير المعرب عن آراء الصحابة فيه وفي أحداثه ، وكلّها تكذب القول بأن يكون رسول الله ﷺ يسمّي الرجل شهيداً . نعوذ بالله من الاختلاق بلا تدبّر (ومنها) :

٢٦ - أخرج سيف بن عمر في الفتوح من طريق صعصعة بن معاوية التيمي قال : أرسل عثمان وهو محصورٌ إليّ عليّ وطلحة والزبير وغيرهم : فقال : احضروا غداً فأشرف عليهم وقال : أنشدكم الله ولا أنشد إلّا أصحاب النبي ﷺ أستم تعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال : من حفر رومة فله الجنة . فحفرتها ؟ أستم

٣٧٨ الغدير ج - ٩

تعلمون أنه قال : من جهّز جيش العسرة فله الجنة . فجهّزته ؟ قال : فصدّقوه بما قال .

ذكره ابن حجر في فتح الباري ج ٥ ص ٣١٤ وقال : وللنسائي من طريق الأحنف بن قيس إن الذين صدّقوه بذلك هم : عليّ بن أبي طالب وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص .

ترى ابن حجر ها هنا ساكتاً عن الغمز في هذه الرواية وهو الذي جمع أقوال الحفاظ في سيف بن عمر من أنه ضعيف ، متروك ، ساقط ، وضاع ، عامة حديثه منكر ، يروي الموضوعات عن الأثبات ، كان يضع الحديث ، وأتهم بالزندقة «راجع ج ٨ ص ١١٢ ، ٣٨٥ من كتابنا هذا» .

وكأنه أراد من عدّ من صدّق عثمان في دعواه إثبات فضيلة له ذاهلاً عن أن كثرة المصدقين في المقامين على تقدير صحة الخبر - وأنّى هي ؟ - تزيد عاراً وشناراً على الرجل ، وتعود وبالأعلى عليه أكثر منها منقبة كما مرّ بيانه ، وإنّي لا أشكّ في أن الباحث بعد هذا البيان الضافي لا يُقيم لهذه المناشدة وزناً وإن خرّجه البخاري في صحيحه في كتاب الوصايا باب إذا وقف أرضاً أو بئراً ج ٤ ص ٢٣٦^(١) وما أكثر بين دفتي هذا الصحيح من سقيم يجب أن يُضرب به عرض الحائط كما هو الظاهر لدى من يراجع كتاب «أبو هريرة» لسيّدنا الآية شرف الدين وغيره من تآليفه ، وسنوقفك على جلّية الحال في الأجزاء الآتية إن شاء الله تعالى . (ومنها) :

٢٧ - أخرج أسد بن موسى في فضائل الصحابة عن قتادة البصري قال : حمل عثمان على ألف بعير وسبعين فرساً في العسرة .

ذكره ابن حجر في فتح الباري ج ٥ ص ٣١٥ وقال : مرسل . ولم يسمّ ابن حجر رجال الإسناد بين أسد بن موسى وبين قتادة وكذلك من قتادة إلى منتهى السند ، فالرواية مرسلّة من الطرفين ، ولعلّ في مرحلتي السند أناس من الوضّاعين

(١) أخرجه من طريق أبي إسحاق السبيعي المذلس وقد مرت ترجمته في ج ٧ ص ٣٠٩ وأنه ضعيف جداً لا يحتج بحديثه ، عن أبي عبد الرحمن العثماني .

مناقب عثمان والنظر فيها ٣٧٩

المفضوحين ستر عليهم أسد بني مروان بذيل أمانته ، وراقه الإبقاء على كرامة الحديث بإسقاطهم ، وأسد بن موسى هو حفيد الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي قال النسائي مع توثيقه : لو لم يصنف كان خيراً له . وقال ابن يونس : حدّث بأحاديث منكراً وأحسب الآفة من غيره . وقال ابن حزم : منكر الحديث ضعيف . وقال عبد الحق : لا يُحتجُّ به عندهم^(١) (ومنها) :

٢٨ - أخرج أبو يعلى من وجه آخر فيه قال : فجاء عثمان بسبعمائة أوقية ذهب . ذكره ابن حجر في الفتح ج ٥ ص ٣١٥ وقال : ضعيف . وليته كان يذكره باسناده حتى كنّا نوقف الباحث على ترجمة رجاله الكذابين . (ومنها) :

٢٩ - أخرج ابن عدي من طريق عمّار بن هارون^(٢) أبي ياسر المستملي عن إسحاق بن ابراهيم المستملي عن أبي وائل عن حذيفة أن رسول الله ﷺ بعث إلى عثمان يستعينه في غزاة غزاها فبعث إليه عثمان بعشرة آلاف دينار فوضعها بين يديه فجعل يقلبها بين يديه ويدعوله : غفر الله لك يا عثمان ! ما أسررت وما أعلنت وما أخفيت وما هو كائن إلى يوم القيامة ، ما يبالي عثمان ما فعل بعدها .

ذكره ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٢١٢ ساكتاً عمّا في إسناده من العلل عاداته في فضائل من غمره حبّه ، وأورده ابن حجر في فتح الباري ج ٥ ص ٣١٥ فقال : سنّد ضعيف جداً . وقال في ج ٧ ص ٤٣ : سنده واهٍ . وذكره القسطلاني في المواهب اللدنية ج ١ ص ١٧٢ ساكتاً عن علله وعقبه الزرقاني بقول ابن حجر راجع شرح المواهب ج ٣ ص ٦٥ ، وستوافيك ترجمة بعض رجال الإسناد الضعفاء في هذا الجزء .

وذكر ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٢١٢ وقال : روى الحسن بن عرفة عن محمّد بن القاسم الأسدي الشامي عن الأوزاعي الشامي عن حسان بن عطية الدمشقي عن النبي ﷺ رسلاً أنه قال لعثمان : غفر الله لك ما قدّمت وما أخرت

(١) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٩٧ ، تهذيب التهذيب ج ١ ص ٢٦٠ .
(٢) في تاريخ ابن كثير : عمّار بن ياسر المستملي . والصحيح ما ذكرناه .

وما أسررت وما أعلنت وما كان منك وما هو كائنٌ إلى يوم القيامة .

قال الأُميني : لو لم يكن في إسناده هذه الاكذوبة المرسلة إلاَّ مُحَمَّد بن القاسم الذي كان عثمانياً كما قاله العجلي لكفاه وهناً ، أيخفى على ابن كثير المحتجُّ بها قول النسائي في مُحَمَّد بن القاسم : إنَّه ليس بثقة كذَّبه أحمد ؟ أم قول الترمذي : تكلم فيه أحمد وضعَّفه ؟ أم قول أبي حاتم : ليس بقوي لا يُعجني حديثه ؟ أم قول أبي داود : إنَّه غير ثقة ولا مأمون أحاديثه موضوعة ؟ أم قول ابن عدي : عامَّة ما يرويه لا يُتابع عليه ؟ أم قول البراء : حدَّث بأحاديث لم يُتابع عليها ؟ أم قول الدارقطني : كذاب ؟ أم قول ابن القاسم : أحاديثه موضوعة ليس بشيء ؟ أم قول البخاري عن أحمد : رمينا حديثه ؟ أم قوله في موضع آخر : كذَّبه أحمد ؟ أم قول ابن حبان : يروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم لا يجوز الاحتجاج به ؟ أم قول العقيلي : يُعرف ويُنكر ، تركه أحمد وقال : أحاديثه أحاديث سوء ؟ أم قول أبي أحمد الحاكم : ليس بالقوي عندهم ؟ أم قول البغوي : ضعيف الحديث ؟ أم قول الأزدي : متروك^(١) .

وهذا كافٍ في وهن السند وبطلانه ، وإن غضضنا الطرف عن بقيَّة ما فيه من الشاميِّين أعداء الحقِّ وأضداد العترة الطاهرة صلوات الله عليهم ، وما فيه من الإرسال الموهن للرواية ، ودع عنك ما في متنه ممَّا يضادُّ الاصول المسلَّمة من الترخيص في المعصية ممَّا هو كائنٌ إلى يوم القيامة ، فهو يوجب التجرِّي على المعاصي فيما يستقبل الرجل من الأيام ، وأيَّ إنسان غير معصوم يقال له : إنَّ كلَّ ما سوف ترتكبه من المآثم مغفورٌ لك . فلا تحدوه شهواته إلى توهين اقترافها ، واستسهال ركوبها ؟ والشهوة غريزة في الإنسان تقوده إلى مهاوي الهلكة كلَّ حين ، والمعصوم من عصمه الله تعالى .

نعم حقّاً يقال : إنَّ سيرة عثمان تُصدِّق هذه الرواية فإنَّها لا تشبه إلاَّ سيرة مَنْ رُخص بالمآثم ، وأذن لاقتحام الطامات والموبقات ، وبُشِّر بغفران هناته وعثراته ، فكان غير مكترث لمغبَّة فعالة ، ولا مبالٍ

(١) ميزان الاعتدال ج ٣ ص ١٢٢ ، تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤٠٧ .

بمعرة مقالته .

وهب أن الحسنات يذهبن السيئات من غير حقوق الناس والكبائر المخرجة عن الدين التي سلفت من الإنسان ، ولكن أي عمل بار في الشريعة «ولا أقول من أعمال عثمان فحسب» . يُبيح للمكلف السيئات فيما يأتي من عمره إلى يوم القيامة ويشهره بالمغفرة فيها جمعاء ؟ وليس في ميزان الأعمال ما هو أرجح من الإيمان ومع ذلك فهو غير ممتاز عما سواه بمغفرة ما يأتي به صاحبه في المستقبل ، وإنما يجب ما قبله ، ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم﴾^(١) ، ولألبطلت المواعيد والعقوبات المتوجه خطابها إلى المؤمنين أجمع .

وإننا لم نجد في أعمال عثمان عملاً باراً يستدعي هذه المغالاة الخارجة عن اصول الإسلام ، غير ما أنفقه على جيش العسرة إن صحَّ من ذلك شيء ، وما خسره على بئر رومة ، وقد علمت أن جيش العسرة أنفق عليه غيره ما هو أكثر مما أنفقه هو ، وما أكثر من حفر الآبار وكري الأنهار وسبل مياهها للمسلمين ، فلو كان عمل عثمان هذا يستدعي المغفرة إلى يوم القيامة لوجب أن يُغفر لاولئك الأقوام والامم ذنوبهم إلى ما بعد القيامة بفثام ، لكن الحظوظ ساعدت عثمان ولم تساعدهم . فتبصر واعجب .

وهل علمت الصحابة بهذا الغفران ثم نقموا عليه ما كان ينجم منه من هنات بعد هنات فلم يغفروها له مخالفين لله ولرسوله ﷺ وهم عدول ؟ أو أنهم سمعوا هذه الأفيكة ثم أودعوها في محفظة الأباطيل ؟ غير أن ظني بها أن ميلادها بعد واقعة الدار وأنها كانت في أصلاب الوضّاعين عند الحصارين ، وفي حشّ كوكب ، وفي مقبرة اليهود ، ولم تلدها بعد أمها العاقر ، حتى فسح المجال لاستيلادها على أيدي قوابل عهد معاوية فما بعد .

٣٠ - أخرج أحمد في مسنده ج ١ ص ٧٠ عن بهز أبي الأسود البصري عن أبي عوانة الوضّاح البصري عن حصين عن عمرو بن جاور البصري عن

(١) سورة محمد ؛ الآية : ٢ .

الأحنف بن قيس البصري قال : انطلقنا حُجَّاجاً فمررنا بالمدينة فبينما نحن في منزلنا إذ جاءنا آتٍ فقال : النَّاسُ من فزع في المسجد . فانطلقت أنا وصاحبي فإذا النَّاسُ مجتمعون على نفر في المسجد قال : فتخلَّلْتهم حتى قمت عليهم فإذا عليّ بن أبي طالب والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص قال : فلم يكن ذلك بأسرع من أن جاء عثمان يمشي فقال : أها هنا عليّ ؟ قالوا : نعم . قال أها هنا طلحة ؟ قالوا : نعم . قال : أها هنا سعد ؟ قالوا : نعم . قال : أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال : مَنْ يبتاع مربد بني فلان غفر الله له فابتعته فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : إنِّي قد ابتعته . فقال : إجعلها في مسجدنا وأجره لك ؟ قالوا : نعم . قال : أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال : مَنْ يبتاع بئر رومة . فابتعتها بكذا وكذا فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : إنِّي قد ابتعتها يعني بئر رومة فقال : إجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك ؟ قالوا : نعم . قال : أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم يوم جيش العسرة فقال : مَنْ يجهِّز هؤلاء غفر الله له فجهَّزتهم حتَّى ما يفقدون خطاماً ولا عقلاً ؟ قالوا : اللهم نعم . قال اللهم اشهد . اللهم اشهد . اللهم اشهد . ثم انصرف . وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ج ٦ ص ١٦٧ بالإسناد المذكور .

قال الأميني : زعم البصريُّون جند المرأة أنَّهم يسعهم تدارك تجمهر صلحاء البصرة على عثمان بتسطير أمثال هذه الأفائك المفتعلة ، وحسبوا أنَّهم يبرِّرون ساحة الرجل من تلکم الهنات الموبقة التي سجَّلها له التاريخ ، ذاهلين عن أنَّ صحَّة هذه الأساطير تزيد عليه وبالأ ، فبعدما سمع أعظم الصحابة حجاجه هذا ، وقرعت سمعهم تلکم المناشدات وما أصاخوا إليها ، وما زحزحوا عمَّا كانوا عليه من خذلانه إلى التآليب عليه إلى الواقعة فيه بكلِّ ما يوهنه ويُزريه إلى قتله إلى كسر أضالعه إلى رمي جنازته إلى دفنه في مقابر اليهود ، وبعدما أصرَّت الأمة على مقتته مجمعة على النقمة عليه وهي لا تجتمع على الخطأ كما يحسبون ، لم يبق للرجل أيُّ قيمة في سوق الاعتبار وإن اخلتقت يد الإفتعال له ألف أسطورة .

تحصَّل ممَّا قدَّمناه أنَّ الاجور المذكورة على تقدير الصحة كانت مرتبة على

مناقب عثمان والنظر فيها ٣٨٣

الأعمال ولم تكن حقوقاً ثابتة للرجال فهي تدور مع الأعمال إن لم يبطلها ما هو أقوى منها كما هو الحال في المقتضيات المقارنة بالموانع ، وكان معتقد القوم فيما استشهدهم عثمان أنها مقرونة بها ، فلذلك لم يقيموا لكل ما استشهدهم فيه وزناً إن كانت للمزاعم حقيقة . (ومنها) :

٣١ - أخرج البيهقي في السنن الكبرى ج ٦ ص ١٦٧ من طريق أبي إسحاق السبيعي عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : لما حُصر عثمان بن عفان رضي الله عنه وأحيط بداره أشرف على الناس فقال : أنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء فقال : اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد ؟ قالوا : اللهم نعم . قال : أنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال في غزوة العسرة : من ينفق نفقة متقبلة . والناس يومئذ معسرون مجهودون فجهزت ذلك الجيش من مالي ؟ قالوا : اللهم نعم . ثم قال : أنشدكم بالله هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بثمان فابتعتها بمالي فجعلها للغني والفقير وابن السبيل ؟ قالوا : اللهم نعم . في أشياء عددها .

في الإسناد أبو إسحاق السبيعي وقد مر في الجزء السابع ص ٣٠٩ : إنه مدلسٌ أفسد حديث أهل الكوفة ، ضعيفٌ جداً لا يحتج بحديثه . وأما أبو عبد الرحمن فهو عثماني لا يعول عليه ولا يركن إلى حديثه .

٣٢ - أخرج البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ١٠ عن المدائني عن عباد بن راشد البصري عن الحسن البصري قال : قال رسول الله ﷺ : من يجهز هذا الجيش بشفاعة مُتقبلة ؟ فقال عثمان : يا رسول الله بشفاعة متقبلة ؟ قال : نعم على الله ورسوله . قال : أنا أجهزهم بسبعين ألفاً .

قال الأُميني : هذا الجيش جهّزه الحسن البصري بعد سنين من وفاة النبي الأقدس وقد ولد الرجل لستين بقتاً من خلافة عمر ، ولعلّه نظر إلى ذلك الموقف واسترق السمع من وراء ستر رقيق في صلب أبيه ، أو أوعز بإرسال الرواية إلى بطلانها ، وغير بعيد أن يكون عباد بن راشد هو الذي تقوّل بها على الحسن وهو بريء منها . قال الدوري عن ابن معين : حديث عباد ليس بالقوي ولكن يكتب

(يعني للإعتبار) وقال الدورقي عن ابن معين : ضعيفٌ . وقال البخاري والأزدي : تركه يحيى القطان . وقال أبو داود : ضعيفٌ . وقال النسائي : ليس بالقوي . وقال ابن المديني : لا أعرف حاله . وقال ابن البرقي : ليس بالقوي . وقال ابن حبان كان ممن يأتي بالمناكير عن المشاهير حتى يسبق إلى القلب أنه كان المتعمد فبطل الإحتجاج به ، روى عن الحسن حديثاً طويلاً أكثره موضوع^(١) . (ومنها) :

٣٣ - أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص ٥٨ من طريق ابراهيم بن سعدان عن بكر بن بكار البصري عن عيسى بن المسيب عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : اشترى عثمان بن عفان من رسول الله ﷺ الجنة مرتين بيع الخلق : حين حفر بئر رومة ، وحين جهز جيش العسرة .

رجال الإسناد :

١ - بكر بن بكار أبو عمرو البصري قال ابن أبي حاتم : ضعيف الحديث سيء الحفظ له تخليط . وقال ابن معين : ليس بشيء . وقال النسائي : ليس بالقوي . وقال أيضاً ليس بثقة . وقال أبو حاتم : ليس بالقوي . وذكره العقيلي وابن الجارود والساجي في الضعفاء^(٢) .

٢ - عيسى بن المسيب . قال يحيى والنسائي والدارقطني : ضعيفٌ - وقال أبو حاتم وأبو زرعة : ليس بالقوي . وتكلم فيه ابن حبان وغيره . وقال أبو داود ضعيفٌ ، وقال يحيى بن معين أيضاً : ليس بشيء . وقال ابن حبان : يقلب الأخبار ولا يفهم ويخطيء حتى خرج عن حد الإحتجاج به .

[لسان الميزان ج ٤ ص ٤٠٥]

والباحث جدٌ عليم بأن الصحابة لم تكن على يقين من هذا البيع المزعوم وإلا لما تجمهروا على مقت الرجل وخذلانه ، ولم يكن عثمان نفسه على ثقة بذلك أيضاً وإلا لما كان حذيراً من أن يكون هو الملحد بمكة الذي عليه نصف عذاب أهل الأرض كما مر حديثه في هذا الجزء ص ١٨٢ . (ومنها) :

(١) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٩٢ .

(٢) ميزان الاعتدال ج ١ ص ١٦٠ . تهذيب التهذيب ج ١ ص ٤٨ ، لسان الميزان ج ٢ ص ٤٨ .

٣٤ - أخرج أحمد في المسند ج ٤ ص ٧٥ ، وأبو نعيم في الحلية ج ١ ص ٥٨ من طريقين أحدهما عن عبدالله بن جعفر عن يونس بن حبيب عن أبي داود . والآخر : عن فاروق بن الخطاب عن أبي مسلم الكجي عن حجاج بن نصر^(١) «أبي محمد البصري» قالاً حدثنا سكن بن المغيرة الأموي (البصري مولى آل عثمان) عن الوليد بن أبي هشام البصري عن فرقد بن أبي طلحة عن عبدالرحمن بن أبي خباب^(٢) السلمي البصري قال : خطب النبي ﷺ فحث على جيش العسرة فقال عثمان : عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها . قال : ثم حث فقال عثمان : عليّ مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها قال ثم حث فقال عثمان : عليّ مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها . فرأيت النبي ﷺ يقول بيده يحركها ما على عثمان ما عمل بعد هذا .

قال الأميني : هلاً مخبرٌ يخبرني عن هذا الصحابي البصري الذي لا يُعرف إلاّ بحديثه هذا ؟ ولا يعلم من تاريخ حياته شيءٌ غير اختلاقه هذه الرواية ، ولا يروي عن النبي الأعظم إلاّ هذه الخطبة المزعومة كما صرّح به ابن عبد البر في «الإستيعاب» ، وابن حجر في «الإصابة» ، لم يسمعها صحابي قط غيره منه عليه السلام .

ثم يخبرني ذلك المخبر عمّن انتهى إليه الإسناد أن فرقد بن طلحة ، من هو ؟ ومتى ولد ؟ وأين وأنى كان ؟ وما المعروف من ترجمته ؟ فكأنني به وهو يجيبني بما قاله عليّ بن المديني : لا أعرفه^(٣) .

وهل تخفى على إمام أو حافظ في الحديث آراء رجال الجرح والتعديل في حجاج بن نصير ؟ وقد ورد فيه قول ابن معين : ضعيف . وقول عليّ بن المديني : ذهب حديثه كان الناس لا يحدثون عنه ، وقول النسائي : ضعيف . وقوله أيضاً : ليس بثقة ولا يُكتب حديثه . وقول ابن حبان : يُخطئ ويهم . وقول العجلي : كان معروفاً بالحديث ولكنه أفسده أهل الحديث بالتلقين كان يلقي وأدخل في حديثه

(١) كذا في النسخ والصحيح : نصير بضم النون مصغراً .

(٢) كذا في النسخ والصحيح : عبدالرحمن بن خباب .

(٣) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٢٦٤ .

٣٨٦ الغدير ج - ٩

ما ليس منه فترك . وقول ابن سعد كان ضعيفاً . وقول الدارقطني والأزدي : ضعيفٌ : وقول أبي أحمد الحاكم : ليس بالقويّ عندهم . وقول الأجري عن أبي داود : تركوا حديثه . وقول ابن قانع : ضعيفٌ لئن الحديث^(١) .

وإنّي أحسب أن الآفة من سكن بن المغيرة وأنه أدّى حقوق آل عثمان - وهو مولاهم - باختلاق هذه المنقبة لعثمان ، ولا ينافي ذلك كونه صالحاً إمام جمعة وجماعة ، وكم وكم من صلحاء وضّاعين ، ومن أئمة كذابين ؟ راجع الجزء الخامس من كتابنا هذا سلسلة الكذابين والوضّاعين . و(منها) :

٣٥ - أخرج أبو نعيم في الحلية ج ١ ص ٥٩ من طريق عمر بن هارون البلخي عن عبدالله بن شوذب البصري ثمّ المقدسي عن عبدالله بن القاسم عن كثير بن أبي كثير البصري مولى سمرة^(٢) عن عبدالله بن سمرة عامل معاوية بن أبي سفيان على البصرة قال : كنت مع رسول الله ﷺ في جيش العسرة فجاء عثمان بألف دينار فنثرها بين يدي رسول الله ﷺ ثمّ ولّى قال : فسمعت رسول الله ﷺ وهو يقلّب الدنانير وهو يقول : ما يضرّ عثمان ما فعل بعد هذا اليوم .

وفي لفظ أحمد في المسند ج ٥ ص ٦٣ : ما ضرّ ابن عقّان ما عمل بعد اليوم . يردّها مراراً .

وذكره ابن الجوزي في التبصرة كما في تلخيصها قرّة العيون المبصرة ج ١ ص ١٧٩ .

قال الأميني ألا تعجب من حفاظ يروون عن كذاب خبيث مرسلين روايته إرسال المسلم يمرّون بها كراماً ؟ أي قيمة في سوق الإعتبار لرواية جاء بها عمر بن هارون ؟ وقد جاء فيه قول ابن سعيد : كتب الناس عنه كتاباً كبيراً وتركوا حديثه وقول البخاري : تكلم فيه يحيى بن معين وقال : عمر بن هارون كذاب قدم مكّة وقد مات جعفر بن محمّد فحدّث عنه . وقول ابن أبي حاتم : سألت أبي عنه فقال : تكلم فيه ابن المبارك فذهب حديثه ، قلت لأبي : إنّ الأشجّ حدّثنا عنه فقال : هو

(١) تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٠٩ .

(٢) وفي مسند أحمد : مولى عبدالرحمن بن سمرة عن عبدالرحمن بن سمرة .

مناقب عثمان والنظر فيها ٣٨٧

ضعيف الحديث نخسه ابن المبارك نخسة . وقول قتيبة : قلت لجريز : إنَّ عمر بن هارون حدَّثنا عن القاسم بن مبرور قال : نزل جبريل على النبي ﷺ فقال : إنَّ كاتبك هذا أمين (يعني معاوية) فقال جريز إذهب إليه فقل له : كذبت . رواها العقيلي . وعن أحمد أنَّه قال : لا أروي عنه شيئاً وقد أكثرت عنه . وقول ابن مهدي : لم يكن له عندي قيمة حدَّثني بأحاديث فلما قدم مرةً أخرى حدَّث بها عن ابن عباس عن أولئك فتركت حديثه . وقول أبي زكريا : عمر بن هارون : كذابٌ خبيثٌ ليس حديثه بشيء ، قد كتبت عنه وبُتُّ على بابه وذهبنا معه إلى النهروان ، ثمَّ تبَّينَ لنا أمره فحرَّقت حديثه ما عندي عنه كلمة . وقول ابن محرز عن ابن معين : ليس هو بثقة وبنحوه قال الغلابي عنه . وقال عنه مرةً : ضعيفٌ . وقول أبي داود عنه : غير ثقة . وقول ابن أبي خيثمة وغيره عن ابن معين : ليس بشيء : وقول جعفر الطيالسي عن ابن معين : يكذب . وقول عبدالله بن علي بن المديني : سألت أبي عنه فضعَّفه جدًّا . وقول إبراهيم بن موسى : الناس تركوا حديثه . وقول الجوزجاني : لم يقنع الناس بحديثه . وقول النسائي وصالح بن محمَّد وأبي علي الحافظ : متروك الحديث . وقول الساجي فيه ضعفٌ وقول الدارقطني : ضعيفٌ . وقول أبي نعيم : حدَّث بالمناكير لا شيء^(١) وقول العجلي : ضعيفٌ . وقول ابن حبان : يروي عن الثقات المعضلات ويدَّعي شيوخاً لم يرههم^(٢) .

وفي الإسناد : كثير بن أبي كثير ذكره العقيلي في الضعفاء ، وقال ابن حزم وعبد الحق : إنَّه مجهولٌ ، ولو كان لتوثيق العجلي الرجل وزنٌ لما جهله الحافظان ولم يضعَّفه العقيلي ، وأيّ قيمة لثقة العجلي وهو يوثِّق عمر بن سعد قاتل الإمام السبط الشهيد ونظرائه من المهتوكين المفضوحين ؟

وفي طريق أحمد مضافاً إلى كثير ضمرة بن ربيعة وقد مرَّ فيه قول الساجي : صدقٌ يهم ، عنده مناكير . وروى ضمرة عن الثوري عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر حديثاً أنكره أحمد وردَّه ردًّا شديداً . وقال : لو قال رجلٌ : إنَّ هذا كذبٌ لما

(١) ليت أبي نعيم كان على ذكر من رأيه هذا في الرجل حين أخرج من طريقه هذه المنقبة المزيفة .

(٢) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٥٠٢ - ٥٠٥ .

٣٨٨ الغدير ج - ٩

كان مخطئاً وأخرجه الترمذي وقال : لا يُتابع ضمرة عليه وهو خطأ عند أهل الحديث .

فهذه مكانة الرجل من الرواية وإن كان ثقةً مأموناً ، وأكبر الظن أن الآفة في هذه الرواية من ابن سمرة وأنه اختلقها تقريباً إلى اعطيات معاوية وهباته التي كانت تصل من دون وزن وكيل إلى وضاعي الأحاديث ورجال الاختلاق الذين لا خلاق لهم . (ومنها) :

٣٦ - عن مسعر عن عطية عن أبي سعيد قال : رأيت رسول الله ﷺ من أول الليل إلى أن طلع الفجر رافعاً يديه لعثمان يقول : اللهم عثمان رضيت عنه فارض عنه .

ذكره ابن الجوزي في كتابه (التبصرة) كما في تلخيصه^(١) ج ١ ص ١٧٩ مرسلًا إياه إرسال المسلم ، وهو أول حديث ذكره في فضائل عثمان ، وذكره الواحدي في أسباب النزول مرسلًا ص ٦١ فزاد : فأنزل الله تعالى فيه : ﴿الَّذِينَ ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾^(٢) وذكره ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٢١٢ ولم يذكر من رجال إسناده إلا الثلاثة المذكورة ولعل هو ومن رواه مرسلًا وجدوا في سلسلة السند أناساً ساقطين لا يعاب بهم ولا يحتج بحديثهم ، وما راقهم إبطال هذه المنقبة بإبداء علله بذكر أولئك الرجال .

ومن العجب العجيب هذا الدؤوب منه ﷺ من أول الليل إلى منتهى الفجر على الدعاء لعثمان الذي فوّت عليه مرغباته وفرائضه ، فإن صلاة الليل والوتر كانت فريضة عليه ﷺ دون الأمة^(٣) ولا أدري هل نزل عليه ﷺ وحيً جديدًا يأمره باستبدال نوافله وفرائضه في تلك الليلة بدعاء عثمان ؟ أو ماذا كان فيها ؟ نعم : الذي يظهر من السيوطي في الخصائص الكبرى ج ٢ ص ١٦٤ - ١٧٠ ، إن ذلك الوحي لم ينزل ، وإن الدعاء لعثمان لم يكن فضلاً عن استيعابه الليل كله فإنه ذكر

(١) الموسوم بقرّة العيون المبصرة تأليف الشيخ أبي بكر ابن الشيخ محمد الملا الحنفي .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية ٢٦٢ .

(٣) راجع الخصائص الكبرى ج ٢ ص ٢٢٩ .

مناقب عثمان والنظر فيها ٣٨٩

فيها كل من دعا له رسول الله ﷺ وسمّاهم حتى يهودياً سمّت لرسول الله ﷺ ولم يعدّ منهم عثمان .

ولو كان إنفاق عثمان في جيش العسرة موجباً للدعاء المستوعب ليله ﷺ كما يظهر من رواية الواحدي ، فإنفاق أبي بكر الذي أنفق كل ما كان يملكه ذات يده - كما يحسبه القوم - كان يراه رسول الله ﷺ أمن الناس عليه بماله (١) يستوجب دعاءً مستغرقاً ليله ونهاره ، فأين ؟ وأنى ؟ ولو كان كل إنفاق في مهمة يستدعي دعاء الليل فكان عليه ﷺ أن يقضي حياته ليلاً ونهاراً بالدعاء للمنفقين ، وما أكثرهم ؟ ولو كان ﷺ رافعاً يديه لعثمان فعليه ﷺ أن يديم رفعهما في الدعاء لأبي بكر ولرجال الأنصار المكثرين من الإنفاق في السلم والحرب ولغيرهم من أهل اليسار الذين بذلوا كنوزاً عامرة من الدرهم والدينار في مهام الإسلام المقدس والدعوة إليه والذب عنه .

وأما زيادة الواحدي من نزول الآية الكريمة في عثمان فقد فصلنا القول فيه وأنه لا يصح في الجزء الثامن ص ٥٧ . (بقية مناقب عثمان) .

٣٧ - قال ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٢١٢ : قال ليث بن أبي سليم (ابن زعيم القرشي مولاهم) : أول من خبص الخبيص عثمان خلط بين العسل والنقى ثم بعث به إلى رسول الله ﷺ إلى منزل أم سلمة فلم يصادفه فلما جاء وضعوه بين يديه فقال : من بعث هذا؟ قالوا : عثمان . قالت : فرّغ يديه إلى السماء فقال : اللهم إن عثمان يترضّاك فارض عنه .

وذكره السيوطي في مسامرة الأوائل ص ٨٧ نقلاً عن البيهقي وابن عساكر من طريق ليث .

قال الأميني : خبص بن زعيم هذا الخبيص لعثمان بعد لاي من وفاة رسول الله ﷺ وقد مات الرجل بعد المائة والأربعين من الهجرة ، ولم يدرك النبي ﷺ ، ولم نعرف الذي أخذ الرواية منه ممّن شهد قصعة الخبيص وحضر

(١) راجع ما مضى في ج ٧ ص ٣٤٤ وج ٨ ص ٥٥ ، ٨٢

٣٩٠ الغدير ج - ٩

مشهد الدعاء كما لا يُعرف أحدٌ من بقيّة رجال الإسناد ، فالرواية مرسلّة من الطرفين .

أمّا ابن زنيم فقد جاء فيه عن عبدالله بن أحمد قال : ما رأيت يحيى بن سعيد أسوأ رأياً منه في ليث وابن إسحاق وهمام ، لا يستطيع أحدٌ أن يراجعه فيهم . وقال ابن أبي شيبة وأبو حاتم والجوزجاني : كان ضعيف الحديث . وضعّفه ابن سعد وابن معين وابن عيينة . وقال أحمد وأبو حاتم أيضاً وأبو زرعة : مضطرب الحديث لا تقوم به الحجّة عند أهل العلم بالحديث . وقال يحيى : عامّة شيوخه لا يُعرفون . وقال ابن حبان : اختلط في آخر عمره فكان يقلّب الأسانيد ويرفع المراسل ، ويأتي عن الثقات بما ليس من حديثهم ، تركه القطان وابن مهدي وابن معين وأحمد . وقال أبو أحمد الحاكم ليس بالقويّ عندهم . وقال أبو عبدالله الحاكم : مُجمّع على سوء حفظه^(١) .

ألا تعجب من حافظ كابن كثير يذكر رواية هذا شأنها وهذه عللها وذلك متنها المعلول ويرسلها لإرسال المسلّم في مقام الحجاج ويعدّها من فضائل عثمان ، ويأتي إلى حديث المؤاخاة الصحيح الثبت المتواتر الوارد من طرق مسندة معننة في الصحاح ويتخلّص منه بقوله^(٢) : أسانيد كلّها ضعيفة لا يقوم بشيء منها حجّة . والله أعلم^(٣) ويروي في تاريخه ج ٧ ص ٣٥٧ نزول آية الولاية في عليّ عليه السلام فقال : هذا لا يصحّ بوجه من الوجوه لضعف أسانيد ، ولم ينزل في عليّ شيء من القرآن بخصوصيّته^(٤) حيّا الله الأمانة ، وقاتل الله الحبّ المعمي والمصمّ .

ولو كان عليه السلام يرفع يديه لكلّ هديّة ولو كانت لقمة خبيص ، للزمه أن لا

(١) تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٤٦٨ .

(٢) راجع تاريخ ابن كثير البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٣٥ .

(٣) مَرّ حديث المؤاخاة بطرقها المفصلة في ج ٣ ص ١٨٤ - ٢٠٠ ومَرّ الإيعاز إليه في هذا الجزء صفحة ٣٥٩ .

(٤) أسلفنا في ج ٣ ص ١٩٨ ، ٢٠٠ تفصيل القول في نزول الآية في عليّ عليه السلام ، وصحة روايته ، وإطباق الفقهاء والمتكلمين والمحدثين والمفسرين على ذلك .

مناقب عثمان والنظر فيها ٣٩١

ينزلهما في أغلب أوقاته لكثرة الهدايا إليه وكثرة مُهديها ، ولم تكن لعثمان ولخييصه خاصّة توجب أداء حقّها دون المؤمنين عامّة وهداياهم .

٣٨ - أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٦ ص ٣٢١ من طريق عبدالله بن الحسن بن أحمد عن يزيد بن مروان الخلّال عن إسحاق بن نجيح الملطي عن عطاء عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إنَّ لكلَّ نبيٍّ خليلاً من أمّته وإنَّ خليلي عثمان بن عفان .

قال الأميني : حسبك من عرفان رجال الإسناد كذابان : الخلّال والملطي ، أمّا الخلّال فقال يحيى بن معين : الخلّال كذابٌ . وقال الدارمي : وقد أدركته وهو ضعيفٌ قريبٌ ممّا قال يحيى . وقال أبو داود . ضعيفٌ . وقال الدارقطني : ضعيفٌ جداً^(١) .

هذا مجمل القول في الخلّال وأمّا الملطي فقال أحمد : إسحاق من أكذب الناس وقال ابن معين : كذابٌ عدوّ الله رجلٌ سوء خبيث . وقال ابن أبي شيبة عنه : كان ببغداد قومٌ يضعون الحديث منهم إسحاق بن نجيح . وقال ابن أبي مريم إنّه من المعروفين بالكذب ووضع الحديث . وقال عمرو بن علي : كذابٌ كان يضع الحديث . وقال الجوزجاني : غير ثقة ولا من أوعية الأمانة . وقال ابن عدي : أحاديثه موضوعات وضعها هو وعامة ما أتى عن ابن جريح بكلّ منكر ووضع عليه ، وهويّين الأمر في الضعفاء وهومّين يضع الحديث . وقال النسائي : كذابٌ . وقال ابن حبان : دجالٌ من الدجاجة يضع الحديث صراحاً . وقال البرقاني : نُسب إلى الكذب . وقال الجوزقاني كذابٌ وضاعٌ لا يجوز قبول خبره ولا الإحتجاج بحديثه ويجب بيان أمره . وقال أبو سعيد : مشهور بوضع الحديث . وقال ابن طاهر . دجالٌ كذابٌ . وقال ابن الجوزي : أجمعوا على أنّه كان يضع الحديث^(٢) .

ومن العجب سكوت الخطيب عن هذه الرواية وعمّا في إسنادها من العلل

(١) ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٣١٨ ، لسان الميزان ج ٦ ص ٢٩٣ .

(٢) تاريخ الخطيب ج ٦ ص ٣٢١ - ٣٢٤ ، تهذيب التهذيب ج ١ ص ٢٥٢ .

وقد ذكر هو كثيراً من آراء الحفاظ المذكورة في ترجمة إسحاق ولعله اكتفى بذكرها عن تفنيد الرواية صريحاً ، وكان مفتعلها لم يقف على المفتعلة الاخرى المرفوعة : لكل نبي خليل وخليلي سعد بن معاذ^(١) ويضاد كلاهما ما جاء به البخاري في صحيحه ج ٥ ص ٢٤٣ من القول المعزوف إلى رسول الله ﷺ : لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر . وقد قدمنا الكلام حول ذلك في الأجزاء الماضية وأنه موضوع مختلف أيضاً .

٣٩ - روى ابن أبي الدينا بسنده عن فاطمة بنت عبد الملك قالت انتبه عمر «ابن عبدالعزيز» ذات ليلة وهو يقول: لقد رأيت الليلة رؤيا عجيبة . فقلت : أخبرني بها فقال : حتى نصبح . فلما صلى بالمسلمين دخل فسألته فقال : رأيت كأنني دُفعت إلى أرض خضراء واسعة كأنها بساط أخضر وإذا فيها قصر كأنه الفضة فخرج منه خارج فنادى : أين محمد بن عبدالله ؟ أين رسول الله ؟ إذ أقبل رسول الله ﷺ حتى دخل ذلك القصر ، ثم خرج آخر فنادى : أين أبو بكر الصديق ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخر فنادى : أين عمر بن الخطاب ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخر فنادى : أين عثمان بن عفان ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخر فنادى : أين علي بن أبي طالب ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخر فنادى : أين عمر بن عبدالعزيز ؟ فقامت فدخلت فجلست إلى جانب أبي^(٢) عمر بن الخطاب وهو عن يسار رسول الله ﷺ وأبو بكر عن يمينه وبينه وبين رسول الله ﷺ رجل فقلت لأبي : من هذا ؟ قال : هذا عيسى بن مريم ، ثم سمعت هاتفاً يهتف بيني وبينه نوراً لا أراه ، وهو يقول : يا عمر بن عبدالعزيز ! تمسك بما أنت عليه واثبت على ما أنت عليه ، ثم كأنه أذن لي في الخروج فخرجت فالتفت فإذا عثمان بن عفان وهو خارج من القصر وهو يقول : الحمد لله الذي نصرني ربّي . وإذا علي في أثره وهو يقول : الحمد لله الذي غفر لي ربّي . وذكره ابن كثير في تاريخه ج ٩ ص ٢٠٦ .

قال الأميني : أنا لا أزال أرحبُ بقوم يُحاولون إثبات الحقائق بالأطيف ،

(١) كنز العمال ج ٦ ص ١٨٣ ، منتخب الكثر هامش مسند أحمد ج ٥ ص ٢٣١ .

(٢) عمر بن الخطاب جد عمر بن عبدالعزيز من أمه ام عاصم ليلي بنت عاصم بن عمر بن الخطاب

مناقب عثمان والنظر فيها ٣٩٣

ويجابهون ما ثبت في الخارج بالخيال ، فتصوّر لهم ريشة الأوهام عثمان منزهاً عن كل وصة عرفت فيها الصحابة العدول من أمة محمد الناظرين إليه من كتب والمشاهدين أعماله الناقمين عليه بها ، وقد أهدروا دمه من جرّائها ، وهم الذين يُقتدى بهم وبأقوالهم وأفعالهم عند القوم ويُحتذى مثالهم ، وبأمثال هذه السفاسف يُجرؤون البسطاء على التورط في المآثم بالنظر إلى هذا الإنسان المغمور فيها في نظرة مكبرة تُريه منزهاً عن دنس كل حوب ، منصوراً من الله بعد أن خذلته الصحابة جمعاء .

ولهم هناك نظرة أخرى تصوّر المنظور إليه من إمام المسلمين وسيّد الخلفاء خير البشر بعد رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام إلى حدّ أثبتوا له ذنباً مغفوراً له .

ألا من مسائل إيتاهم عن أنّه متى صدر هذا الذنب عن إمام المسلمين ؟ أحين عدّه النبي ﷺ نفسه كما في الذكر الحكيم ؟ أم حين طهره الجليل بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ أم حين قرن ولايته بولايته وولاية نبيه ﷺ بقوله سبحانه : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ ؟ ^(١) أم حين أكمل بولايته الدين وأتم نعمته على المسلمين بقوله عزّ من قائل : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴾ ^(٢) .

أم حين جعله ﷺ أولى بالناس من أنفسهم كما هو أولى بهم من أنفسهم فرشحه للخلافة الكبرى في حديث الغدير المتواتر المقطوع بصدوره ؟ أم حين جعله عدل القرآن في حديث الثقلين الثابت المتواتر ؟ أم حين أنزله من نفسه بمنزلة هارون من موسى ، وفصل بينه وبين نفسه بالنبوة فحسب فقال : إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ^(٣) ؟ أم إلى ألف أم .

(١) راجع ما أسلفناه في الجزء الثالث ص ١٩٨ - ٢٠١

(٢) راجع ما أسلفناه في الجزء الأول ص ٢٧٦ - ٢٨٥

(٣) راجع ما مرّ في الجزء الثالث ص ٢٤٩ - ٢٥٢

على أنه سلام الله عليه كان جلس بيته والناس متجمعون على عثمان لا يشاركون في شيء من أمره ، ولعل في الفئة المهملة من يعد ما كان ينوء به الإمام عليه السلام من نهى عثمان عما نقم عليه به من هنات وعثرات وأمره إياه بالمعروف والعمل بالكتاب والسنة فلا يجد منه أذناً مصيخة حتى قال : ما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك ، أذهبت شرفك وغلبت على أمرك^(١) ، ذنباً مغفوراً له ، ويعدّه تقويةً لجانب الثائرين على الرجل ، وما هو من ذلك بشيء ، وإنما أراد عليه السلام كشف المثالات عنه بإفلاعه عما كان يرتكبه من الموبقات ولكن على حدّ قول الشاعر :

أمرتكم أمري بمنعرج اللوا فلم تستبين النصيح إلا ضحى الغد
أو على حدّ قوله :

وكم سقت في آثاركم من نصيحة وقد يستفيد الظنة المنتصح
فزه زه بهذه المعرفة وحيا الله العلم الناجع الذي يرى صاحبه الواجب ذنباً والمذنب منصوراً .
وأحسب أن الذي افتعل هذه الكذوبة الخيالية رجل من بسطاء الأكراد أو الأعجام البعداء عن العربية وإلا فالعربي الصميم لا يقول : الحمد لله الذي نصرني ربّي ، والحمد لله الذي غفر لي ربّي .
ولعمر بن عبدالعزيز منام أشنع من هذه المهزأة يحوي فصل الخصومات الواقعة بين الإمام أمير المؤمنين ومعاوية بن هند ، أخرجه أبو بكر بن أبي الدنيا أيضاً بالإسناد عن عمر بن عبدالعزيز قال : رأيت رسول الله ﷺ في المنام وأبو بكر وعمر جالسان عنده فسلمت عليه وجلست ، فبينما أنا جالس إذا أتني بعلي ومعاوية ، فأدخلا بيتاً وأجيف الباب وأنا أنظر ، فما كان بأسرع من أن خرج علي وهو يقول : قضي لي ورب الكعبة ثم ما كان بأسرع من أن خرج معاوية وهو يقول : غفر لي ورب الكعبة^(٢) .

(١) راجع ما مر في هذا الجزء ص ٢٠٣ - ٢٠٦ .

(٢) تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ١٣٠ .

مناقب عثمان والنظر فيها ٣٩٥

يظهر من الجمع بين المنامين أنَّ موقف أمير المؤمنين عليٍّ من عثمان كان كموقف معاوية من عليٍّ صلوات الله عليه، موقف الخروج على إمام الوقت، موقف البغي والجور، لا ضير إنَّنا إلى ربِّنا منقلبون، والله هو الحَكَم العدل يوم لا ينفع طيف ولا خيال.

٤٠ - أخرج البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٣ من طريق سعيد بن خالد عن صالح بن كيسان «أمويُّ النزعة مؤدَّب ولد عمر بن عبدالعزيز» عن سعيد بن المسيب قال: نظر رسول الله ﷺ إلى عثمان فقال: هذا التقيُّ المؤمن الشهيد شبيهه إبراهيم.

قال الأميني: كأنَّ سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي، أو سعيد بن خالد الخزاعي المدني المجمع على ضعفه لم يجد في صحابة النبيِّ الأقدس من يتحمَّل عبء هذا السرف من القول والغلوِّ في الفضيلة فتركه مرسلاً مقطوع العرى بين سعيد بن المسيب المولود بعد سنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطاب وبين رسول الله ﷺ.

لعلَّ الباحث بعد قراءة ما سردناه من سيرة الممدوح وآراء الصحابة فيه وإصفاق الأمة على النعمة عليه بأفعاله وتركه الشاذَّة عن التقوى لا يخفى عليه أنَّ تشبيه الرجل بإبراهيم النبيِّ ﷺ جناية على المعصومين وسفه من القول وترة، نعوذ بالله من التَّقُول بلا تعقل.

ولو كان التشبيه بمن كان من الأنبياء مقتولاً لأمكن أن يتصوَّر له وجه شبه ولو مع ألف فارق. غير أنَّ نوبة الظلم عند وضع هذا الحديث كانت قد انتهت إلى خليل الله سلام الله عليه.

وإنَّني أحسب أنَّ مُصحح هذه المhezأة قرع سمعه حديث التشبيه الوارد في مولانا أمير المؤمنين المذكور في الجزء الثالث ص ٤٢٦ - ٤٣١ وراقه من ذلك تشبيهه بخليل الرَّحْمَن فحابی الرجل بذلك، وقد أعماه الحبُّ عن عدم وجود وجه شبه ولو من جهة واحدة مع التَّمَحُّل بين نبيِّ معصوم خُصَّ بفضيلة الخلَّة من المولى سبحانه وبين مَنْ قُتل دون هَناته وسقطاته.

أنا لا أدري أن هتاف النبي ﷺ هذا الذي سمعه سعيد بن المسيب المولود بعده هل سمعته عائشة ومع ذلك كانت تهتف بقولها : اقتلوا نعثلاً قتله الله فإنه قد كفر . ويقولها لابن عباس : يا ابن عباس ! إن الله قد آتاك عقلاً وفهماً وبياناً فأياك أن ترد الناس عن هذا الطاغية . ويقولها : ددت والله أنه في غرارة من غرائري هذه وأنا طوّقت حملي حتى ألقيه في البحر ، ويقولها لمروان : وددت والله أنك وصاحبك هذا الذي يعينك أمره في رجل كل واحد منكما رحاً وأنكما في البحر . ويقولها للداخلين إليها : هذا ثوب رسول الله ﷺ لم يبل وعثمان قد أبلى سنته . ويقولها لما بلغها نعيه : أبعد الله ذلك بما قدّمت يداه وما هو بظلام للعبيد . ويقولها : أبعد الله قتله ذنبه . وأقاده الله بعمله . يا معشر قريش ! لا يسومنكم قتل عثمان كما سام أحمر ثمود قومه^(١) .

وهل سمع حديث التشبيه في عثمان أولئك الصحابة الذين سمعت أقوالهم وأفعالهم حول الرجل ؟ أو أن الحديث كان باطلاً فلم يسمعه أحد منهم ؟ الحكم في ذلك أنت أيها القارئ الكريم .

وأخرج رواة السوء من طريق عائشة في التشبيه ما هو أعظم من هذا وأهتك لناموس الإسلام ونبية الأقدس وإليك نصّه :

عن المسيّب بن واضح السلمي الحمصي ، عن خالد بن عمرو بن أبي الأخيل السلفي الحمصي ، عن عمرو بن الأزهر العتكي البصري قاضي جرجان ، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما زوج النبي ﷺ أمّ كلثوم قال لأمّ أيمن خذي بنتي وزفيها إلى عثمان واخفقي بالدف . ففعلت فجاءها النبي ﷺ بعد ثلاثة فقال : كيف وجدتِ بعلي ؟ قالت : خير رجل . قال : أما إنه أشبه الناس بجذك إبراهيم وأبيك محمد^(٢) .

ذكره الذهبي في ميران الاعتدال في ترجمة عمرو بن الأزهر فقال : هذا موضوع . نحن نقول : رجال الإسناد :

(١) راجع ما مضى في هذا الجزء من حديث عائشة ص ١٠١ - ١١١ .

(٢) ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٨١ ، لسان الميزان ج ٤ ص ٣٥٣ .

مناقب عثمان والنظر فيها ٣٩٧

١ - المسيب بن واضح ، قال أبو حاتم : صدوقٌ يخطئ كثيراً فإذا قيل له لم يقبل وقال الدارقطني : ضعيف . وقال الساجي : تكلموا فيه في أحاديث كثيرة . وقال عبدان : هو وعبد الوهّاب بن الضحاك كلاهما سواء^(١) وعبد الوهّاب كما مرّ في الجزء الخامس ص ٢٤٢ / ط ٢ : كذابٌ يضع الحديث متروكٌ كثير الخطأ والوهم وكان معروفاً بالكذب في الرواية .

٢ - خالد بن عمرو ، كذّبه الفريابي ، ووّهاه ابن عدي وغيره ، وقال الدارقطني : ضعيفٌ . وقال ابن عدي : له أحاديث مناكير . وذكر الذهبي حديثاً من طريقه فقال : باطلٌ ومن بلایا الأخيل حديثٌ كذب في مشيخة ابن شاذان^(٢) .

٣ - عمرو بن الأزهر العتكي ، قال أبو سعيد الحدّاد : كان يكذب مجاوبة ، وعن ابن معين أنّه ليس بثقة ضعيفٌ ، وقال البخاري : يُرمى بالكذب . وقال النسائي وغيره متروكٌ ، وقال أحمد : كان يضع الحديث . وقال عباس الدوري عن يحيى : كان كذاباً ضعيفاً . وقال الدولابي : متروك الحديث . وقال الجوزجاني : غير ثقة . ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٨١ ، لسان الميزان ج ٤ ص ٣٥٣ .

وأعطف إلى هذه المكذوبة ما أخرجه ابن عدي من طريق زيد بن الحريش عن عمرو بن صالح قاضي رامهرمز عن العمري عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : إنّنا نشبه عثمان بأبينا إبراهيم .

قال الذهبي : منكرٌ جدّاً ، وقال ابن عدي في ذكر عمرو بن صالح بعد هذا الحديث وله غير هذا ممّا لا يُتابع عليه .

٤١ - أخرج البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٧ عن الحسين بن عليّ بن الأسود عن عبد الرحمن قال : قمت في الحجر فقلت : لا يغلبني عليه أحدٌ الليلة فجاء رجلٌ من خلفي فغمزني فأبيت أن ألتفت ، ثم غمزني فأبيت أن ألتفت ، ثم غمزني الثالثة فالتفت فإذا عثمان فتأخّرت عن الحجر فقرأ القرآن في ركعة ثم انصرف .

(١) ميزان الاعتدال ج ٣ ص ١٧١ ، لسان الميزان ج ٦ ص ٤١ .

(٢) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٩٩ ، تهذيب التهذيب ج ٣ ص ١١٠ .

وأخرجه أبو نعيم بالإسناد في حلية الأولياء ج ١ ص ٥٦ ، ٥٧ ولفظه : قال عبد الرحمن : لأغلبن الليلة على المقام ، فلما صليت العتمة تخلّصت إلى المقام حتى قمت فيه قال : فبينما أنا قائم إذا رجل وضع يده بين كتفي فإذا هو عثمان بن عفان . قال : فبدأ بأمر القرآن فقرأ حتى ختم القرآن فركع وسجد ، ثم أخذ نعليه فلا أدري أصلى قبل ذلك شيئاً أم لا ؟ .

قال الأميني : سل عن راوي هذه الفضيلة الحافظ ابن عدي أنه قال قال الحسين بن عليّ كان يسرق الحديث ، وأحاديثه لا يُتابع عليها وسل عنه الأزدي فإنه قال : إنه ضعيف جداً يتكلمون في حديثه . وسل عنه أحمد إمام الحنابلة فإنك تسمع منه ما سمعه أبو بكر المروزي لما سأله عنه من قوله : لا أعرفه^(١) .

ثم هلمّ معي نسائل عبد الرحمن التيمي هلاً كان من واجبه أن يُخبر ابن عمّه طلحة بن عبيد الله التيمي بهذه السيرة الصالحة يوم ضيق على صاحبها الخناق ، وضائق عليه الأرض بما رحبت ، يوم هتك حرمة ، وأباح دمه ، وأورده المنيّة ، ومنع جنازته عن أن تُدفن في مقابر المسلمين ؟ .

ولنا أن نسائل الممدوح «عثمان» ألم يكن في الجحر مكاناً يسعه إلا موقف عبد الرحمن ؟ وهل كان له أن يغمز الرجل مرّة بعد أخرى وهو في محراب الطاعة ؟ أو أن يزيحه عن مكانه والوقف لمن سبق ؟ وقد جاء في السنة الشريفة من طريق جابر مرفوعاً : لا يقيم أحدكم أخاه يوم الجمعة ثم ليخالف إلى مقعده فيقعده فيه ولكن يقول : أفسحوا [صحيح مسلم ج ٧ ص ١٠] .

ومن طريق ابن عمر مرفوعاً : لا يقيم الرجل الرجل من مقعده ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسّعوا . وزاد في حديث ابن جريج قلت : في يوم الجمعة ؟ قال : في الجمعة وغيرها . صحيح مسلم ج ٧ ص ١٠ ، مسند أحمد ج ٢ ص ٢٢ ، صحيح البخاري ج ٢ ص ٩٤ .

وفي لفظ لمسلم : لا يقيم أحدكم أخاه ثم يجلس في مجلسه .

(١) راجع تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٤٣ .

مناقب عثمان والنظر فيها ٣٩٩

قال النووي في شرح مسلم هامش إرشاد الساري ج ٨ ص ٤٧٩ : هذا النهي للتحريم فمن سبق إلى موضع مباح في المسجد وغيره يوم الجمعة أو غيره لصلاة أو غيرها فهو أحقّ به ، ويحرم على غيره إقامته منه لهذا الحديث .

وقال القسطلاني في إرشاد الساري ج ٢ ص ١٦٩ : ظاهر النهي التحريم فلا يُصرف عنه إلاّ بدليل ، فلا يجوز أن يقيم أحداً من مكانه ويجلس فيه ، لأنّ من سبق إلى مباح فهو أحقّ به ، ولأحمد^(١) حديث أنّ الذي يتخطى رقاب الناس أو يفرّق بين إثنين بعد خروج الإمام كالجارّ قصبه^(٢) في النار ، والفرقة صادقة بأن يزحزح رجلين عن مكانهما ويجلس بينهما .

وقال الشوكاني في نيل الأوطار ج ٣ ص ٣٠٦ . من سبق إلى موضع مباح سواء كان مسجداً أو غيره في يوم الجمعة أو غيرها لصلاة أو غيرها من الطاعات فهو أحقّ به ، ويحرم على غيره إقامته منه والقعود فيه .

فإقامة عثمان عبد الرحمن من مكانه الذي كان هو أحقّ به وغمره إيّاه مرّة بعد أخرى محظور محرّم شاذّ عن السنّة الثابتة .

ثم هل تسع الليلة لقراءة القرآن ختمة واحدة ؟ ولعلّها تسع بالتمحّل من كون الليلة من ليالي الشتاء الطويلة ، ومن قدوم عثمان الحجر بعد فريضة العشاء بلا فصل ، وأنّه كان طلق اللسان خفيفه ، وإن كنّا لا نعلم شيئاً من ذلك .

أليس عثمان هذا هو الذي صعد المنبر وأرتج عليه وقام مليّاً لا يتكلّم فقال : إنّ أبا بكر وعمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالاً وإني لم أزوّر له خطبة ولا أعددت له كلاماً وسنعود فنقول^(٣) : أيّ خطيب يعوزه الكلام ويفتقر إلى تزوير مقال وفي ذاكرته كلام الله المجيد ، وفيه بلغة وكفاية عن كلّ تلفيق وترميق وترميغ .

وهلّا كان على الرجل أن يعمل بالقرآن الذي كان يختمه في صلاته ؟ ألم يك في قرآنه قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغير ما اكتسبوا فقد

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج ٣ ص ٤١٧ .

(٢) القصب بضم القاف : الظهر ، المعى ، ج : أقصاب .

(٣) راجع الجزء الثامن ص ١٩٩ ، ٢٠٠ .

٤٠٠ الغدير ج - ٩

احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً^(١) أو لم يكن أبو ذر وعَمَّار وابن مسعود والأمة الصالحة أمثالهم من المؤمنين ؟ وقد آذاهم بالنفي والضرب والتنكيل وبكل ما كان يمكنه .

أما كان فيه قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ؟ وقد آذى الرسول في كريمته أم كلثوم باقترافه ليلة وفاتها . وبإيواء من طرده ولعنه . وبإزراء صحابته الأكرمين وفي مقدمهم ابن عمه الطاهر . وبتبديل سنته والحياد عن محبته .

أما كان فيه قوله تعالى : ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ؟ وقد خالف الله ورسوله ولم يطعهما ونبذ الكتاب والسنة وراء ظهره في غير موضع من الأموال والصدقات والزكاة والصلاة والصَّلَاتِ والقِطَاعِ والأوقاف والحجَّ والنكاح والحدود والديات^(٢) .

أما كان فيه ذكرٌ لحدود الله ؟ أو لم يكن فيه قوله سبحانه : ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ؟ وقد تعدَّى الحدود ، ونسي العهود ، ونقض التوبة ، وحنت الإل ، وجاء بما لا يُحمد عقباه ، وأتى بنهاير أوردته القتل الذريع ، وجرت عليه الوليات كما جرتُها على الأمة حتى اليوم .

أما كانت في قرآنه آية المباهلة أو آية التطهير ؟ والله يعدُّ في الأولى علياً نفس النبي الأعظم ، ويظهره من الرجس بالثانية كما طهر نبيّه . وكان عثمان يرى مروان لعين رسول الله وطريده أفضل منه ^{بالتلخيص} (٣) .

وليت الرجل ترك تلك التلاوة المتعبة والتزم بالعمل بالقرآن الكريم وأقام حدوده واقتصر من التلاوة على ما تيسر .

٤٢ - أخرج البلاذري في «الأنساب» ج ٥ ص ٧ عن خلف البزار عن عبد الوهاب بن عطاء^(٤) الخفاف البصري عن سعيد بن أبي عروبة أبي النضر

(١) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٥٨ .

(٢) فصلنا القول في ذلك كله في الجزء الثامن .

(٣) مضى حديثه في الجزء الثامن ص ٣٤٦

(٤) في النسخة : عبد الوهاب عن عطاء والصحيح ما ذكرناه .

مناقب عثمان والنظر فيها ٤٠١

البصري عن ابن أخي^(١) مطرف بن عبدالله بن الشخير عن مطرف البصري قال :
لقيت علياً يوم الجمل فأسرع إليّ بدابته فقلت : أنا أحقُّ أن أُسرع إليك فقال :
أحسب عثمان منعك من إتياننا فأقبلت أعتذر إليه فقال : لئن أحببته لقد كان أبرّنا
وأوصلنا .

رجال الإسناد :

١ - خلف البزار ، الثقة الأمين السكير . راجع من الجزء الخامس
ص ٣٥٩

٢ - عبد الوهاب بن عطاء : قال المروزي : قلت لأحمد : عبد الوهاب ثقة ؟
فقال : ما تقول ؟ إنما الثقة يحيى القطان . وقال الساجي : صدوق ليس بالقوي
عندهم وقال البخاري : ليس بالقوي عندهم وهو يحتمل . وقال النسائي : ليس
بالقوي . وقال أبو حاتم : ليس عندهم بقوي في الحديث . وقال ابن أبي شيبة :
ليس بكذاب ولكن ليس هو ممن يُتكل عليه . وقال الميموني عن أحمد بن حنبل :
ضعيف الحديث . وقال البزار : ليس بالقوي وقد احتمل أهل العلم حديثه^(٢) .

[تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٤٥١]

٣ - سعيد بن أبي عروبة . قال أبو حاتم : هو قبل أن يختلط ثقة . وقال
دحيم : اختلط . وقال الأزدي : اختلط اختلاطاً قبيحاً . وقال ابن سعد : كان ثقة
كثير الحديث ثم اختلط في آخر عمره . وقال ابن حبان : بقي في اختلاطه خمس
سنين ولا يحتج إلا بما روى عنه القدماء مثل يزيد بن زريع وابن المبارك ، وقال
عبد الوهاب (الراوي عنه) : خولط سعيد سنة ٤٧ وعاش بعدما خولط تسع سنين .
وقال النسائي : من سمع منه بعد الإختلاط فليس بشيء . وقال ابن عدي : من
سمع منه قبل الإختلاط فإن ذلك صحيح حجة ومن سمع منه بعد الإختلاط لا
يُعتمد عليه . وقال أبو بكر البزار : ابتدأ به الإختلاط سنة ١٣٣^(٣) .

(١) هو عبدالله بن هاني بن عبدالله بن الشخير البصري .

(٢) احتمال الحديث إنما هو للإعتبار كما جاء مصرحاً به في كثير من الضعفاء .

(٣) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٦٣ - ٦٦ .

فعلى الأخذ بقول أبي بكر البزار في ابتداء اختلاطه وقول ابن حبان من أنه مات سنة ١٥٥ تربو أعوام اختلاطه على اثنتين وعشرين سنة . هذا أكثر ما قيل في مدّة اختلاطه وأقلّه خمس سنين وبينهما أقوال آخر .

هذه علل الرواية إسناداً ، وأما هي من ناحية المتن فسل عنها مولانا أمير المؤمنين ورأيه المدعوم في عثمان وقد أسلفناه في هذا الجزء ص ٩٢ - ٩٨ : أتراه صلوات الله عليه يرى الرجل أبرهم وأوصلهم ثم يرفع عقيرته على صهوة الخطابة بمثل قوله فيه : قام ثالث القوم نافجاً حُضنيه بين نثيله ومعتلفه ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع ، إلى أن انتكث فتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته^(١) .

وقوله فيه : إن بني أمية ليفوقوني تراث محمد ﷺ تفويقاً^(٢) .

وقوله في إقطاعه وأعطياته : ألا إن كل قطعة أقطعها عثمان ، وكل مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال ، فإن الحق القديم لا يطله شيء ، ولو وجدته قد تزوج به النساء ، وفرق في البلدان لرددته إلى حاله . راجع ج ٨ ص ٣٣٥

أنى كانت صلات عثمان مشرعة مرضية عند أمير المؤمنين حتى يثني بها عليه ويراه أبرهم وأوصلهم ، وقد أوقفناك في الجزء الثامن على سطر مهم من هباته ومذرها فاقراً وتبصّر .

٤٣ - أخرج ابن عساكر عن يزيد بن أبي حبيب كما في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١١٠ ، أنه قال : بلغني أن عامة الركب الذين ساروا إلى عثمان عامتهم جنوا . وفي لفظ القرماني في أخبار الدول هاشم الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٢١٣ : إن عامة من أشار إلى قتل عثمان جنوا .

قال الأميني : أليست هذه المهزأة من فنون الجنون ؟ أنظر إلى عقل من جاء

(١) راجع الجزء السابع : ص ٩٨ .

(٢) راجع الجزء الثامن : ص ٣٣٥

مناقب عثمان والنظر فيها ٤٠٣

بها أولاً : (يزيد بن أبي حبيب) ثم أرجع البصر كرتين إلى عقل اولئك الحفاظ الذين عدّوا مثل هذا التره التافه من فضائل عثمان وكراماته ، وإنّي أحسب أنّ في قول ابن سعد في ترجمة يزيد بن أبي حبيب : «أنّه كان حليماً عاقلاً» دفعاً لما يدخل هاجسة القارىء من روايته هذه ، لكنّه لا يثبت له العقل بعدما حفظها له التاريخ ، كيف يصدّق ذو مسكة هذه السفسطة والركب السائرون إلى عثمان تعدّ بالآلاف من رجال الحواضر الإسلامية وهم معروفون مشهورون ولم يُعرف أحدٌ منهم بما قذفهم ابن حبيب ؟ وما الذي أخفى ما عرف منهم الرجل على كلّ الصحابة والتابعين في الأوساط ولم يعلم به إلّا هو فحسب ؟

على أنّا نعرف جماهير من القوم لا نشكّ ولا يشكّ عاقلٌ في ثبوت كمال العقل لهم إلى أن ماتوا أو قتلوا كسيدنا عمّار بن ياسر ، ومالك الأشتر ، وكعب بن عبدة ، وزيد بن صوحان ، وصعصعة بن صوحان ، وعمرو بن بُديل الوراق ، ومحمّد بن أبي بكر ، وعمرو بن الحمق ، إلى نظرائهم الكثيرين وجلّهم من رجال الصحاح والمسانيد أخرج أئمة الحديث من طرقهم أحاديث جمّة وصحّحوها ، ولم يتوقّف أحدٌ منهم في شيء منها للجهل بصدورها قبل جنونهم أو بعده .

ولو أخذنا بلفظ القرماني فلا يشكّ من الجنون جلّ الصحابة من المهاجرين والأنصار إن لم نقل كلّهم لإطباقهم على قتل الرجل وفي مقدّمهم طلحة والزبير وعمرو بن العاص والسيدة عائشة أمّ المؤمنين .

ولعمر الحق إنّ المعتوه من شوّه صحيفة التاريخ بهذه الخرايات غلواً منه في فضائل الناس من الشجرة الملعونة في القرآن . والله هو الحكم العدل .

٤٤ - أخرج الواحدي في أسباب النزول ص ٢١٠ قال : أخبرنا محمّد بن ابراهيم بن محمّد بن يحيى قال : أخبرنا أبو بكر الأنباري قال : حدّثنا جعفر بن محمّد بن شاعر قال : حدّثنا عفان . قال : حدّثنا وهيب . قال : حدّثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن ابراهيم عن عكرمة عن ابن عباس قال : نزلت : ﴿ضرب الله

مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء^(١) في هشام بن عمرو وهو الذي ينفق ماله سرّاً وجهرّاً ومولاه أبو الخوراء الذي كان ينهيه فنزلت . ﴿وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء﴾^(٢) فالأبكم منهما الكلّ على مولاه هذا السيّد أسد بن أبي العيص . ﴿ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم﴾ هو عثمان بن عفّان رضي الله عنه . وبهذا الإسناد أخرجه البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٣ .

وذكر ابن سعد في طبقاته ج ٣ ص ٤١ رسالة عن عكرمة عن ابن عباس نزول : ﴿هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل﴾ . الآية . في عثمان . وكذلك المحبّ الطبري في الرياض النضرة ج ٢ ص ١٠٣ .

قال الأميني : لعلّ الباحث لا يطالبنا البحث عن إسناد هذه الكذوبة التي حرّفوا بها الكلم عن مواضعها ويراها شاهد صدق على قول سعيد بن المسيّب لبرد مولاه : يا برد ! إياك وأن تكذب عليّ كما يكذب عكرمة على ابن عباس^(٣) .

ولك أن ترجع البصر كرّتين ، وتمعن النظر دواليك في صحيفة تاريخ عثمان ، في أيّ يوميه تجد منه ما يعاضد هذه الاسطورة ؟ ومتى كان يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ؟ أمّا أيّامه مع النبيّ الأعظم ﷺ فحسبك منها ما ذكرناه في الجزء الثامن ص ٢٣١ ، ٢٨٠ ، وفي هذا الجزء ص ٣٦٩ وأمّا أيّام خلافته فحدّث عنها ولا حرج وقد سجّل التاريخ له فيها هنات لا تغفر وعثرات لا تُقال . وقد وصف مولانا أمير المؤمنين عليه السلام تلكم الأيام في كتابه إلى أهل مصر بقوله : إلى القوم الذين غضبوا لله حين عصي في أرضه ، وذُهب بحقّه ، فذهب الجور سرادقه على البرّ والفاجر ، والمقيم والظاعن ، فلا معروف يُستراح إليه ، ولا منكر يُتناهى عنه . راجع ص ٩٧ من هذا الجزء .

(١) سورة النحل ؛ الآية : ٧٥ وتمام الآية : ﴿ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سرّاً وجهرّاً هل يستون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ .

(٢) ﴿وهو كلّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم﴾ . تمام الآية . سورة النحل : ٧٦ .

(٣) معارف ابن قتيبة : ص ١٩٤ .

مناقب عثمان والنظر فيها ٤٠٥

ووصفها أبو أيوب الأنصاري بقوله : عباد الله أليس إنما عهدكم بالجور والعدوان أمس ؟ وقد شمل العباد ، وشاع في الإسلام ، فذو حق محرومٌ مشتومٌ عرضه ، ومضروبٌ ظهره ، وملطومٌ وجهه ، وموطوءٌ بطنه ، ومُلقي بالعراء . إلى آخر ما مرَّ في هذا الجزء ص ١٢٥ .

أكان من العدل وعلى الصُّراط المستقيم إيواؤه طريد رسول الله ولعيته ؟ أم خضمه مع أبناء بيته مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع ؟ أم أياديه عند أهل العيث والفساد وأعطياته من مال المسلمين أبناء بيته الساقط من فاسق مستهتر إلى لعين طريد إلى شابٍ مُترف إلى أغليمة سفهاء ، وتسليطهم على ناموس الإسلام ورقاب المسلمين بتوليهم الأمر في البلاد وبين يديه قوله ﷺ من تولى من أمر المسلمين شيئاً فاستعمل عليهم رجلاً وهو يعلم أن فيهم من هو أولى بذلك وأعلم منه بكتاب الله وسُنَّة رسوله فقد خان الله ورسوله جميع المؤمنين^(١) ؟ وقوله ﷺ في صحيحة الحاكم من طريق ابن عباس : من استعمل رجلاً من عصابة وفي تلك العصابة من هو أَرْضَى الله منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين . وقوله ﷺ في صحيحة أخرى من طريق أبي بكر : من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً محاماةً فعليه لعنة الله ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم .

[إزالة الخفاف ١ ص ١٦]

أكان من العدل وعلى الصُّراط المستقيم إزراؤه صلحاء الأمة وعظماء الصحابة وإيذاؤهم بغير ما اكتسبوا وقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً ، وهم بين مُسيّر هالك في تسييره ، ومعذب في قعر السجون وظلم المطامير ، ومشتومٌ مُهان يُنادى عليه بذل الإستحقاق ، ومضروب قد دُقَّت بالضرب أضلاعه ، وآخر أعذر متهن وفُتق بطنه ، ومحروم عن مال الله لأمره بالمعروف وإنكاره المنكر ؟ أم سبَّ الصحابة - العدول - وتكفيره إياهم بكتابه وخطابه ؟ أم مجابته صنو رسول الله ﷺ ونفسه بتلكم القوارص ؟ أم عدُّه مروان الوزغ الطريد اللعين أفضل من سيّد العترة ؟ أم رأيه فيه سلام الله عليه بأنه أولى الناس بالنبي الأقدس ؟ أم إبعاده إياه عن

(١) مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢١١ .

٤٠٦ الغدير ج - ٩

المدينة مرة بعد أخرى؟ أم نقضه العهود والمواثيق المؤكدة؟ أم نبذه كتاب الله وراء ظهره ، وشذوذه عن السنة الشريفة في صلاته وصلاته وحجّه وزكاته وإدخال آرائه الشاذة في جميع ذلك؟ أم إلى ما شاء الله .

هلا عرفت الصحابة عدل هذا الإنسان وكونه على الصراط المستقيم يوم حسبوه جائراً في الحكم ، حائداً عن العدل ، متكبّاً عن الصراط ، باغياً ساعياً في الأرض فساداً ولم يبرحوا ناقمين مؤلّبين عليه إلّا واحداً حتّى تمخّضت عليه البلاد ، وأسعرت وراءه ناراً ، ولم تنطفئ إلّا باختلاسه وإخماد أنفاسه؟ أو أنهم عرفوا ذلك غير أنّ الضغائن حدتهم إلى ما ارتكبوا منه؟ فأين إذن عدالة الصحابة .

وإن كان الرجل آمراً بالعدل وهو على صراط مستقيم فعنده على نفسه سنة ٣٥ بأن يعمل بالكتاب والسنة لماذا؟ وتوبته مرة بعد أخرى على صهوات المنابر عمّاداً؟ والتزامه بالإقلاع عمّا هو عليه وتغيير خطّته لماذا؟ وما تلكم الأقوال من الصحابة الواقفين عليه وعلى أعماله من كتب ، مثل قول عليّ أمير المؤمنين له : ما رضيت من مروان ولا رضي منك إلّا بتحرّفك عن دينك وعقلك مثل جمل الظعينة يُقاد حيث يُسار به . وقوله : أذهبت شرفك وغُلبت على أمرك . وقول عمّار : أمضوا معي عباد الله إلى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم لنفسه ، الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله .

وقول عمرو بن العاص لعثمان : ركبت بهذه الأمة نهابير من الأمور فركبوها منك وملت بهم فمالوا بك ، أعدل أو أعتزل .

وقول سعد بن أبي وقاص : لكن عثمان غير وتغيّر ، وأحسن وأساء .

وقول مالك الأشتر: الخليفة المبتلى الخاطيء الحائد عن سنة نبيّه ، النابذ لحكم القرآن وراء ظهره .

وقول صعصعة بن صوحان له : ملت فمالت أمّتك ، اعتدل يا أمير المؤمنين ! تعتدل أمّتك .

وقول هاشم المرقال : إنّما قتله أصحاب محمد وقرءاء الناس حين أحدث أحداثاً وخالف حكم الكتاب .

مناقب عثمان والنظر فيها ٤٠٧

وقول عبدالرحمن العنزي : هو أول من فتح أبواب الظلم ، وأرتج أبواب الحق .
وقول أصحاب حجر بن عدي : هو أول من جار في الحكم ، وعمل بغير الحق .

وقول الصحابة له : بلونا منك من الجور في الحكم ، والأثرة في القسم ،
والعقوبة للأمر بالتبسط من الناس .

وقول نائلة بنت الفرافصة زوجته له : إتق الله وحده لا شريك له ، اتبع سنة
صاحبك من قبلك .

إلى كلمات كثيرة لأمة كبيرة من الصحابة مرت في هذا الجزء ، فنزول الآية
الكريمة في عثمان لا تساعدكم الأقوال ، وتضاده سيرته المعروفة ، هكذا
يخرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به .

٤٥ - أخرج ابن عساكر كما في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١١٠ عن ابن
عبّاس أنه قال : لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء . وذكره
القرماني في أخبار الدول هامش الكامل ج ١ ص ٢١٤ .

قال الأميني : للباحث أن يسأل راوي هذه المزعمة المرسلّة المعزّوة إلى
حبر الأمة عن أن الطلب بدم عثمان هل كان أمراً مشروعاً يرتضيه الله ورسوله ؟ أو
كان غير ذلك ؟ فإن كان الأول ؟ فلماذا كان رسول الله ﷺ يعهد إلى عليّ أمير
المؤمنين أن يقاتل الناكثين والقاسطين الطالبين بدم عثمان ؟ ويحث عيون أصحابه
على مناصرته ﷺ متى واثبه القوم ؟ ويحذر مناوئيه في المقامين وينهاهم عن
قتاله ﷺ ، ويصفهم بالظلم إن فعلوا ؟ راجع الجزء الثالث ص ٢٣٦ -

٢٤٣

ولماذا كان مولانا أمير المؤمنين يناضلهم ، فضلاً عن اشتراكه معهم في
الطلب ؟ ولا يستلم إليهم قتلة عثمان وآواهم ؟ وهو الذي يدور الحق معه حيثما
دار ، وهو مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان حتى يردا على النبي الحوض^(١) .

(١) راجع ما ذكرناه في الجزء الثالث ص ٢٢٣ - ٢٢٧

وكيف كانت الصحابة العدول يقاتلون معه ^(١) .
 الجمل تحت رايته عيون الصحابة ووجهاء الأمة ، وفي صفين شهد معه الإمامان
 السبطان الحسنان وممن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة مائتان وخمسون كما في
 مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٠٤ ويقال : ثمانمائة نفس فقتل منهم ثلاثمائة وستون
 نفساً^(٢) كان معه ثمانون بدرياً على رواية ابن ديزيل والحاكم^(٣) وجاء في خطبة
 سعيد بن قيس : سبعون بدرياً^(٤) وفي كلام لمالك الأشتر : قريب من مائة
 بدري^(٥) ومن أولئك الصحابة وفي مقدمهم البدريون :

- ١ - أسيد بن ثعلبة الأنصاري . بدري .
- ٢ - ثابت بن عبيد الأنصاري . بدري قتل بصفين .
- ٣ - ثعلبة بن قضي بن صخر الأنصاري . بدري .
- ٤ - جبر بن أنس بن أبي زريق . بدري .
- ٥ - جبلة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي . بدري .
- ٦ - الحارث بن حاطب بن عمرو الأنصاري الأوسي . بدري .
- ٧ - الحارث بن النعمان بن أمية الأنصاري الأوسي . بدري .
- ٨ - حصين بن الحارث بن المطلب القرشي . بدري .
- ٩ - خالد بن زيد بن كليب أبو أيوب الأنصاري . بدري .
- ١٠ - خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين الأنصاري الأوسي . بدري قُتل
 بصفين .

- ١١ - خليفة - ويقال : عليفة - بن عدي بن عمرو البياضي . بدري .

(١) الإستيعاب في ترجمة عمار ، الإصابة ج ٢ ص ٣٨٩ .
 (٢) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٠٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٥٤ .
 (٣) كتاب صفين لابن مزاحم ص ٢٦٦ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٣ .
 (٤) كتاب صفين لابن مزاحم ص ٢٦٨ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٤ .

الصحابة الحضور مع علي بصفين ٤٠٩

- ١٢ - خويلد بن عمرو الأنصاري السلمي . بدري .
- ١٣ - ربعي بن عمرو الأنصاري . بدري .
- ١٤ - رفاعه بن رافع بن مالك الأنصاري الخزرجي . بدري .
- ١٥ - زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي البلوي . بدري .
- ١٦ - جابر بن عبدالله بن عمرو الأنصاري السلمي . بدري .
- ١٧ - خباب بن الارت أبو عبدالله التميمي . بدري .
- ١٨ - سهل بن حنيف بن واهب الأنصاري الأوسي . بدري .
- ١٩ - سماك بن أوس بن خرشة الأنصاري الخزرجي . بدري .
- ٢٠ - صالح الأنصاري . بدري .
- ٢١ - عبدالله بن عتيك الأنصاري . بدري .
- ٢٢ - عقبة بن عمرو بن ثعلبة أبو مسعود الأنصاري . بدري .
- ٢٣ - عمار بن ياسر المطيب الطيب الشهيد بصفين . بدري .
- ٢٤ - عمرو بن أنس الأنصاري الخزرجي . بدري .
- ٢٥ - عمرو بن الحمق الخزاعي الكعبي . بدري .
- ٢٦ - قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي . بدري .
- ٢٧ - كعب بن عامر السعدي . بدري .
- ٢٨ - مسعود بن أوس بن أصرم الأنصاري . بدري .
- ٢٩ - أبو الهيثم مالك بن التيهان البلوي المستشهد بصفين . بدري .
- ٣٠ - أبو حبة عمرو بن غزية . بدري .
- ٣١ - أبو عمرة بشر بن عمرو بن محسن الأنصاري المستشهد بصفين . بدري .

- ٣٢ - أبو فضالة الأنصاري استشهد بصفين . بدري .
- ٣٣ - أبو محمد الأنصاري . بدري .
- ٣٤ - أبو بردة هاني بن نيار - ويقال : نمر - بدري .
- ٣٥ - أبو اليسر كعب بن عمرو بن عباد الأنصاري السلمي . بدري .
- ٣٦ - أسود بن عيسى بن أسماء التميمي .
- ٣٧ - أشعث بن قيس الكندي كان أميراً على الميمنة يوم صفين .
- ٣٨ - أنس بن مدرك أبو سفيان الخثعمي .
- ٣٩ - الأحنف بن قيس أبو بحر التميمي السعدي .
- ٤٠ - أعين بن ضبيعة الحنظلي . أحد الأمراء بصفين .
- ٤١ - بريد الأسلمي قتل بصفين وفيه يقول أمير المؤمنين :
- جزى الله خيراً عصبه أسلمية حسان الوجوه صرّعوا حول هاشم
بريد وعبد الله منهم ومنقذ وعروة ابنا مالك في الأكارم
- ٤٢ - البراء بن عازب الأنصاري الخزرجي .
- ٤٣ - بشر - بشير - بن أبي زيد الأنصاري .
- ٤٤ - بشير بن أبي مسعود الأنصاري .
- ٤٥ - ثابت بن قيس بن الخطيم الأنصاري .
- ٤٦ - جارية بن زيد المستشهد بصفين .
- ٤٧ - جارية بن قدامة بن مالك التميمي السعدي .
- ٤٨ - جبلة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري .
- ٤٩ - جبير بن الحباب بن المنذر الأنصاري .
- ٥٠ - جندب بن زهير الأزدي الغامدي كان من أمراء الجيش بصفين .

الصحابة الحضور مع علي بصفين ٤١١

- ٥١ - جندب بن كعب العبدي أبو عبدالله الأزدي الغامدي .
- ٥٢ - الحارث بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي .
- ٥٣ - حازم بن أبي حازم الأحمسي المستشهد بصفين .
- ٥٤ - الحبشي بن جنادة بن نصر السلولي .
- ٥٥ - الحجاج بن عمرو بن غزيرة الأنصاري .
- ٥٦ - حجر بن عدي الكندي المعروف بحجر الخير ، كان من الامراء يوم صفين .
- ٥٧ - حجر بن يزيد بن مسلمة الكندي .
- ٥٨ - حنظلة بن النعمان الأنصاري .
- ٥٩ - حيّان بن أبجر الكناني .
- ٦٠ - خالد بن أبي خالد الأنصاري .
- ٦١ - خالد بن أبي دجانة الأنصاري .
- ٦٢ - خالد بن المعمر بن سليمان السدوسي كان من أمراء عليّ يوم صفين .
- ٦٣ - خالد بن الوليد الأنصاري ، كان ممّن أُبلي بصفين .
- ٦٤ - خرشة بن مالك بن جرير الأودي .
- ٦٥ - رافع بن خديج بن رافع الأنصاري الخزرجي الحارثي .
- ٦٦ - ربيعة بن قيس العدواني .
- ٦٧ - ربيعة بن مالك بن وهيل النخعي .
- ٦٨ - زيد بن عبد الخولاني شهد صفين مع معاوية وكانت معه الراية فلما قُتل عمّار تحوّل إلى عسكر عليّ عليه السلام أخذاً بقوله عليه السلام : عمّار تقتله الفئة الباغية .
- ٦٩ - زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الكعبي الخزرجي .

- ٧٠ - زيد بن جارية الأنصاري .
- ٧١ - زيد بن حيلة - بالمهملة والياء ويقال: بالمعجمة والموحدة -
- ٧٢ - زياد بن حنظلة التميمي .
- ٧٣ - سعد بن الحارث بن الصمة الأنصاري استشهد يوم صفين .
- ٧٤ - سعد بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي .
- ٧٥ - سعد بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد .
- ٧٦ - سليمان بن صرد بن أبي الجون أبو المطرف الخزاعي ، كان أميراً على رجالة الميمنة يوم صفين .
- ٧٧ - سهيل بن عمرو الأنصاري ، قتل بصفين مع عليّ بن أبي طالب .
- ٧٨ - شيب بن ربيعي التميمي اليربوعي أب عبد القدوس .
- ٧٩ - شبيب بن عبدالله بن شكل المذحجي .
- ٨٠ - شريح بن هاني بن يزيد بن نهيك أبو المقدام الحارثي .
- ٨١ - شيبان بن محرث .
- ٨٢ - صدى بن عجلان بن الحارث أبو أمانة الباهلي .
- ٨٣ - صعصعة بن صوحان العبدي .
- ٨٤ - صفر بن عمرو بن محصن . وقتل بصفين .
- ٨٥ - صيفي بن ربيعي بن أوس .
- ٨٦ - عائذ بن سعيد بن زيد بن جندب المحاربي الجسري . المستشهد بصفين .
- ٨٧ - عائذ بن عمرو الأنصاري .
- ٨٨ - عامر بن وائلة بن عبدالله أبو الطفيل الليثي .

الصحابة الحضور مع علي بصفين ٤١٣

٨٩ - عبدالله الأسلمي مَن استشهد بصفين وأثنى عليه مولانا أمير المؤمنين
كما مرَّ ص ٤١٠ .

٩٠ - عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي . قُتل بصفين .

٩١ - عبدالله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم . كان على الميسرة يوم
صفين .

٩٢ - عبدالله بن خراش أبو يعلى الأنصاري .

٩٣ - عبدالله بن خليفة البولاني الطائي .

٩٤ - عبدالله بن ذباب بن الحارث المذحجي .

٩٥ - عبدالله بن الطفيل بن ثور بن معاوية البكائي .

٩٦ - عبدالله بن كعب المرادي، قُتل يوم صفين وكان من أعيان أصحاب أمير
المؤمنين .

٩٧ - عبدالله بن يزيد الخطمي الأنصاري الأوسي .

٩٨ - عبدالرحمن بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، من شهداء يوم صفين .

٩٩ - عبدالرحمن بن حسل الجمحي . قتل بصفين .

١٠٠ - عبيد بن خالد السلمي .

١٠١ - عبيدالله بن سهيل الأنصاري .

١٠٢ - عبيد بن عازب أخو البراء بن عازب .

١٠٣ - عبيد بن عمرو السلماني أبو عمرو صاحب ابن مسعود .

١٠٤ - عبد خير بن يزيد بن محمد الهمداني . من كبار أصحاب الإمام عليه السلام

١٠٥ - عدي بن حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي .

٤١٤ الغدير ج - ٩

١٠٦ - عروة بن زيد الخيل الطائي .

١٠٧ - عروة بن مالك الأسلمي قتل بصفيين وأثنى عليه الإمام عليه السلام كما مرّ
ص ٤١٠ .

١٠٨ - عقبة بن عامر السلمي .

١٠٩ - العلاء بن عمرو الأنصاري .

١١٠ - عليم بن سلمة الفهمي .

١١١ - عمرو بن بلال كان من المهاجرين .

١١٢ - عمير بن حارثة الليثي .

١١٣ - عمير بن قرّة السلمي .

١١٤ - عمّار بن أبي سلامة بن عبدالله بن عمران .

١١٥ - عوف بن عبدالله بن الأحمر الأزدي .

١١٦ - الفاكه بن سعد بن جبير الأنصاري الأوسي الخطمي . قُتل بصفيين .

١١٧ - قيس بن أبي قيس الأنصاري .

١١٨ - قيس بن المكشوح، أبو شدّاد المرادي . من شهداء صفين .

١١٩ - قرظة بن كعب بن ثعلبة بن عمرو الأنصاري الخزرجي .

١٢٠ - كرامة بن ثابت الأنصاري .

١٢١ - كعب بن عمر ، أبوزعنة .

١٢٢ - كميل بن زياد النخعي ، يقال : أدرك من الحياة النبوية ثمانين سنة
سنة وكان شريفاً مطاعاً ثقة .

[الإصابة ج ٣ ص ٣١٨]

١٢٣ - مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي الأشتر .

الصحابة الحضور مع علي بصفين ٤١٥

- ١٢٤ - مالك بن عامر بن هاني بن خفاف الأشعري .
- ١٢٥ - محمد بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، من شهداء صفين .
- ١٢٦ - محمد بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي يقال : قُتل بصفين .
- ١٢٧ - مخنف بن سليم بن الحرث بن عوف بن ثعلبة الأزدي الغامدي ، كان على راية الأزدي بصفين .
- ١٢٨ - معقل بن قيس الرياحي التميمي اليربوعي .
- ١٢٩ - المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبدالمطلب الهاشمي .
- ١٣٠ - منقذ بن مالك الأسلمي أخو عروة بن مالك ممن استشهد بصفين كما مر في شعر مولانا أمير المؤمنين ص ٤١٠ .
- ١٣١ - المهاجر بن خالد بن الوليد المخزومي . استشهد بصفين .
- ١٣٢ - نضلة بن عبيد الأسلمي أبو بريزة .
- ١٣٣ - النعمان بن عجلان بن النعمان الأنصاري الزرقى .
- ١٣٤ - هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المرقال . كان صاحب الراية واستشهد بصفين .
- ١٣٥ - هبيرة بن النعمان بن قيس بن مالك بن معاوية الجعفي . كان من أمراء علي عليه السلام .
- ١٣٦ - وداعة بن أبي زيد الأنصاري .
- ١٣٧ - يزيد بن الحويرث الأنصاري .
- ١٣٨ - يزيد بن طعمة بن جارية بن لوزان الأنصاري الخطمي .
- ١٣٩ - يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام بن الحرث التميمي الحنظلي يقال : أنه قُتل بصفين .
- ١٤٠ - يعلى بن عمير بن يعمر بن حارثة بن العبيد النهدي .

١٤١ - أبو شمر بن أبرهة بن شرحبيل بن أبرهة بن الصباح الحميري ثم الأبرهي قتل مع عليّ عليه السلام بصفيين .

١٤٢ - أبو ليلي الأنصاري والد عبدالرحمن .

١٤٣ - أبو جحيفة السوائي .

١٤٤ - أبو عثمان الأنصاري .

١٤٥ - أبو الورد بن قيس بن فهر الأنصاري .

والإمام أمير المؤمنين قد أتمَّ الحجة يوم الجمل على طلحة بما أسلفناه في الجزء الأول ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، وعلى الزبير بما مرَّ في ج ٣ ص ٢٣٩ ما قاتلها إلا بعد إقامة الحجة عليهما ، ودحض أعارهما المفتعلة ، فما وجدتهما محبتين إلى الحق مصيخين إلى ما اعترفا به من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان موقفها موقف المستهزئ اللاعب بالدين الحنيف ، جاء رجل إلى طلحة والزبير وهما في المسجد بالبصرة فقال : نشدتكما بالله في مسيركما أعهد إليكما فيه رسول الله شيئاً ؟ فقام طلحة ولم يجبه ، فناشد الزبير فقال : لا ، ولكن بلغنا أن عندكم دراهم فجئنا نشارككم فيها^(١) .

ولما بايع أهل البصرة الزبير وطلحة قال الزبير : ألا ألف فارس أسير بهم إلى عليّ فأما بيته وأما صبحته لعليّ أقتله قبل أن يصل إلينا ، فلم يجبه أحد . فقال : إن هذه لهي الفتنة التي كنّا نحدث عنها . فقال له مولاة : أئسميها فتنة وتقاتل فيها ؟ قال : ويحك إنا نبصر ولا نبصر ، ما كان أمر قط إلا علمت موضع قدمي فيه غير هذا الأمر فإني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر^(٢) .

قد تحقق يوم ذاك ما كان يحذر منه عمر بن الخطاب وصدق الخبر الخبر ، قال عبدالله بن عمر : جاء الزبير إلى عمر فقال لعمر : إئذن لي أن أخرج فأقاتل في سبيل الله . قال : حسبك قد قاتلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق الزبير وهو يتدبر فقال

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٨٣ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٨٣ .

موقف طلحة والزبير يوم الجمل ٤١٧

عمر : مَنْ يعذرني من أصحاب مُحَمَّد ﷺ ؟ لولا أَنِّي أمسك بفم هذا الشغب لأهلك أمة مُحَمَّد ﷺ (١) .

اللهم ما كان ذنب حكيم بن جبلة وسبعين أبرياء آخرين من عبد القيس قتلهم طلحة والزبير قبل وقوع الواقعة بعدما نادى مناديهما بالبصرة : ألا من كان فيهم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأت بهم فجيء بهم كما يُجاء بالكلاب فقتلوا . قال حكيم بن جبلة : لقد أصبحتم وإنّ دماءكم لنا لحلال بمن قتلتم من إخواننا ، أما تخافون الله عز وجل ، بما تستحلّون سفك الدماء ؟ قال ابن الزبير : بدم عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، قال : فالذين قتلتموهم قتلوا عثمان ؟ أما تخافون مقت الله ؟ فقال له عبدالله بن الزبير : لا نرزقكم من هذا الطعام ولا نخلي سبيل عثمان بن حنيف حتّى يخلع عليّاً ، فقتل حكيم بن جبلة وسبعون رجلاً من عبد القيس (٢) .

فعلى الرجلين وأمّهما دم ستة آلاف أو يزيدون قتلى تلك الحرب الدامية ، ومن يقتل مؤمناً متمّداً فجزاؤه جهنّم خالداً فيها . من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً . ولنعم ما قال فتى بني سعد يوم ذاك :

صنتم حلائلكم وقدمتم أمكم	هذا العمرك قلّة الإنصاف
أمرت بجرّ ذيولها في بيتها	فهوت تشقّ البید بالإيجاف
غرضاً يقاتل دونها أبنائها	بالنبل والخطي والأسياف
هتكت بطلحة والزبير ستورها	هذا المخبر عنهم والكافي (٣)

ولم يكن حول الجمل إلّا حُثالة من ذنابا الناس أهل الشرّ والترّه - من ضبّة والأزد - الذين كانوا يلتقطون بحر الجمل ويفتونها ويشمونها ويقولون : بحر جمل أمّنا ريحه ریح المسك . يأتي حديثه في مستقبل الأجزاء إن شاء الله . كما لم يكن في جيش معاوية إلّا ساقة الناس ورعائهم الذين وصفهم مولانا أمير المؤمنين بقوله يوم ذاك :

(١) تاريخ بغداد ج ٧ ص ٤٥٣ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ .

(٣) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٧٦ .

٤١٨ الغدير ج - ٩

انفروا إلى بقيّة الأحزاب ، انفروا بنا إلى ما قال الله ورسوله إنّنا نقول : صدق الله ورسوله . ويقولون : كذب الله ورسوله^(١) .

وقال سيّدنا قيس بن سعد في كلام له : هل ترى مع معاوية إلّا طليقاً أعرابياً أو يمانياً مستدرجاً^(٢) ؟ .

وفي كلام لسيّدنا عمّار بن ياسر : إنّ مراكزنا على مراكز رايات رسول الله يوم بدر ويوم أحد ويوم حنين ، وإنّ هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب^(٣) .

وفي مقال لسيّدنا مالك الأشتر : أكثر ما معكم رايات قد كانت مع رسول الله ، ومع معاوية رايات قد كانت مع المشركين على رسول الله ﷺ ، فما يشكّ في قتال هؤلاء إلّا ميت القلب^(٤) .

ولم تكن الغايات في حرب معاوية تخفى على أيّ أحد حتّى على النساء في خدورهنّ فهي كما قالت أمّ الخير بنت الحريش : إنّها إحنّ بدريةً ، وأحقّاداً جاهليّةً ، وضغائن أحدىّة ، وثب بها معاوية حين الغفلة ليدرك ثارات بني عبد شمس ، ﴿فقاتلوا أئمة الكفر إنّهم لا إيمان لهم لعلّهم يتتهون﴾^(٥) .

وكيف يكون هذا الطلب مشروعاً والذين وتروا عثمان هم الصحابة العدول كلّهم حتّى أنّ طلحة كان أشدّ الناس عليه ، حسب مروان أنّه أخذ منه ثاره برمية منه جرّعته المنيّة . وقد تثبّط معاوية عن نصرته حتّى قتلوه ؟ .

وإن كانت النهضة بثارات عثمان غير مشروعة يمقتها الله ورسوله ﷺ - كما هو المتسالم عليه عند وجوه السلف - فكيف يُدرا بها العذاب عمّن قام بها ؟

(١) أخرجه البزار بإسنادين كما في مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ج ٧ ص ٢٣٩ .

(٢) استدرجه : خدعه وأدناه .

(٣) كتاب صفين لابن مزاحم ص ٣٦٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٥٠٦ .

(٤) كتاب صفين لابن مزاحم ص ٢٦٨ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٤ .

(٥) بلاغات النساء ص ٣٦ ، العقد الفريد ج ١ ص ١٣٢ ، نهاية الأرب ج ٧ ص ٢٤١ ، صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤٨ .

جيش يومي الجمل وصفين ٤١٩

ولو صدقت الأحلام لوجب أن يكون أصحاب الجمل مكلوثين عن كل سوء لكن عوضاً عن ذلك وافاهم العذاب من شتى النواحي وقُتلوا تفتيلاً، وقطع الله أيدي الذين أخذوا بزمام الجمل حتى وردوا الهلكة صاغرين .

وأما معاوية فسل عنه ليلة الهرير . ويومه: فقد قُتل فيهما سبعون ألف قتيل ٤٥ ألفاً من أهل الشام و٢٥ ألفاً من أهل العراق^(١) وهل استمر على الطلب بالشار لماً تمهد له عرش الملك ؟ أو أنه اقتنع بالحصول على سلطة غاشمة وملك عضوض ؟ .

نعم : حصر هو تعقيبه بالأبرياء شيعة أمير المؤمنين ﷺ فقتلهم أينما ثقفهم تحت كل حجر وشجر ، وأما ثار عثمان فلم ينس عنه بعدُ بنت شفة فضلاً عن أن يثار له ولم يُرم بالحجارة ، فدونك تاريخ معاوية ، فاقرأ واحكم .

٤٦ - أخرج الخطيب في تاريخه ج ١٢ ص ٣٦٤ من طريق أحمد بن محمد بن المغلس الحماني عن أبي سهل الفضل بن أبي طالب عن عبدالكريم بن روح البزاز عن أبيه روح بن عنبسة بن سعيد بن أبي عياش الأموي مولاهم البصري عن أبيه عنبسة^(٢) عن جدته «لأبيه» أم عياش وكانت أمة لرقية بنت رسول الله ﷺ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما زوجت عثمان أم كلثوم إلا بوحي من السماء .

قال الأميني : لا تعجب من إخراج الخطيب هذا الحديث المرّمع وسكوته عن علله فإنه أسير صبابته إلى هوى آل أميصة ، وقد أعمته عن آراء رجال الجرح والتعديل في أحمد بن محمد ، وأنسته ما ذكره هو في ترجمة الرجل ، قال ابن عدي : ما رأيت في الكذابين أقلّ حياءً منه . وقال ابن قانع : ليس بثقة . وقال ابن أبي الفوارس : كان يضع الحديث . وقال ابن حبان : راودني أصحابنا على أن أذهب إليه فاسمع منه ، فأخذت جزءاً لانتخب فيه فرأيت أنه حدث عن يحيى . الخ . وعن

(١) كتاب صفين لابن مزاحم ص ٥٤٣ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٧٤ ، ٣١٢ ، فتح الباري ج ١٣ ص ٧٣ .

(٢) في النسخة : عن أبيه عن عنبسة . والصحيح ما ذكرناه .

هناد . الخ . فعلت أنه يضع الحديث . وقال الدارقطني : كان يضع الحديث . وقال الحاكم : روى عن القعني ومسدد وابن أبي أويس وبشر بن الوليد أحاديث وضعها . وقد وضع أيضاً المتون مع كذبه في لقي هؤلاء . وقال الخطيب نفسه : حدث عن أبي نعيم وغيره بأحاديث أكثرها باطلة هو وضعها . وحكى عن بشر بن الحارث ويحيى بن معين وعلي بن معين وعلي بن المديني أخباراً جمعها بعد أن وضعها في مناقب أبي حنيفة . وقال الدارقطني أيضاً : مناقب أبي حنيفة موضوعة كلها وضعها أحمد بن المغلس الحماني قرأته غير مرة . إلى كلمات آخرين^(١) .

وفي الإسناد : عبدالكريم بن روح أبو سعيد البصري ، قال أبو حاتم : مجهول . وقال عمرو بن رافع : دخلت عليه ولم أسمع منه ويقال : إنه متروك الحديث . وقال ابن حبان : يخطئ ويخالف . وضعفه ابن أبي عاصم والدارقطني^(٢) أضف إليه في الجهالة أباه وجدّه وجدته ، راجع ميزان الاعتدال للذهبي والخلاصة لابن الجزري .

وأخرجه ابن عدي من طريق عمير بن عمران الحنفي وعده من بواطيله وأقره الذهبي وابن حجر ، وقال ابن عدي : والضعف على روايته بين ، وقال العقيلي : في حديثه وهم وغلط .

[لسان الميزان ج ٤ ص ٣٨٠]

نعم : أنا لا أشك في أن كل ما فعله النبي ﷺ أو لهج به إنما هو عن وحي منزل من السماء فإنه لا ينطق على الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، غير أن المصلحة في الإيحاء تختلف باختلاف الموارد ، فليس كل صلة منه ﷺ أو بر تدل على فضيلة في المبرور فإنها قد تكون لإتمام الحجّة عليه ، كما أنها في المقام لإيقاف الملأ الديني على أن العداء المحتدم في صدر العبشميين على بني هاشم لا يزيحه أي عطف وصلة فإنه لا بر أوصل من المصاهرة ولا سيما ببضعة النبوة ،

(١) راجع المصادر المذكورة في الجزء الخامس ص ٢٦٥

(٢) تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٣٧٢ .

سر المصاهرة بين بني هاشم ومناوئهم ٤٢١

لكن : هل قدّر ذلك زوج أم كلثوم ؟ أو أنه اقترب ليلة وفاتها^(١) ولم يكتسب للإنتفاع عن شرف النبوة ، حتى أهانه رسول العظمة بملاً من الأَشهاد ، وحرّم عليه الدخول في قبرها وهو في الظاهر أولى الناس بها بعد أبيها ؟

ولعل كل صهر أو مواصلة وقع بين بني هاشم والأمويين كان من هذا الباب ، حاول الهاشميون وفي مقدّمهم مشرّفهم ﷺ تخفيض نائرة الإحن وتصفية القلوب من الضغائن ، لكن هل حصلوا على الغاية المتوخاة ؟ أو انكفؤا على حدّ قول القائل :

لقد نفخت في جذئ مشبوبة وقد ضربت في حديد بارد

ولولا هذه المصاهرة وأمثالها لطالت الألسنة على الهاشميين لسبق المهاجرة والقطيعة بين الفريقين ، وحملوا كلّ ما وقع بينهما على تلكم السوابق ، لكن الفئة الصالحة رواد الإصلاح درأوا عن أنفسهم هاتيك الشبه بضرائب هذه المواصلات ، وعرفوا الناس أن العقارب لُسب من ذاتها ، فلا يُجدي معها أيّ لين وزلفة .

ولعلك ها هنا تجد الميزة بين الصهرين مولانا أمير المؤمنين ﷺ وصاحب سيّدتنا أم كلثوم ، وتعلم سيرة الإمام مع الصديقة الطاهرة حتى قضت نحبها وهي عنه راضية ، كما أنه فارقها وهو عنها راضٍ ، وغادر رسول الله ﷺ الدنيا وهو راضٍ عنهما .

وانظر إلى آخر يوميهما هذا يقترب ليلة وفاة أم كلثوم ما لا يرضي الله ورسوله ولا يهّمه فراقها ولا يشغله الهمّ بالمصيبة وانقطاع صهره من النبي ﷺ عن المقارفة ، وذلك يندب الصديقة الطاهرة ويطل بكاءه عليها وهو يقول : السّلام عليك يا رسول الله ! عني وعن ابتك النازلة في جوارك والسريعة للحاق بك ، قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري ، ورقّ عنها تجلدي ، إلّا أنّ لي في التّأسي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعزّ ، فلقد وسدتك في ملحودة قبرك ، وفاضت بين نحري وصدري نفسك ، فإنّا لله وإنا إليه راجعون ، فقد استرجعت الوديدة ،

(١) مرّ حديثه في الجزء الثامن ص ٢٧٥ - ٢٧٨

وأخذت الرهينة ، أمّا حزني فسرمد ، وأمّا ليلي فمسهد ، إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم ، وستنبئك إبتك بتضافر أمّتك على هضمها ، فأحفها السؤال ، واستخبرها الحال هذا ، ولم يطل العهد ، ولم يخلق منك الذكر ، والسّلام عليكما ، سلام مودّع لا قال ولا سثم ، فإن أنصرف فلا عن ملامة ، وإن أقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد الله الصابرين . ثمّ تمثّل عند قبرها فقال :

لكلّ اجتماع من خيلين فرقةٌ وكلّ الذي دون الممات قليل
وإنّ افتقادي واحداً بعد واحد^(١) دليلٌ على أن لا يدوم خليل^(٢)

٤٧ - أخرج الأزدي عن عبد الواحد بن عثمان بن دينار الموصلي عن المعافي بن عمران الثوري عن ابن نجيج عن مجاهد عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لعثمان : أنت من أصهاري وأنصاري ، وعهد عهده إليّ ربّي أنّك معي في الجنة .

قال الذهبي في الميزان في ترجمة عبد الواحد ج ٢ ص ١٥٨ : خبر باطل ذكره الأزدي .

٤٨ - أخرج الطبراني قال : حدّثنا بكر بن سهل قال : حدّثنا محمّد بن عبد الله بن سليمان الخراساني عن عبد الله بن يحيى الإسكندراني حدّثنا ابن المبارك عن معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه قال : لمّا طعن عمر وأمر بالشورى دخلت عليه حفصة ابنته فقالت : يا أبت ! إنّ الناس يقولون : إنّ هؤلاء القوم الذين جعلتهم في الشورى ليسوا برضى . فقال : أسندوني . فأسندوه فقال : عسى أن تقولوا في عثمان سمعت رسول الله ﷺ يقول : يموت عثمان يصلي عليه ملائكة السماء . قلت : لعثمان خاصّة أو للناس عامّة ؟ قال : بل لعثمان خاصّة . الحديث بطوله لكلّ أحد من الستّة أصحاب الشورى منقبة^(٣) .

قال الذهبي في الميزان : حديث موضوع . وقال ابن حجر في اللسان :

(١) وفي لفظ : وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد .

(٢) راجع أعلام النساء ج ٣ ص ١٢٢٢ .

(٣) لسان الميزان ج ٥ ص ٢٢٦ .

مناقب عثمان والنظر فيها ٤٢٣

الوضع عليه ظاهرٌ .

قال الأميني : بكر بن سهل الدميّاطي ضَعَفَه النسائي ، كما ذكره الذهبي ، في لسان الميزان : ومن وضعه قوله : بكرت يوم الجمعة فقرأت إلى العصر ثمان ختمات . ثم قال : فاسمَع إلى هذا وتعجّب . وقال مسلمة بن قاسم : تكلم الناس فيه ووضّعه من أجل الحديث الذي حدّث به عن سعيد بن كثير^(١) . وفي الإسناد محمّد بن عبدالله مجهول لا يُعرف .

٤٩ - أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه ج ١١ ص ١٦٩ من طريق عيسى بن محمّد بن منصور الإسكافي عن شعيب بن حرب المدائني عن محمّد الهمداني قال حدّثنا شيخ في هذا المسجد - يعني مسجد الكوفة - عن النعمان بن بشير قال : كنّا عند عليّ بن أبي طالب فذكروا عثمان فقال عليّ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنِ أُولَئِكَ عَلَيْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ . هم عثمان وأصحاب عثمان ، وأنا من أصحاب عثمان .

قال الأميني : لنا أن نسائل الخطيب عن عيسى بن محمّد بن منصور الإسكافي مَنْ هو ؟ وما محلّه من الإعراب ؟ وهو الذي ترجمه هو ولا يعرف منه إلّا اسمه ، ونسائله عن محمد الهمداني وعن شيخه الذي لم يسمّه هو ولا غيره كأنّه لم يكن ولم يولد ، وعن النعمان بن بشير ، مَنْ هو ؟ وما خطره ؟ وما قيمة روايته ؟ وهو الخارج على إمامه يوم صفّين ومحاربه في صفّ الطغام الطغاة ، وهو الذي عرفه قيس بن سعد الأنصاري يوم ذاك بقوله له : وأنت والله الغاش الضالّ المضلّ ، وهو القائل لقيس : لو كنتم إذ خذلتُم عثمان خذلتُم عليّاً لكانت واحدة بواحدة ، ولكنكم خذلتُم حقّاً ونصرتُم باطلاً .

وهلّا عليّ هذا هو الذي سأله عثمان أيّام حوصره أن يخرج إلى ينبع حتى لا يغتمّ به ولا يغتمّ به عليّ ؟ وهلّا هو ذلك القائل : والله الذي لا إله إلّا هو ما قتلتَه ، ولا مالأت على قتله ولا ساءني ؟ والقائل : ما أحببت قتله ولا كرهته ، ولا أمرت به

(١) ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٨٤ ، لسان الميزان ج ٢ ص ٥٢ ، وج ٥ ، ص ٢٢٦ .

ولا نهيت عنه ، ولا سرتني ولا ساءني ؟ .

والقاتل لأصحابه يوم صفين : انفروا إلى من يقاتل على دم حمّال الخطايا ، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ! إنه ليحمل خطاياهم إلى يوم القيامة لا ينقص أوزارهم شيئاً ؟ .

وهلاً هو الكاتب إلى أهل مصر بقوله : إلى القوم الذين غضبوا لله حين عصي في أرضه ، وذهب بحقه ، فضرب الجور سراحه على البرّ والفاجر . الخ ؟ .
وهلاً هو ذلك الذي لم يشهد لعثمان أنه قُتل مظلوماً ؟ كما مرّ حديثه^(١) .

وهلاً هو ذلك الخطيب القاتل في خطبته الشَّقَشَقِيَّة : إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه ؟ إلى آخر ما مرّ ج ٧ ص ٩٨ .

وما شأن أصحاب عثمان وفيهم مثل عليّ - أخذاً بهذه الرواية - لا يوجد له منهم ناصرٌ ؟ ولا يُسمع من أحدهم في أمره ركزٌ ؟ ولا ينبس أيّ منهم في الدفاع عنه بنت شفة ؟ والرجل قُتل بين ظهرائهم جهراً ، وأُلقيت جثته في المزبلة ثلاثة أيام تجري عليه العواصف ، ثم دُفن بأثوابه في مقابر اليهود ، ينادى عليه بذل الاستخفاف ، وقد أخذت الحجارة مجهّزه ، وطُثوا جثمانه خائفين مترقبين ، ﴿فمن أظلم ممّن افترى على الله كذباً ليضلّ الناس بغير علم ، والله يعلم أنهم لكاذبون﴾ .

٥٠ - إن عثمان بن عفّان رأى درع عليّ رضي الله عنه يُباع بأربع مائة درهم ليلة عرسه على فاطمة رضي الله عنها فقال عثمان : هذا درع عليّ فارس الإسلام لا يُباع أبداً ، فدفع لغلام عليّ أربعمائة درهم وأقسم أن لا يخبره بذلك وردّ الدرع معه ، فلمّا أصبح عثمان وجد في داره أربعمائة كيس في كلّ كيس أربعمائة درهم مكتوبٌ على كلّ درهم : هذا درهم ضرب الرّحمن لعثمان بن عفّان . فأخبر جبريل النبي ﷺ بذلك فقال : هنيئاً لك يا عثمان ! .

قال الأميني : ذكر الحلبي في سيرته ج ٢ ص ٢٢٨ عن فتاوى جلال الدين السيوطي أنه سُئل عن صحّة هذه الرواية فأجاب بأنها لم تصحّ . فقال : أي وهي

(١) تجد هذه الأحاديث في هذا الجزء ٩٢ - ٩٨ .

ختمام البحث عن مناقب عثمان ٤٢٥

تصدّق بأنّ ذلك لم يرد فهو من الكذب الموضوع . هـ . ومَرّ في الجزء الخامس في سلسلة الموضوعات ص ٣٩٠ قول ابن درويش الحوت: إنّ كذب شنيع .

(ختمام المناقب) : قال الجرداني في مصباح الظلام ج ٢ ص ٢٩ : فائدة : مَنْ كتب هذه الأسماء وغسل بها وجهه فإنّه لا يعمى ، وَمَنْ كتبها وشربها على الريق لا ينسى ، ومن كتبها وشربها لا يعجز عن النساء ، وهم : عثمان بن عفّان . معاذ بن جبل . عبدالرحمن بن عوف . زيد بن ثابت . أبيّ بن كعب . طلحة بن عبدالرحمن . تميم الدارمي رضي الله عنهم .

قال الأميني : فليمتحن مَنْ لا يخاف عن العمى والنسيان والعن . أضف إلى هذه الأساطير أو المخازي ما مرّ في الجزء الخامس من المناقب الموضوعة لعثمان خاصّة ص ٣٧٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٧

منتهى القول :

إلى هنا ننهي القول عن فضائل عثمان التي اختلقتها وثابة الشّره ومُهمّلة المطامع والشّهوات في العصور الأمويّة طمعاً في رضاخ اولئك المقعّين على أنقاض عرش الخلافة وأكثر هؤلاء شاميّون أو بصريّون الذين جُبلوا بحبّ العبسميّين ، ومناوئة سروات المجد من العترة الطاهرة صلوات الله عليهم ، فليس وضع تلكم الروايات عنهم ببعيد ، ولعلّ هناك من ضرائب ما ذكرناه أشياء لكن سيبلها سبيل هذه الطامّات في الأسانيد والمتون ومنشأ الكلّ هو المغلاة في الفضائل من غير تفهّم ولا رويّة .

ولعلّ القوم في عذر ممّا هم عليه من عدم الأخذ بآراء الحفاظ وأئمّة الفنّ الواردة في باب الجرح والتعديل ، وعدم إجرائها في رجال تلكم المسانيد سلسلة البلايا والطامات التي اتّخذوها حجّة في الفضائل ، وعلّوا عليها الدعوة إلى أناس والتّخذيّل عن آخرين ، ولا مندوحة لاولئك من رواية مرّعات الحديث ، والأخذ بالموضوع المختلق ، لأنّهم إن جنحوا في باب الفضائل إلى الصحيح الثابت في التاريخ والحديث فحسب ، اقتصروا على ما صحّ منها ، وصفحوها عن الباطل المزيف ، وتركوا كلّ تلكم التلفيقات المخزية ، لتبقى تلكم الصحائف السوداء

بيضاء خالية فارغة عن كل مآثرة وفضيلة ، وهذا عزيزٌ عليهم جداً لا يحبّذه الحبُّ الدفين ، ولا تسوّغه العصبيّة ، وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم فقد جاؤوا ظلماً وزوراً ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقّ، ويحسبون أنّهم على شيء ألا إنّهم هم الكاذبون ، أنظر كيف نبّين لهم الآيات أنى يؤفكون .

المغالاة في فضائل الخلفاء الثلاثة

أبي بكر ، عمر ، عثمان

لقد أوقفناك على شيء من الغلوّ الفاحش في كل فرد من هؤلاء، وعرفناك أنّ كل ما لفّقه القوم ورمّقه من الفضائل إنّما هي من مرمّعات الحديث لا يساعدها المعروف من نفسيّاتهم وملكاتهم ولا يتفق معها ما سجّل لهم التاريخ من أفعال وتروك ، وهلمّ الآن إلى لون آخر ممّا تمتّته يد الإفتعال يشملهم كلّهم، ولا نكتث من ذلك إلّا لما جاء بصورة الرواية دون الأقوال والكلمات ، فإنّ رمي القول على عواهنه ممّا لا نهاية له ، وما حدث إليه الأهواء والشهوات لا تقف على حدّ ، فنمرّ بما جاء به أمثال أبناء حزم وتيميّة والجوزي والجوزيّة وكثير وحجر ومن لفّ لفّهم من السلف والخلف كراماً، فأنى يسع لنا التبسّط تجاه مزعمة نظراء التفتازاني وأمّثاله قال في شرح المقاصد ج ٢ ص ٢٧٩ : احتجّ أصحابنا على عدم وجوب العصمة بالإجماع على إمامة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم مع الإجماع على أنّهم لم تجب عصمتهم وإن كانوا معصومين بمعنى أنّهم منذ آمنوا كان لهم ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها .

وقال أبو النّشاء شمس الدين محمود الإصبهاني المتكلّم الشهير في «مطالع الأنظار» ص ٤٧٠ : ولا يشترط فيه العصمة خلافاً للإسماعيليّة والإثنا عشريّة . لنا : إمامة أبي بكر والامة اجتمعت على كونه غير واجب العصمة لا أقول إنّّه غير معصوم . هـ . وأقرّ عصمة عثمان الحافظ نور محمّد الأفغاني في كتابه «تاريخ مزار شريف» ص ٤ .

ونحن وضعنا أمامك صحائف من كتب أعمال هؤلاء المعصومين التي قضوا أكثرها على العادات الجاهليّة ، وأوقفناك على أنّ ما طابق منها عهد الإسلام ممّا لا

يمكن أن يكون صاحبه عادلاً فضلاً عن أن يُعدَّ معصوماً ، ها هنا لا نحاول أكثر من لفت نظر القارئ إلى تلكم الصحائف من غير توسُّع نكرِّره ، ففيما سبق في الجزء السادس والسابع والثامن من الطامات والجنايات والأحداث والشنائع والفظائع ممَّا لا تقرُّه طقوس الإسلام ويشدُّ عن سنن الكتاب والسنة غنى وكفاية .

وأما ما استنتجه التفتازاني من الاجماعين فمن أفحش أغلاطه . أمَّا أولاً فلمنع الإجماع في كلِّ من الثلاثة فإنَّ خلافة أبي بكر إنما تمَّت بعد وصمات سوِّدت صحيفة تاريخه ، وأبقت على الأمة عاراً إلى منصرم الدنيا ، لا تُنسى قطُّ بمرِّ الجديدين وكرِّ الملوك ، إنما تمَّت بيعة رجل أو رجلين أو خمسة ، ومن هنا حسبوا أنَّ الخلافة تنعقد برجل أو رجلين أو خمسة^(١) مع تقاعد جمع كثير عنها من عمد الصحابة وأعيانهم كما فصلناه في الجزء السابع ص ١١١ ثمَّ لم يجمعهم مع القوم إلَّا الترعيد والترعيب ومحاشد الرجال وبروق الصوارم وكان من حشدهم اللهم رجال من الجنِّ رموا سعد بن عبادَةَ أمير الخزرج .

وأما خلافة عمر فكانت بالنصِّ من أبي بكر مع إنكار الصحابة عليه ونقدهم إياه بذلك ، وكم أناس كانوا يشاركون طلحة في قوله لأبي بكر : ما تقول لربِّك وقد وليت علينا فظاً غليظاً^(٢) .

وأما عثمان فنصبته الشورى على هنات بين رجال الشورى وعقد له عبد الرحمن بن عوف ولم يشترطوا كما قال الإيجي^(٣) إجماع من في المدينة فضلاً عن إجماع الأمة نعم : عقد عبد الرحمن البيعة لصاحبه وسيفه مسلولٌ على رأس الإمام عليٍّ بن أبي طالب قائلاً له : بايع وإلَّا ضربت عنقك . ولحقه أصحاب الشورى قائلين بايع وإلَّا جاهدناك .

[أنساب البلاذري ج ٥ ص ٢٢]

(١) راجع ما مرَّ في الجزء السابع ص ١٦٣ - ١٦٦

(٢) مرَّت كلمته في ج ٧ ص ١٧٥ . وراجع الرياض النضرة ج ١ ص ١٨١ كنز العمال ج ٦ ص ٣٢٤ .

(٣) مرَّت كلمته في الجزء السابع ص ١٦٣

والتمثّل بحصول الإجماع بعد ذلك تدريجاً لا يُجديهم نفعاً ، فإنّ الخلافة قد ثبتت عندهم بالبيعة الاولى فجاء متمّموا الإجماع بعد ذلك على أساس موطّد .

وأما ثانياً: فإنّ من الممكن على فرض التنازل مع التفتازاني أن يكون إجماعهم على خلافة الثلاثة لكونهم معصومين كما ينصّ به هو ، وأما الإجماع المنقول عنهم بعدم وجوب العصمة فمما لا طريق إلى تحصيله من آراء الصحابة ، فمتى سبر التفتازاني نظريّات السلف وهم معدودون بمئات الألوف فعلم من نفسيّاتهم أنّهم لا يرون وجوب العصمة في خلفائهم وهم رهائن أطباق الثرى ؟ ومن ذا الذي كان يسعه أن يعلمها فينهيها إلى التفتازاني وهلمّ جرّاً إلى دور الصحابة ؟ ومتى كانوا يتعاطون المسائل الكلاميّة ويتفاوضون عليها فيحفي هذا خبر ذاك ثمّ ينقله إلى ثالث إلى أن يتسلسل النقل فيشيّع ؟ والسابر لصحائف دور الخلافة الاولى منذ يوم السقيفة إلى يوم الشورى لا يجد لأمر العصمة في منتديات القوم ذكراً ولا يسمع منه ركزاً ، وإنّما اتّخذوا أمر الخلافة كملوكيّة يتسنّى لهم بها الحصول على أمن البلاد وحفظ الثغور وقطع السارق والإقتصاص من القاتل وما إلى هذه من لداتها كما فصلنا القول فيه تفصيلاً ج ٧ ص ١٥٨ وعلى ذلك جرى العلماء المتكلّمون فليس لهم في الشروط النفسانيّة من العلم والتقوى والقداسة أخذ ولا ردّ إلاّ كلمات سليبة حول اشتراطها ، ومتى كانت الخلافة عند السلف إمرة دينيّة حتى يبحثوا عن حدودها ؟ ولم تكن إلاّ سياسة وقتيّة مدبرة بليل .

وأما ثالثاً: فإنّنا لا نحتجّ بالإجماع إلاّ بعد ثبوت حجّيته ، فإذا ثبتت فإنّها لا نختصّ بمورد دون آخر فيجب أن يكون حجّة في الخلافتين معاً من أبي بكر وعثمان ذلك على نصبه ، وهذا على استباحة قتله ، والنقض بخروج ثلاثة أو أربعة من ساقّة الأمويّين أو ممّن يمتّ بهم ويحمل بين جنبيه نزعتهم في الإجماع على عثمان مقابل بخروج أمة صالحه عن الإجماع الأوّل من أعيان الصحابة وفي طليعتهم سيّد العترة وإمام الأئمة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والإمامان الحسان والصدّيقة الطاهرة أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، إلى غيرهم من بني هاشم والعمد والدعائم من المهاجرين والأنصار، ووافقهم الأخير

مشفوعاً بالترهيب لا يُعدُّ وفاقاً ولا يكون متمماً للإجماع ، فإنَّهم كانوا مستمرين على آرائهم وإن ألجأتهم الظروف وحذار وقوع الفرقة إن شهروا سيفاً وباشروا نضالاً إلى المغاضاة عن حقِّهم الواضح والمماشاة مع القوم كيفما حلَّوا وربطوا ، فهذا مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يقول بعد منصرف أيام الثلاثة في رحبة الكوفة : أما والله لقد تقمَّصها ابن أبي قحافة ، وإنَّه ليعلم أنَّ محليَّ منها محلُّ القطب من الرحي ، ينحدر عني السيل ، ولا يرقى إليَّ الطير ، فسدلت دونها ثوباً ، وطويت عنها كشحاً ، وطفقت أرتأي بين أن أصول بيد جدِّاء أو أصبر على طخية عمياء ، يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمنٌ حتَّى يلقي ربَّه ، فرأيت أنَّ الصبر على هاتا أحجى ، فصبرت وفي العين قذى ، وفي الحلق شجى ، أرى تراثي نها ، حتَّى مضى الأوَّل لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده . ثمَّ تمثَّل بقول الأعشى :

شَّتان ما يومي على كورها ويوم حيَّان أخي جابر

فيا عجباً بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته ، لشدَّ ما تشطَّرا ضرعيها ، فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها ، ويخشن مسُّها ، ويكثر العثار فيها والإعتذار منها ، فصاحبها كراكب الصعبة ، إن أشق لها خرم ، وإن أسلس لها تقحُّم ، فمُني الناس لعمر الله بخبط وشماس ، وتلُّون واعتراض ، فصبرت على طول المدَّة ، وشدَّة المحنة ، حتَّى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنَّي أحدهم ، فيالله وللشورى ! متى اعترض الريب فيَّ مع الأوَّل منهم حتَّى صرت أُقرن إلى هذه النظائر ، لكنِّي أسففت إذا أسفَّوا وطرت إذ طاروا ، فصغى رجلٌ منهم لضغنه ، ومال الآخر لصهره ، مع هنٍ وهنٍ ، إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع ، إلى أن انتكث فتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته^(١) .

تُعرِّب هذه الخطبة الشريفة عن رأيه عليه السلام في الخلافة ، وكلُّ جملة منها تشهد على عدم العصمة المزعومة ، أو تمثِّل أولئك المعصومين للملأ بعُجرهم

٤٣٠ الغدير ج - ٩

وبُجّرهم ، أضف إليها قوله ﷺ من كتاب له إلى معاوية : ذكرت إبطائي عن الخلفاء ، وحسدي إياهم ، والبغي عليهم ، فأما البغي فمعاذ الله أن يكون ، وأما الكراهة لهم فوالله ما أعتذر للناس من ذلك ، وذكرت بغيي على عثمان وقطعي رحمه فقد عمل عثمان بما قد عامت وعمل به الناس ما قد بلغك^(١) .

وقوله ﷺ من خطبة له لَمَّا أراد المسير إلى البصرة : إِنَّ الله لَمَّا قبض نبيّه ﷺ استأثرت علينا قريش بالأمر ودفعتنا عن حقّ نحن أحقّ به من الناس كافة ، فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين وسفك دمائهم ، والناس حديثو عهد بالإسلام ، والدين يُمخض مخض الوطب . يفسده أدنى وهن ، ويعكسه أقلّ خلق ، فولي الأمر قوم لم يألوا في أمرهم اجتهاداً ، ثم انتقلوا إلى دار الجزاء والله وليّ تمحيص سيئاتهم والعفو عن هفواتهم^(٢) .

وقوله ﷺ : إِنَّ النبيّ ﷺ قبض وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر مني ، فبايع الناس أبا بكر فبايعت كما بايعوا ، ثمّ إنّ أبا بكر هلك وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر مني فبايع الناس عمر بن الخطاب فبايعت كما بايعوا ، ثمّ إنّ عمر هلك وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر مني فجعلني من ستة أسهم فبايع الناس عثمان^(٣) .

وقوله ﷺ يوم قال أبو بكر لقنقذ وهو مولى له : إذهب فادع لي عليّاً . فذهب إلى عليّ فقال : ما حاجتك ؟ فقال : يدعوك خليفة رسول الله . فقال عليّ : لسريع ما كذبتهم على رسول الله . فرجع فأبلغ الرّسالة ثمّ قال أبو بكر : عُذ إليّ فقل له : أمير المؤمنين يدعوك لتبايع . فجاءه قنقذ فأدى ما أمر به فرفع عليّ صوته فقال : سبحان الله لقد ادّعى ما ليس له . الحديث . الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٣ .

إلى كلمات أخرى توقف الباحث على جليّة الحال .

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٦ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٠٢ .

(٣) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٧١ .

مناقب الخلفاء الثلاثة والنظر فيها ٤٣١

فأين العصمة المزعومة ؟ ثم أين الإجماع المدعى عليها ؟ وأنى كان الإجماع على الخلافة ؟ ومتى تحقق ؟ وإن تمَّ الإجماع فيجب أن يحتجَّ به في الخلافتين وصاحبيهما وإن أبطلناه ففيهما معاً .

ونحن لو اندفعنا إلى تفنيد أمثال هذه السفاسف المنبعثة عن الغلو في الفضائل لضاق بنا المجال عن السير في مواضيع الكتاب على أنها غير مُبْتَنِيَة على أسس رصينة تستحقُّ أخذاً بها أو ردّاً عليها ، وإنما ذكرنا هذه الاسطورة فحسب لأن نعطيك شيئاً من نماذج تلكم الأقاويل المسطرة بلا أيّ تعقل وتدبر ، فدونك شيئاً ممَّا عزوه إلى الروايات من فضائل الثلاثة :

١ - أخرج الإمام الفقيه المحدث الثقة^(١) أبو الحسين محمد بن أحمد الملطي الشافعي المتوفى سنة ٣٧٧ في كتابه «التنبيه والردّ على أهل الأهواء والبدع» ص ٢٣ قال : قال محمد بن عكاشة رحمه الله أخبرني معاوية بن حماد الكرمانى عن الزهري قال : من اغتسل ليلة الجمعة وصلى ركعتين قرأ فيهما (قل هو الله أحد) ألف مرة رأى النبي ﷺ في منامه . قال محمد بن عكاشة : فدمت عليه كل ليلة جمعة أصلي الركعتين أقرأ فيهما (قل هو الله أحد) ألف مرة طمعاً أن أرى النبي ﷺ في منامي فأعرض عليه هذه الاصول فأنت علي ليلة باردة فاغتسلت وصليت ركعتين ثم أخذت مضجعي فأصابني حلم ، فقممت ثانية فاغتسلت وصليت ركعتين ، وفرغت منهما قريباً من الفجر فاستندت إلى الحائط وجهي إلى القبلة إذ دخل علي النبي ﷺ ووجهه كالقمر ليلة البدر وعنقه كابريرق فضة فيه قضبان الذهب على النعت والصفة ، وعليه بردتان من هذه اليمانيّة قد إتزر بواحدة وارتنى بأخرى ، فجاء واستوفز على رجله اليمنى وأقام اليسرى فأردت أن أقول : حيّاك الله فبادرني وقال : حيّاك الله . وكنت أحبّ أن أرى رباعيته المكسورة فتبسّم فنظرت إلى رباعيته فقلت : يا رسول الله ! إن الفقهاء والعلماء قد اختلفوا عليّ وعندى أصول من السنة أعرضها عليك فقال : نعم . فقلت :

(١) كذا وصفوه وأنت تعرف صدق وصفه من حديثه .

الرضا بقضاء الله ، والتسليم لأمر الله ، والصبر على حكم الله ، والأخذ بما أمر الله ، والنهي عما نهى الله عنه ، والإخلاص بالعمل لله ، والإيمان بالقدر خيره وشره من الله ، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين ، والمسح على الخفين ، والجهاد مع أهل القبلة ، والصلاة على من مات من أهل القبلة سنة ، والإيمان يزيد وينقص ، قول وعمل ، والقرآن كلام الله ، والصبر تحت لواء السلطان على ما كان فيه من جور وعدل ، ولا يُخرج على الأمر بالسيف وإن جار ، ولا ينزل أحد من أهل التوحيد جنة ولا ناراً ، ولا يكفر أحد من أهل التوحيد بذنب وإن عملوا الكبائر ، والكف عن أصحاب محمد ﷺ - فلما أتيت : والكف عن أصحاب محمد ﷺ بكى حتى علا صوته - وأفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي . قال محمد بن عكاشة : فقلت في نفسي في علي : ابن عمه وختنه . فتبسم ﷺ كأنه قد علم ما في نفسي . قال محمد : فدمت ثلاث ليال متواليات أعرض عليه هذه الاصول كل ذلك أقف عند عثمان وعلي فيقول لي ﷺ : ثم عثمان ثم علي . ثم عثمان ثم علي : ثلاث مرّات . قال : وكنت أعرض عليه هذه الأصول وعيناه تهلان بالدموع قال : فوجدت حلاوة في قلبي وفمي فمكثت ثمانية أيام لا أكل طعاماً ولا أشرب شراباً حتى ضعفت عن صلاة الفريضة فلما أكلت ذهب تلك الحلاوة واللذة والله شاهد علي وكفى بالله شهيداً .

وقال أمير المؤمنين المتوكل رحمه الله لأحمد بن حنبل رضي الله عنه : يا أحمد ! إنني أريد أن أجعلك بيني وبين الله حجة فأظهرني على السنة والجماعة وما كتبته عن أصحابك عما كتبوه عن التابعين مما كتبوه عن أصحاب رسول الله . فحدثه بهذا الحديث .

قال الأميني : نحن نجد الباحث في غنى عن البحث عن هذه الاسطورة وما فيها من مضحكات الثكلى ، ونجل أحمد عن أن يتخذها حجة بينه وبين الله فيلقنها خليفة وقته ، ونربي به عن تصديق مثل محمد بن عكاشة الذي جاء فيه قول ابن عساكر بعد روايته هذه الرؤيا : قال سعيد بن عمرو البردعي : قلت لأبي زرعة : محمد بن عكاشة الكرمانى . فحرك رأسه فقال : رأيته وكتبت عنه وكان كذاباً .

مناقب الخلفاء الثلاثة والنظر فيها ٤٣٣

قلت : كتبت عنه الرؤيا التي كان يحكيها ؟ قال : نعم كتبت عنه فزعم أنه عرض على شبابة : الإيمان قولٌ وعملٌ يزيد وينقص فيه أي به ، وأنه عرض على أبي نعيم : عليٌّ ثم عثمان فقال به وهو كذوبٌ ولا يحسن أنه يكتب أيضاً ، يعني ان شبابة لا يقول بذلك وكذا أبو نعيم قلت : أين رأيته ؟ قال : قدم هنا مع محمد بن رافع وكان رفيقه كنت أرى له سمناً ولقيني محمد بن رافع فكره أن يقول فيه شيئاً وقال لي : لا يخفى عليك أمره إذا فاتحته فقلت : إن رأيت أن تفيدني شيئاً قال : نعم . ثم كاد يصعق واضطرب بطنه فهالني ذلك ثم أقبل عليّ فقال : إن أول ما أملئ عليّ أن كذب على الله وعلى رسوله ﷺ وعلى عليّ وعلى ابن عباس . الخ^(١) .

وذكره الحاكم في الضعفاء فقال : منهم جماعة وضعوا كما زعموا يدعون الناس إلى فضائل الأعمال مثل أبي عصمة ومحمد بن عكاشة الكرمانى ثم نقل عن سهل بن السري الحافظ أنه كان يقول : وضع أحمد الجوباري ومحمد بن تميم ومحمد بن عكاشة على رسول الله ﷺ أكثر من عشرة آلاف حديث . راجع ما أسلفناه في سلسلة الكذابين ج ٥ ص ٣١٩ ، ولسان الميزان ج ٥ ص ٢٨٦ - ٢٨٩ .

فرجلٌ هذا حاله وتلك صفته وذلك حديثه ليس بالمستطاع تصديقه على دعاويه المجردة في المبادئ والمعتقدات ، العجب كلُّ العجب من الفقيه الثقة الذي يعتمد على مثلها من خزاية ، قاتل الله الحب المعمي والمصم هو الذي حدى القوم إلى تفتين بسطاء الأمة بمثل هذه الخزعات والله يعلم أنهم لكاذبون .

٢ - أخرج البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٥ عن خلف البزار عن أبي شهاب الحنّاط^(٢) عن خالد الحذاء البصري عن أبي قلابة البصري عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ أرحمكم أبو بكر ، وأشدكم في الدين عمر ، وأقروكم أبي ، وأصدقكم حياءً عثمان ، وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأفرضكم

(١) لسان الميزان ج ٥ ص ٢٨٧ .

(٢) عبد ربّه بن نافع السكّاني ، ثقة ليس بالقوي بهم في حديثه ويخطئ .

٤٣٤ الغدير ج - ٩

زيد بن ثابت ، وإن لكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيدة الجراح .

أخرجه ابن عساكر في تاريخه ج ١ ص ٣٢٥ محذوف الإسناد بلفظ : أرحم أمي أبو بكر ، وأشدّهم في دين الله عمر ، وأصدقهم حياءً عثمان ، وأفرضهم زيد ، وأقرأهم أبي بن كعب . الخ .

ورواه في ج ٦ ص ١٩٩ من طريق أبي سعيد الخدري وعقبه : قال العقيلي : أسانيد هذه الأحاديث غير محفوظة والمتون معروفة .

قال الأميني : ألا تعجب من أسطورة جاء بها خلف البزار الثقة الأمين العابد الفاضل السكير . قال أبو جعفر النقيلي : كان من أصحاب السنة لولا بليّة كانت فيه : شرب النبيذ .

وذكر خلف عند أحمد - إمام الحنابلة - فقليل : يا أبا عبدالله ! إنه يشرب . فقال : قد انتهى إلينا علم هذا عنه ، ولكن هو والله عندنا الثقة الأمين شرب أولم يشرب^(١) .

والرواية نفسها شاهد صدق على ما انتهى إلى إمام الحنابلة علمه من خلف البزار والذين أخذوها منه ورووها عنه إنما أقحمتهم فيها سكرة الهوى لا نشوة السّلافة .

ولتقدّس ذيل هذا الثقة الأمين عن رجاسة النبيذ جاء الخطيب البغدادي بما رواه عن محمد بن أحمد بن رزق عن محمد بن الحسن بن زياد النقاش قال : سمعت إدريس بن عبد الكريم الحدّاد يقول : خلف بن هشام يشرب من الشراب على التأويل فكان ابن أخته يوماً يقرأ عليه سورة الأنفال حتى بلغ ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ فقال يا خال ! إذا ميّز الله الخبيث أين يكون الشراب ؟ قال : فنكس رأسه طويلاً ثم قال : مع الخبيث . قال : فترضى أن تكون مع أصحاب الخبيث ؟ قال : يا بني امض إلى المنزل فاصبب كلّ شيء فيه ، وتركه ، فأعقبه الله الصوم ، فكان يصوم الدهر إلى أن مات .

(١) اقرأ واحكم .

مناقب الخلفاء الثلاثة والنظر فيها ٤٣٥

حبذا هذا التنزيه لو صدقت الأحلام، وهو وإن كان معقولاً أحسن من رأي الإمام أحمد من أنه الثقة الأمين شرب أو لم يشرب . فإنه رأي تافه لا تساعده البرهنة ولا يوافقه الشرع والعقل والمنطق ، والله يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾^(١) غير أن من المأسوف عليه جداً بطلان إسناده لمكان محمد بن الحسن النقاش فإنه كذبه طلحة بن محمد ، ووهاه الدارقطني ، ودلّسه أبو بكر ، وقال البرقاني : كل حديث منكر ، وذكر عنده تفسيره فقال : ليس فيه حديث صحيح . وكل هذه ذكرها الخطيب نفسه فيماذا يُنزّه الرجل ؟ وأنى يتأتى له أملة ؟

وإنني أشكر من انتهى إليه وضع هذه الأكذوبة على أنه لم يذكر مع القوم مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي هو أربى من كلهم في جميع الصفات المذكورة فإنه يُرفع عن أن يُذكر في عداده أي أحد ، كما أن فضائله أربى من أن تُذكر معها فضيلة .

وها هنا لا نناقش متن الرواية في الأوصاف التي حابت القوم بها ، فلعل فيها ما هو مدعوم بالبرهنة ، فيشهد على كون أبي بكر أرحم الأمة إحراقه الفجاءة ، وغضبه الطرف عن وقعة خالد بن الوليد في بني حنيفة وخزائمه مع مالك بن نويرة وزوجته^(٢) وعدم اكترائه لأمر الصديقة فاطمة في دعواها ، وكانت له مندوحة عن مجابقتها باسترضاء المسلمين واستئزال كل منهم عن حصته من فذك إن غاضينا القوم على الفتوى الباطلة والرواية المكذوبة في انقطاع إرث النبوة خلافاً لآيات الموارد المطلق وإرث الأنبياء خاصة ، على أن فاطمة سلام الله عليها وابن عمها ما كانا يجهلان بما تفرد بنقله أبو بكر وصافقته على قوله سماسرته من الساسة لأمر دبر بليل ، وأمير المؤمنين عليه السلام أقضى الأمة وباب مدينة علم النبي ، والصديقة فاطمة بضعته وما كان يشح عليه من إفاضة العلم ولا سيما علم الأحكام وعلى الأخص ما يتعلق بها ، وهو عليه السلام يعلم أنها سوف تقيم الدعوى على صحابته المتغلبين على فذك وأنها ستمنع عنها ويحتدم بينها وبينهم الشجار ، ويستتبع ذلك

(١) سورة الحجرات ؛ الآية : ٦ .

(٢) راجع الجزء السابع ص ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٣

انشقاقاً بين الأمة إلى يوم القيامة ، فمن مزدلفة إلى بضعة النبوة ، ومن جانحة إلى من منعها عن حقها ، فكان من الواجب أن يسبق عليه السلام إلى ابنته بتفصيل حكم هذا شأنه قبل أبي بكر .

ألم تكن لأبي بكر مندوحة تصحح إقطاع فاطمة فداً وردها إليها حتى لا يفتح باب السوء على الأمة كما ردها عمر إلى ورثة النبي الأقدس ، وأقطعهما عثمان مروان وأقطعها معاوية مروان وعمر بن عثمان ويزيد بن معاوية على الأثلاث ، إلى ما رأى فيها الخلفاء بعدهم من التصرف كتصرف الملاك في أملاكهم^(١) .

سئل عن صفة أبي بكر هذه فاطمة وهي صديقة يوم خرجت عن خدرها وهي تبكي وتنادي بأعلى صوتها : يا أبت ! يا رسول الله ! ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة^(٢) .

وسلها عنها يوم لاثت خمارها على رأسها ، واشتملت بجلبابها ، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذبولها ، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، فنيطت دونها ملاءة ، ثم أنت أنة أجهش لها القوم بالبكاء ، وارتج المجلس^(٣) .

وسلها عنها يوم قالت لأبي بكر : والله لأدعون عليك بعد كل صلاة أصليها .

وسلها عنها يوم ماتت وهي واجدة على أبي بكر ، وهي التي طهرها الجليل بآية التطهير ، وصح عن أبيها قوله عليه السلام : فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني ، يؤذيني ما آذاها ، ويغضبني ما أغضبها^(٤) .

وقوله : فاطمة قلبي وروحي التي بين جنبي فمن آذاها فقد آذاني^(٥) .

وقوله : إن الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها^(٦) .

(١) راجع ج ٧ ص ٢٢٢

(٢) راجع ج ٧ ص ٩٣ .

(٣) راجع ج ٧ ص ٢١٩

(٤) راجع ج ٧ ص ٢٦٠ - ٢٦٦

(٥) راجع ج ٧ ص ٢٦٦

(٦) راجع ج ٧ ص ٢٦٦

مناقب الخلفاء الثلاثة والنظر فيها ٤٣٧

وسل عنها أمير المؤمنين وهو الصديق الأكبر يوم قاده كما يُقاد الجمل
المخشوش إلى بيعة عمّت شومها الإسلام ، وزرعت في قلوب أهلها الآثام ، وعُنت
سلمانها ، وطردت مقدادها ، ونفت جندبها ، وفتقت بطن عمارها ، وحرّفت
القرآن ، وبدّلت الأحكام ، وغيّرت المقام ، وأباحث الخمس للطلاق ، وسلّطت
أولاد اللعناء على الفروج والدماء ، وخلطت الحلال بالحرام ، واستخفّت بالإيمان
والإسلام ، وهدمت الكعبة ، وأغارت على دار الهجرة يوم الحرّة ، وأبرزت بنات
المهاجرين والأنصار للنكال والسوء ، وألبستهنّ ثوب العار والفضيحة ، ورخصت
لأهل الشبهة في قتل أهل بيت الصفوة وإبادة نسله ، واستئصال شأفته ، وسبي
حرمة ، وقتل أنصاره ، وكسر منبره ، وإخفاء دينه ، وقطع ذكره . إنّنا لله وإنّا إليه
راجعون .

وسل عنها أمير المؤمنين يوم لاذ بقبر أخيه رسول الله ﷺ وهو يبكي
ويقول : يابن أمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني^(١) .
إلى غير هذه من دلائل كون أبي بكر أرحم الأئمة .

وأما كون عمر أشدّهم في الدين فمن جليّة الواضحات أنّ الشدّة في الدين
ليست هي الفظاظة والغلظة فحسب وإنّما هي التهالك في التمسك بعروتي الكتاب
والسنّة والعمل بهما والأخذ والقيام بما جاء فيهما من الحدود ، وما أكثر ما خالفهما
الرجل ونبذهما وراء ظهره واتّخذ برأيه الشاذّ عنهما ؟ ودع عنك ما جهله منهما .
وما قيمة شدّة بلا علم ؟ وما مقدار شدّة مع التنكب عن أساسيات الدين ؟ مع
الخروج عن طقوس الإسلام ، مع التمسك بالأهواء والشهوات ؟ راجع نوادر الأثر
في علم عمر من الجزء السادس ص ١٠٩ - ٣٨٩ فإنّك تجد هنالك شواهد قويّة
على إثبات هذه الصّفة فاقراها وتبصر .

وأما كون عثمان أصدقهم حياءً فيكفي دلالة عليه الجزء الثامن والتاسع من
هذا الكتاب وكلّ صحيفة منهما آية من آيات صفته تلك ، مضافاً إلى ما سردناه في
هذا الجزء ص ٣١١ - ٣٢٧ من البحث الخاصّ في حياته .

(١) راجع الجزء السابع ص ٩٤

وأما الثلاثة الباقيون فلا نطيل البحث عن إثبات ما ذكر لهم ، ففيه تضييع .
للموقت وشغلٌ عمّا هو أهمُّ من ذلك ، ومن سَبَر كتابنا هذا عرف أعلم الأمة وأفرضها
وأمينها وعلم أنّه غيرهم ، فلا يدلس ساحة الأمة بأمثال المذكورين ، ولا يخاف عليه ممّا
كان يخاف النبيُّ الأقدس ﷺ على أمّته كما جاء عنه : أخاف على أمّتي من بعدي
ضلالة الأهواء ، واتّباع الشهوات ، والغفلة بعد المعرفة . «أسد الغابة ج ١
ص ١٠٨» .

٣- في كتاب المناقب من صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٤٩ عن محمد بن
الحنفية قال : قلت لأبي : أيُّ الناس خيرٌ بعد رسول الله ﷺ ؟ قال : أبو بكر .
قلت : ثمّ من ؟ قال : ثمّ عمر . وخشيت أن يقول : ثم عثمان . قلت : ثم أنت ؟
قال : ما أنا إلّا رجلٌ من المسلمين .

وفي لفظ الخطيب في تاريخه ج ١٣ ص ٤٣٢ : قال قلت : يا أبت ! من خير الناس بعد
رسول الله ﷺ ؟ قال : يا بُنيّ أو ما تعلم ؟ قال : قلت : لا . قال : أبو بكر . قال :
قلت : ثمّ من ؟ قال : يا بُنيّ أو ما تعلم ؟ قال : قلت : لا . قال ثمّ عمر . قال : ثمّ
بدرته فقلت : يا أبت ! ثمّ أنت الثالث . قال : فقال لي : يا بُنيّ أبوك رجلٌ من
المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم .

قال الأُميني : ليست هذه أوّل سقطة من سقطات البخاري ، ومن عرف
معتقد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في الذين تقدّموه وما استمرّ عليه دأبه من التصريح
بذلك المعتقد تارةً والتلويع إليه أخرى لا يشكُّ في أنّ ما عُزي إليه بهتانٌ عظيمٌ .

وليس ابن الحنفية ذلك الذي لا يعرف أباه ولا نظريته في القوم بعد اللتيا
والتي حتى يسأله عن أولئك الرجال ثمّ يخاف عن أن يقول في المرّة الثالثة عثمان
وهو يعرفه بعُجره وبُجره لا محالة ، ويعلم أنّه هو أحد الثلاثين من بني أبي العاص
الذين صحّ فيهم قول رسول الله ﷺ : إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا
مال الله دولاً ، وعباده خولاً ، ودينه دخلاً^(١) .

لماذا كتم أمير المؤمنين عليه السلام من ابن الحنفية رأيه هذا يوم مقتل عثمان لمّا

(١) راجع ما مرّ في الجزء الثامن ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣٥٥

مناقب الخلفاء الثلاثة والنظر فيها..... ٤٣٩

أراد الإمام عليه السلام أن يأتي الرجل وينصره فأخذ ابن الحنفية بضبعيه أو بكفيه أو بحقوقه يمنعه من ذلك^(١).

حاشا ابن الحنفية من الجهل بما جاء في أبيه الطاهر عن رسول الله ﷺ من قوله : إنه خير البرية ، وإنه خير البشر ، وإنه خير من أتركه بعدي ، وإنه خير الناس ، وإنه خير الرجال ، وإنه أحد الخيرتين^(٢) ومحمد بن الحنفية هو الذي كان ينشد شاعره كثير عزة بين يديه قوله :

أنت ابن خير الناس من بعد النبي يا بن عليّ سرّو من مثل علي ؟^(٣)
وأني تصحّ نسبة هذه المزعمة إلى عليّ عليه السلام وقد جاء عنه من عدّة طرق أنّه قال : حدّثني رسول الله ﷺ وأنا مسند إلى صدري فقال : أي عليّ ! ألم تسمع قوله الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ ؟ أنت وشيعتك . وورد عن جابر : إنّ أصحاب النبي ﷺ كانوا إذا أقبل عليّ قالوا : قد جاء خير البرية . راجع ما أسلفناه في ج ٢ ص ٧٠ . أخرجه مضافاً إلى ما ذكرناه هنالك من المصادر ابن أبي حاتم في تفسيره ، قال السيوطي في لآليه ج ١ ص ١٢ : إلّزم ابن أبي حاتم أن يخرج في تفسيره أصحّ ما ورد ولم يخرج حديثاً موضوعاً البتّة . هـ .

ولو كان يرى أمير المؤمنين أنّ أبا بكر خير الناس فلماذا تقاعد عن بيعته إلى أن توفيت سيّدة النساء فاطمة ؟ وكان له وجه عند الناس أيّام حياتها كما أخرجه البخاري نفسه ، وصافقه على ذلك بنو هاشم ومَن وافقهم من غيرهم من وجوه الأئمة وأعيان الصحابة ، أو لم يكن فيهم من يعرف منزلة الصديق هذه ؟ وما بال عليّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يحمل الصديقة الطاهرة على دابة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة على خير البشر^(٤) ؟ ولماذا لم يكن في مقال الدعاة إلى أبي

(١) الأنساب ج ٥ ص ٩٤ .

(٢) راجع ما مضى في الجزء الثاني ص ٧٦ ، وج ٣ ص ٤٢ ، ٤٤ .

(٣) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٧٩ .

(٤) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٢ .

٤٤٠ الغدير ج - ٩

بكر أيضاً يوم السقيفة وبعده ما يومي إلى أنه خير البشر؟ بل كان رطب ألسنتهم :
إنه السباق المسن وثاني اثنين إذ هما في الغار^(١) مشفوعاً كل ذلك بالإرهاب
والترعيد . أفلم يدبروا القول ، أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين ؟ .

هب أن الصحابة يوم ذاك ما كانوا يعرفون منزلة الرجل ، فهلاً نبههم عليه
أمير المؤمنين وأمرهم باتباع خير الناس وفيهم من كان أطوع له من الظلّ لديه ، فقمّ
بذلك جذوم الفتنة ، واستأصل جذورها ، وكسح الخلاف من بين المسلمين ، فلم
يتتركها فتنة عمياء تحتدم عليها الإحن ، وتتعاقب المحن ؟ حاشا مولانا أمير
المؤمنين من كل هذه ، لكنّه لم يعرف ما عزي إليه من حديث خير الناس ولا
اعترف بمفاده طرفة عين ، بل كان صلوات الله عليه يرفع عقيرته بما يضادّ هذه
المزعمة في صهوات المنابر بين الملأ الدينيّ ، وقد مرّ شرط من تلکم الکلم في
هذا الجزء .

نحن ها هنا لسنا في مقام إثبات أن علياً خير البشر بعد صنوه الطاهر صلّى
الله عليهما وآلهما . كلا ثمّ كلا .

ولسنا في صراط بيان المفاضلة بينه سلام الله عليه وبين خلفاء الإنتخاب
الدستوري ، حاشا ثمّ حاشا .

ولئنما يروقنا جداً أن نمرکز لهذا الإنسان الكامل في الملأ الدينيّ مكانة فرد
من آحاد المسلمين ، ونجعلها كلمة سواء بيننا وبين القوم ، ونتصافق على هذا
فحسب اللهم غفرانك وإليك المصير .

يا حبذا بعدما صدّق القوم ما عزي إليه صلوات الله عليه من قول : ما أنا إلا
رجل من المسلمين . أو قوله لابنه : يا بُنيّ أبوك رجل من المسلمين له ما لهم
وعليه ما عليهم . كانوا يعدّونه رجلاً منهم وأجروا عليه أحكام من آمن بالله وأسلم ،
وكان له ما لهم وعليه ما عليهم . بل ليتهم كانوا اتّبعوا رأي عثمان فيه ويرون
مروان بن الحكم اللعين ابن اللعين بلسان النبيّ الأقدس أفضل منه . وليتهم ساووا

(١) راجع الجزء السابع ص ١٠٩

نظرة في رواية أخرجه البخاري ٤٤١

بينه وبين سفلة الأعراب ، والطبقة الواطئة الساقطة من الصحابة ، لكن : أنى ؟ ثم أنى ؟ .

قل لي برّبك أيّ مسلم شريف أو وضع لُعن غيره في ثمانية عشر ألف منبر ، ولم ينبس ابن أنثى ببنت شفة في الدفاع عنه ؟

قل لي برّبك أيّ مسلم سائد أو سوقة غير سيّد العترة سُنَّ سبّه في الجمعة والجماعة في الحواضر الإسلاميّة جمعاء ، وتختم بلعنه أندية الوعظ والخطابة ، ومَن نهى عن ذلك يُنفى عن عقر داره ؟ قال الجنيد بن عبد الرحمن بن عمرو : أتيت من حوران إلى دمشق لأخذ عطائي فصلّيت الجمعة ثم خرجت من باب الدرج فإذا عليه شيخ يُقال له : أبو شيبه القاصّ ، يقصُّ على الناس فرغّب فرغبنا ، وخوَّف فبكينا ، فلمّا انقضى حديثه قال : اختموا مجلسنا بلعن أبي تراب ، فلعنوا أبا تراب عليه السلام ، فالتفتُ إلى مَنْ على يميني فقلت له : فمن أبو تراب ؟ فقال : عليُّ بن أبي طالب ابن عمِّ رسول الله وزوج ابنته ، وأوّل الناس إسلاماً ، وأبو الحسن والحسين . إلى آخر ما في تاريخ ابن عساكر ج ٣ ص ٤٠٧ . وفيه أن الجنيد استنكر الأمير ولطم وجه الرجل فشكى إلى هشام بن عبد الملك فنفى الجنيد إلى السند فلم يزل بها إلى أن مات .

قل لي برّبك أيّ عزيز تحت ظلّ النبوة غير عزيزنا المفدّى ، أضهده نير المذلة ، وأصبح ضهدة لكلّ أحد ، جرّعته يد الإحن كاسات المحن ، حتّى سئم من حياته ، وصبر وفي العين قذى ، وفي الحلق شجى ، يرى تراثه نهبا ؟ .

قل لي برّبك أيّ صحابيٍّ غير عليٍّ عليه السلام لا يستقيم الأمر لامّة محمّد إلّا بسبّه ؟ يقال لمروان : ما لكم تسبّونه على المنابر ؟ فيقول بملء فمه : إنّه لا يستقيم لنا الأمر إلّا بذلك^(١) .

قل لي برّبك أيّ موحد إسلاميّ في الملأ الدينيّ يُتبرأ منه في بيعة خليفة المسلمين بيع الله ورسوله سوى عليٍّ عليه السلام ؟ وقد اشترط معاوية البراءة منه عليه السلام

(١) الصواعق لابن حجر ص ٣٣ .

في بيعته^(١) .

قل لي برّبك أيّ إنسان ثقل إسمه على الناس غير عليّ صلوات الله عليه ؟
هذه عائشة لم تسمّه ولا تقدر على أن تذكره بخير ، ولا تطيب له نفساً^(٢) وكان معاوية
أو عبد الملك بن مروان أو هما معاً يأمران ابن عباس أن يغيّر إسم ولده عليّ
وكنيته^(٣) وكان عليّ بن الجهم السلمي يلعن أباه لأنه سمّاه عليّاً^(٤) .

قل لي برّبك أيّ رجل أسلم وجهه لله وهو محسنٌ غير أول المسلمين يُرى
لاعنوه وشاتموا ومعاندوه وقتلوه وخاذلوه متأولين مجتهدين لا يستحقّون مقتاً ولا أخذاً
ولا هواناً ولا عقاباً ؟ .

قل لي برّبك أيّ ابن أنثى من أبناء الإسلام عدا وليد الكعبة ابن فاطمة
استحقّ شيعته ومحّبوه وأهله وذووه في المجتمع السبّ واللعن والقتل والسبي
والإزراء والضرب والنكال والسوء والحبس في ظلم المطامير وقعر السجون ،
وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ؟

الهزيمة كلّ الهزيمة دفاع ابن حجر عن مثل حَكَم بن أبي العاص طريد
النبيّ ولعيته وعن الواقعة فيه بما تحقّق منه وعلم من الفاحشة ، وذّبّه عنه لمكان
كونه صحابياً^(٥) .

الهزيمة كلّ الهزيمة ذبّ ابن حزم عن عبد الرحمن بن ملجم قاتل أمير
المؤمنين وعدم تجويزه لعنه وتبريره عمله بأنّه مجتهدٌ مخطئ^(٦) .

(١) البيان والتبيين للجاحظ ج ٢ ص ٨٥ .

(٢) مرّ الحديث بإسناد صحيح في هذا الجزء صفحة ٣٦٧ .

(٣) تاريخ الطبري ج ٨ ص ٢٣٠ ، حلية الأولياء ج ٣ ص ٢٠٧ ، الكامل للمبرّد ج ٢
ص ١٥٧ ، العقد الفريد ج ٣ ص ٢٨٦ ، الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٧٨ ، تاريخ ابن
خلكان ج ١ ص ٣٥٠ ، تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٥٨ ، شذرات الذهب ج ١ ص ١٤٨ .

(٤) لسان الميزان ج ٤ ص ٢١٠ .

(٥) راجع ما مضى في الجزء الثامن ص ٢٩٥

(٦) راجع ما أسلفناه في الجزء الأول ص ٣٧٧

نظرة في رواية أخرجها البخاري ٤٤٣

الهزيمة كل الهزيمة نصره القاضي حسين الشافعي عمران بن حطان ماح
ابن ملجم قاتل الإمام الطاهر بقوله :

يا ضربة من تقى ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره حيناً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

يحكم بعدم جواز لعنه زعماء بكونه صحابياً^(١) ذاهلاً عن أن ابن حطان لم
يكن صحابياً وإنما هو من رؤوس الخوارج الملعونين بلسان النبي الأقدس ، ولد
الرجل بعده رحمه الله بمدة .

الهزيمة كل الهزيمة تبرير ساحة معاوية الربا والخمور من دنس طاماته
وموبقاته وجنایاته الكبيرة على الإسلام والمسلمين وقتله آلافاً من صلحاء أمة
محمد رحمه الله بكلمة واحدة موجزة ، بأنه كان مجتهداً متأولاً مخطئاً^(٢) .

الهزيمة كل الهزيمة الاعتذار عما اقترفه يزيد الخمور والفجور ، وتنزيه
ساحته من أرجاسه المكفرة ، والنهي عن لعنه وذكره بالسوء بأنه مسلم لم يثبت كفره
وأنه إمام مجتهد^(٣) .

إلى مناصرات ومدافعات عن أمثال هؤلاء بشروى تلکم الكلم الفارغة ، وأما
سيّدنا المفدّی حبيب الله وحبيب رسوله فلسنا مغالين إن قلنا: إن الأمة كانت مصرّة
على مقتله ، مجتمعة على قطيعة رحمه وإقصاء ولده إلا القليل ممّن وفى لرعاية الحقّ
فيه ، فليت القوم أخذوا من بخاريهم وخطيبهم هذه الكلمة المعزّوة إلى أمير
المؤمنين «ما أنا إلا رجل من المسلمين» - وإن كانت مختلقة - وأجروا عليه
حكمها . لكن . لكن . . .

ثم كيف تُعزى إليه سلام الله عليه هذه المفاضلة وقد جاء عن النبي الأقدس
قوله لفاطمة الصديقة : زوّجتك خير أمتي ، أعلمهم علماً ، وأفضلهم حلماً ،

(١) الإصابة ج ٣ ص ١٧٩ .

(٢) الفصل لابن حزم ج ٤ ص ٨٩ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٧٩ .

(٣) تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٢٢٣ ج ١٣ ص ٩ .

٤٤٤ الغدير ج - ٩

وأولهم سلماً؟ مرّ في ج ٣ ص ٩٥/ط ٢ .

وقوله عليه السلام : عليّ خير من أتركه بعدي .

وقوله عليه السلام : خير رجالكم عليّ بن أبي طالب ، وخير نساكم فاطمة بنت محمد .

وقوله عليه السلام : عليّ خير البشر فمن أبي فقد كفر .

وقوله عليه السلام : من لم يقل عليّ خير الناس فقد كفر .

وقوله عليه السلام لفاطمة سلام الله عليها : إنّ الله أطلع على أهل الأرض فاختر منهم أباك فبعثه نبياً، ثمّ اطلع الثانية فاختر بعلك .

وقوله لها : إنّ الله اختار من أهل الأرض رجلين أحدهما أبوك والآخر زوجك (١) .

وليت شعري كيف تصحّ عنه هذه المفاضلة وقد اتخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له نفساً كما جاء في الذكر الحكيم ، وطهره الجليل بأية التطهير ، وقرن بين ولايته وولاية رسوله وبين ولاية عليّ في نصّ الكتاب الكريم ، وأنزله صلى الله عليه وآله وسلم من نفسه منزلة هارون من موسى ، ولم يستثن لنفسه إلاّ النبوة ، واتّخذ صلى الله عليه وآله وسلم أخاً لنفسه يوم المؤاخاة المبتنية على أساس المشاكلة في الملكات والنفسيات ، فكيف تتمّ هذه كلّها وفي الأئمة من هو أولى منه ؟

ولست أدري كيف كان عليّ أمير المؤمنين أحبّ الخلق إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وفي الأئمة من هو خير منه ، وقد صحّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله في حديث الطير المشويّ الآتي ذكره إن شاء الله . اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك ليأكل معي . فأتاه عليّ عليه السلام .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة : إنّ عليّاً أحبّ الرجال إليّ وأكرمهم عليّ فاعرفني له حقّه وأكرمي مثواه .

(١) راجع ما مرّ في ج ٣ ص ٤٠ - ٤٣

وقوله : أحب الناس إليّ من الرجال عليّ .

وقوله : عليّ أحبهم إليّ وأحبهم إلى الله
لا تنسَ ها هنا قول عائشة : والله ما رأيت أحداً أحبّ إلى رسول الله من
عليّ . ولا قول بريدة وأبي : أحبّ الناس إلى رسول الله ﷺ من النساء فاطمة ومن
الرجال عليّ^(١) .

ثم ما بال الصديقة فاطمة تموت وهي واجدة على أبي بكر وعمر وهما خيرا
البشر؟ ما بالها ونداؤها بعد في آذان الأمة المرحومة وهي باكية لاذت بقبر أبيها
وتقول : يا أبت يا رسول الله ! ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي
قحافة ؟ .

ما بالها وقولها للخيرين : إني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما
أرضيتماني ، ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه ؟ وحديث أنينها بعد دأثر سائر بين
حملة التاريخ .

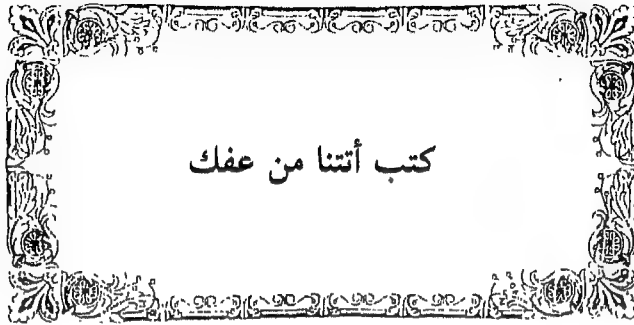
ما بالها وهي توصي بأن تدفن ليلاً ولا يُصلي عليها أبو بكر ، ولا يحضر الخيران
تجهيزها وتشيعها؟ وهذا النبأ العظيم بعد دور في أندية الرجال^(٢) .

نعم : السر في ذلك كله أن الصديقة كابن عمها أمير المؤمنين لا تعرف شيئاً
من قول الزور ، ولعلّ الواقف على الجزء السادس والسابع من هذا الكتاب يطلّ
على كون الرجلين خير البشر بأقرب من هذا .

ونحن على يقين من أن الباحث النابه الحرّ بعد الوقوف على ما في غضون
الأجزاء الخمسة الأخيرة من العشرة الأولى من أجزاء كتابنا هذا لا يبقى له قطّ ريب
في أن رواة هذه الأساطير المختلفة والقائلين بمغزاها والمخبتين إليها صمّاً وعمياناً
هم الغلاة في الفضائل حقاً ، فقد جاؤوا ظلماً وزوراً وإن فريقاً منهم ليكتمون الحقّ
وهم يعلمون ، ﴿فبدّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم ، فمن أظلم ممّن
كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه ، فاصفح عنهم وقل سلام فسوف
يعلمون﴾ . ﴿وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين﴾ .

(١) راجع ما مرّ في ج ٣ ص ٤١ - ٤٣

(٢) راجع ما مرّ في ج ٧ ص ٢٥٥ .



أتانا كتاب من الشاعر الشريف السيّد نعمة السيّد حسّون البعّاج المحترم ،
صدّره بجمل الثناء الضافية على كتابنا «الغدير» وشفّعها بقوله :

فأئي غدير جاء والبحر دونه ؟ غديرك بحر لا يساجله البحر
فإن قلت إن البحر باهى بدره ففيه عقود لا يماثلها الدر
ثم ختمه بأبيات راجياً أن تنشر في هذا الجزء ألا وهي :

كتاب «الغدير» جليل خطير	فيه لعمري بلوغ الأرب
ذكاء وسرنا على ضوئها	لقصد إليه الورى تقترب
أعبد الحسين ! ويا حاوياً	جماع الكمال وعقد الأدب
فكيف أحبر فيك الثنا	وأنت تجدد مجد العرب
أعبد الحسين ! بمجد الحسين	حباك المهيمن أسمى الرتب
فيا أيها السيّد الفاضل	الشريف الفعال المنيف الحسب
هلال الكمال بأفق العراق	تواري زماناً وعنا احتجب
ومذ جاءنا بالغدير البشير	بدى مشرقاً بعدما قد غرب
فقت عيوناً غداة به	أعدت لقوم ليالي الطرب
فهذا «الغدير» لنا منهل	لصادي الفؤاد شراب عذب

قصيدة البعاج حول الكتاب ٤٤٧

وهذا «الغدير» وربّ الغدير
فأين الجواهر منه تكون ؟
فسفر هدىً فاق أضرابه
وجدنا «الغدير» لنا شافياً
وفيه الكفاية عن غيره
فإن كنت تنوي به قرابة
وإن كنت تنوي به غاية
وله كتاب آخر إلينا ختمه بقوله :

دع المجذب الظامي يموت بدائه
أصدر عن روض «الغدير» ومائه
ويحسب أن يروي غليل فؤاده
فدعه يُلاقى حتفه هو صادياً

(كتاب آخر) :

تلقيناه من الشاعر العلويّ النبيل السيّد يحيى السيّد داود الشّرع صدره بقوله :
الحقّ أبلّ وضّاح لطالبه
والفضل يرجع في العصر الحديث لمن
ذاك (الأمينيّ) قد لاحت معاجزه
وقفاها بفصول الإطراء وختمه بأرجوزة تربو على أربعين بيتاً يذكر فيها كتاب
«الغدير» وبعض مصادره ، أرجأنا نشرها إلى آونة أخرى .

(كتاب ثالث) :

أخذناه من الشاعر المبدع يحيى صالح الحلّي افتتح كتابه بقوله :
أنرت بسفرك هذا الجليل
وأوضحت أكذوبة الجاحدين
ثم سبك عقود القريض ، وسرد كلاً منشورة في إطراء «الغدير» وتخلّص منها

بأبيات على بحر رجز . فله وللشريفين الشكر المتواصل منا غير مجذوذ .

(كتاب رابع) :

أتانا من الخطيب الشاعر الشيخ كاظم آل حسن الجنباني بعفك وإليك نصّه نظماً ونشراً :

سماحة العلامة الأكبر، شيخنا المعظم الشيخ عبدالحسين الأميني المحترم .
بعد تقبيل أناملكم والسّلام عليكم والدعاء لكم بالخير أقدم إليكم أبياتاً نظمناها بدافع ديني لا أريد أن أقرّظ بها كتاب (الغدير) الأغرّ الذي عجز عن تفريلته وإطرائه أعلام الفقه والفضيلة ، وفطاحل العلماء ، ولم يحط بوصفه عباقرة الكلام وصيارفة الأدب ، وكيف يطيق شاعرٌ مفلق أو ذو يراع ملهم أن يحدّ نعته ويحيط بكنهه ، وهو نسيج وحده نسجته يد القدرة ، وصاغته كفّ العناية ، وصفحته عين اللطف ؟ فجاء بحمدالله فريداً في بابه ، بليغاً في خطابه ، أصاب قلب الغرض ، وكشف وجه الحقيقة وأماط عنها دياجير الظلم ، وغياهب الإجحاف ، فليس باستطاعتي والحالة هذه تفريل مثل هذا الكتاب العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن أنا وما قدر إيماني يا سيدي ! حتى أتصدى لمدح (الغدير) الذي نبت عن وصفه قرائح الشعراء وأقلام الكتّاب ؟

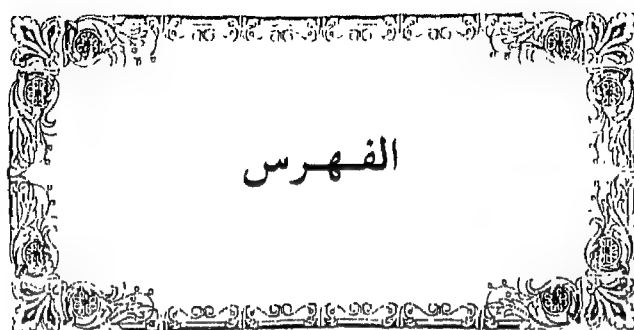
ولكنني إنما أردت بأبياتي هذه إن راقّت سيّدنا (الأميني) أن يتفضّل بنشرها لتكون لي ذكرى خالدة بخلود غديرنا الصافي :

سألوني عن «الغدير» أناسٌ	أين كان «الغدير» قبل الأميني ؟
قلت : كان (الغدير) في سجن غيٍّ	صفّفته قيود إفك ومين
وغدا في السجن من يوم خمّ	يوم قال الإله : أكملت ديني
قد أتاه «الأميني» لمّا دعاه	مستعيناً فياله من معين
فجزاه الإله خير جزاء	أوضح الحقّ في كتاب مبين
وإذا (بالغدير) بين يدينا	فيه تبيان كل شيء دفين
فيه ما تشتهي النفوس وفيه	ما تلذّ العيون رأي العيون

قصيدة البعاج حول الكتاب ٤٤٩

فرحة الصادقين فيه وفيه	ترحة الكاذبين حقّ اليقين
يا كتاب «الغدير» أبهجت منّا	مذ تلوناك كلّ قلب حزين
سوف تبقى بغرّة الدهر نوراً	خالداً في الجود طول السنين
سلام على مؤلّف سفر	فاق فضلاً رجال كلّ القرون

[الشيخ كاظم آل حسن الجنابي]



الموضوع	الصفحة
كلمة العلامة الحماي حول الكتاب	٥
رسالة العلامة السيد الهندي حول الكتاب	٨
كتاب مولانا الشيخ الكابلي حول الكتاب	١١
كتاب الأستاذ زهر الدين حول الكتاب	١٣
تقريظ الأستاذ سلمان الدواح حول الكتاب	١٥
ما جرى بين عثمان وابن مسعود	١٩
ترجمة ابن مسعود والثناء عليه	٢٣
نظرة في قصّة ابن مسعود	٢٥
مواقف عثمان مع عمّار	٣٢
ترجمة عمّار بن ياسر والثناء عليه	٣٨
نظرة في مواقف عمّار مع عثمان	٤٨
تسيير صلحاء الكوفة إلى الشام	٥٠
نظرة في تسيير صلحاء الكوفة	٥٧
ترجمة مالك الأشتر	٥٨
ترجمة زيد وصعصعة إبن صوحان	٦٣

٤٥٢ الفهرس

الموضوع	الصفحة
ترجمة جندب ، وكعب ، وعدي بن حاتم	٦٥
ترجمة مالك بن حبيب ، ويزيد بن قيس ، وعمرو بن الحمق ، وعروة	٦٦
ترجمة أصغر ، وكميل بن زياد ، والحارث الهمداني	٦٨
تسيير كعب بن عبده	٦٩
تسيير الخليفة عامراً	٧٤
تسيير الخليفة عبدالرحمن	٨١
تسيير الخليفة علياً أمير المؤمنين	٨٣
آية نازلة في عثمان	٨٦
عثمان لا يعرف المخلص من النار	٨٨
ترك الخليفة سنة التكبير	٨٩
نتاج البحث وجناية التاريخ	٩٠

آراء الصحابة العدول في عثمان

حديث أمير المؤمنين علي (ع)	٩٢
حديث عائشة أم المؤمنين	١٠١
حديث عبدالرحمن بن عوف	١١١
حديث طلحة بن عبيدالله	١١٦
حديث الزبير بن العوام	١٢٧
حديث طلحة والزبير	١٢٩
حديث عبدالله بن مسعود	١٣٧
حديث عمار بن ياسر	١٣٧
حديث المقداد الكندي	١٤٢
حديث حُجر بن عدي	١٤٥
حديث عبدالرحمن	١٤٨
حديث هاشم المرقال	١٤٩
حديث جهجاه الغفاري	١٥٠

الفهرس ٤٥٣

الموضوع	الصفحة
حديث سهل ورفاعة والحجاج الأنصاريين	١٥٢
حديث أبي أيوب الأنصاري	١٥٣
حديث قيس الأنصاري	١٥٤
حديث فروة الأنصاري	١٥٦
حديث محمد الأنصاري	١٥٧
حديث جابر الأنصاري	١٥٧
حديث جبلة الأنصاري	١٥٨
حديث محمد بن مسلمة الأنصاري	١٦٠
حديث ابن عباس حبر الأمة	١٦١
حديث عمرو بن العاصي	١٦٣
حديث أبي الطفيل	١٦٧
حديث سعد بن أبي وقاص	١٦٩
حديث مالك الأشتر	١٧٠
حديث عبدالله بن عكيم	١٧١
حديث محمد بن أبي حذيفة	١٧٢
حديث عمرو النخعي	١٧٥
حديث صعصعة بن صوحان	١٧٥
حديث حكيم العبيدي	١٧٦
حديث هشام المخزومي	١٧٧
حديث معاوية بن أبي سفيان	١٧٨
حديث عثمان نفسه	١٨١
قريض يؤكّد ما سبق	١٨٤
حديث المهاجرين والأنصار	١٨٦
كتاب المدنيين إلى الصحابة	١٩١
كتاب المهاجرين إلى مصر	١٩٢

الموضوع	الصفحة
كتاب المدنيين إلى عثمان	١٩٢
الإجماع والخليفة	١٩٣
قصة الحصار الأول	١٩٨
كتاب المصريين إلى عثمان	٢٠٠
عهد الخليفة على نفسه	٢٠١
صور من توبة الخليفة	٢٠٣
عهد آخر بعد الأول	٢٠٦
قصة الحصار الثاني	٢٠٨
صورة أخرى من القصة	٢١٠
لفظ الواقدي في القصة	٢١٣
الخليفة تواب عواد	٢١٥
نظرة في أحاديث الحصارين	٢١٧
كتب عثمان أيام الحصار	٢٢١
نظرة في كتب عثمان	٢٢٥
قتال يوم الدار	٢٣٠
مقتل عثمان	٢٣٦
تجهيز الخليفة ودفنه	٢٤١
سلسلة الموضوعات حول قصة الدار	٢٥٢
نظرة في تلکم الموضوعات	٢٧٧
نظرة في الكتب والمؤلفات	٢٨٢
نظرة في الفتوحات لدحلان	٢٨٥
نظرة في الفتنة الكبرى	٢٨٦
نظرة في كتاب عثمان	٢٩٠
نظرة في انصاف عثمان	٢٩٣
نظرة في كتب أخرى	٢٩٨

الفهرس ٤٥٥

الموضوع	الصفحة
أحاديث عهد النبي إلى عثمان	٣٠٠
نظرة في أحاديث العهد	٣٠٩
نظرة في مناقب عثمان وهي خمسون منقبة وضعتها يد الغلو في الفضائل لا	
يصح شيء منها توجد في طيها فوائد جمّة وأبحاث قيّمة	٣١١
مناقب الخلفاء الثلاثة أبو بكر ، وعمر ، وعثمان والنظر فيها	٤٢٦
كتب أتنا من عفك	٤٤٦
فهرست الكتاب	٤٥١





ALGADIR

FI

AL KETAB . WASSONNAH . WALADAB

BY

AL SHAIKH ABDOL HOSAIN
AHMAD ALAMINI ALNAJAFI

PUBLISHED BY

Est. Al. Alammî For Pr.

Beirut - LEBANON